



100-101

الحَجَرُ الْبَيْضَاءُ فِي هَذَا الْإِحْيَاءِ

للمتخصص العظيم والمحدث الكبير الحكيم المتأثر
محمد بن المرتضى المدعو

بأهول المحسن الكاشاني

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه
علي أكبر الغفاري

البيروت دار الفيل



مؤسسة الفكر الإسلامي

القائمة بحمد الله تعالى بن رقم التسجيل

﴿ كتاب العزلة ﴾

وهو الكتاب السادس من ربيع العادات من المعجزة البيضاء في تهذيب الاحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه و صفوته بأن صرف همهم إلى مؤانسته ، وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته ، وروح أسرارهم بمناجاته وملاطفته ، وحقّر في قلوبهم النظر إلى متاع فاني زينة الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته ، فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته ، واستوحش به عن الانس بالانس وإن كان من أخص خاصته .
والصلاة على محمد سيّد أنبياء الله وخيرته وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمة .
أما بعد فإنّ للناس اختلافاً كثيراً في العزلة والمخالطة و تفضيل إحداهما على الأخرى مع أنّ كل واحدة منهما لا يتفكّ عن غوائل تنفر عنها و فوائد تدعو إليها و ميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة و تفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمؤاخاة والمؤانسة يكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة ، فكشف الغطاء عن الحق من ذلك مهم و يحصل ذلك برسم باين .

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ في نقل المذاهب والافاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك ﴾

أما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين^(١) فذهب

(١) في الاحياء « بين التابعين » .

إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة جماعة منهم ، و قال أكثرهم باستحباب المخالطة و استكثار المعارف و الإخوان للتآلف و التحبب إلى المؤمنين و الاستعانة بهم في الدين ، تعاوناً على البرِّ و التقوى ، و المأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأين ، و إلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الميل ، فلنتقل الآن مطلقاً تلك الكلمات ليتبين المذاهب فيها ، و ما هو مقرون بذكر العلة نوره عند التعرض للغوائل و الفوائد .

أقول: و لنفتح أولاً بذكر كلام مولانا الصادق عليه السلام في هذا الباب ثم لنورد ما ذكره أبو حامد .

قال الصادق عليه السلام على ما روي عنه في مصباح الشريعة ^(١) : «صاحب العزلة متحصن بحصن الله و محترس بحراسته ، فيأطوبى لمن تفرّد به سرّاً و علانية ، و هو يحتاج إلى عشر خصال : علم الحقّ و الباطل ، و تحبب الفقر ، و اختيار الشدة و الزهد و اغتنام الخلوة ، و النظر في العواقب ، و رؤية التقصير في العبادة مع بذل المجهود ، و ترك العجب ، و كثرة الذكر بلا غفلة فإن الغفلة مصطاد الشيطان و رأس كل بلية و سبب كل حجاب ، و خلوة البيت عما لا يحتاج إليه في الوقت ، قال عيسى ابن مريم عليه السلام : اخزن لسانك لعمارة قلبك ، و ليسعك بيتك ، و فرّ من الرّيا ، و فضول معاشك ، و ابك على خطيئتك ، و فرّ من الناس كفرارك من الأسد و الأفعى فإنهم كانوا دواء فصاروا اليوم داءً ، ثم الق الله متى شئت .

قال ربيع بن خثيم : إن استطعت أن تكون في موضع لا تعرف و لا تعرف فافعل ، و في العزلة صيانة الجوارح ، و فراغ القلب ، و سلامة العيش ، و كسر سلاح الشيطان ، و المجانبة من كل سوء ، و راحة القلب ، و ما من نبيّ و لا وصيّ إلا واختار العزلة في زمانه إمّا في ابتدائه و إمّا في انتهائه » ^(٢) .

(١) ما عثرت على عنوان « العزلة » في كتب أحاديث الامامية الا في المصباح و

ارشادة الديلمي وأكثر ما روي في هذا الباب من طريق سفيان الثوري و نظرائه فافهم .

(٢) الى هنا المصدر باب الرابع والعشرون .

وعنه عليه السلام أنه قال : « فسد الزمان ، وتغير الإخوان ، وصار الانفراد أسكن للفؤاد » . وروى أن معروف الكرخي قال له عليه السلام : أوصني يا ابن رسول الله فقال : « اقلل معارفك ، قال : زدني ، قال : أنكر من عرفت منهم » (١) .

قال أبو حامد : « قال الفضيل : كفى بالله محباً ، وبالقرآن مؤنساً ، وبالموت واعظاً ، اتخذ الله صاحباً ، ودع الناس جانباً » .

وقال أبو الربيع لداود الطائي : عظمي ، قال : صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة ، وفر من الناس فرارك من الأسد .

وقيل ورد في التوراة : قنع ابن آدم فاستغنى ، اعتزل الناس فسلم ، ترك الشهوات فصار حراً ، ترك الحسد فظهرت مروته ، صبر قليلاً فتمتع طويلاً .

وقال وهيب بن الورد : بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء فتسعة منها في الصمت والعاشرة في عزلة الناس .

وقال بعضهم : كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعة أيام لانسمع له كلاماً ، فقلنا له : يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبعة ، ولا تزال تخالطنا ولا تكلمنا ، فأنشأ يقول :

قليل الهم لا ولد يموت ❖ ولا أمر يحاذر أن يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علماً ❖ فغايته التفرُّد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي : تفقه ثم اعتزل ، وكذا قال الربيع بن خثيم .
وقال الفضيل : إنني لأجد للرجل عندي يداً إذا لقينته أن لا يسلم علي ، وإذا مرضت أن لا يعودني .

وقال أبو سليمان الداراني : بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصك جيبته فشجته فجعل يمسح الدم ويقول : لقد وعظت يا ربيع فقام و دخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته .

وقال بشر بن عبد الله : أقل من معرفة الناس ، فإنك لا تندي ما يكون

(١) نقلهما ابن فهد العلي في كتاب التعمين مراسلاً كما في مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٣٢٣ .

يوم القيامة ، فإن تكن فضيحة كان من يعرفك قليلاً .
 ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال : ألك حاجة ؟ قال : نعم فقال :
 ماهي ؟ قال : لا أراك ولا تراني .
 وقال رجل لسهل : أريد أن أصبحك قال : إذا مات أحدنا فمن يضحب الآخر؟
 قال : الله سبحانه ، قال : فليصحبه الآن .
 وقال الفضيل : من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه .
 وقال ابن عباس : أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى .
 فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة .

❖ (ذكر حجج المائلين الى المخالطة و وجه ضعفها) ❖

احتج هؤلاء بقوله تعالى : «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا» (١) وبقونه
 تعالى : «ألف بين قلوبهم» (٢) فامتد على الناس بالسبب المؤلف ؛ وهذا ضعيف لأن
 المراد به تفرق الأراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة
 والمراد بالآلقة نزع الفوائد من الصدور ، وهي الأسباب المثيرة للفتن ، المحركة
 للخصومات ، والعزلة لا تنافي ذلك ، واحتجوا بقوله ﷺ : «المؤمن ألف مع ألو ف ،
 ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» (٣) ؛ وهذا أيضاً ضعيف فإنه أشار إلى منعمة
 سوء الخلق الذي يمتنع بسببه المؤلفاة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي إن خالط
 ألف وألف و لكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه أو طلباً للسلامة من غيره .
 واحتجوا بقوله ﷺ : «من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية» (٤) وبقوله
 ﷺ : «من شق عصا المسلمين والمسلمون في إسلام دامج فقد خلع ربة الإسلام» (٥)

(١) آل عمران : ١٠٥ . (٢) الانفال : ٦٣ .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٨٧ : أخرجه الطبراني في الاوسط
 من طريق علي بن بهرام عن عبد الملك بن أبي كريمة ولم يعرفها وبقية رجاله رجال صحيح .
 (٤) أخرجه مسلم ج ٦ ص ٢٠ من حديث ابن عباس وامي هريرة .

(٥) أخرجه الطبراني والخطابي في العزلة من حديث ابن عباس بمنجد جيد كما في المنبى .

وهذا ضعيف لأن المراد به الجماعة التي اتفقوا على إمام ، فليس فيه تعرض للعزلة. واحتجوا بنبيه ﷺ عن الهجرة فوق ثلاث إذ قال : « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار » (١) وقال : ﷺ « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة » (٢) وقال ﷺ : « من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه » (٣).

قالوا : والعزلة هجرة بالكليّة ، وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس و اللجاج فيه بقطع الكلام و السلام و المخالطة المعتادة ، فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلاً من غير غضب مع أن الهجرة فوق ثلاث جائز في موضعين : أحدهما أن يرى فيه استصلاحاً للمهجور في الزيارة ، و الثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه ، و النهي و إن كان عاماً فهو محمول على ما وراء الموضوعين المخصوصين بدليل ما روي عن عائشة « أن النبي ﷺ هجرها ذا الحجّة و المحرم و بعض صفر » (٤) . و روت عائشة أن النبي ﷺ قال : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا يؤمن بوائقه » (٥) فهذا صريح في التخصيص و على هذا ينزل ما قيل : هجران الأحمق قرينة إلى الله تعالى ، فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحماقة لا ينتظر علاجها .

احتجوا بما روي « أن رجلاً أتى الجبل ليتعبد فيه فجيبى ، به إلى رسول الله ﷺ فقال : لا تفعل أنت ولا أحمتكم ، لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير من عبادة أحدكم أربعين عاماً » (٦) ، و الظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك

(١) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٧٧ من حديث أبي هريرة .

(٢) أخرجه صدره البخاري ج ٨ ص ٢٤ ومسلم ج ٨ ص ١٠ ، ورواه الطبراني بشاه

من حديث أنس .

(٣) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٧٧ من حديث أبي خراش السلمي .

(٤) قال العراقي : إنما هجر صلى الله عليه وآله وسلم زينب هذه الدة كما رواه

أبو داود من حديث عائشة و سكت عليه فهو عنده صالح .

(٥) أخرجه ابن عدي وقال : غريب المتن والاسناد كما في المعنى .

(٦) أخرجه الطيالسي في مسنده من حديث عمس بن سلامة ص ١٦٨ .

الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الإسلام بدليل ما روي عن أبي هريرة أنه قال : « غزونا على عهد رسول الله ﷺ فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال : واخذ من القوم : لو اعتزلتُ الناس في هذا الشعب ، ولن أفعل ذلك حتى أذكر لرسول الله ﷺ ، فذكر له فقال : لا تفعل فإنَّ مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلته في أهله ستين عاماً ، ألا تحبّون أن يغفر الله لكم و تدخلون الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله فإنه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة أدخله الله الجنة » (١) .

احتجوا بما روي عن معاذ بن جبل أنه ﷺ قال : « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية و الناحية و الشاردة ، إيّاكم و الشعب و عليكم بالعمامة و الجماعة و المساجد » (٢) و هذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم و سيأتي أن ذلك منهي عنه إلا لضرورة .

﴿ ذكر حجج المالين التي تفضيل العزلة ﴾

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : « و أعتزلكم و ما تدعون من دون الله » ثم قال : « فلما اعتزلهم و ما يعبدون من دون الله و هبنا له إسحاق و يعقوب و كلاً جعلنا نبياً » (٣) إشارة إلى أن ذلك بركة العزلة ؛ و هذا ضعيف لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدين ، و عند توقع اليأس عن إجابتهم فلا وجه إلا هجرتهم وإنما الكلام في مخالطة المسلمين و ما فيها من البركة إذ روي أنه ﷺ قيل له : الوضوء من جرّ مخمّر أحب إليك أو من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس ؟ فقال : من هذه المطاهر الثماسة لبركة أيدي المسلمين ، (٤) و روي أنه ﷺ : « لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرّب منها فإذا التمر المنقع في حياض الأدم قد مغنه الناس بأيديهم ، وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه

(١) أخرجه الحاكم ج ٢ ص ٦٨ وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٣٢ .

(٣) مريم : ٤٩ .

(٤) أخرجه الطبراني في الاوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف كما في المعنى .

فقال : اسقوني فقال العباس : إن هذا النبيذ شرابٌ قد مغيثٌ وخييضٌ بالأيدي أفلا أتيتك بشرابٍ أنظف من هذا في جبرٍ محتمسٍ في البيت ؟ فقال : اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس ألتمس بركة أيدي المسلمين . فشرِب منه « (١) .

فإذن كيف يستدلُّ باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم .

واحتجوا بقول موسى عليه السلام : « وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون » (٢) فإنه فزع إلى العزلة بعد اليأس منهم .

وقال أصحاب الكهف : « و إذ اعتزلتموهم و ما يعبدون إلا الله فأوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته » (٣) أمرهم بالعزلة ، و قد اعتزل نبينا عليه السلام قريشاً لما آذوه وجفوه ودخل الشعب و أمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة ثم تلاحقوا به في المدينة بعد أن أعلی الله كلمته ، وهذا أيضاً اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فإنه عليه السلام لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضاً وهم مؤمنون ، وإنما اعتزلوا الكفار ، وإنما النظر في العزلة من المؤمنين .

و احتجوا بقوله عليه السلام : لعبد الله بن عامر الجهنني لما قال : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : « ليسعك بيتك و أمسك عليك دينك ، و ابك على خطيئتك » (٤) .

و روي أنه قيل لرسول الله عليه السلام : « أيُّ الناس أفضل ؟ فقال : مؤمن مجاهد بنفسه و ماله في سبيل الله ، قيل : ثم من ؟ قال : رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه و يدع الناس من شره » (٥) .

(١) قال العراقي : أخرجه الارزقي في التاريخ من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طوس وفيه ضعف . و«مغث» أى خلطه واصل المغث : الدلك بالاصابع .

(٢) دخان : ٢١ . (٣) الكهف : ١٦ .

(٤) أخرجه أحمد ج ٤ من ١٤٨ ورواه الترمذي أيضاً وقال : حسن .

(٥) أخرجه البخارى ج ٤ من ١٨ ، وابن ماجه تحت رقم ٣٩٧٨ .

وقال عليه السلام: « إن الله يحب العبد التقي الخفي الغني » (١) وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأما قوله لعبد الله بن عامر لا يمكن تنزيله إلا ما عرفه عليه السلام بنور النبوة من حاله ، وإن لزوم البيت كان أليق به وأسلم من المخالطة فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك و رب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج في الجهاد ، وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل ، و في مخالطة الناس مجاهدة و مقاساة .

و لذلك قال عليه السلام: « الذي يخالط الناس و يصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » (٢) وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام: « إن الله يحب التقي الخفي » يريد إثارة الخمول و توقفي الشهرة و ذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه الناس ، و كم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة ، فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة .

و احتجوا بما روي أنه عليه السلام قال لأصحابه : « ألا أنبئكم بخير الناس ؟ قالوا : بلى فأشار بيده نحو المغرب فقال : رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ، ألا أنبئكم بخير الناس بعده ؟ وأشار بيده نحو الحجاز وقال : رجل في غنمة يقيم الصلاة و يؤتي الزكاة و يعلم حق الله في عمله ، اعزل شرور الناس » (٤) . فإذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة ، و غوائلها و مقاساة بعضها ببعض ليتبين الحق فيها إن شاء الله تعالى .

(١) أخرجه أحمد من حديث سمد بن أبي وقاص بسند صحيح كافي الجامع مع الصغير وفي الأحياء « إن الله يحب العبد التقي الخفي » وأخرجه مسلم من حديث سعد كما في المغني .
(٢) أخرجه أحمد ج ٥ ص ٣٦٥ من حديث رجل من أصحاب النبي وقال الراوى :
أظنه ابن عمر .

(٣) زاد في الأحياء « رجل معتزل يعبد ربه و يدع الناس شره » فهذا إشارة الى شرير بضمه بتأذي : الناس بمخالطته و قوله صلى الله عليه وآله : « إن الله يحب - الخ - » .
(٤) أخرجه الطبراني من حديث أم مبشر الأثري قال : نحو المشرق بدل المغرب (المغني) .

﴿ الباب الثاني ﴾

(في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضائلها)

إعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول في ما نحن فيه فلنذكر أولاً فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دينية ودنيوية ، والدنية تنقسم إلى تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم ، وإلى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء ، وأما الدنيوية فنقسم إلى تمكن من التحصيل بالخلوة كنتمكن المحترف في خلوته ، وإلى تخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة ، كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها ، وطمعه في الناس وطمع الناس فيه ، وانكشاف ستر مروته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرآة أو سوء ظنه أو نميمته أو محاسدته أو التأذي بنقله وتشويه خلقته ، فإلى هذا يرجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد .

الفائدة الأولى الفراغ للعبادة ، والفكر ، والاستيناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق ، والاشتغال باستكشاف أسرار الله في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السماوات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغاً ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة إليه ولهذا قال بعض الحكماء : لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله عز وجل ، والتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله ، والذاكرون الله بالله ، عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ، ولقوا الله بذكر الله ، ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة أولى بهم ، ولذلك كان عليه السلام في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء ، وينزل إليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن الله ، فكان يبذنه مع الخلق وبقلمه مقبلاً على الله ، ولن

يسع للجَمع بين مخالطة الخلق ظاهراً و الإقبال على الله سرّاً إلا قوّة النبوة ، فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطعم في ذلك و لا يبعد أن ينهيه درجة بعض الأولياء إليه فقد نقل عن الجنيد أنه قال : أنا أكلّم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنني أكلّمهم ، و هذا إنما يتيسر للمستغرق بحبّ الله استغراقاً لا يبقى لغيره فيه متسع ، وذلك غير منكر ، ففي المستهترين بحبّ الخلق من يخالط الناس ببدنه و هو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه محبوبه ، بل الذي دهاه ملامّة تشوّش عليه أمراً من أمور دنياه قد يستغرقه بهم بحيث يخالط الناس و لا يحس بهم و لا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه ، وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء : ما الذي أرادوا بالخلوّة واختيار العزلة ؟ فقال : ليستديموا بذلك دوام الفكرة ، و تثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة و يذوقوا حلاوة المعرفة .

و قيل لبعض الرّهبان^(١) : ما أصبرك على الوحدة ؟ فقال : ما أنا وحدي أنا جليس الله إذا شئت أن يناجيني قرأت كتاب الله ، وإذا شئت أن أناجيه صلّيت .
و قيل لبعض الحكماء : إلى أي شيء أفضى بكم الزهد والخلوّة ؟ فقال : إلى الانس بالله .

و قال سفيان بن عيينة : لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام فقلت له : يا إبراهيم تركت خراسان فقال : ما تهنأت بالعيش إلا ههنا أفرّ بديني من شاهق إلى شاهق ، فمن رأني يقول : موسوس أو حمال أو ملاح .
و قيل لغزوان الرّقاشي : هبك لا تضحك فما يمنعك عن مجالسة إخوانك ؟ قال : إنني أصبت راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي .

و قيل : بينما أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيّان فقال له أويس : ماجاء بك ؟ قال : جئت لأنس بك ، فقال : ما كنت أرى أحداً يعرفدبه فيأنس بغيره .
و قال الفضيل : إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت به و قلت : أخلو بربي ، وإذا

رأيت الصبح أدر كني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيىء من يشغلني عن ربي .
 وقال عبدالواحد بن زيد : طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة ، فقيل
 له : وكيف ذلك ؟ قال : يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة .

وقال ذو النون المصري : سرور المؤمن ولذته في الخلق بمناجاة ربه .
 وقال مالك بن دينار : من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين
 فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره .

وقال ابن المبارك : ما أحسن حال من انقطع إلى الله عز وجل .

ويروى عن بعض الصالحين أنه قال : بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا
 أنا بعباد خارج من بعض تلك الجبال ، فلما نظر إلي تنحى إلى أصل شجرة و
 تستر بها فقلت : سبحان الله تبخل علي بالنظر إليك ؟ فقال : يا هذا إنني أقمت
 في هذا الجبل دهرأ طويلاً أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك
 تعبى وفنى فيه عمري فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي
 فسكنه الله عن الاضطراب ، وألفه الوحدة والانفراد ، فلما نظرت إليك خفت أن
 أوقع في الأمر الأول فأليك عني فأني أعود من شرك برب العارفين و حبيب
 القانتين ، ثم صاح وانمأ من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ، ثم نقض
 يديه ، وقال : إليك عني يا دنيا لغيري فتزيني ، وأهلك فغرتي ، ثم قال : سبحان
 من أذاق قلوب العارفين من لذة الخلوة و حلاوة الانقطاع إليه ، ما ألهم قلوبهم عن
 ذكر الجنان ، وعن الحور الحسنان .

فأذن في الخلوة أسبكر الله وأسبكر من معرفة الله وفي ذلك قيل :

و إنني لأستنفس وما بي نعسة لعل خيالاً منك يلتقي خيالياً

و أخرج من بين الجلوس لعلني أحدث نفسي عنك بالسر خالياً

ولذلك قال بعض الحكماء : إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن

الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاته الناس ، و يطرد الوحدة عن نفسه ، فإذا كانت ذاته

فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة و يستخرج العلم والحكمة .

وقد قيل : الاستيناس بالناس من علامات الإفلاس .
 فاذن هذه فائدة جلييلة ولكن في حق بعض الخواص و من تيسر له بدوام
 الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقيق في معرفة الله فالتجرده له أفضل من كد
 ما يتعلق بالمخالطة فإن غاية العبادات و ثمره المعاملات أن يموت الإنسان محباً لله
 عارفاً بالله و لا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر و لا معرفة إلا بدوام الفكر
 و فراغ القلب شرط كل واحد منهما و لا فراغ مع المخالطة .

الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالباً
 بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة : الغيبة ، و الرياء ، و السكوت عن الأمر
 بالمعروف و النهي عن المنكر ، و مسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة و الأعمال
 الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا .

أما الغيبة فإذا عرفت في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت
 أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون ، فإن عادة الناس
 كافة التمضمض بأعراض الناس و التفكك بها ، و التنقل بحلاوتها ، فهي طعمتهم
 ولذتهم ، وإليها يستروحون من وحشتهم في الوحشة^(١) فإن خالطتهم و وافقت أئمت
 و تعرضت لسخط الله ، وإن سكت كنت شريكاً و المستمع أحد المغتابين ، وإن أنكرت
 أبغضوك و تركوا ذلك المغتاب و اغتابوك فازدادوا غيبة إلى الغيبة ، و ربما زادوا
 على الغيبة و انتهوا إلى الاستخفاف و الشتم .

و أما الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فهو من أصول الدين [وهو واجب]
 كما سيأتي بيانه في هذا الربع إن شاء الله ، و من انحط أناس فلا يخلو عن مشاهدة
 المنكرات ، فإن سكت عصي الله به ، إن أنكرد تعرض لأنواع من الضرر ربما
 يجبره الخلاص منها إلى معاصي هي أكثر مما نهى عنه ابتداءً ، و في العزلة خلاص من
 هذا فإن الأمر في إهماله شديد و القيام به شاق .

فمن النبي ﷺ : « إذا رأى الناس المنكر ولم يغيروه أو شك أن يعمتهم الله

(١) كذا وفي الإحياء « يستروحون من وحشتهم في الخلوة » و هو الصواب .

بعقاب» (١).

وقال عليه السلام : « إن الله يسأل العبد حتى يقول : ما منعك إذا رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره فإذا لقن الله عبداً حجته قال : يارب رجوتك وخفت الناس » (٢) وهذا إذا خاف من ضرر أو أمر لا يطاق ، و معرفة حدود ذلك مشكلاً و فيه خطر ، و في العزلة خلاص ، و في الأمر بالمعروف إثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل شعراً :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة ❦ و قد يستفيد البغضة المنتصح
و من جرّب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً فإنه كجدار مائل يريد ألا يناس
أن يقيمة فيوشك أن يسقط عليه ، فإذا سقط عليه يقول : يا ليتني تركته مائلاً ،
نعم لو وجد أعواناً أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام ، وأنت اليوم لاتجد
الأعوان فدعهم وانج برأسك .

و أمّا الرياء فهو الداء العضال الذي يعسر على الأوتاد و الأبدال الاحتراز
عنه ، و كل من خالط الناس داراهم و من داراهم راءاهم و وقع فيما وقعوا
وهلك كما هلكوا ، و أقل ما يلزم فيه النفاق فإن خالطت متعادين و لم تلق
كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضاً إليهما جميعاً وإن جاملتها كنت من شرار
الناس ذا الوجهين (٣) ، و أقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق و المبالغة فيه ،
و لا يخلو ذلك عن كذب إمّا في الأصل و إمّا في الزيادة و إظهار الشفقة بالسؤال
عن الأحوال .

و كان إذا قيل لعيسى عليه السلام : كيف أصبحت ، قال : أصبحت لا أملك نفع ما

(١) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٤٣٦ من حديث قيس بن مسلم ، و أخرجه ابن ماجه
تحت رقم ٤٠٠٥ وقال الترمذي حسن صحيح .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٠١٧ من حديث أبي سعيد الخدري .

(٣) في الأحياء هكذا « و إن جاملتها كنت من شرار الناس . وقال صلى الله عليه وآله

وسلم : « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه و هؤلاء بوجه » . وقال عليه السلام :

« إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه و هؤلاء بوجه و أقل ما يجب الخ » .

أرجو ، ولأستطيع دفع ما أحاذر ، وأصبحت مرتهناً بعملتي والخير كله في يدغيري ،
فلا فقير أفقر مني .

و كان الربيع بن خثيم إذا قيل له : كيف أصبحت ، قال : أصبحنا ضعفاء
مدنين ، نستوفي أرزاقنا و ننتظر آجالنا .

وكان أبو الدرداء إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بخير إن نجوت
من النار .

فقد كان سؤالهم عن أمور الدين و أحوال القلب في معاملة الله و إن سألوا
عن أمور الدنيا فعن اهتمام و عزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة .

و قال بعضهم : إنني لأعرف أقواماً كانوا يتلاقون و لو حكم أحدهم على
صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه ، و أرى الآن أقواماً يتلاقون و يسألون حتى
الدُّجاجة في البيت ، و لو انبسط أحدهم لِحبةٍ من مال صاحبه لمنعه فهل هذا إلا
مجرِّد الرياء و النفاق ؟ و آية ذلك أنك ترى هذا يقول : كيف أنت ؟ ويقول الآخر :
كيف أنت ؟ و السائل لا ينتظر الجواب و المسؤول يشتغل بالسؤال و لا يجيب ، و ذلك
لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء و تكلف ، و لعل القلوب لا تخلو عن ضغائن و أحقاد
و الألسنة تنطلق بالسؤال و المقصود أن الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن
أنواع من التصنع و الرياء و النفاق ، و كل ذلك مذمومات بعضها محظور و بعضها
مكروه ، و في العزلة الخلاص من ذلك ، فإن من لقي الخلق و لم يخالفهم بأخلاقهم
مقتوه و استنقلوه و اغتابوه و تشمروا لا يذائه فيذهب دينهم فيه و دينه و دنياه في
الانتقام منهم .

و أما مسارقة الطبع لما يشاهده من أعمال الناس و أخلاقهم فهو داء دفين قلما
يتنبه له العقلاء فضلاً عن الغافلين ، فلا يجالس إلا إنسان فاسقاً مدةً مع كونه منكراً
عليه في باطنه إلا و لو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينها تفرقة في النفرة عن
الفساد و استنقاله إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هيناً على الطبع و يسقط وقعه
و استعظامه له ، و إنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فإذا صار مستصغراً بطول

المشاهدة أو شك أن تنحل القوة الوازنة ، و يذعن الطبع للميل إليه أو لما دونه و مهما طال مشاهدته للكبائر من غيره استحققر الصغائر من نفسه ، و لذلك يزدرى الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم في أن يستصغر ما عنده ، و يؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما أُتيح له من النعم ، فكذلك النظر إلى المطيعين والعصاة و هذا تأثيره في الطبع ، فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة و التابعين في العبادة و التنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار ، و إلى عبادته بعين الاستحقار ، و ما دام يرى نفسه مقصراً ، لا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستيمالاً للاقتداء ، و من نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان و إعراضهم عن الله ، و إقبالهم على الدنيا ، و اعتيادهم للمعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه ، و ذلك هو الهلاك ، و يكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلاً عن مشاهدته .

وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله وَالصَّالِحِينَ وَالرَّحِيمِينَ : «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة» (١) فإنما الرحمة دخول الجنة و لقاء الله و ليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه و هو انبعاث الرغبة من القلب و حركة الحرص على الاقتداء بهم و الاستنكاف مما هو ملابس له من القصور و التقصير ، و مبدء الرحمة فعل الخير ، و مبدء فعل الخير الرغبة ، و مبدء الرغبة ذكر أحوال الصالحين ، فهذا معني نزول الرحمة ، و المفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من نظمه و هو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر المعاصي ، و اللعنة هو البعد و مبدء البعد من الله المعاصي و الإعراض عن الله بالإقبال على الحظوظ العاجلة و الشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ، و مبدء المعاصي سقوط ثقلها و تقاحسها عن القلب ، و مبدء سقوط ذلك وقوع الأنس بها بكثرة السماع و إذا كان هذا ذكر حال الصالحين و الفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم ، بل قد صرح به رسول الله ﷺ

(١) ما عثرت على أصل له و انما ذكره ابن الجوزي في مقدمة صفة الصفوة من كلام

سفيان بن عيينة راجع الموضوعات الكبير للإمام القاري ص ٨٣ .

حيث قال : « مثل الجليس السوء كمثل القين إن لم يحرقك بشر ناره ، علق بك من ريحه »^(١) فكما أن الريح يعبق بالثوب ولا يشعر بها فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به .

و قال عليه السلام : « مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك إن لا يهب لك منه تجد ريحه »^(٢) و لهذا أقول : من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها ، لعنتين إحداهما أنه غيبة والثانية - وهي أعظمها - أن حكايتها تهوّن على المستمعين أمر تلك الزلة و يسقط من قلوبهم استعظامهم للإقدام عليها فيكون ذلك سبباً لتهوين تلك المعصية فإنّه مهما وقع فيها واستنكر ذلك دفع الاستنكار فقال : كيف يستبعد هذا منا و كلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم فلا يتعاطاه مرموق^(٣) معتبر لشقّ عليه الإقدام ، والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات ، بل إلى تقدير الهفوة فيما لاهفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به ، وهذا من دقائق مكائد الشيطان ولذلك وصف الله تعالى المرانمين للشيطان فيها بقوله تعالى : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه »^(٤) .

و ضرب عليه السلام لذلك مثلاً و قال : « مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحمل منها إلا شراً ما يسمع كمثل رجل أتى راعياً فقال : يا راعي أجزر لي شاة من الغنم فقال : إذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم »^(٥) .

و مما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره و مشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلماً أفطر في نهار رمضان استبعدوه استبعاداً يكاد يفضي اعتقادهم

(١) أخرجه أبوداود ج ٢ ص ٥٥٨ والنسائي في اليوم والليلة كما في الترغيب ج ٤

ج ٥٠ في حديث : هكذا « مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يصبك من سواده أصابك من دخانه » والكير : زق ينفخ فيه العداد ، والقين : العداد .

(٢) جزء من الخبر السابق .

(٣) في الاحياء « موفق معتبر » . (٤) الزمر : ٢٠ .

(٥) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٧٢ من حديث ابي هريرة و فيه على بن زيد بن

جدعان وهو ضعيف .

إلى كفره وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا ينفر عند طباعهم كتفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم ، و جزأ الرقبة عند قوم ، و ترك الصوم لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب ، وكذلك لولبس التقيبه ثوباً من حرير أو خاتماً من ذهب أو شرب من إنا، فضة استبعده النفوس واشتد إنكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اغتياب الناس ولا يستبعد منه ذلك ، والغيبة أشد من الزنا فكيف لا يكون أشد من لبس الحرير ؟ و لكن كثرة سماع الغيبة و مشاهدة المغتابين أسقط عن القلوب وقعها وهو أن على النفوس أمرها .

فتفتن لهذه الدقايق وفر من الناس فرارك من الأسد فإنتك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا و غفلتك عن الآخرة و يهون عليك المعصية و يضعف رغبتك في الطاعة ، فإن وجدت جليساً يذكر الله صورته و سيرته فألزمه ولا تفارقه و اغتنمه ولا تستحقره فإنها غنيمه العاقل وضالة المؤمن ، و تحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة ، و أن الوحدة خير من الجليس السوء ، و مهما فهمت هذه المعاني و لاحظت طبعك و التفت إلى من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالعزلة أو التقرب إليه بالخلطة ، و إياك أن تحكم مطلقاً على العزلة و الخلطة بأن إحداهما أولى ، إذ كل مفصل فإطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف محض ، و لاحق في المفصل إلا التفصيل .

الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن و الخصومات و صيانة الدين و النفس عن الخوض فيها و التعرض لأخطارها و قلما يخلو البلاد عن تعصبات و فتن و خصومات ، فالمعتزل عنهم في سلامة من ذلك .

قال عبدالله بن عمرو بن العاص : لما ذكر رسول الله ﷺ الفتن و وصفها و قال : « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم و خفت أماناتهم ، و كانوا هكذا - و شبك بين أصابعه - فقلت : و ما تأمرني ؟ فقال : ألزم بيتك ، و أملك عليك لسانك ، و خذ ما

تعرف ، ودع ما تنكر ، و عليك بأمر الخاصة ، وضع عنك أمر العامة » (١) .

وروى أبو سعيد الخدري أنه رضي الله عنه قال : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر ، يفرّ بدينه من الفتن » (٢) .

و روى عبدالله بن مسعود أنه رضي الله عنه قال : « سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من قرّ بدينه من قرية إلى قرية ، و من شاهق إلى شاهق ، و من حجر إلى حجر ، كالثعلب الذي يروغ ، قيل : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله فإذا كان ذلك الزمان حلّت العزوبة ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ و قد أمرتنا بالتزويج ؟ قال : إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي أبويه ، فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده ، فإن لم يكن فعلى يدي قرابته ، قالوا : فكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : يعيرونه بضيق اليد فيتكلف مالا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة » (٣) .

و هذا الحديث وإن كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها إذ لا يستغني المتأهل عن المعيشة و المخالطة ثم لا ينال المعيشة إلا بمعصية الله ، و لست أقول : هذا أو أن ذلك فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر .

و قال ابن مسعود : « ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله الفتن و أيام الهرج قلت : و ما الهرج ؟ قال : حين لا يأمن الرجل جليسه ، قلت : فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان ؟ قال : كف نفسك و يدك و ادخل دارك ، قال : قلت : أ رأيت يا رسول الله إن دخل على داري ؟ قال : فادخل بيتك ، قلت : إن دخل على بيتي ؟ قال : فادخل »

- (١) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٤٣٧ والنسائي بإسناد حسن كما في الترغيب ج ٣ ص ٤٤٣ و قوله : مرجت أي فدت و ظاهر قوله : « خفت أماناتهم » أي قلت ، من قولهم : خف القوم أي قلوا .
- (٢) أخرجه البخاري ج ٩ ص ٦٦ ، و أبو داود ج ٢ ص ٤١٨ .
- (٣) أخرجه البيهقي في كتاب الزهد كما في الترغيب ج ٣ ص ٤٤٤ من حديث أبي هريرة و أخرجه أبو يعلى من حديث حذيفة و رواه الخطابي في العزلة من حديثه و حديث أبي أمامة كلهم بأدنى اختلاف واختصار ، و ما وجدته من حديث ابن مسعود في المصادر التي كانت عندي .

مسجدك واصنع هكذا - و قبض على الكوع - وقل : ربي الله حتى تموت « (١) .
 و كان في الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلاً .
 وجلس طاؤوس في بيته فقيل له في ذلك ، فقال : فساد الزمان و حيف الأئمة .
 ولما بني عروة قصره بالعقيق ولزمه ولم يخرج قيل له : لزمنا القصر وتركت
 مسجد رسول الله ﷺ قال : رأيت مساجدكم لاهية ، وأسواقكم لاغية ، والفاحشة
 في فجاجكم عالية ، و فيما هنالك عما أنتم فيه عافية .

فاذن الحذر من الخصومات و مثارات الفتن إحدى فوائد العزلة .

الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغبية و مرة
 بسوء الظن و التهمة و مرة بالاقترحات والأطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة
 بالنميمة والكذب ، وربما يرون منك من الأعمال والأقوال ما لا يبلغ عقولهم كنهه
 فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت يظهر فيه فرصة للشرف فاذا اعتزلتهم
 استغنيت من التحفظ عن جميع ذلك ، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره : أعلمك بيتين
 خيرا من عشرة آلاف درهم فقال : ما هما فقال شعراً :

اخفض الصوت إن نطقت بليل * والتفت بالنهار قبل المقال
 ليس للقول رجعة حين يبدو * بقبيح يكون أو بجمال

ولاشك أن من اختلط الناس وشاركهم في أعمالهم لم ينفك من حاسد وعدو
 يسمى: الظن به و يتوهم أنه يستعد لمعاداته و لنصب المكيدة عليه و لتدسيس غائلة
 وراه ، فالناس مهما أشد حرصهم على أمر « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ،
 فاحذروهم » وقد أشد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها .
 قال المتنبي :

إذاساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم
 وعادى محبيه بقول عداته * وأصبح في ليل من الشك مظلم

(١) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٤١٥ مختصراً والخطابي في العزلة بتمامه بسند منقطع

كما في المغني .

و قد قيل : معاشره الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، وأنواع الشر الذي يلقاه الإنسان من معارفه و من يختلط به كثيرة و لسنا نطول بتفصيلها وفيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفي العزلة خلاص عن جميعها و إلى هذا أشار أكثر من اختار العزلة ، فقال أبو الدرداء : أخبر تقله ، و قال الشاعر :

من حمد الناس ولم يبلهم ❖ ثم بلاهم ذم من يحمد
و صار بالوحدة مستأنساً ❖ يوحشه الأقراب والأبعد

و قال ابن السماك : كتب صاحب لنا : أما بعد فإن الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء لهم ، ففرّ منهم فرارك من الأسد .

وكان بعض الأعراب يلزم شجرة و يقول : هونديم فيه ثلاث خصال : إن سمع مني لم ينم ، و إن تقلت في وجهه احتمل ، و إن عربدت معه لم يفضب ، فسمع الرشيد ذلك فقال : زهدني في الندماء .

وكان بعضهم قد لزم المقابر والدفاتر فقبل له : في ذلك فقال : لم أرأسلم من الوحدة ، ولا أوعظ من قبر ، ولا جليساً أمتع من دفتر .

و كان بعضهم يريد الحج و أراد آخر مصاحبته ، فقال له : دعنا ويحك نتعاش بسنة الله إنني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما تتماقت عليه .

و هذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة و هو بقاء السر على الدين والمرورة والأخلاق والفقر وسائر العورات ، وقدمدح الله سبحانه المستترين فقال : «يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف»^(١) وقال الشاعر :

ولا عار إن زالت عن الحرّ نعمة ❖ ولكن عاراً أن يزول التجمد

ولا يخلو الإنسان في دينه و دنياه و أخلاقه و أفعاله عن عورات الأولى في

الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها .

و قال أبو الدرداء : كان الناس ورقاً لاشوك فيه والناس اليوم شوك لا ورق فيه .

و إذا كان هذا حكم زمانه و هو في آخر القرن الأول فلا ينبغي أن تشك

في أن الأخير شرٌ .

وقيل : أقلُّ من معرفة الناس فإنَّ التخلُّص منهم شديد ، ولا أحسب أنني رأيت ما أكره إلا ممن عرفت .

وقال بعضهم : جئت إلى مالك بن دينار وهو قاعد وحده و إذا كلبٌ قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال لي : دعه يا هذا ، هذا لا يضرُّ ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء .

وقيل لبعضهم : ما حملك على أن تعتزل الناس ؟ قال : خشيت أن أسلب ديني ولا أشعر . وهذا إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرين السوء .

وقال أبو الدرداء : اتقوا الله واحذروا الناس فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه ، ولا ظهر جواد إلا عقروه ، ولا قلب مؤمن إلا خرُّ به .

وقال بعضهم : اقلل المعارف فإنه أسلم لدينك وقلبك ، وأخف لسقوط الحقوق عنك لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع .

وقال بعضهم : أنكر من تعرف ولا تتعرف إلى من لا تعرف .

الفائدة الخامسة أن ينتقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس ، فأما انقطاع طمع الناس ففيه كلُّ الجدوى فإنَّ رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه أولى ، ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنائز و عيادة المرضى و حضور الولائم والاملاكات و فيها تضييع الأوقات والتعرض للآفات ، ثمَّ قد يعوق عن بعضها عائق وتستقبل فيها معاذير ولا يمكن إظهار كلِّ الأعداء فيقولون : قمت بحق فلان و قصرت في حقِّي ، و يصير ذلك سبب عداوة ، فقد قيل : من لم يعد مريضاً في وقت العيادة اشتبهى موته خيفة من تخجيله إذا صحَّ على تقصيره ، و من عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا ، و تعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار ، فكيف من له مهم يشغله في دين أو دنيا ؟ وقد قيل : كثرة الأصدقاء كثرة الغرما ، وقال ابن الرومي شعراً :

عدوك من صديقك مستفاد ❦ فلا تستكثرن من الصحاب

فإن الداء أول ما تراه ☆ يكون من الطعام أو الشراب
وقيل : أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام .
وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضاً فائدة جزيلة فإن من نظر إلى زهرة الدنيا
وزينتها تحرك حرصه ، وانبعث بقوة الحرص طمعه ، ولا يرى إلا الخيبة في أكثر
الأطماع فيتأذى به ، ومهما اعتزل لم يشاهد ، وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع و
لذلك قال تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم »^(١) .
وقال عليه السلام : « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم
فإنه أجدر أن لاتزدروا نعمة الله عليكم »^(٢) .
وقال عون بن عبدالله : كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموماً ، كنت أرى
ثوباً أحسن من ثوبي ، ودابة أفره من دابتي ، فجالست الفقراء واسترحت .
وحكي أن المزني خرج من باب جامع القسطاط وقد أقبل ابن عبدالحكم
في موكبه فبهره ما رأى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى : « وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة أتصبرون »^(٣) ثم قال : بلى أصبر وأرضى - وكان فقيراً مقلاً - . فالذي هو
في بيته لا يبتلني بمثل هذه الفتنة فإن من شاهد زينة الدنيا فإما أن يقوى دينه و
يقينه فيصبر فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر - وهو أمرٌ من الصبر - ، أو تنبعث
رغبته فيحتاج إلى طلب الدنيا فيهلك هلاكاً مؤبداً أما في الدنيا فبالطمع الذي
يخيب في أكثر الأوقات ، فليس كل من يطلب الدنيا يتيسر له ، وأما في الآخرة
فبإيثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه ولذلك قال ابن الأعرابي :
إذا كان باب الدُّنْج من جانب الغني ☆ سموت إلى العلياء من جانب الفقر
أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلاً .

(١) العجر : ٨٨ .

(٢) أخرجه أحمد و مسلم والترمذي و ابن ماجه كلهم من حديث أبي هريرة بسند صحيح كما في الجامع الصغير .

(٣) الفرقان : ٢٣ .

الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقل والحمقى ومقاساة حقيهم و أخلاقهم فإن رؤية الثقل هي العمى الأصغر .
 وقيل للأعمش : مم عمشت ؟ قال : من النظر إلى الثقل .
 ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال له : في الخبر « من سلب الله كريمة عوَّضه عنهما ما هو خير منهما » (١) فما الذي عوَّضك ؟ فقال في معرض المطاوعة :
 عوَّضني عنهما أنه كفاني رؤية الثقل وأنت منهم .

وقال ابن سيرين : سمعت رجلاً يقول : نظرت إلى ثقل مرة فغشي علي .
 وقال جالينوس : لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقل . وهذه فوائد ما سوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ، ولكنها تتعلق أيضاً بالدين فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقل لم يلبث أن يغتابه وأن يستنكر ما هو صنع الله وإذاتأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن أو محاسدة أو نميمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يجبر إلى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم .

﴿آفات العزلة﴾

إعلم أن من المقاصد الدنيوية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة ، فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة ، وفواته من آفات العزلة ، فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعي إليها ماهي ؟ وهي التعليم والتعلم ، والنفع والانتفاع ، والتأديب والتأدب ، والاستيناس والإيناس ، وإزالة الثواب ونيله في القيام بالحقوق ، واعتياد التواضع ، واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها ، فلتفصل ذلك فإنها من فوائد المخالطة وهي سبعة :

الفائدة الاولى التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلها في كتاب العام وهما من أعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة ، وبعضها ضروري في الدنيا ، فالمحتاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص

(١) أخرجه الطبراني باسناد ضعيف من حديث جرير كما في المغنى ولاحد ج ٥

ص ٢٥٨ نحوه من حديث أبي أمامة باسناد جيد .

بالعزلة ، فإن تعلم الفرض و كان لا يتأتى منه الخوض في العلوم و رأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل ، و إن كان يقدر على التبحر في علوم الشرع والعقل ، فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ، ولهذا قال النخعي وغيره : تفقه ثم اعتزل ، و من اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر في هوس ، و غايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها فلا ينفك في أعماله بالبدن و القلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه ، و يبطل عمله من حيث لا يدري و لا ينفك في اعتقاده في الله تعالى و صفاته عن أوهام يتوهمها و يأنس بها و عن خواطر فاسدة تعتربه فيها ، فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان و هو يرى نفسه من العباد فالعلم هو أصل الدّين فلا خير في عزلة العوام و الجهال ، أعني من لا يحسن العبادة في الخلوة و لا يعرف جميع ما يلزمه فيها ، فمثال النفس مثال مريض يفتقر إلى طبيب متلطف ليعالجه ، فالمريض الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف ضرره ، لا محالة مرضه ، فلا تليق العزلة إلا بالعالم ، و أمّا التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحّت نيّة المتعلم والمعلم ، و مهما كان القصد إقامة الجاه و الاستكثار بالأصحاب و الأتباع فهو هلاك الدّين ، و قد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم ، و حكم العالم في هذا الزّمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه ، فإنّه لا يرى مستفيداً يطلب فائدة لدينه بل لا طالب إلا للكلام مزخرف يستمال به العوام في معرض الوعظ أو لجدال معتقد موصل به إلى إفحام الأقران و يتقرّب به إلى السلطان و يستعمل في معرض المنافسة والمباهاة ، و أقرب علم مرغوب فيه : المذهب و لا يطلب غالباً إلا للتوصل إلى التقدّم على الأمثال و تولّي الولايات و اجتلاب الأموال ، و هؤلاء كلهم يقتضي الدّين و الحزم الاعتزال عنهم ، فإن صودف طالب الله و متقرّب بالعلم إلى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه و كتمان العلم منه ، و هذا لا يصادف في بلد كبير أكثر من واحد أو اثنين أو ثلاثة إن صودف ، و لا ينبغي أن يغترّ الإنسان بقول سفيان : تعلمنا العلم لغير الله ، فأبي العلم أن يكون إلا لله ، و إنّ الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله فانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم و اعتبرهم أنفسهم ماتوا وهم

هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها أو راغبين عنها و زاهدين فيها ، و ليس الخبر كالمعاينة .

و اعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث و تفسير القرآن و معرفة سير الأنبياء و الصحابة فإن فيها التخويف و التحذير و هي سبب لآثاره الخوف من الله فإن لم يؤثر في الحال أضر في المال ؛ فأما الكلام و الفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوي المعاملات و فصل الخصومات لا يردُّ الرأغب فيه للدنيا إلى الله بل لا يزال متمادياً في حرصه إلى آخر عمره ، و لعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرخّص فيه إذ يرجي أن ينزجر به في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله وبالترغيب في الآخرة و التحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث و تفسير القرآن و لا يصادف في كلام ولا فقه فلا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه فإن المقصّر العالم بتقصيره أسعد حالاً من الجاهل المغرور أو المتجاهل المغبون ، فكل عالم اشتدَّ حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه الجاه و القبول ، و حظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الإدلال على الجهال و التكبر عليهم ، فأفة العلم الخيلاء كما قاله عليه السلام (١) و قد نبهنا على ذلك في كتاب العلم .

و الحزم الاحتراز بالعزلة و ترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه و تعليمه فالصواب له إن كان عاقلاً في هذا الزمان أن يتركه ، فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال : دع الرأغبين في صحبتك و التعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال ، إخوان العلانية أعداء السر ، إذا لقوك تملقوك ، و إذا غبت عنهم سلقوك ، من أتاك كان عليك رقيباً و إذا خرج كان عليك خطيباً ، أهل نفاق و نميمة ، و غلّ و خديعة ، فلا تغترّ باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه و المال ، و أن يتخذوك سلماً إلى أوطارهم ، و حماراً في حاجاتهم ، إن قصرت في

(١) قال العراقي : المعروف مارواه مطين في مسنده من حديث علي بن أبي طالب

بسند ضعيف هكذا « آفة العلم النسيان ، و آفة الجمال الخيلاء » .

غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقاً واجباً لديك ، و يفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم و تنصر قرينهم و خادمهم و وليهم ، و تنتهض لهم سفيهاً و قد كنت فقيهاً ، و تكون لهم تابعاً خسيساً بعد أن كنت متبوعاً رئيساً ، و لذلك قيل : اعتزال العامة مروءة تامة .

فهذا معنى كلامه و إن خالف بعض ألفاظه و هو حق و صدق فانك ترى المدرس في رق دائم و تحت حق لازم و منة ثقيلة ممن يتردد إليه ، فكأنه يهدى تحفة إليه فيرى حقه واجباً عليه ، و ربما لا يختلف إليه مالم يتكفل برزق له على الإمداد ، ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله ، فلا يزال يتردد إلى أبواب السلاطين و يقاسي الذل و الشدائد مقاساة الذليل الميئس حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ، ثم لا يزال العامل يسترقه و يستخدمه و يمتننه و يستذله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ، ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه ، إن سوى بينهم مقته المبرزون و نسبه إلى الحمق و قلة التمييز و القصور عن درك مصارفات الفضل و القيام في مقادير الحقوق بالعدل ، و إن فوات بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد ، و ثاروا عليه ثوران الأسود والآساد^(١) فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا و في مظالم ما يأخذه و يفرقه في العقبى ؛ و العجب أنه مع هذا البلاء كله تمنيه نفسه بالأباطيل و تدليه بحبل الغرور^(٢) و تقول له : لا تقترعن صنيعك فانما أنت بما تفعله مرید وجه الله ، و مضيع شرع رسول الله ﷺ ، و ناشر علم دين الله ، و قائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله ، و أموال السلاطين لا مالك لها و هي مرصدة للمصالح و أي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم ، فبهم يظهر الدين و يتقوى أهله و لولم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى

(١) سلقه بالكلام آذاه ، و الأسود جمع أسودة و هي العية العظيمة السوداء تعرف

بالحنش ، و الآساد جمع أسد و هي نوع من السباع معروف .

(٢) دلاء بفرور أي أوقه فيما أراد من الفرور .

تأمل أن فساد الزمان لا سبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال و الحرام فتلحظهم أعين الجهال ويستجروون على المعاصي باستجرائهم ، اقتداء بهم و اقتفاء لآثارهم ، ولذلك قيل : ما فسدت الرعية إلا بفساد الملوك وما فسدت الملوك إلا بفساد العلماء ، فنعوذ بالله من الغرور والعمى ، فإنه الداء الذي ليس له دواء .

الفائدة الثانية النفع والانتفاع ، و أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة ، و ذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة ، و المحتاج إليه مضطراً إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرنا في كتاب الكسب و إن كان معه مال لولا كنفى به قانعاً لا قنعه فالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق المكاسب في الأكثر إلا من المعاصي إلا أن يكون غرضه الصدقة بكسبه فإذا اكتسب من وجهه وتصدق فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافلة ، وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقيق في معرفة الله و معرفة علوم الشرع ولا من الإقبال بكنه الهمة على الله والتجرب د بها لذكر الله ، أعني من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن تعبير أو هام وخيالات فاسدة ، و أما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ، ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب و ذلك لا ينال إلا بالمخالطة و من قدر عليه من القيام بحدود الشرع فهو أفضل له من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلة إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة .

الفائدة الثالثة التأديب والتأدب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذاهم كسراً للنفس ، وقهراً للشهوات ، وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة ، وهي أفضل من العزلة في حق من لم يتهدب بعد أخلاقه و لم تدعن لحدود الشرع شهواته ، وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدأبة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد بها أن يتخذ مركباً يقطع به المراحل ، و يطوي على ظهره الطريق ، فالبدن هو مطية القلب

يركبها ليسلك بها طريق الآخرة ، و فيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به في الطريق ، فمن اشتغل طول عمره بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد بها إلا الخلاص في الحال من عضها وفرسها ورمحها ، وهي لعمرى فائدة مقصودة و لكن مثلها حاصل من البهيمة الميئة والدابة تراد لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص عن ألم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي أن يقنع بها كالرهب الذي قيل له : يا راهب فقال : ما أنا براهب إنما أنا كلبٌ حبست نفسي حتى لا أعقر الناس ، وهذا حسن بلاضافة إلى من يعقر الناس و لكن ينبغي أن لا يقتصر عليه فإن من قتل نفسه أيضاً لم يعقر الناس بل ينبغي أن يتشوق إلى الغاية المقصودة لها ، و من فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون عليه من المخالطة والأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أولاً والعزلة آخراً .

و أمّا التأديب فإنما نعني به أن يزجر غيره و هو حال المعلم مع المتعلم ، و يتطرق إليه من دقائق الآفات و الرِّبَا، ما مر ذكره في كتاب العلم ، فينبغي أن يقيس ما يتيسر له من الخلوة بما يتيسر له من المخالطة و تهذيب القوم و ليقابل إحداهما بالآخرى و ليؤثر الأفضل ، و ذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ، و يختلف بالأحوال والأشخاص ، فلا يمكن الحكم عليه مطلقاً بنفي ولا إثبات .

الفائدة الرابعة الاستيناس والإيناس ، و هو غرض من يحضر الولائم والدعوات و مواضع المعاشرة والأنس و هذا يرجع إلى حفظ النفس في الحال ، و قد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا يجوز مؤانسته أو على وجه مباح و قد يستحب ذلك لأمر الدين ، و ذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله و أقواله في الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى و قد يتعلق بحفظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة ، فإن القلوب إذا كرهت عميت ، و مهما كان في الوحدة وحشة و في المجالسة أنس يروح القلب فهي أولى إذ الرفق في العبادة من حزم العباد و لذلك قال عليه السلام : « إن الله لا يملء

حتى تملأوا» (١) وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح ، وفي تكليفها الملازمة تنغير ، ومن يشاد هذا الدين يغلبه فإن الدين متين والإيغال فيه برفق (٢) دأب المستبصرين و لذلك قال ابن عباس : لولا مخالفة الوسواس لم أجالس الناس ؛ وقال مرة : لدخلت بلاداً لا أنيس بها ، و هل يفسد الناس إلا الناس ؟ فلا يستغني المعتزل أبداً عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحدثته في اليوم والليلة ساعة ، فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك عليه سائر ساعاته فقد قال بإسناده : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » (٣) و ليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين ، وحكاية أحوال القلب و شكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشد ففي ذلك متنفس و مستروح للنفس ، و فيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه فإنه لا ينقطع شكواه ولو عمر أعماراً طويلة ، والراضي عن نفسه مغرور قطعاً ، فهذا النوع من الاستيناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليتنقّد فيه أحوال القلب و أحوال الجليس أولاً ثم ليجالس

الفائدة الخامسة في نيل الثواب وإنالته ، أما النيل في حضور الجنائز ، وعبادة المرضى ، و حضور العيدين ، أما حضور الجمعة فلا بد منه ، و حضور الجماعة في سائر الصلوات أيضاً لا رخصة في تركه إلا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة و يزيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادراً ، و كذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث أنه إدخال سرور على قلب مسلم ، و أما إنالته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس ، أو ليعزوه في المصائب ، أوليهنئوه على النعم فإنهم ينالون بذلك

(١) أخرجه مسلم ج ٢ ص ١٩٠ ، والحاكم في المستدرک ج ١ ص ٥٩ . وقدم سابقاً من حديث عائشة وغيرها .

(٢) الأيغال : الامعان والاسراع ، والكلام اشارة الى قوله عليه السلام : « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » .

(٣) أخرجه احمد ج ٢ ص ٣٠٠ ، والحاكم ج ٤ ص ١٧١ ، ورواه الترمذي وأبو داود كلهم من حديث ابي هريرة وفي الكافي ج ٢ ص ٢٤٢ مثله وقدمر .

ثواباً . وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة و كان هو بالتمكين سبباً فيه فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها و عند ذلك قد تترجح العزلة وقد تترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة من السلف ترك إجابة الدعوات و عيادة المرضى و حضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور ، و بعضهم فارق الأمصار و انحاز إلى قلل الجبال تفرغاً للعبادة و فراراً من الشواغل .

الفائدة السادسة من المخالطة التواضع فإنه من أفضل المقامات و لا يقدر عليه في الوحدة و قد يكون الكبر سبباً في اختيار العزلة فقد روي في الإسرائيليات أن حكيماً من الحكماء صنف ثلاثمائة و ستين مصحفاً في الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة ، فأوحى الله إلى نبي زمانه قل لفلان : إنك قد ملأت الأرض نفاقاً و إنني لأقبل من نفاقك شيئاً قال : فتخلى و انفرد في سرب تحت الأرض و قال : الآن بلغت محبة ربي فأوحى الله تعالى إلى نبيه قل له إنك لن تبلغ رضي حتى تخالط الناس فتصبر على أذاهم ، قال : فدخل الأسواق و خالط العامة و جالسهم و واكلهم فأكل الطعام بينهم و مشى في الأسواق معهم فأوحى الله إليه قل له : الآن قد بلغت رضائي ، فكم من معتزل في بيته و باعته التكبر و مانعه عن المحافل أن لا يوقر أو لا يقدم ، أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع ملحلّه و أبقى لطراوة ذكره بين الناس و قد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط الناس فلا يعتقد فيه الزهد و الاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترأ على مقابحه ، إبقاء على اعتقاد الناس في زهده و تعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر ، و علامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا و لا يحبون أن يزوروا و يفرحون بتقرب العوام و السلاطين إليهم و اجتماعهم على باب أحدهم و طرقهم و تقبيلهم يده على سبيل التبرك و لو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغيض إليه المخالطة و زيارة الناس لبغيض إليه زيارتهم له ، فمن ليس مشغولاً مع نفسه بذكر الله فاعتزله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس ، لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار و الاحترام و العزلة بهذا السبب جهل من وجوه :

أحدها أن التواضع والمخالطة لا ينقص من منصب من هو كبير بعلمه أو دينه
 إذ كان عليٌّ عليه السلام يحمل التمر و المالح في ثوبه و يقول :
 لا ينقص الكامل من كماله ❖ ما جرَّ من نفع إلى عياله
 وكان حذيفة وأبيّ وابن مسعود يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق و
 غيرها على أكتافهم .

وكان سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له
 صاحبه : أعطني أحمله ، فيقول : «صاحب المتاع أحقُّ بحمله» (١) .
 وكان الحسن بن عليٍّ عليه السلام يمرُّ بالسؤال و بين أيديهم كسر فيقولون : هلمَّ
 إلى الغداء يا ابن رسول الله - وهم جلوس على الطريق - فكان ينزل على الطريق و
 يأكل معهم ، و يقول : إنَّ الله لا يحبُّ المستكبرين» (٢) .

الوجه الثاني أن الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه و تحسين اعتقادهم
 فيه مغرور ، لأنّه لو عرف حقَّ المعرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئاً
 وأن ضرره و نفعه بيد الله ، فلا نافع ولا ضارَّ إلا الله عزَّ و جلَّ ، وأنَّ من طلب رضا
 الناس و محبتهم بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه الناس ، بل رضا الناس غاية
 لا تدرك فرضا الله تعالى أولى بالطلب ، و لذلك قيل : ليس إلى السلامة من الناس
 سبيل فانظر إلى ما يصلحك فافعله و قيل شعراً :

من راقب الناس مات غمّاً ❖ و فاز بالراحة الجسور

و نظر سهل إلى واحد من أصحابه فقال : اعمل كذا و كذا فقال : يا استادي
 لا أقدر عليه لأجل الناس ، فالتفت إلى أصحابه و قال : لا ينال عبد حقيقة من هذا
 الأمر حتّى يكون بأحد و صفين : عبد يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا

(١) أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة في حمله عليه السلام السراويل التي اشتراها .

وأخرجه ابن عساكر والطبراني في الاوسط بسند ضعيف كما في الجامع الصغير .

(٢) كتاب الفنون عن احمد بن المؤدب ونزهة الابصار عن ابن المهدي كما في كتاب

خالقه وأن أحداً لا يقدر أن يضره ولا ينفعه ، و عبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأي حال يرونها .

وقال بعضهم : ما من أحد إلا وله محب ومبغض ، فإذا كان كذلك فكأن مع أهل الطاعة .

وقال موسى على نبيينا وآله وعليه السلام : يا رب احبس عني السنة الناس ، فقال : هذا شيء لم أصطنعه لتفسي فكيف أفعله لك ؟ .

و أوحى الله تعالى إلى عزير : إن لم تطب نفساً بأن أجعلك علكاً^(١) في أفواه الماضغين لم أكتبك عندي من المتواضعين .

فإن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو في غي ظاهر حاضر في الدنيا « ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » فإن لا يستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكراً وفكراً وعبادة وعلماً بحيث لو خالط الناس لضاعت أوقاته ، أو كثرت آفاته ، وتشوشت عليه عباداته ، فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن يتقى فإنها مهلكات في صور منجيات .

الفائدة السابعة التجارب فإنها تستفاد من مخالطة الخلق و مجاري أحوالهم والعقل الفرزي ليس كافياً في تفهم مصالح الدين والدنيا وإنما تفيدها التجربة والممارسة ولاخير في عزلة من لم تحنكه التجارب ، فالصبي إذا اعتزل بقي غمراً جاهلاً^(٢) بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقیة التجارب بسماع الأحوال فلا يحتاج إلى المخالطة و من أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه و صفات باطنه و ذلك لا يقدر عليه في الخلوة ، فإن كل مجرب في الخلا يسر ، و كل غضوب أو حسود أو حقود إذا خلا و نفسه لم يترشح منه خبثه ، و هذه الصفات مهلكات في أنفسها فيجب قلعها أو قهرها و لا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال

(١) علكته علكاً : مضغته ، و علك الفرس اللجام : لآكه ، و العلك مثل حمل كل صمغ

يعلق من لبان وغيره فلا يسيل (المصباح) . (٢) حنكه فهمه وأحكمه . و النمر : من لم يجرب .

دمل يمتلي بالقيح والميدة^(١) وقد لا يحسُّ صاحبه بألمه ما لم يتحرك أو يمسه غيره ، فإن لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما يظنُّ بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده ، ولكن لو حرَّكه محرك أو أصابه مشرط حجام انفجر منه القيح وفار فوران الشيء المختلق إذا حبس عن الاسترسال ، فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وسائر الأخلاق الذميمة إنما تنفجر منه خبائثه إذا حرَّك ، وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون أنفسهم ، فمن كان يستشعر في نفسه كبراً كان يحمل قرابة ماء على ظهره بين الناس ، أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليجرب به نفسه فإن غوائل النفس ومكائد الشيطان خفية قلما ينفطس لها ، ولذلك حكى عن واحد أنه قال : أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنني كنت أصلبها في الصف الأول ولكن تخلفت يوماً لعند فما وجدت موضعاً في الصف الأول فوقعت في الصف الثاني فوجدت نفسي يستشعر خجلة من نظر الناس إليّ وقد سبقت إلي الصف الأول فعلمت أن جميع صلاتي كانت مشوبة بالرِّياء ، ومزوجة بلذّة نظر الناس إليّ ورؤيتهم إليّ في زمرة السابقين إلى الخير ، فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث وإظهارها ، ولذلك قيل : السفر يسفر عن الأخلاق فإنه نوع من المخالطة الدائمة ، وستأتي غوائل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات فإن بالجهل بها يجبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولذلك لما فضل العلم على العمل إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد إلا للصلاة أفضل من الصلاة فإننا نعلم أن ما يراد لغيره فذلك الغير أشرف منه ، وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال عليه السلام : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي»^(٢) فمعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه : أحدها ما ذكرناه ، والثاني

(١) المدة - بالكسر وتشديد الدال - : القيح وهي ما يجتمع في الجرح .

(٢) أخرجه الترمذى ج ١٠ ص ١٥٧ باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة من

أبواب العلم من حديث أبي امامة وقد تقدم في المجلد الاول ص ١٦ .

عموم نفعه ليتعدى فائدته ، والعمل لا يتعدى ، و الثالث أن يراد به العلم بالله وبصفاته و أفعاله فذلك أفضل من كل عمل ؛ بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتنبعث بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبتته ، فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم ، وهذا العلم غاية المرادين ، و العمل كالشرط له وإليه الإشارة بقوله تعالى : «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»^(١) فالكلم الطيب هو هذا العلم ، والعمل كالحمال الرافع له إلى مقصده فيكون المرفوع أفضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام . فلنرجع إلى المقصود .

﴿ فصل ﴾

إذا عرفت فوائد العزلة و غوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقاً بالفضل نقياً وإثباتاً خطأ ، بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله ، وإلى خليطه وحاله ، وإلى الباعث على مخالطته ، وإلى الفئات بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ، ويقاس الفئات بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل .

و فصل الخطاب فيه ما قيل : إن الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، و الانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط ، فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة و العزلة ، و يختلف ذلك بالأحوال و بملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل .

هذا هو الحق الصريح و كل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر ، وإنما هو إخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز أن يحكم بها على غيره ، المخالف له في الحال ، والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا و هو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله فلا جرم يختلف أجوبتهم في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فيه فإن

الحقُّ واحداً بدأ ، و القاصر عن الحقِّ كثيرٌ لا يحصى ، ولذلك سئل الصوفيّة عن الفقر فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر ، و كل ذلك حقُّ بالاضافة إلى حاله وليس بحقِّ في نفسه إذ الحقُّ لا يكون إلا واحداً أبداً ، ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت أحدهما لصاحبه قدماً في التصوِّف أو يثنى عليه ، بل كلُّ واحد يدعي أنه الواصل إلى الحقِّ و الواقف عليه ، لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى غيرهم ، و نور العلم إذا أشرق أحاط بالكلِّ و كشف الغطاء و رفع الاختلاف ، فهذا ما أردنا أن نذكره في فضيلة العزلة والمخالطة .

﴿ فصل ﴾

فإن قلت : فمن آثر العزلة ورآها أفضل له وأسلم فما آدابه في العزلة ؟ فنقول : إنما يطول النظر في آداب المخالطة و قد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة ، وأما آداب العزلة فلا تطول ، فينبغي للمعتزل أن ينوي بعزله كفَّ شرِّ نفسه عن الناس أولاً ، ثم طلب السلامة من شرِّ الأشرار ثانياً ، ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثاً ، ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعاً ، فهذه آداب نيته ، ثم ليكن في خلوته مواظباً على العلم و العمل و الذكر و الفكر ليجتني ثمرة العزلة و ليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه و زيارته فيتشوش وقته وليكفَّ عن السؤال عن أخبارهم و عن الإصغاء إلى أراجيف البلد و ما الناس مشغولون به فإن كلَّ ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب ، فوقع الأخبار في السمع كوقوع البند في الأرض فلا بدُّ و أن ينبت و يتفرع عروقها و أغصانها و يتداعي بعضها إلى بعض و أحد مهمات العزلة قطع الوسواس الصارفة عن ذكر الله و الأخبار ينابيع الوسواس و أصولها ، وليقتنع باليسير من المعيشة و إلا اضطرَّه التوسُّع إلى الناس و احتاج إلى مخالطتهم ، وليكن صبوراً على ما يلقاه من أذى الجيران ، وليسدَّ سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه

بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة و حال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفاً عن سيره في طريق الآخرة فإن السير إما بالمواظبة على ورد و ذكر مع حضور القلب ، وإما بالفكر في صفات الله و جلاله و أفعاله و ملكوت سماواته ، وإما بالتأمل في دقائق الأعمال و مفسدات القلوب و طلب طرق التخلص منها ، و كل ذلك يستدعي الفراغ و الإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر ؛ و ليكن له أهل صالحة أو جليس صالح لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقيّة الساعات ، ولا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا و ما الناس منهمكون فيه ، ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمراً طويلاً ، بل يصبح على أنه لا يمسي ، و يمسي على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ، ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قد تراخى الأجل ، وليكن كثير الذكر للموت و وحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة ، و ليتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله و معرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت ، و إن من أنس بذكر الله و معرفته فلا يزيل الموت أنسه إذ لا يهدم الموت محلّ الأُنس و المعرفة ، بل يبقى حياً بمعرفة الله و أنسه فرحاً بفضل الله تعالى عليه و رحمته كما قال تعالى في الشهداء : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » فرحين بما آتاهم الله من فضله^(١) و كل متجرّد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت « فالجهاد من جاهد نفسه و هواه » كما صرح به رسول الله ﷺ^(٢) و الجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال لأصحابه : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر »^(٣) .

هذا آخر كتاب العزلة من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء و يتلوه إن شاء الله كتاب آداب السفر ، والحمد لله أولاً و آخراً و ظاهراً و باطناً .

(١) آل عمران : ١٦٩ .

(٢) أخرجه الترمذى و ابن حبان عن فضالة بن عبيد بنسند صحيح كما في الجامع الصغير .

(٣) الجعفریات باب صفة الجهاد الاكبر من ٧٨ .

﴿كتاب آداب السفر﴾

وهو الكتاب السابع من ربيع العادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر ، و استخلص همهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضرة و السفر ، فأصبحوا راضين بمجاري القدر ، منزّهين قلوبهم عن التلفت إلى منتزهات البصر ، إلا على سبيل الاعتبار بما يسمح في مسارح النظر و مجاري الفكر ، فاستوى عندهم البرّ و البحر ، و السهل و الوعر ، و البدو و الحضرة و الصلاة على نبيّ سيّد البشر ، و على آله و أصحابه المقتفين لآثاره في الأخلاق و السير .

أما بعد فإنّ السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه ، أو الوصول إلى مرغوب فيه ، و السفر سفران : سفر بظاهر البدن عن المستقرّ و الوطن إلى الصحاري و الفلوات ، و سفر بسير القلب من أسفل السافلين إلى ملكوت السماوات ، و أشرف السفرين السفر الباطن ، فإنّ الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقّفه بالتقليد من الآباء و الأجداد لازم درجة القصور و قانع برتبة النقص و مستبدل بمتسع فضاء ، « جنة عرضها السماوات و الأرض » ظلمة السجن و ضيق الحبس .

ولم أر في عيوب الناس عيباً ❦ كتنقص القادرين على التمام إلا أنّ هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل و خفير ، فاقترض غموض السبيل و فقد الخفير ^(١) و الدليل ، و قناعة السالكين عن الحظّ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه ، فانقطع فيه الرفاق و خلا عن

(١) الخفير الذي يكون الرفقة في ضمانه و أيضاً المجير و العامي و المحافظ .

الطائفين منتزهات الأنفس والملكوت والآفاق ، و إليه دعا الله - سبحانه - بقوله :
« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم »^(١) و بقوله : « و في الأرض آيات للموقنين »
و « في أنفسكم أفلا تبصرون »^(٢) وعلى العقود عن هذا السفر وقع الإنكار بقوله تعالى :
« و إنكم لتمرّون عليهم مصبحين » و بالليل أفلا تعقلون »^(٣) و بقوله تعالى :
« وكأين من آية في السماوات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون »^(٤)
فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سفره متنزّهاً في جنّة عرضها السماوات والأرض
وهو ساكن بالبدن مستقرّاً في الوطن ، و هو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ،
ولا يضرّ فيه التزاحم و التوارد ، بل يزيد بكثرة المسافرين غنائه ، و تتضاعف
ثمراته و فوائده ، فغنائه دائمة غير ممنوعة ، و ثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا
للمسافر فترة في سفره و وقفة في حركته ، فهان الله لا يغيّر ما بقوم حتى
يغيّروا ما بأنفسهم ، « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » ، « و ما الله بظالم للعبيد »^(٥)
« و لكنّهم يظلمون أنفسهم » و من لم يؤهّل للجولان في هذا الميدان و التطواف في
منتزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدّة مديدة فراسخ معدودة مغتتماً
بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للآخرة فإن كان مطلبه العلم و الدّين أو الكفاية على
الاستعانة على الدّين كان من سالكي سبيل الآخرة ، و كان له في سفره شروط و آداب
إن أهملها كان من عمّال الدنيا و أتباع الشيطان و إن واطب عليها لم يخل سفره
عن فوائد تلحقه بعمّال الآخرة ، و نحن نذكر آدابه و شروطه في ثلاثة أبواب :^(٦)

الباب الأوّل في فوائد السفر وفضله ونيّته .

الباب الثاني في آداب السفر من أوّل النهوض إلى آخر الرجوع .

الباب الثالث في ما لا بدّ للمسافر من تعلّمه من رخص السفر و أدلّة القبلة

و غير ها .

(١) فصلت : ٥٣ . (٢) الذاريات : ٢٠ و ٢١ .

(٣) الصافات : ١٣٧ و ١٣٨ . (٤) يوسف : ١٠٥ .

(٥) اقتباسات من التنزيل وفيه في سورة فصلت : ٤٦ هكذا « و ما ربك بظالم للعبيد » .

(٦) في الاحياء « في باين » . و جعل الاول والثاني واحداً .

﴿ الباب الأول ﴾

﴿ في فوائد السفر وفضله ونيته ﴾

أعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات ، كما ذكرناه في كتاب آداب الصحبة والعزلة ، والفوائد الباعثة على السفر لاتخلو من هرب أو طلب ، فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه ، وإما أن يكون له مقصدٌ ومطلبٌ ، والمهرب عنه إما أمرٌ له نكايه في الأمور الدنياوية كالطاعون والوباء إذا ظهر ببلد ، أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سعر ، وهو إما عامٌ كما ذكرنا أو خاصٌ كمن يقصد بأذية في بلدة فيهرب منها ، وإما أمرٌ له نكايه في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال وأتباع واتساع أسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر العزلة والخمول ويجتنب السعة والجاه ، أو كمن يدعى إلى بدعة قهراً أو إلى ولاية عمل لا يحل مباشرة فيطلب الفرار منه ، وإما المطلوب فهو إما دنيويٌ كالمال والجاه أو دينيٌ ، والديني إما علم أو عمل ، والعلم إما علم من العلوم الدينية ، وإما علم بأخلاقه وصفاته على سبيل التجربة ، وإما علم بآيات الأرض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض ، والعمل إما عبادة وإما زيارة ، والعبادة هو الحج والجهاد ، والزيارة أيضاً من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فإن الرباط بها قرينة وقد يقصد به الأولياء والعلماء ، وهم إما موتى فتزار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ، ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم ، فهذه هي أقسام الأسفار .

ويخرج من هذه القسمة أربعة أقسام :

القسم الأول السفر في طلب العلم ؛ وهو إما واجبٌ وإما نفلٌ وذلك بحسب كون العلم واجباً أو نفلاً ، وذلك إما علم بأمور دينه أو بأخلاق نفسه أو بآيات الله

في أرضه وقد قال عليه السلام : « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » (١) .

و في خبر آخر : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » (٢) .

و كان سعيد بن المسيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد .

و قال الشعبي : لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدلّه على هدى أو تردّه عن ردى ما كان سفره ضائعاً .

و رحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهراً في حديث بلغه عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله عليه السلام حتى سمعوه » (٣) .

و قلّ مذكور في العلم محصل من زمان الصحابة إلى زماننا إلا وحصل العلم بالسفر ، و سافر لأجله ، و أمّا علمه بنفسه و أخلاقه فذلك أيضاً مهم ، فإنّ طريق الآخرة لا يمكن سلوكه إلا بتحسين الخلق و تهذيبه ، و من لا يطلع على أسرار باطنه و خبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها ، و إنّما السفر هو الذي يسفر عن الأخلاق و به « يخرج الله الخب » (٤) في السماوات والأرض » و إنّما سمي السفر سفراً لأنّه يسفر عن الأخلاق و لذلك قيل للذي يعرف بعض الشهود : هل صحبته في السفر الذي يستدلّ به على مكارم الأخلاق ؟ فقال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه .

و كان بشر يقول : يا معاشر القرءاء سيحوا تطيبوا ، فإنّ الماء إذا كثر مقامه في موضع تغيّر .

(١) أخرجه الترمذي ج ١٠ ص ١١٦ وقال : هذا حديث غريب و قد تقدم ج ١ ص ١٩ .

(٢) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٢٨٥ ، و رواه أحمد في المسند ج ٢ ص ٣٢٥ و قد

تقدم ج ١ ص ٢٠ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٤٣٧ ، وأشار إليه البخاري ج ١ ص ٢٩ .

(٤) الخب ، يقال لكل مدخر مستور .

و بالجملة فالتنفس في الوطن مع مؤاتاة الأسباب لا يظهر أخلاقها لاستيناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة ، فإذا حلت وعثاء السفر^(١) و صرفت عن مألوفاتها المعتادة ، و امتحنت بمشاقّ الغربة انكشف غوائلها و وقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها .

و قد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة ، و السفر مخالطة مع زيادة اشتغال و احتمال مشاقّ .

وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر ففيها قطع متجاورات و فيها الجبال و البراري و البحار و أنواع الحيوان و النبات ، و ما من شيء منها إلا و هو شاهد لله بالوحدانية و مسبح له بلسان ذلك^(٢) لا يدركه إلا من ألقى السمع و هو شهيد ، و أما الجاحدون و الغافلون و المغترّون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون ، لأنهم عن السمع لمعزولون ، و عن آيات ربهم محجوبون و يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون ، و ما أريد بالسمع السمع الظاهر - فإن الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه - و إنما أريد به السمع الباطن ، و لا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ، و سائر الحيوان يشارك الإنسان فيه ، فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال و هو نطق ورا. نطق المقال يشبه قول القائل - حكاية لكلام الوجد والحائط - قال الجدار للوجد : لم تشقني ؟ فقال : سل من يدقني فلم يتركني ، و رائني الحجر الذي ورائي ، و ما من ذرة في السماوات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله سبحانه بالوحدانية هي توحيدها و أنواع شهادات لصانعها بالتقديس هي تسبيحها و لكن لا يفقهون تسبيحهم - لأنهم لم يسافروا من ضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن و من ركابة لسان المقال إلى فصاحة لسان الحال - ولو قدر كل عاقل على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصاً بفهم منطق الطير ، و لما كان موسى عليه السلام مختصاً بسماع كلام الله تعالى الذي يجب

(١) الوعثاء : المتعة والتعب .

(٢) الذلق : الفصح .

تقديسه عن مشابهة الحروف و الأصوات ، و من يسافر ليستقرى، هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ، و يفرغ قلبه للتمتع بسماع نعمات التسبيح من آحاد الذنات ، فماله ولتردد في الفلوات ؟ وله غنية ^(١) في ملكوت السماوات ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات ، وهي إلي أبصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات ، بل هي دائبة في الحركة على توالي الأوقات ، فمن العجائب أن يدأب في الطواف بآحاد المساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به ، ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من يطوف به أقطار السماء ، ثم مادام المسافر مفتقراً إلى أن يبصر عالم الملك و الشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الأول من منازل السائرين إلى الله و المسافرين إلى حضرته ، كأنه معتكف على باب الوطن لم يفض به السير إلى متسع الفضاء ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل إلا الجبن والقصور ، ولذلك قال بعض أرباب القلوب : إن الناس ليقولون : افتحوا أعينكم حتى تبصروا ، و أنا أقول : غمضوا أعينكم حتى تبصروا ، و كل واحد من القولين حق فالأول خبر عن المنزل الأول القريب من الوطن ، و الثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطأها إلا مخاطربنفسه ، والمجاور إليها ربما يتيه فيها سنين ^(٢) وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل والها لكون في النيه هم الأكثر من ركب هذه الطرق ، ولكن السائحين السالمين بنور التوفيق فازوا بالنعيم و الملك المقيم ، وهم الذين سبقت لهم منا الحسنى ، واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فإنه يقل بالإضافة إلى كثرة الخلق طلابه ، ومهما عظم المطلوب قل المساعد ، ثم الذين يهلك أكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب .

و إذا كانت النفوس كباراً ☞ تعبت في مرادها الأجسام

(١) أى استغناء .

(٢) تاه يتيه أى ضل و تعير ولم يهتد الى وجه الطريق .

وما أودع الله العزَّ و الملك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر و قد سمي
الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر .

يرى الجبناء أن الجبن حزم * وتلك خديعة النفس اللئيم
فهذا حكم السفر الظاهر إذا أُريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الأرض
فلنرجع إلى الغرض الذي كنا نقصده .

القسم الثاني أن يسافر لأجل العبادة إما بجهد أو حجّ وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه
وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحجّ و يدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء
وآلهم وقبور الصحابة والتابعين و سائر العلماء والأولياء .

أقول : وأفضل ذلك كله وأهمه بعد زيارة النبي ﷺ زيارة قبور الأئمة
المعصومين وآلهم من أهل بيت رسول الله ﷺ فقد روى في الفقيه عن أبي الحسن
الرضا عليه السلام قال : « إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه و شيعته ، و إن من تمام
الوفاء بالعهد زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة في زيارتهم و تصديقاً بما رغبوا فيه كان
أثمّتهم شفعا هم يوم القيامة » (١) .

قال الصدوق - رحمه الله - : و روى صالح بن عقبه عن زيد الشحام قال : « قلت
لأبي عبد الله عليه السلام : « ما لمن زار واحداً منكم ؟ قال : كان كمن زار رسول الله ﷺ » (٢) .
وقال : « قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : يا علي من زارني في حياتي أو
بعد موتي أوزارك في حياتك أو بعد موتك أوزار ابنك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت
له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها و شدائدّها حتى أصره معي في درجتي » (٣) .
و روى إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « موضع قبر الحسين عليه السلام
منذ يوم دفن فيه روضة من رياض الجنة » (٤) .

وقال عليه السلام : « موضع قبر الحسين عليه السلام ترعة من ترع الجنة » (٥) .
وقال عليه السلام : « حرّيم قبر الحسين خمسة فراسخ من أربعة جوانب القبر » (٦) .
وقال عليه السلام : « في طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كل داء ، و هو الدواء

(١) الى (٦) المصدر ص ٢٩٦ باب ثواب زيارة النبي صلى الله عليه وآله .

الأكبر» (١).

وقال عليه السلام: «إذا أكلته فقل: اللهم رب التربة المباركة ورب الوصي الذي وارته صل على محمد وآل محمد، واجعله علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء» (٢).

وروى إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما بين قبر الحسين عليه السلام إلى السماء السابعة مختلف الملائكة» (٣).

و روى صالح بن عقبة عن بشير الدهان قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربما فاتني الحج فأعرف عند قبر الحسين عليه السلام قال: «أحسنت يا بشير أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتبت له عشرون حجة مبرورات متقبلات وعشرون غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل، ومن أتاه في يوم عيد كتبت له ألف حجة و ألف عمرة مبرورات متقبلات و ألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل قال: فقلت له: وكيف لي بمثل الموقف؟ قال: فنظر إلي شبه المغضب، ثم قال: يا بشير إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفته عارفاً بحقه فاغتسل بالفرات ثم توجه إليه كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها - ولأعلمه إلا قال: وعمرة -» (٤).

وقال الصادق عليه السلام: «إن الله يبدء بالنظر إلى زوار قبر الحسين عليه السلام عشية عرفة، قيل له: قبل نظره إلى أهل الموقف؟ قال: نعم، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن في أولئك أولاد زني وليس في هؤلاء أولاد زني» (٥).

وقال عليه السلام: «من زار قبر الحسين عليه السلام جعل ذنوبه جسراً على باب داره ثم عبرها كما يخلف أحدكم الجسر وراءه إذا عبره» (٦).

و روى علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «وكل الله عز وجل بالحسين صلوات الله عليه سبعين ألف ملك يصلون عليه كل يوم شعناً غبراً يدعون لمن زاره ويقولون: هؤلاء زوار الحسين عليه السلام افعل بهم وافعل بهم» (٧).

(١) و (٢) الفقيه باب فضل تربة الحسين عليه السلام ص ٣٠٤.

(٣) الى (٧) الفقيه باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله ص ٢٩٦.

وقال عليه السلام : « من أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله تعالى في أعلى عليين » (١) .

وقال موسى بن جعفر عليه السلام : « أدنى ما يثاب به زوار أبي عبدالله عليه السلام بشطّ الفرات إذا عرف حقه وحرمة و ولايته أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (٢) .
و روى الحسن بن عليّ الوشاء عن أبي أيوب الخزاز ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن عليّ عليه السلام فإنّ زيارته تدفع الهدم و الفرق والحرق وأكل السبع ، وزيارته مفترضة على من أقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّ وجلّ » (٣) .

و روى هارون بن خارجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا كان النصف من شعبان نادى مناد من الأفق الأعلى : يا زائر قبر الحسين عليه السلام ارجعوا مغتفرات لكم ثوابكم على ربكم ومجد نبيكم » (٤) .

وروى الحسين بن محمد القمي عن الرضا عليه السلام أنّه قال : « من زار قبر أبي عليه السلام ببغداد كان كمن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبر أمير المؤمنين عليه السلام إلا أنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فضلما » (٥) .

و عن الحسن بن عليّ الوشاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : « سألته عن زيارة قبر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام مثل زيارة الحسين عليه السلام ؟ قال : نعم » (٦) .
و روى عليّ بن مهزيار عن أبي جعفر محمد بن عليّ الثاني عليه السلام قال : قلت له : « جعلت فداك زيارة الرضا عليه السلام أفضل أم زيارة أبي عبدالله الحسين عليه السلام ؟ قال : زيارة [قبر] أبي أفضل وذلك أنّ أباعبدالله صلوات الله عليه يزوره كلّ الناس و أبي عليه السلام لا يزوره إلا الخواصّ من الشيعة » (٧) .

وروى أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال : قرأت كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام « أبلغ شيعتي أنّ زيارتي تعدل عند الله ألف حجّة ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام

(١) الى (٧) الفقيه باب زيارت قبر النبي صلى الله عليه وآله من ٢٩٨ .

- يعني ابنه - : ألف حجة ؟ قال : إي والله وألف حجة لمن زاره عارفاً بحقه^(١).
وروى الحسين بن زيد عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : « يخرج رجل من ولد موسى اسمه اسم أمير المؤمنين فيدفن في أرض طوس وهي من خراسان يقتل فيها بالسّم فيدفن فيها غربياً فمن زاره عارفاً بحقه أعطاه الله تعالى أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل^(٢) » .

وروى البزنطي عن الرضا عليه السلام قال : « ما زارني أحدٌ من أوليائي عارفاً بحقي إلا تشفعت فيه يوم القيامة »^(٣).

وقال أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام : « إن بين جبلي طوس قبضة قبضت من الجنة ، من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار »^(٤).

وقال عليه السلام : « ضمنت لمن زار [قبر] أبي بطوس عارفاً بحقه الجنة على الله عز وجل »^(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ستدفن بضعة مني بخراسان ما زارها مكروبٌ إلا نفس الله كربته ، ولا مذنب إلا غفر الله له ذنوبه »^(٦).

وروى النعمان بن سعد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : « سيقتل رجلٌ من ولدي بأرض خراسان بالسّم ظلماً اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم ابن عمران موسى عليه السلام ، ألا فمن زاره في غربته غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الأشجار »^(٧).

وروى حمدان الديواني عن الرضا عليه السلام أنه قال : « من زارني على بعد داري أتيت يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها : إذ تطايرت الكتب يميناً وشمالاً ، وعند الصراط ، وعند الميزان »^(٨).

وروى حمزة بن حمران قال : « قال أبو عبد الله عليه السلام : يقتل حفدتي بأرض خراسان في مدينة يقال لها : طوس ، فمن زاره إليها عارفاً بحقه أخذته بيدي يوم القيامة وأدخلته الجنة وإن كان من أهل الكبائر ، قال : قلت : جعلت فداك وما

(١) إلى (٨) الفقيه باب نواب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله من ٢٩٨ .

عرفان حقه؟ قال: يعلم أنه إمام مفترض الطاعة، غريب شهيد، من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله أجر سبعين شهيداً ممن استشهد بين يدي رسول الله ﷺ على حقيقة» (١).

و روى الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال له رجل من أهل خراسان: «يا ابن رسول الله ﷺ رأيت رسول الله ﷺ في المنام كأنه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي واستحفظتم وديعتي وغيبت في ثراكم نجمي؟ فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم، وأنا بضعة من نبيكم وأنا الوديعه والنجم، ألو من زارني وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقّي وطاعتي فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة ومن كنا شفعاؤه نجى لو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والانس، ولقد حدثني أبي عن جدي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتني ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة» (٢).

وروي عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «والله مامناً إلا ومقتول شهيد فقيل له: ومن يقتلك يا ابن رسول الله؟ قال: شر خلق الله في زمانه يقتلني بالسّم ثم يدفني في دار مضيعه وبلاد غربة ألا فمن زارني في غربتي كتب الله تعالى له أجر مائة ألف شهيد ومائة ألف صدق ومائة ألف حاج ومعتمر ومائة ألف مجاهد وحشر في زمرةنا وجعل في الدرجات العلى من الجنة رفيقنا» (٣).

و روي الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «إن بخراسان لبقعة يأتي عليها زمان تصير مختلف الملائكة فلا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن ينفخ في الصور، فقيل له: يا ابن رسول الله وأية بقعة هذه؟ قال: هي بأرض طوس، فهي والله روضة من رياض الجنة، من زارني في تلك البقعة

(١) الى (٣) الفقيه باب ثواب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله ص ٢٩٨.

كان كمن زار رسول الله ﷺ ، وكتب الله له ثواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة ، و كنت أنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة»^(١).

وقال رسول الله ﷺ : « ستدفن بضعة مني بأرض خراسان لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله له الجنة وحرّم جسده على النار»^(٢).

قال أبو حامد: « وكل من يتبرك بمشاهدته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شدّ الرّحال بهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله ﷺ : « لا تشدّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، و مسجدي هذا ، والمسجد الأقصى»^(٣). لأن ذلك في المساجد وهي متماثلة بعد هذه المساجد الثلاث وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء وبين الأولياء والعلماء في أصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات بحسب اختلاف درجاتهم عند الله ، وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات » .

أقول : بشرط تساويهم في الرتبة وإلا فلا بدّ من النظر .

قال : « والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء و بركة النظر إليهم فإنّ النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه أيضاً تحريك الرغبة في الاقتداء بهم والتخلّق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلميّة المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم كيف ومجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة ، وفي التوراة : « سر أربعة أميال ذراً خاً في الله » .

و أما البقاع فلامعنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة ، وسوى الثغور للرّباط فيها فالحديث ظاهر في أنّه لا تشدّ الرّحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة ، وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحجّ و بيت المقدس أيضاً له فضل كثير ، وقد سأل سليمان ربه جلّ و عزّ أن من قصد هذا المسجد - لا يعنيه إلا للصلاة فيه - أن لاتصرف نظرك عنه مادام مقيماً فيه حتّى يخرج منه وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمّه ، فأعطاها الله ذلك » .

(١) و (٢) الفقيه باب ثواب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله من ٢٩٨ .

(٣) أخرجه البخاري و مسلم و أحمد و أبوداود والنسائي و ابن ماجه من حديث أبي هريرة و أبي سعيد وابن عمر بسند صحيح كما في الجامع الصغير .

أقول : وقد ذكرت فضل مسجد الكوفة أيضاً و الصلاة فيه وقول أمير المؤمنين عليه السلام في فضله : « لو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض و لو حبوا على الثلج » في كتاب أسرار الحج^(١) .

قال^(٢) : « القسم الثالث أن يكون السفر للهرب من مشوش للدّين و ذلك أيضاً حسن فالفرار ممّا لا يطاق من سنن المرسلين ، و ممّا يجب الهرب منه الولاية و الجاه و كثرة العلائق و الأسباب ، فإن كلّ ذلك يشوش فراغ القلب ، والدّين لا يتمّ إلا بقلب فارغ من غير الله ، فإن لم يتمّ فراغه فبقدر فراغه يتصور أن يشتغل بالدّين و لا يتصور فراغ القلب في الدّنيا عن مهمّات الدّنيا ، و الحاجات الضرورية و لكن يتصور تخفيفها و تثقيلها ، و قد نجى المخفون و هلك المثقلون : و الحمد لله الذي لم يعلّق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الأوزار و الأعباء ، بل قبل المخفّ بفضل و شمله لسعة رحمته ، و المخفّ هو الذي ليست الدّنيا أكبر همه و ذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه و كثرت علائقه ، فلا يتمّ مقصوده إلا بالغبرة و الخمول و قطع العلائق التي لا بدّ عنها حتى يروض نفسه مدّة ، ثمّ ربّما يمدّه الله بمعونته فينعم عليه بما يقوى به نفسه و يطمئنّ به قلبه ، فيستوي عنده السفر و الحضر ، و يتقارب عنده وجود الأسباب و العلائق و عدمها فلا يضرّ شيء منها عمّا هو بصدده من ذكر الله و ذلك ممّا يعزّز وجوده جدّاً بل الغالب على القلوب الضعف و القصور عن الاتساع للخلق و الخالق و إنّما يسعد بهذه القوّة الأنبياء و الأولياء ، و الوصول إليها بالكسب شديد و إن كان للاجتهاد و الكسب فيها مدخل أيضاً و مثال تفاوت القوّة الباطنة فيه كتفاوت القوّة الظاهرة في الأعضاء ، فربّ رجل قويّ ذي مرّة سويّ ، شديد الأعصاب ، محكم البنية يستقلّ بحمل ما وزنه ألف رطل مثلاً ، فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل و التدريج فيه قليلاً قليلاً لم يقدر عليه و لكن الممارسة و الجهد تزيد في قوّته زيادة ما ، و إن كان ذلك لا يبلغه

(١) راجع المجلد الثاني ص ١٥٩ .

(٢) يعنى أبا حامد .

درجته ، فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل و نهاية الضلال ، و قد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن ، قال بعضهم : هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف على المشهور ، هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع تحول إلى غيره .

القسم الرابع السفر هرباً مما يقدر في البدن كالطاعون ، أو في المال كغلاء السعر ، أو ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع ، وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد و استحبابه في ذلك ولكن يستثنى عنه الطاعون فلا ينبغي أن يفر منه لو رود النهي فيه ، قال أسامة ابن زيد : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ثم بقي بعد في الأرض ، فيذهب المرأة ويأتي الأخرى ، فمن سمع به في أرض فلا يقدر من عليه و من وقع بأرض و هو بها فلا يخرجته الفرار منه » (١) .

و قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « إن من فناء أمتي بالطعن والطاعون ، فقلت : هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال : غدة كغدة البعير تأخذهم في تراقبهم ، المسلم الميت منه شهيد ، و المقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله و الفار منه كالفار من الزحف » (٢) .

و عن مكحول عن أم أيمن قالت : أوصى رسول الله ﷺ بعض أهله لا تشرك بالله شيئاً و إن عذبت بالنار أو خوفت و أطع والديك و إن أمراك أن تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه ، و لا تترك الصلاة عمداً فإن من ترك الصلاة عمداً فقد برئت منه ذمة الله ، إياك و الخمر فإنها مفتاح كل شر ، إياك و المعصية فإنها تسخط الله ، لا تفر من الزحف ، و إن أصاب الناس موتان و أنت فيهم

(١) أخرجه مسلم ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٦ ص ١٤٥ و فيه : « لا يفنى أمتي إلا بالطعن و الطاعون

الحديث - « و سنده جيد . و لعل النهي عن الفرار من الطاعون لضمانة تقل المرض من بلد إلى بلد آخر ولذا نهى عن القدوم عليه أيضاً .

فأثبت فيهم ، أنفق من طولك على أهل بيتك ، ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم الله ، (١) فهذه الأحاديث تدلُّ على أن الفرار من الطاعون منهيٌّ عنه ، وكذا القدوم عليه . وسيأتي سرُّ ذلك في كتاب التوكل . فهذه أقسام الأسفار . (٢)

وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مذموم ومحمود وإلى مباح ، والمذموم ينقسم إلى حرام كإباق العبد وسفر العاق ، وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون ، والمحمود ينقسم إلى واجب كالحجّ وطلب العلم الذي هو فريضة على كلِّ مسلم ، وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ، ومن هذه الأسباب يتبين النية في السفر ، فإن معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ، ولتكن نيته الآخرة في جميع أسفاره وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور ، وأما المباح فمهما كان قصده بطلب المال مثلاً التعفّف عن السؤال و رعاية ستر المروءة على الأهل و العيال و التصدّق بما فضل من مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة ، ولو خرج إلى الحجّ وباعته الرياء و السمعة خرج عن كونه من أعمال الآخرة فقلوه بالحجّ : « إنما الأعمال بالنيات » (٣) عام في الواجبات والمباحات دون المحظورات فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن كونها محظورة و قد قال بعض السلف : إن الله قد وكّل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كلُّ واحد على نحو نيته ، فمن كانت نيته الدنيا أُعطي منها ، و نقص من آخرته أضعافه ، و فرّق عليه همه ، و كثر بالحرص والرغبة شغله ، و من كانت نيته الآخرة أُعطي من البصيرة والفضيلة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة بالاستغفار .

(١) أخرج ذيله أحمد ج ٦ ص ٤٢١ ورواه البيهقي في الشعب وقال : فيه ارسال .

(٢) كأن أبا حامد غفل عن السفر هجرة من بلد الذي لم يتمكن الإنسان عن الاتيان

بما يجب عليه في الدين فيه و نسي قوله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » .

(٣) أخرجه مسلم و البخارى وقد تقدم غير مرة .

و أما النظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة ، فيضا هي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو المخالطة ، وقد ذكرنا منها جه في كتاب العزلة فليفهم هذا منه ، فإن السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة من تفرق الهم وتشتت القلب في حق الأكثرين ، و الأفضل ما هو الأعون على الدين .

و نهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصل بدوام الفكر ، و من لم يتعلم طريق الفكر و الذكر لم يتمكن منهما ، و السفر هو المعين على التعلم في الابتداء ، و الإقامة هي المعينة على العمل بالتعلم في الانتهاء ، فأما السياحة في الأرض على الدوام فمن المشوشات للقلب إلا في حق الأقوياء ، فإن المسافر و ماله لعلى فلت (١) إلا ما وفقى الله ، فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه و ماله ، و تارة بمفارقة ما ألفه و اعتاده في إقامته ، و إن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع و الاستشراف إلى الخلق ، فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر ، و تارة تقوى باستحكام أسباب الطمع .

ثم شغل الحط و الترحال مشوش لجميع الأحوال ، فلا ينبغي أن يسافر المرید إلا في طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته و تستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته ، فإن اشتغل بنفسه و استبصر و انفتح له طريق الفكر و العمل فالسكون أولى به إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار لما حلت بواطنهم عن لطائف الأفكار و دقائق الأعمال ، و لم يحصل لهم انس بالله تعالى و بذكره في الخلوة و كانوا بطلين غير محترفين و لا مشغولين ، قد ألغوا البطالة و استنقلوا العمل و استوعروا طريق الكسب و استلناو اجانب السؤال و الكدية و استطابوا الرباطات المبينة لهم في البلاد و استسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم ، استخفوا عقولهم و أديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء و السمعة و انتشار الصيت و اقتناص الأموال بطريق السؤال تعليلاً بكثرة الأتباع ، فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ و لا تأديب للمسافرين نافع ، و لا حجر عليهم قاهر ، فلبسوا المرقععات ، و اتخذوا من الخانقاهات

(١) كذا و في الاحياء « لعلى قلق » .

منزعات ، وربما تلقفوا ألفاظاً مزخرفة من الطامات فينظرون إلى أنفسهم ، وقد تشبهوا بالقوم في خرقهم وفي سياحتهم ، وفي لفظهم وعبارتهم ، و في آداب ظاهرة من سيرتهم ، فيظنون بأنفسهم خيراً ، ويحسبون أن كل سواد تمره ، ويتوهمون أن المشاركة في الظواهر توجب المساهمة في الحقائق ، و هيهات فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم ، فهؤلاء بغضاء الله فإن الله يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة إلا الشباب والفراغ ، إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا سمعة ، أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدي به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن ، و الأمور الدينية كلها قد فسدت و ضعفت إلا التصوف فإنه قد انمحق بالكلية و بطل لأن العلوم لم تندرس بعد والعالم وإن كان عالم سوء فأنما فساده في سيرته لاني علمه فيبقى عالماً غير عامل بعلمه و العمل غير العلم ، و أما التصوف فإنه عبارة عن تجرد القلب لله و استحقاق ما سوى الله و حاصله يرجع إلى عمل القلب و الجوارح ، و مهما فسد العمل فات الأصل و في أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث أنه إتعاب نفس بلا فائدة ، و قد يقال : إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالاباحة ، فإن حظوظهم التفرُّج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة و هذه الحظوظ و إن كان خسيصة فنفس المتحرِّكين بهذه الحظوظ أيضاً خسيصة ولا بأس بإتعاب حيوان خسيس لحظٍّ خسيس يليق به ويعود إليه فهو المتأذي و هو المتلذذ و الفتوى تقتضي تسييب العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر ، و السائحون من غير مهم في الدين و الدنيا بل لمحض التفرُّج بالبلاد كالبهائم المترددة في الصحاري ، فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ، و لم يلبسوا على الخلق حالهم . و لم يأكلوا من الأوقاف التي وقفت على الصوفية فإنه حرام عليهم فهذا هو القول في أقسام السفر ونية المسافر و فضيلته .

أقول : و في الفقيه روى عمرو بن أبي المقدام عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

« في حكمة آل داود عليهم السلام : أن على العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا في ثلاث تزود

لمعاد ، أو مرمة لعاش ، أولذة في غير محرّم » (١) .
 وروى السكوني بإسناده قال : « قال رسول الله ﷺ : سافروا تصحوا ،
 وجاهدوا تغنموا ، وحجوا تستغنوا » (٢) .
 وروى جعفر بن بشير عن إبراهيم بن الفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا
 سبب الله عز وجل للعبد الرزق في أرض جعل له فيها حاجة » (٣) .

﴿ الباب الثاني ﴾

﴿ في آداب المسافر من أول نهوضه الى آخر رجوعه ﴾

﴿ (وهي أحد عشر أدباً) ﴾

أقول : و أنا أزيد عليها أدباً آخر يشمل جملة من الآداب و هو من وصايا
 لقمان لابنه فيصير اثني عشر .
 « الاول أن يبدأ برد المظالم و قضاء الديون و إعداد النفقة لمن تلزمه
 نفقته و يرد الودائع إن كانت عنده و لا يأخذ لراده إلا الطيب الحلال و ليأخذ قدراً
 يوسع به على رفقائه ، و لا يبد في السفر من طيب الكلام و إطعام الطعام و من إظهار
 مكارم الأخلاق ، فإن السفر يخرج خبايا الباطن ، و من صلح لصحبة السفر صلح
 لصحبه الحضر ، و قد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر ، و لذلك قيل : إذا
 أثنى على الرجل معاملوه في الحضر و رفقائه في السفر فلا تشكوا في صلاحه ،
 و السفر من أسباب الضجر و من أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق و إلا فعند
 مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق ، و قد قيل : ثلاثة لا يلامون
 على الضجر : الصائم و المريض و المسافر ، و تمام خلق المسافر بالإحسان إلى
 المكاري ، و بمعاونة الرفقة بكل ممكن ، و بالرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا
 بإعانة بمر كوب أو زاد أو توقف لأجله و تمام ذلك مع الرفقاء بمزاح و مطاوعة في

(١) الى (٣) الفقيه ص ٢٢١ باب ما جاء في السفر الى الحج وغيره من الطاعات .

بعض الأوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه .
أقول : و من طريق الخاصة مارواه في الفقيه قال : « قال رسول الله ﷺ :
 من شرف الرجل أن يطيب زاده إذا خرج في سفر » (١) .

وعن الصادق عليه السلام قال : « إذا سافرتم فاتخذوا سفرة و تنوقوا فيها » (٢) .
 و عن نصر الخادم قال : « نظر العبد الصالح أبو الحسن موسى بن جعفر
 عليه السلام إلى سفرة عليها حلق صفر قال : أنزعوا هذه واجعلوا مكانها حديدًا ، فإنه
 لا يقرب شيئاً مما فيها شيء من الهوام » (٣) .

وعن النبي ﷺ : « زاد المسافر الحذاء و الشعر ما كان منه ليس فيه
 خنى » (٤) .

و عن أبي الربيع الشامي قال : كنا عند أبي عبد الله عليه السلام و البيت غاص
 بأهله قال عليه السلام : « ليس منا من لم يحسن صحبة من صحبه ، و مرافقة من رافقه ،
 و ممالحة من مالحه ، و مخالقة من خالقه » (٥) .

و عن النبي ﷺ قال : « من السنة إذا خرج القوم في سفر أن يخرجوا
 نفقتهم فإن ذلك أطيب لأنفسهم و أحسن لأخلاقهم » (٦) .

و تذاكر الناس عند الصادق عليه السلام أمر الفتوة فقال : « تظنون أن الفتوة
 بالفسق و الفجور إنما الفتوة و المروءة طعام موضوع ، و نائل مبدول ، و نشر
 معروف ، و أذى مكفوف ، فأما تلك فشطارة و فسق ، ثم قال : ما المروءة ؟ فقال الناس :
 لانعلم ، قال : ليس المروءة والله أن يضع الرجل خوانه بغناء داره ، و المروءة مروءتان
 مروءة في الحضر و مروءة في السفر ، فأما التي في الحضر فتلاوة القرآن و لزوم المساجد
 و المشي مع الإخوان في الحوائج ، و النعمة ترى على الخادم أنها تسر الصديق

(١) المصدر ص ٢٢٧ باب الزاد في السفر .

(٢) المصدر ص ٢٢٦ باب اتخاذ السفرة في السفر .

(٣) و (٤) المصدر ص ٢٢٦ والخنى : الفحش في الكلام .

(٥) المصدر ص ٢٢٤ باب ما يجب على المسافر في الطريق .

(٦) المصدر ص ٢٢٦ باب الرفقاء في السفر .

و تكبت العدو ، و أمّا التي في السفر فكثرة الزاد و طيبه و بذله لمن كان معك ، و كتمانك على القوم أمرهم بعد مفارقتك إليّاهم ، و كثرة المزاح في غير ما يسخط الله عزّ و جلّ ، ثمّ قال عليه السلام : و الذي بعث جدّي صلى الله عليه و آله و سلم بالحقّ إنّ الله عزّ و جلّ ليرزق العبد على قدر المرورة ، فإنّ المعونة تنزل على قدر المؤونة ، و إنّ الصبر ينزل على قدر شدّة البلاء ، (١) .

قال أبو حامد : « الثاني أن يختار رفيقاً فلا يخرج وحده فالرفيق ثمّ الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا نسي ، و يعينه و يساعده إذا ذكر فإنّ المرء على دين خليله و لا يعرف الرّجل إلا برفيقه و قد نهى النبي صلى الله عليه و آله و سلم أن يسافر الرّجل وحده وقال : « الثلاثة نقر » (٢) .

و قال : « إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرّوا أحدكم » (٣) « و كانوا يفعلون ذلك و يقولون : هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، و ليؤمّروا أحسنهم أخلاقاً و أرفقهم بالأصحاب و أسرعهم إلى الإيثار و طلب الموافقة » (٤) « و إنّما يحتاج إلى الامير لأنّ الآراء تختلف في تعيين المنازل و الطرق و مصالح السفر و لا نظام إلا في الوحدة و لا فساد إلا من الكثرة ، و إنّما انتظم أمر العالم لأنّ مدبّر العالم واحد « ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » و مهما كان المدبّر واحداً انتظم التدبير ، و إذا كان كثير المدبّر فسدت الأمور في الحضر و السفر إلا أن مواطن الاقائه لا تخلو عن أمير عامّ كأمر البلد أو أمير خاصّ كربّ الدار ، و أمّا السفر فلا يتعيّن له أمير إلا بالتأمير فلهدا و جب التأمير ليجمع شتات الآراء ، ثمّ على الامير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم و أن يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبدالله المروزي أنّه صحبه أبو عليّ

(١) المصدر ص ٢٣٠ باب المرورة في السفر .

(٢) راجع موطأ مالك ج ٢ ص ٢٤٧ و مسند احمد ج ٢ ص ٢٤ و ٣٤ و ٨٦ و ٨١ . وفيهما « الثلاثة ركب » ولكن في الفقيه ص ٢٢٥ كما في المتن .

(٣) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٣٤ عن أبي هريرة ، و الطبراني في الكبير من حديث

ابن مسعود بسند حسن كما في المعنى .

(٤) أخرجه الحاكم ج ١ ص ٤٤٣ . باختلاف وقال : صحيح على شرط الشيخين .

الرُّبَاطِيُّ فَقَالَ : عَلَى أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْأَمِيرُ أَمْ أَنَا فَقَالَ : بَلْ أَنْتَ فَلَمْ يَزَلْ يَحْمِلُ الزَّادَ لِنَفْسِهِ وَلَا يَبِيَّ عَلِيَّ عَلِيَّ ظَهْرَهُ فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ طَوِيلَ اللَّيْلِ عَلَى رَأْسِ رَفِيقِهِ وَفِي يَدِهِ كَسَاءٌ مَنَعَ مِنَ الْمَطَرِ فَكَلَّمَا قَالَ لَهُ : اللَّهُ اللَّهُ لَا تَفْعَلْ يَقُولُ : أَلَمْ تَقُلْ أَنَّ الْإِمَارَةَ مَسْلُومَةٌ لَكَ فَلَا تَحْكَمْ عَلَيَّ وَلَا تَرْجِعْ عَن قَوْلِكَ ، حَتَّى قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَدِدْتُ أَنْتِي مَتٌ وَلَمْ أَقُلْ لَهُ : أَنْتَ الْأَمِيرُ ، فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمِيرُ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُ الْأَصْحَابِ أَرْبَعَةٌ » (١) وَتَخْصِيصُ الْأَرْبَعَةِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْدَادِ لَا يَدُلُّ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ فَائِدَةٌ وَالَّذِي يَنْقَدِحُ فِيهِ أَنْ الْمَسَافِرَ لَا يَخْلُو عَنْ رَحْلِ يَحْتَاجُ إِلَى حِفْظِهِ ، وَعَنْ حَاجَةٍ يَحْتَاجُ إِلَى التَّرْدُدِ فِيهَا وَلَوْ كَانُوا ثَلَاثَةً لَكَانَ الْمُتَرَدِّدُ فِي الْحَاجَةِ وَاحِدًا فَيَتَرَدَّدُ بِالرَّفِيقِ ، فَلَا يَخْلُو عَنْ خَطَرٍ وَعَنْ ضَيْقِ قَلْبٍ لَفَقَدَ أُنْسَ الرَّفِيقِ وَلَوْ تَرَدَّدَ فِي الْحَاجَةِ اثْنَانِ لَكَانَ الْحَافِظُ لِلرَّحْلِ وَحْدَهُ فَلَا يَخْلُو عَنْ الْخَطَرِ وَعَنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ فَإِنَّ مَادُونَ الْأَرْبَعَةَ لَا يَنْفِي بِالْمَقْصُودِ وَمَا فَوْقَ الْأَرْبَعَةِ يَزِيدُ فَلَا يَجْمَعُهُمْ رَابِطَةٌ وَاحِدَةٌ فَلَا يَنْعَقِدُ بَيْنَهُمُ التَّوَافِقُ لِأَنَّ الْخَامِسَ زِيَادَةٌ بَعْدَ الْحَاجَةِ وَمَنْ يَسْتَعْنِي عَنْهُ لَا تَصْرِفُ الْهَمَّةُ إِلَيْهِ فَلَا يَتِمُّ الْمُرَافِقَةُ مَعَهُ ، نَعَمْ فِي كَثْرَةِ الرَّفِيقِ فَائِدَةٌ الْأَمْنُ مِنَ الْمَخَافِيفِ وَلَكِنَّ الْأَرْبَعَةَ خَيْرٌ لِلرَّفَاقَةِ الْخَاصَّةِ لِلرَّفَاقَةِ الْعَامَّةِ ، وَكَمْ مِنْ رَفِيقٍ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ كَثْرَةِ الرَّفِيقِ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَخَالِطُ إِلَى آخِرِ الطَّرِيقِ لِلِاسْتِعْنَاءِ عَنْهُ .

أَقُولُ : وَمِنْ طَرِيقِ الْخَاصَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ مَا رَوَاهُ فِي الْفَقِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « الرَّفِيقُ ثَمَّ السَّفَرِ » (٢) .

وَعَنِ الصَّادِقِ ع قَالَ : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَلَا أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : مَنْ سَافَرَ وَحْدَهُ ، وَمَنْعَ رَفْدَهُ ، وَضُرِبَ عُنُقُهُ » (٣) .

وَعَنِ الْكَائِمِ ع قَالَ : « فِي وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ ع : لَا تَخْرُجْ فِي سَفَرٍ وَحْدَكَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ ، يَا عَلِيُّ إِنَّ »

(١) أخرجه أبو داود في السنن ج ٢ ص ٢٥ في حديث .

(٢) و (٣) المصدر ص ٢٢٥ باب كراهة الوحدة في السفر و الرشد : النصيب و

الإعانة ، والمعطاء .

الرجل إذا سافر وحده فهو غاو ، والاثنان غاويان ، و الثلاثة نقر . . و روى بعضهم سفر . « (١) .

وعنه عليه السلام قال : « لعن رسول الله ﷺ ثلاثة : الآكل زاده وحده ، و النائم في بيت وحده ، و الراكب في الفلاة وحده » (٢) .

و عن إسماعيل بن جابر قال : « كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بمكة إذ جاءه رجل من المدينة فقال له : من صحبتك ؟ فقال : ما صحبت أحداً فقال أبو عبد الله عليه السلام : أما لو كنت تقدمت إليك لأحسنت أدبك ، ثم قال : واحد شيطان ، و اثنان شيطانان ، و ثلاثة صحب ، و أربعة رفاق » (٣) .

و عن النبي ﷺ قال : « أحب الصحابة إلى الله تعالى أربعة و ما زاد قوم على سبعة إلا كثر لعنهم » (٤) .

وعنه عليه السلام قال : « ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمها أجراً و أحبهما إلى الله عز وجل أرفقهما لصاحبه » (٥) .

و عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « لاتصحب في سفر من لا يرى لك من الفضل عليه كما ترى له عليك » (٦) .

و عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إذا صحبت فاصحب نحوك ، و لا تصحب من يكفيك فإن ذلك مذلة للمؤمن » (٧) .

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « اصحب من تتزين به و لاتصحب من يتزين بك » (٨) .

و عن شهاب بن عبد ربه قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : قد عرفت حالي و سعة يدي و توسعي على إخواني فأصحب النقر منهم في طريق مكة فأوسع عليهم

(١) و (٢) المصدر ص ٢٢٥ باب كراهة الوحدة في السفر .

(٣) و (٤) المصدر ص ٢٢٦ واللفظ - محركة - : اصوات مبهمه لاتفهم .

(٥) الى (٨) المصدر ص ٢٢٦ باب الرفقاء في السفر و وجوب حق بعضهم على

بعض و راجع أيضاً المعاسن لابي عبد الله البرقي ص ٣٥٧ .

قال : لاتفعل يا شهاب إن بسطت و بسطوا أجهفت بهم ، و إذا هم أمسكوا أدلتهم فاصحب نظراءك « (١) .

و عنه عليه السلام قال : « حق المسافر أن يقيم عليه إخوانه إذا مرض ثلاثاً » (٢) .

و في الحكام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : « سيد القوم خادمهم في السفر » (٣) .

وعنه عليه السلام : « إنه أمر أصحابه بذيبح شاة في سفر فقال رجل من القوم : علي ذبحها ، و قال الآخر : علي سلخها ، و قال آخر : علي قطعها ، و قال آخر : علي طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : علي أن ألقط لكم الحطب فقالوا : يا رسول الله لاتعبن بآبائنا و أمهاتنا أنت ، نحن نكفيك ، قال : عرفت أنكم تكفوني ، و لكن الله عز و جل يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أن يتفرد من بينهم فقام عليه السلام يلقط الحطب لهم « (٤) .

قال : « الثالث أن يودع رفقاء الحضر و الأهل و الأصدقاء و ليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله » .

أقول : قد مر ذلك الدعاء في كتاب أسرار الحج من ربيع العبادات فلا حاجة إلى إعادتها .

و من طريق الخاصة ما رواه في الفقيه قال : « لما شيع أمير المؤمنين عليه السلام بأبذر - رحمة الله عليه - و شيعه الحسن و الحسين عليه السلام و عقيل بن أبي طالب و عبد الله ابن جعفر و عمار بن ياسر قال أمير المؤمنين عليه السلام : و ادعوا أخاكم فإنه لا بد للشاخص أن يمضي و للمشييع من أن يرجع ، فتكلم كل رجل منهم على حياله فقال الحسن بن علي عليه السلام : رحمك الله يا أبذر إن القوم إنما امتهنوك بالبلاء لأنك منعتم دينك فمنعوك دنياهم ، فما أحوجك غداً إلى ما منعتم و أغناك عما منعوك فقال أبوذر - رحمه الله - : رحمكم الله من أهل بيت فمالي شجن في الدنيا غيركم إذا

(١) و (٢) المصدر ص ٢٢٦ باب الرفقاء في السفر و وجوب حق بعضهم على بعض

و راجع أيضاً المعاصن لابي عبدالله البرقي ص ٣٥٧ .

(٣) و (٤) المصدر ص ٢٨٨ .

ذكرتكم ذكرت بكم جدكم رسول الله ﷺ» (١).

وكان رسول الله ﷺ: « إذا ودَّع المؤمن قال: زودكم الله التقوى ،
و وجهكم إلى كل خير و قضي لكم كل حاجة ، و سلم لكم دينكم و دنياكم ،
وردكم سالمين إلى سالمين » (٢).

و في خبر آخر عن أبي جعفر عليه السلام قال: « كان رسول الله ﷺ إذا ودَّع
مسافراً أخذ بيده ثم قال: أحسن الله لك الصحابة ، و أكمل المعونة ، و سهّل لك
الحزونة ، و قرّب لك البعيد ، و كفّك المهّم ، و حفظ لك دينك و أمانتك و خواتيم
عملك ، و وجهك لكل خير ، عليك بتقوى الله ، أستودع الله نفسك ، يسر على
بركة الله عزّ و جلّ » (٣) . [قال : (٤)]

« الرابع أن يصلي قبل السفر صلاة الاستخارة ، كما وصفناها في كتاب الصلاة
و وقت الخروج ، يصلي لأجل السفر ».

أقول: روى في الفقيه عن النبي ﷺ قال: « ما استخلف رجلٌ على أهله
بخلافة أفضل من ركعتين يركعهما إذا أراد الخروج إلى سفر و يقول: « اللهم إنني
أستودعك نفسي و أهلي و مالي و ذريّتي و دنياي و آخرتي و أمانتي و خاتمة عملي »
فما قال ذلك أحدٌ إلا أعطاه الله تعالى ما سأله » (٥).

قال: « الخامس إذا حصل على باب الدار فليقل: »

أقول: قد مرّ الدعاء في كتاب أسرار الحجّ ، و في الفقيه عن صباح الحدّاء
قال: « سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: لو كان الرجل منكم إذا أراد سفراً
قام على باب داره تلقاه الوجه الذي يتوجه إليه ، فقرأ فاتحة الكتاب أمامه و عن
يمينه و عن شماله ، و آية الكرسي أمامه و عن يمينه و عن شماله ، ثم قال: « اللهم
احفظني و احفظ ما معي ، و سلمني و سلم ما معي ، و بلغني و بلغ ما معي ببلاغك

(١) إلى (٣) المصدر من ٢٢٥ باب تشييع المسافر و توديعه . (٤) يعني أباحامد .

(٥) المصدر من ٢٢٣ باب ما يستحب للمسافر من الصلاة إذا أراد الخروج . و راجع

أيضاً المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي كتاب السفر من ٣٤٥ إلى ٣٥٨ .

الحسن « لحفظه الله و لحفظ ما معه ، وسلمه الله و سلم ما معه ، و بلغه الله و بلغ ما معه ، قال : ثم قال : يا صباح أما رأيت الرجل يحفظ ولا يحفظ ما معه و يسلم ولا يسلم ما معه و يبلغ ولا يبلغ ما معه ؟ قلت : بلى جعلت فداك » (١) .

و كان الصادق عليه السلام إذا أراد سفراً قال : « اللهم خلّ سبيلنا و أحسن مسيرنا و أعظم عافيتنا » (٢) .

وروى علي بن أسباط عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال لي : « إذا خرجت من منزلك في سفر أو حضر فقل : « بسم الله آمنت بالله ، وتوكلت على الله ، ماشاء الله ، لاحول ولا قوة إلا بالله » فتلقاه الشياطين فتضرب الملائكة وجوهها و تقول : ما سبيلكم عليه و قد سمى الله و آمن به وتوكل على الله ، و قال : ماشاء الله لاحول ولا قوة إلا بالله » (٣) .

و روى أبو بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من قال حين يخرج من باب داره : « أعوذ بالله مما عادت منه ملائكة الله من شرّ هذا اليوم و من شرّ الشيطان و من شرّ من نصب لأولياء الله و من شرّ الجنّ و الانس و من شرّ السباع و الهوامّ و من شرّ ركوب المحارم كلها ، أجزى نفسي بالله من كلّ شيء ، غفر الله له و تاب عليه و كفاه المهيمّ و حجزه عن السوء و عصمه من الشرّ » (٤) .

و كان الصادق عليه السلام : « إذا وضع رجله في الركاب يقول : « سبحان الذي سخّر لنا هذا و ما كنا له مقرنين » و يسبح الله سبعاً و يحمده الله سبعاً ، و يهلل الله سبعاً » (٥) .

و في المكارم عن الرضا عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا ركب الرجل الدابة فسمّى ردفه ملك يحفظه حتى ينزل فإن ركب ولم يسمّ ردفه شيطان فيقول له : تعنّ » فإن قال : لأحسن ، قال : تمنّ فلا يزال يتمنّي حتى ينزل » (٦) .

(١) الى (٤) المصدر ص ٢٢٣ و ٢٢٤ .

(٥) (٦) المكارم ص ٢٨٤ والاخبار كلها في المعاصم مسندة راجع ص ٣٥٠ كتاب السفر منه .

وقال : « من قال إذا ركب الدابة : « بسم الله ولاقوة إلا بالله والحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » حفظت نفسه و دابته حتى ينزل » (١) .
 و في رواية أخرى ما يقال عند الركوب : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا له وعلمنا القرآن ومن علينا بمحمد ﷺ : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون و الحمد لله رب العالمين ، اللهم أنت الحامل على الظهر و المستعان على الأمر ، و أنت صاحب في السفر و الخليفة في الأهل و المال و الولد ، اللهم أنت عضدي و نصري » و إذا مضت بك راحلتك فقل في طريقك :
 « خرجت بحول الله و قوته بغير حول مني و قوّة و لكن بحول الله و قوته ، برئت إليك يا رب من الحول و القوّة ، اللهم إنني أسألك بركة سفري هذا و بركة أهلي ، اللهم إنني أسألك من فضلك الواسع رزقاً حلالاً طيباً تسوقه إليّ و أنا خائف في عافية بقوتك و قدرتك ، اللهم إنني سرت في سفري هذا بلا ثقة مني بغيرك و لارجاء لسواك فارزقني في ذلك شكرك و عافيتك و وفقني لطاعتك و عبادتك حتى ترضى و بعد الرضا » (٢) .

و عن الباقر عليه السلام : « لو كان شيء يسبق القدر : لقلت : أن قارى، إنا أنزلناه حين يسافر أو يخرج من منزله سيرجع إليه إن شاء الله تعالى » .

و في الفقيه عن الكاظم عليه السلام قال : « من خرج وحده في سفر فليقل : « ماشاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله ، اللهم أنس وحشتي و أعني على وحدتي و أدغيبني » (٣) .
 و عن الصادق عليه السلام قال : « كان رسول الله ﷺ في سفره إذا هبت سبوح و إذا صعد كبير » (٤) .

و عن أحدهما عليه السلام قال : « إذا كنت في سفر فقل : « اللهم اجعل مسيري عبراً و صمتي تفكراً و كلامي ذكراً قال رسول الله ﷺ : و الذي نفس أبي القاسم

(١) و (٢) المكارم ص ٢٨٤ و الاخبار كلها في المحاسن مستندة راجع ص ٣٥٠

كتاب السفر منه .

(٣) و (٤) المصدر ص ٢٢٤ باب ذكر الله عزوجل و الدعاء في السير .

بيده ما هَلَل مُهَلَّل ، ولا كَبَّرَ مَكْبَرٌ على شرف من الأشراف إلا هَلَّل ما خلفه و
كَبَّر ما بين يديه بتَهليله و تكبيره حتى يبلغ مقطع التراب « (١) .

و في المكالم « إذا بلغت جسراً فقل حين تضع قدمك عليه : « بسم الله اللهم
ادحر عني الشيطان الرجيم » (٢) .

و في ركوب السفينة « بسم الله الملك الرحمن وما قدروا الله حق قدره - الآية - «
« بسم الله مجريها و مرسيا إن ربي لغفور رحيم » (٣) .

قال أبو حامد : « السادس أن يرحل من المنازل بكرة ، روى جابر « أن النبي
ﷺ رحل يوم الخميس بكرة وهو يريد تبوك وبكر ، وقال : « اللهم بارك لأممتي
في بكورها » (٤) .

و يستحب أن يبتدىء بالخروج يوم الخميس فقد روي أنه « ما كان رسول الله
ﷺ يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس » (٥) .

و لا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصياً بترك
الجمعة ، و اليوم منسوب إليها و كان أوله من أسباب وجوبها .

أقول : و في الفقيه عن الباقر عليه السلام قال : « كان رسول الله ﷺ يسافر يوم
الخميس ، وقال : يوم الخميس يحبه الله و رسوله و ملائكته » (٦) .

و عن الصادق عليه السلام قال : « من أراد سفراً فليسافر يوم السبت ، فلو أن حجراً
زال عن جبل يوم السبت لردّه الله إلى مكانه » (٧) .

(١) المصدر ص ٢٢٤ باب ذكر الله عز وجل والدعاء في المسير .

(٢) و (٣) المصدر ص ٢٩٩ و تمام الآية في سورة الانعام : « وما قدروا الله حق قدره

والارض جميعاً قبضته يوم القيمة و السموات مطويات بيمينه سبحانه و تعالی عما يشركون » .

(٤) أخرجه الخرائطي من حديث جابر كما في المعنى ، و روى الدارمي ج ٢ ص

٢١٤ و اصحاب السنن كلهم من حديث صخر العامدي .

(٥) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٣٤ ، و أحمد ج ٣ ص ٤٥٥ من حديث كعب بن مالك .

(٦) و (٧) المصدر ص ٢٢١ باب الايام و الاوقات التي يستحب فيه السفر .

وعنه عليه السلام قال : « لا تخرج يوم الجمعة في حاجة ، فإذا كان يوم السبت وطلعت الشمس فاخرج في حاجتك » (١) .

وعنه عليه السلام قال : « السبت لنا و الأحد لبني أمية » (٢) .

وعنه عليه السلام قال : « من سافر أو تزوج والقمر في العقرب لم ير الحسنی » (٣) .

و كتب بعض البغداديين إلى أبي الحسن الثاني عليه السلام يسأله عن « الخروج يوم الأربعاء ، لا يدور » فكتب عليه السلام من خرج يوم الأربعاء ، لا يدور خلافاً على أهل الطيرة وقي من كل آفة و عوفي من كل عاهة و قضى الله له حاجته » (٤) .

و عن حماد بن عثمان قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أيكره السفر في شيء من الأيام المكروهة مثل الأربعاء ، وغيره ؟ فقال : افتتح سفرك بالصدقة واخرج إذا بدالك و اقرأ آية الكرسي و احتجم إذا بدالك » (٥) .

وعنه عليه السلام قال : « تصدق و اخرج أي يوم شئت » (٦) .

و عن الباقر عليه السلام قال : « كان علي بن الحسين عليه السلام إذ أراد الخروج إلى بعض أمواله اشترى السلامة من الله تعالى بما تيسر له ويكون ذلك إذا وضع رجله في الركاب ، وإذا سلمه الله تعالى وانصرف حمد الله تعالى وشكره وتصدق بما تيسر له » (٧) .

قال أبو حامد : « والتشيع للوداع مستحب وهو سنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لأن أشيع مجاهداً في سبيل الله فأكتفه على رحلة غدوة أو رحلة أحب إلي من الدنيا وما فيها » (٨) .

أقول : قد ذكرنا تشيع أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه لأبي ذر - رحمه الله - و قد مر تشييعه عليه السلام للنمى في كتاب آداب الصحبة و المعاشرة .

و روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « شيع جعفر الطيار لما وجهه إلى الحبشة وزوده

(١) إلى (٤) الفقيه ص ٢٢١ باب الايام والاوقات التي يستحب فيه السفر .

(٥) إلى (٧) المصدر ص ٢٢٢ باب افتتاح السفر بالصدقة .

(٨) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٨٢٤ بسند ضعيف .

هذه الكلمات «اللهم أطف به في تيسير كل عسير، فإن تيسير العسير عليك يسير» وأسألك اليسر والعافية والمعافاة الدائمة» (١).

وفي التهذيب بسند صحيح عن أحدهما عليهما السلام قال: «إذ شيع الرجل أخاه فليقتصر، قلت: أيهما أفضل يصوم أو يشيعه ويفطر؟ قال: يشيعه لأن الله قد وضعه عنه إذا شيعه» (٢).

قال (٣): «السابع أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة ويكون أكثر سيره في الليل، قال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار» (٤). ومهما أشرف على المنزل فليقل: «

أقول: قد مر الدعاء في كتاب أسرار الحج وكذا دعاء النزول كما ذكره (٥). وفي الفقيه في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام: يا علي إذا وردت مدينة أو قرية فقل حين تعانينا: «اللهم إني أسألك خيرها، وأعوذ بك من شرها، اللهم حببنا إلى أهلها، وحبب صالح أهلها إلينا» (٦).

وفيه «قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام: يا علي إذا نزلت منزلاً فقل: «اللهم أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين» تزرق خيره، وتدفع عنك شره» (٧).

وفي المكارم وفي رواية: «أيديني بما أيّدت به الصالحين، وهب لي السلامة والعافية في كل وقت وحين، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبرا» ثم صل ركعتين وقل: «اللهم ارزقنا خير هذه البقعة، وأعدنا من شرها، اللهم أطعمنا من حباها، وأعدنا من وبائها، وحببنا إلى أهلها، وحبب صالح أهلها

(١) نقله الطبرسي في المكارم من ٢٨٥ مرسل.

(٢) المصدر ج ١ ص ٣١٦. (٣) يعني أبا حامد.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٤٤٥ ورواه الصدوق في الفقيه من ٢٢٢ كما يأتي، والدلجة السير بالليل. وأخرجه بلفظه أبو يعلی والبزار وأبو داود كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢١٣.

(٥) راجع المجلد الثاني من ١٦٥.

(٦) و (٧) المصدر من ٢٢٢.

إلينا» و إذا أردت الرّحيل فصلّ ركعتين وادع الله بالحفظ والكلالة و ودّع الموضع و أهله فإنّ لكلّ موضع أهلاً من الملائكة ، وقل : «السلام على ملائكة الله الحافظين السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته» (١) .
و في الفقيه قال رسول الله ﷺ : «عليكم بالسّير بالليل فإنّ الأرض تطوى بالليل» (٢) .

و عن الصادق عليه السلام : «الأرض تطوى من آخر الليل» (٣) .
قال (٤) : «الثامن أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفرداً خارج القافلة لأنّه ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفّظاً عند النوم ، كان عليه السلام إذا نام في سفره في ابتداء الليل افترش ذراعه ، وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصباً و جعل رأسه في كفه» (٥) و الغرض من ذلك أن لا يستقل من النوم فيطلع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلب بسفره .

والمستحبّ بالليل أن يتناوب الرّفقاء في الحراسة فإذا نام واحد حرس آخر فهو السنّة ، ومهما قصده عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي ، و شهد الله ، والإخلاص ، والمعوذتين ، وليقل : «سبحان من لا يلدئ ولا يولد» .
أقول : قد مرّ الدعاء في كتاب أسرار الحج (٦) وعن الصادق عليه السلام قال : «من قرأ آية الكرسي في السفر في كلّ ليلة سلم و سلم مامعه و يقول : «اللهم اجعل مسيري عبراً ، و صمّني تفكّراً ، و كلامي ذكراً» (٧) .

وعنه عليه السلام قال : «أتى أخوان رسول الله ﷺ فقالا : إننا نريد الشام في تجارة فعلمنا ما نقول ، قال : بعد إذ أويتما إلى منزل فصلّيا العشاء الآخرة فإذا وضع

(١) المصدر ص ٢٩٨ رواه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ذلك لعلى عليه السلام وعلمه إياه .

(٢) و (٣) المصدر ص ٢٢٢ تحت رقم ٥ و ٦ . (٤) يعني أبا حامد .

(٥) أخرجه الترمذى من حديث أبي قتادة في كتاب الشمائل ص ١٩ من طبعه الملحق

بالسنن طبع لكهنو ، و قد تقدم الخبر في المجلد الثاني ص ١٦٥ و فاتنا الإيعاز إلى مصدره .

(٦) المجلد الثاني ص ١٦٥ .

(٧) نقله الطبرسى في المكارم ص ٢٩٢ .

أحد كما جنبه على فراشه بعد الصلاة فليسبح تسبيح فاطمة ثم ليقرأ آية الكرسي فإنه محفوظ من كل شيء ، فهما واظباها وإن لوصاً تبعوهم حتى نزلوا فبعثوا غلاماً لهم ينظر كيف حالهم ناموا أم هم مستيقظون فانتبهى الغلام إليهم وقد وضع أحدهما جنبه إلى فراشه وقرأ آية الكرسي وسبح تسبيح فاطمة عليها السلام قال : فإذا عليهما حائطان مبنيان فجاء الغلام فطاف بهما فكلما دار لم ير إلا حائطين فرجع إلى أصحابه فقال : لا والله ما رأيت إلا حائطين مبنيين قالوا : أخزاك الله لقد كذبت بل ضعفت وجبنت ، فقاموا ينظروا فلم يجدوا إلا حائطين مبنيين فداروا بالحائطين فلم يروا إنساناً فأنصرفوا إلى موضعهم فلما كان من الغد جاؤوا إليهم فقالوا : أين كنتم ؟ فقالوا : ما كنا إلا ههنا ما برحنا ، فقالوا : لقد جئنا فما رأينا إلا حائطين مبنيين فحدثنا ما قصتكما ، فقالا : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمنا آية الكرسي وتسبيح فاطمة عليها السلام ففعلنا فقالوا : انطلقوا فوالله ما تتبعكم أبداً ولا يقدر عليكم لص بعد هذا الكلام ^(١).

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام قال : « إذا ضللت عن الطريق فناد : يا صالح - أوبأ أباصح - أرشدونا إلى الطريق يرجمكم الله » ^(٢) .
وروي « أن البرم موكل به صالح ، والبحر موكل به حمزة » ^(٣) .
و عنه عليه السلام قال : « إذا تقولت لكم الغول فأذنوا » ^(٤) .
و عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إناكم والتعريس على ظهر الطريق و بطون الأودية فإنها مدارج السباع و مأوى الحيات » ^(٥) .
و عنه صلى الله عليه وسلم « من نزل منزلاً يتخوف منه السبع فقال « أشهد أن لا إله إلا الله

(١) نقله الطبرسي في المكارم ص ٢٩٢ .

(٢) و (٣) المصدر ص ٢٣٢ باب دعاه الضال عن الطريق .

(٤) نقله الطبرسي في المكارم و رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ١٤٠ .
و الغول نوع من الجن والشيطان و أيضاً الداهية والهلكة ، و من الناس من يزعم أن في الغلوات تغول تغول تغول عن الطريق فتهلككم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « إذا تقولت لكم الغول » .
(٥) الفقيه ص ٢٣٠ باب ارتياد المنازل والامكنة . والتعريس نزول المسافر ليستربح .

وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم إني أعوذ بك من شر كل سبع « إلا أمن من شر كل السبع حتى يرحل من ذلك المنزل إن شاء الله » (١) .

قال : « التاسع أن يرفق بالدابة إن كان راكباً فلا يحملها مالا تطيق ، ولا يضرب في وجهها فإنه منهي عنه ، ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتنادى به الدابة » .

أقول : قد مرّ تمام بيان هذه الآداب كما ذكره ههنا بعينه في كتاب أسرار الحجّ فلاحاجة إلى إعادته ، وأمّا من طريق الخاصة ففي الفقيه روى إسماعيل بن أبي زياد بإسناده قال : « قال رسول الله ﷺ : للدابة على صاحبها خصال : يبدأ بعنقها إذا نزل ، ويعرض عليها الماء إذا مرّ به ، ولا يضرب وجهها فإنّها تسبّح بحمد ربّها ، ولا يقف على ظهرها إلا في سبيل الله ، ولا يحملها فوق طاقتها ، ولا يكلفها من المشي إلا ما تطيق » (٢) .

و سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام : « متى أضرب دابتي تحتي ؟ قال : إذا لم تمش تحتك كمشيها إلى مذودها » (٣) .
وروي أنه قال : « اضربوها على العثار ولا تضربوها على النغار فإنّها ترى مالا ترون » (٤) .

و قال رسول الله ﷺ : « إذا عثرت الدابة تحت الرّجل فقال لها : تعست تقول : تعس أعصانا للرّب » (٥) .

و قال عليّ عليه السلام في الدوابّ : « لا تضربوها الوجوه ، ولا تلعنوها فإنّ الله تعالى لعن لاعنها » وفي خبر آخر « لا تقبّحوا الوجوه » (٦) .

و قال النبيّ ﷺ : « إنّ الدوابّ إذا لعنت لزمتهن اللّعة » (٧) .

و قال رسول الله ﷺ : « لا تتورّكوا على الدوابّ ، ولا تتخذوا ظهورها

(١) الفقيه من ٢٣٠ باب ارتياد المنازل والامكنة .

(٢) الى (٧) المصدر من ٢٢٨ باب حق الدابة على صاحبها .

مجالس» (١) .

وقال الباقر عليه السلام : « لكل شيء حرمة وحرمة البهائم في وجوهها » (٢) .
وروي عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :
« إن الدابة تقول : اللهم ارزقني ملك صدق يشبعني ويسقيني ولا يحملني ما لا
أطيق » (٣) .

قال الصادق عليه السلام : « ما اشترى أحد دابة إلا قالت : اللهم اجعله بي
رحيماً » (٤) .

وروي عنه عبد الله بن سنان قال : « اتخذوا الدابة فأنها زين ، وتقضى عليها
الحوائج ، ورزقها على الله تعالى » (٥) .

وروي السكوني بإسناده قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله تعالى يحب
الرفق ويعين عليه ، فإذا ركبت الدواب العجاف فأنزلوها منازلها فإن كانت الأرض
مجدبة فانجوا عليها وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها » (٦) .

وقال علي عليه السلام : « من سافر منكم بدابة فليبدأ حين ينزل بعلقها وسقيها » (٧) .
وقال أبو جعفر عليه السلام : « إذا سرت في أرض خصبة فارفق بالسير ، وإذا
سرت في أرض مجدبة فعجل بالسير » (٨) .

وروي السكوني بإسناده « أن النبي صلى الله عليه وآله أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها
فقال : أين صاحبها مروها فليستعد غداً للخصومة » (٩) .
وفي خبر آخر « قال النبي صلى الله عليه وآله : أخرروا الأحمال فإنَّ اليدين معلقة ،
والرجلين موثقة » (١٠) .

وروي ابن فضال عن حماد اللحام قال : « مر قطارلاً بي عبد الله عليه السلام فرأى
زاملة قد مالت فقال : يا غلام اعدل على هذا الجمل فإن الله تعالى يحب العدل » (١١)

(١) و (٢) المصدر ص ٢٢٨ باب حق الدابة على صاحبها .

(٣) الى (٨) المصدر ص ٢٢٩ باب حسن القيام على الدواب .

(٩) و (١٠) المصدر ص ٢٣٠ باب ما يجب من العدل على الجمل .

و روى أيوب بن أعين قال : سمعت الوليد بن صبيح يقول لأبي عبد الله عليه السلام :
« إن أبا حنيفة رأى هلال ذي الحجة بالقادسية وشهد معنا عرفة فقال : ما لهذا
صلاة ، ما لهذا صلاة » (١).

و حجَّ عليُّ بن الحسين عليهما السلام على ناقه أربعين حجةً فما قرعها بسوط (٢).
و قال عليُّ عليه السلام : « إن على ذروة كلِّ بعر شيطاناً فأشبعه وامتنه » (٣).
و نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتخطى القطار قيل : يارسول الله : ولم ؟ قال : « لأنه
ليس من قطار إلا وما بين البعير إلى البعير شيطان » (٤).

و في المكارم عن أبي عبيدة عن أحدهما عليهما السلام قال : « أيما دابة استصعبت على
صاحبها من لجام و نفار فليقرأ في أذنها أو عليها : « أفغريدين الله يبعون وله أسلم من
في السموات والأرض طوعاً و كرهاً و إليه ترجعون » (٥).

و عن الرضا عليه السلام قال : « في كل منخر من الدواب شيطانٌ فإذا أراد أحدكم
أن يلجمها فليسم الله عز وجل » (٦).

قال أبو حامد : « وينبغي أن يقرَّر مع المكاري ما يحمله شيئاً فشيئاً ، ويعرضه
عليه و يستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا ينور بينهما نزاع يؤذي القلب ، فليحترز
عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري ، ولا ينبغي أن يحمل فوق المشروط شيئاً وإن
خفَّ فإن القليل يجرُّ إلى الكثير ، و من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

العاشر ينبغي أن يستصحب ستة أشياء ، قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرأة ، والمكحلة ، والمدري ، والسواك ، والمشط (٧).

(١) الفقيه ص ٣٣٠ باب ما يجب من العدل على الجمل .

(٢) إلى (٤) المصدر ص ٢٢٩ باب ما جاء في الابل .

(٥) و (٦) المصدر ص ٣٠٣ باب النخيل من كتاب السفر .

(٧) أخرجه الطبراني في الاوسط و البيهقي في السنن و الخرائطي في مكارم
الاخلاق و اللفظ له و طرقة كلها ضعيفة كما في المعنى و رواه العقيلي في الضعفاء كما
في الجامع الصغير باب الشمائل .

و قالت أم سعداً نصارية : كان عليه السلام لا يفارقه في السفر المرأة والمكحلة (١) .
وعنه عليه السلام « عليكم بالإئتمد عند مضجعكم فإنه مما يزيد في البصر وينبت
الشعر » (٢) .

وروي أنه « كان عليه السلام يكتحل ثلاثاً ثلاثاً » وفي رواية « أنه اكتحل لليمنى
ثلاثاً ولليسرى ثنتين » (٣) .

و كان بعض المتوكلين لا يفارقه أربعة أشياء في السفر والحضر : الركوة ،
والحبل ، والأبرة بخيوطها ، والمقراض ، وكان يقول : هذه ليست من الدنيا .

أقول في الفقيه روى سليمان بن داود المنقري عن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله
عليه السلام قال : في وصية لقمان لابنه يا بني سافر بسيفك و خُفك و عمامتك و حبالك
و سقائك و خيوطك و مخزرك ، و تزود معك من الأدوية ما تنتفع به أنت و من معك
و كن لأصحابك موافقاً إلا في معصية الله عز وجل ، و زاد فيه بعضهم و فرسك (٤) .
و فيه قال أمير المؤمنين عليه السلام : « قال رسول الله عليه السلام : من خرج في سفر ومعه
عصا لوزم و تلا هذه الآية : « ولما توجهت تلقاء مدين - إلى قوله - : والله على ما نقول وكيل »
آمنه الله عز وجل من كل سبع ضاري ، و من كل لص عادي ، و من كل ذات حمة
حتى يرجع إلى أهله و منزله ، و كان معه سبعة و سبعون من المعقبات يستغفرون
له حتى يرجع و يضعها » (٥) .

و قال : « قال عليه السلام : حمل العصا ينقي الفقر ، ولا يجاوره شيطان » (٦) .
و قال عليه السلام : « من أراد أن تطوى له الأرض فليتخذ النقد من العصا - والنقد
عصا لوزم - » (٧) .

(١) أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق باسناد ضعيف كما في المغنى .
(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٤٩٥ و ٣٤٩٦ بدون ذكر المضجع من حديث جابر
و رواه الخرائطي في المكارم من حديث صحيح بسند ضعيف كما في المغنى .

(٣) تقدم في المجلد الاول من ٣٣١ .

(٤) المصدر من ٢٢٧ باب حمل الآلات والسلاح في السفر .

(٥) الى (٧) المصدر من ٢٢٣ باب حمل العصا في السفر .

وقال عليه السلام : « تعصوا فانها من سنن اخواني النبيين ، و كانت بنو اسرائيل الصغار والكبار يمشون على العصا حتى لا يختالوا في مشيهم » (١) .

وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : « أناضنا من لمن خرج يريد سفراً معتمداً تحت حنكه ثلاثاً أن لا يصيبه السرقة والغرق والحرق » (٢) .

وفي ثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام قال : « ضمنت لمن يخرج من بيته معتمداً أن يرجع إليه سالماً » (٣) .

و عنه عليه السلام من خرج في سفر فلم يند العمامة تحت حنكه فأصابه ألم لادواء له فلا يلو من إلا نفسه » (٤) .

الحادي عشر وهو الذي أضفناه ما رواه في الفقيه عن سليمان بن داود المنقري عن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال لقمان لابنه إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك و أمورهم ، و أكثر التمس في وجوههم ، و كن كريماً على زادك بينهم ، إذا دعوك فأجبهم ، و إن استعانوا بك فأعزمهم ، و استعمل طول الصمت و كثرة الصلاة ، و سخاء النفس بما معك من دابة أو ماء أو زاد ، و إذا استشهدوك على الحق فأشهد لهم و أجهد رأيك لهم إذا استشاروك ، ثم لاتعزم حتى تثبت و تنظر ، و لا تجب في مشورة حتى تقوم فيها و تقعد و تنام و تأكل و تصلي و أنت مستعمل فكرتك و حكمتك في مشورتك فإن من لم يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه الله رأيه و نزع عنه الأمانة ، و إذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم و إذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم ، و إذا تصدقوا و أعطوا قرصاً فأعط معهم ، و اسمع لمن هو أكبر منك سناً ، و إذا أمروك بأمر و سألوك شيئاً فقل : نعم ، و لا تقل : لا فإن لا عي و لؤم ، و إذا تحيرتم في الطريق فانزلوا ، و إذا شككنم في القصد فقفوا و تؤامروا (٥) ، و إذا رأيت شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم و لاتسترشدوه فإن الشخص الواحد في

(١) الفقيه ص ٢٢٣ باب حمل العصا في السفر .

(٢) مكارم الاخلاق ص ٢٨١ .

(٣) و (٤) المصدر ص ٢٨٠ .

(٥) المؤامرة : المشاورة .

الفلاة مريبٌ لعله يكون عين اللصوص أو يكون هو الشيطان الذي حيركم ، واحذروا
الشخصين أيضاً إلا أن تروا ما لأرى فإن العاقل إذا أبصر بعينه شيئاً عرف الحق
منه ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، يا بني إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء
صلها واسترح منها فإنها دين ، وصل في جماعة ولو على رأس زج^(١) ، ولا تنامن
على دابتك فإن ذلك سريع في دبرها^(٢) وليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن
تكون في محمل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل ، وإذا قربت إلى المنزل فانزل
عن دابتك وابدأ بعلفها قبل تفسك فإنها تفسك ، وإذا أردتم النزول فعليكم من
بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألونها تربة وأكثرها عشياً ، فإذا نزلت فصل ركعتين
قبل أن تجلس ، وإذا أردت قضاء حاجتك فابعدا المذهب في الأرض ، وإذا ارتحلت
فصل ركعتين ، ثم ودّع الأرض التي حللت بها وسلم عليها وعلى أهلها ، فإن
لكل بقعة أهلاً من الملائكة وإن استطعت أن لاتأكل طعاماً حتى تبدأ فتصدق منه
فافعل ، وعليك بقراءة كتاب الله عز وجل مادمت راكباً ، وعليك بالتسبيح مادمت
عاملاً عملاً ، وعليك بالدعاء مادمت خالياً ، وإيتاك والسير من أول الليل وسر في آخره
وإيتاك ورفع الصوت في مسيرك^(٣) .

قال أبو حامد : « الثاني عشر في آداب الرجوع من السفر » كان عنه إذا
قفل من حج أو غزو أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول:
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل
شيء قدير ، آتبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر

(١) الزج - بالضم - : فصل السهم و الحديدة التي في أسفل الرمح و يقابله السنان
و قد يستعمل في الرمح تسمية الكل باسم الجزء .

(٢) دبر البعير - من باب علم - : أصابته الدبرة وهي بالتحريك : قرحة تحدث من
الرحل ونحوه .

(٣) الفقيه ص ٢٣٦ باب آداب المسافر .

عبده ، وهزم الأحماب وحده « (١) .

أقول : وفي المكارم عن النبي ﷺ أنه قال لما رجع من خيبر : « آئبون تائبون إن شاء الله عابدون راكعون ساجدون لربنا حامدون ، اللهم لك الحمد على حفظك إيتاي في سفري وحضري ، اللهم اجعل أوبتي هذه مباركة ميمونة مقرونة بتوبة نصوح توجب لي بها السعادة يا أرحم الراحمين » (٢) .

قال أبو حامد : « وإذا أشرف على مدينته فليقل : « اللهم اجعل لنا بها قراراً و رزقاً حسناً ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدمه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي أن يطرقهم ليلاً فقد ورد النبي عنه .

و كان ﷺ إذا قدم دخل المسجد أولاً و صلى ركعتين (٣) ثم دخل البيت وإذا دخل قال : « توباً توباً لربنا أوباً لا يغادر علينا حوباً » (٤) .

و ينبغي أن يحمل لأهله ولأقاربه تحفة من مطعم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة ، وقد روي أنه « إن لم يجد شيئاً فليضع في مخلاته حجراً » (٥) .

و كأن هذا مبالغة في الاستحاث على هذه المكربة لأن العين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به فينأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلب في السفر إلى ذكرهم بما يستصحبه في الطريق لهم » .

أقول : روى في الفقيه عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : « نهي رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً إذا جاء من الغيبة حتى يؤذنهم » (٦) .

(١) أخرجه البخاري ج ٣ ص ٨ من حديث ابن عمر . وابن السنن في عمل اليوم والليلة

ص ١٤٢ .

(٢) المصدر ص ٢٩٨ باب الدعاء عند الرجوع من السفر .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن ج ٥ ص ٢٦١ عن كعب بن مالك وقال : رواه البخاري

في الصحيح عن أبي عاصم و مسلم عن أبي موسى عن أبي عاصم .

(٤) أخرجه ابن السنن في عمل اليوم والليلة ص ١٤٢ .

(٥) أخرجه الدارقطني من حديث عائشة بسند ضعيف كما في المعنى .

(٦) المصدر ص ٢٣٢ باب النوادر .

وقال عليه السلام: « السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم سفره فليسرع الإياب إلى أهله » (١).

وقال الصادق عليه السلام: « سير المنازل ينفد الزاد ويسبي، الأخلاق ويخلق الثياب والسير ثمانية عشر » (٢).

وعنه عليه السلام قال: « ليس من المرؤة أن يحدث الرجل بما يلقي في السفر من خير أو شر » (٣).

وفي الكافي عنه عليه السلام قال: « التوصل بين الإخوان في الحضر التزاور وفي السفر التكاثر » (٤).

وعنه عليه السلام قال: « رد جواب الكتاب واجب كوجوب رد السلام ، والبادي بالسلام أولى بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم » (٥).



قال أبو حامد: « فهذه جملة من الآداب الظاهرة فأما الآداب الباطنة فقد مر في الباب الأول بيان لجملة منها وجملة أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ، ومهما وجد قلبه متغيراً إلى نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي أن يجاوز همته منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه و ينوي في دخول كل بلد أن يرى شيوخها و يجتهد أن يستفيد من كل واحد أدباً أو حكمة لينتفع بها ، لا ليحكي ذلك و يظهر أنه لقي المشايخ ، ولا يقيم ببلد أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ، ولا يجالس في مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين ، وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حد الضيافة إلا إذا شق على أخيه مفارقتها ، وإذا قصد

(١) و (٢) الفقيه ص ٢٣٢ باب النوادر .

(٣) المصدر ص ٢٢٤ باب ما يجب على المسافر في الطريق .

(٤) و (٥) المصدر ج ٢ ص ٦٧٠ .

زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم و ليلة ولا يشتغل بالعشرة فإن ذلك يقطع بركة سفره و كلما يدخل بلدًا فلا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله ، فإن كان في منزله فلا يندق عليه بابه ولا يستأذن إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم بأدب ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سألته أجاب بقدر السؤال ، ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن أولًا ، وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسхийائها ولا أصدقائه فيها ، و ليدكر مشايخها و فقراها ، ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين ، بل يتفقد في كل قرية أو بلدة ، ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة و مع من يقدر على إزالتها ، و يلزم في الطريق الذكركر و قراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره ، وإذا كلمه إنسان فليترك الذكرو ليجبه مادام يحدثه ثم ليرجع ، فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالاقامة فليخالفها فإن البركة مع مخالفة النفس ، و إذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي أن يسافر تبرمًا بالخدمة فذلك كفران نعمة ، و مهما وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر فليعلم أن سفره معلول و ليرجع إذ لو كان بحق لظهر أثره .

قال رجل لأبي عثمان المغربي : خرج فلان مسافرًا فقال : السفر غربقة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه . وأشار به إلى من ليس له في السفر زيادة دين ، وإلا فعز الدين لا ينال إلا بذل الغربة ، فليكن سفر المرید من وطنه هوامراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فإن من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة إما عاجلاً و إما آجلاً .

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ في ما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر و أدلة القبلة والاقوات ﴾

إعلم أن المسافر يحتاج في أول سفره إلى أن يتزود لدنياه ولا آخرته ، أما زاد الدنيا فاطعام و الشراب و ما يحتاج إليه من النققة ، فإن خرج متوكلاً من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قرى متواصلة و إن ركب البادية

وحده أو تبع قوماً لاطعام لهم ولا شراب فإن كان ممن يصبر على الجوع أسبوعاً وعشرة أيام مثلاً و يقدر على أن يجتزي بالحشيش فله ذلك، وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فإنه ألقى نفسه بيده إلى التهلكة ، ولهذا سرُّ سيأتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالكلفة ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزح الماء من البئر ولو جب أن يصبر حتى يسخر الله تعالى ملكاً أو شخصاً آخر حتى يصب الماء في فيه ، فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول إلى المشروب فحمل عين المشروب والمطعموم حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه ، و سيأتي حقيقة التوكل في موضعه فإنه ملتبس إلا على المحققين من علماء الدين .

وأما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بدُّ و أن يتزوّد منه إذ السفر تارة يخفف عليه أموراً فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والنظر وتارة يشدّد عليه أموراً كان مستغنياً عنها في الحضر ، كالعلم بالقبلة و أوقات الصلوات فإنه في البلد مكفي بغيره من محاريب المساجد و أذان المؤذنين و في السفر قد يحتاج أن يتعرّف بنفسه فأذن ما يفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين : « .

أقول : الآن فلندع البدع التي ذكرها أبو حامد في هذا الباب من تجويز المسح على الخفين في السفر ، وجعله القصر والفطر فيه من الرخص دون العزائم ، و تخصيصه جواز الجمع بين الصلاتين بالسفر ، وكذا عدّه جواز التيمم عند تعذّر الماء من رخصه ، إلى غير ذلك من متفرّعات هذه الأحكام على مقتضى الآراء العامية الفاسدة ، فإن المسح على الخفين عند أهل البيت عليهم السلام بدعة شنعاء لا بدعة فوقها .
قال في الفقيه : قال الصادق عليه السلام : « ثلاثة لأتقى فيهنّ أحداً : شرب المسكر ، والمسح على الخفين ، ومتعة الحج » (١) .

(١) المصدر ص ١٢ تحت رقم ١١ .

وروت عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : « أشد الناس حسرة يوم القيامة من رأى وضوءه على جلد غيره » (١).

وروي عنها أنها قالت : لأن أمسح على ظهر عير بالفلاة أحب إليّ من أن أمسح على خفي (٢).

ولم يُعرف للنبي ﷺ خوفٌ إلا خوفٌ أهده له النجاشي و كان موضع ظهر القدمين منه مشقوقاً ، فمسح النبي ﷺ على رجله وعليه خفاء فقال الناس : إنه مسح على خفيه ، وعلى أن الحديث في ذلك غير صحيح الا سناد (٣).

وقال: روى زرارة و محمد بن مسلم «أنهما قالاً قلنا لأبي جعفر عليه السلام : ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي وكم هي ؟ فقال : إن الله عز وجل يقول : وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة » (٤) فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر ، قالوا : قلنا : إنما قال الله تعالى : «فليس عليكم جناح» ولم يقل : افعلوا فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر ؟ فقال عليه السلام : أو ليس قد قال الله تعالى في الصفا والمروة : « فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » (٥) ألا ترون أن الطواف بهما واجب مفروض لأن الله عز وجل ذكره في كتابه وصنعه نبيه ﷺ وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبي ﷺ وذكره الله تعالى في كتابه ، قالوا : قلنا له : فمن صلى في السفر أربعاً أيعيد أم لا ؟ قال : إن كان قد قرأت عليه آية التقصير و فسرت له فصلّى أربعاً أعاد ، وإن لم يكن قرأت عليه و لم يعلمها فلا إعادة عليه ، و الصلوات كلها في السفر الفريضة ركعتان كل صلاة إلا المغرب فإنها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله ﷺ في السفر و الحضر ثلاث ركعات و قد سافر رسول الله ﷺ إلي ذي خشب وهي مسيرة يوم من المدينة يكون إليها بريدان أربعة و عشرون ميلاً ، فقصر

(١) إلى (٣) الفقيه ص ١٢ تحت رقم ١٠ و ١١ و ١٢ . والعير : العمار الاهلي

أو الوحشى .

(٥) البقرة : ١٥٨ .

(٤) النساء : ١٠١ .

وأفطر ، فصارت سنة ، و قد سمى رسول الله ﷺ قوماً صاموا حين أفطر : العصاة قال : فهم العصاة إلى يوم القيامة ، و إنما نعرف أبناءهم وأبناء أبنائهم إلى يومنا هذا ، (١) .

فلنذكر شرائط القصر والفطر في السفر و كيفية الصلاة على الراحلة وفي السفينة وماشياً على طريقة أهل البيت ﷺ و كيفية زيارة ضرائحهم المقدسة و آدابها ممن ليس منهم ﷺ بالمدينة المشرفة فان ذلك ذكرناه في كتاب أسرار الحج و لنذكر أيضاً أدلة القبلة و كيفية معرفتها من كلام أبي حامد أمّا أدلة الأوقات و معرفتها فقد ذكرناها في كتاب أسرار الصلاة فلاحاجة إلى إعادتها كما فعله أبو حامد و كذا بيان الجمع بين الصلاتين و كيفية التيمم و بيان جوازه عند تعذر الماء مع أنه لا خصوصية لهما بالسفر عندنا فهنا مطالب :

المطلب الأول في شرائط القصر والفطر ، إنما يجب التقصير والإفطار في السفر إذا اجتمعت ستة شرائط :

الأول أن يكون السفر ثمانية فراسخ ذهاباً فقط أو مع الإياب ، وقع الإياب في يومه أو لا ، ما لم ينقطع سفره بأحد القواطع الثلاثة التي نذكره ، و قد وقع في أحاديث أهل البيت ﷺ في هذا المقام اشتباه على أكثر أصحابنا ، فلم يفهموا مرادهم ﷺ من كلامهم كما ينبغي ، فتارة اشترطوا في أربعة فراسخ الرجوع ليومه ، و تارة قالوا بالتخير بين القصر والإتمام فيها ، والمعتمد ما ذكرناه كما ذهب إليه شيخنا المتقدم الحسن بن أبي عقيل العماني - رحمه الله - و قد أوضحناه في كتابنا المعتمد والحمد لله .

الثاني أن يكون المسافر قاصداً لهذه المسافة في ابتداء سفره و استمر قصده إلى انتهاء المسافة ، فلولم يقصدها ابتداءً و إن تمادى إليها السير أو قصدها ثم رجع عن قصده قبل بلوغها أتم و كذالو تردد عزمه في الذهاب والإياب ولو كان قد صلى قصرأ قبل الرجوع أو التردد فلا يعيد للخبر الصحيح .

(١) المصدر ص ١١٦ باب صلاة السفر .

الثالث أن لا يقطع سفره بنية إقامة عشرة أيام ، أو يمضي ثلاثين يوماً عليه متردداً في نيته في محل واحد ، أو بالوصول إلى وطنه ، أي منزله الذي يكون فيه ستة أشهر ، ولو نوى إقامة العشرة ثم بدا له رجوع إلى التقصير ما لم يصل صلاة فريضة^(١) وإلا يتم حتى يخرج وكذا لو دخل في الصلاة بنية التقصير فعن له الإقامة أتم .
الرابع أن لا يكون السفر عمله ، كالمكاري والبريد والملاح فإنهم يتصون في أسفارهم ، وفي بعض الأخبار الصحيحة أنهم إذا جدد بهم السير قصرُوا .
الخامس أن يكون سفره مباحاً فلو كان في معصية كأن يكون عاقباً لوالديه هارباً منهما ، أو آبقاً من مولاه ، أو هاربة من زوجها أو فاراً من الزحف ، أو هارباً من الغريم مع قدوته على الوفاء ، أو تاركاً للجمعة مع وجوبها عليه ، أو متوجهاً إلى قطع الطريق ، أو قتل إنسان ، أو طلب إدار حرام من سلطان جائر ، أو سعي للفساد بين المسلمين ، أو نحو ذلك فلا يجوز له التقصير .

وروى عبيد بن زرارة عن الصادق عليه السلام قال : « سألته عن الرجل يخرج إلى الصيد أيقصر أم يتم ؟ قال : يتم لأنه ليس بمسير حق »^(٢) .
و في رسالة عمران بن محمد القمي « إن خرج لقوته وقوت عياله فليفتقر وليقصر وإن خرج لطلب الفضول فلا ولا كرامة »^(٣) .

ولو قصد المعصية في أثناء السفر المباح أتم فلو عاد إلى الطاعة قصر .
السادس أن يتوارى عن جدران البلد أو يخفي عليه أذانه وقيل كلاهما معاً ، و في اعتبار ذلك في حالة العود من السفر خلاف ، و من وصل في سفره إلى مكة أو المدينة أو جامع الكوفة أو حائر الحسين عليه السلام تخير بين القصر والإتمام ، والإتمام أفضل وإن لم يعزم على إقامة عشرة ، وقال الصدوق - رحمه الله -^(٤) يقصر ما لم ينو المقام عشرة والأفضل أن ينوي المقام ليوقع صلواته تماماً .

المطلب الثاني في الصلاة على الراحلة وماشياً وفي السفينة إنما تجوز الصلاة

(١) بنى تماماً .

(٢) و (٣) التهذيب ج ١ ص ٣١٦ ، والكافي ج ٣ ص ٤٣٨ ، و الفقيه ص ١٢٠ .

(٤) الفقيه ص ١١٨ تحت رقم ٢٠ .

على الرحلة وماشياً مع الاختيار في النافلة و أما في الفريضة فلا إلام مع الضرورة الشديدة ، وربما يخص في النافلة أيضاً بالسفر والأصح الجواز في الحضر أيضاً إلا أنه خلاف الأولى ، يدل على ذلك كله الأخبار المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام .

ففي الصحيح عن الحلبي قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صلاة النافلة على البعير والدابة فقال : نعم حيث كان متوجّهاً ، وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » (١) .

و في الصحيح عن معاوية بن وهب عن الصادق عليه السلام قال : « سمعته يقول : كان أبي يدعو بالطهور في السفر وهو في محله فيؤتى بالتور فيه الماء فيتوضأ ثم يصلي الثماني والوتر في عمله فاذا نزل صلى الركعتين والصبح » (٢) .

و في الصحيح عن يعقوب بن شعيب عنه عليه السلام قال : « سألته عن الصلاة في السفر وأنا أمشي قال : أوم إيماءً ، واجعل السجود أخفض من الركوع » (٣) .

و في الصحيح عن عبد الرحمن بن أبي نجران عنه عليه السلام قال : « سألته عن الصلاة بالليل في السفر في المحمل ، قال : إذا كنت على غير القبلة فاستقبل القبلة ثم كبر وصل حيث ذهب بك بعيرك » (٤) .

و في الصحيح عن معاوية بن عمارة عنه عليه السلام قال : لا بأس بأن يصلي الرجل صلاة الليل في السفر وهو يمشي ، ولا بأس إن فاتته صلاة الليل أن يقضيها بالنهار وهو يمشي يتوجه إلى القبلة ثم يمشي ويقراً ، فاذا أراد أن يركع حول وجهه إلى القبلة وركع وسجد ثم مشى » (٥) .

و في الصحيح عن حماد بن عثمان عن الكاظم عليه السلام « في الرجل يصلي النافلة وهو على دابته في الأمصار قال : لا بأس » (٦) .

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٤٠ تحت رقم ٥ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٢٠ . والتور : اناه معروف تذكره العرب والجمع

أنوار . (الصباح)

(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٤٠ تحت رقم ٧ .

(٤) التهذيب ج ١ ص ٣٢٠ .

(٥) و (٦) التهذيب ج ١ ص ٣١٩ .

وفي الصحيح عن عبدالرحمن بن الحجاج عنه عليه السلام قال : « سألته عن صلاة النافلة في الحضر على ظهر الدابة إذا خرجت قريباً من أبيات الكوفة أو كنت مستعجلاً بالكوفة ، فقال : إن كنت مستعجلاً لا تقدر على النزول و تخوفت فوت ذلك إن تركته وأنت راكب فنع ، وإلا فإن صلواتك على الأرض أحب إلي » (١) .
 وفي الصحيح عن عبدالرحمن بن أبي عبدالله عن الصادق عليه السلام قال : « لا يصلي على الدابة الفريضة إلا مريض يستقبل القبلة ويجزئه فاتحة الكتاب و يضع وجهه في الفريضة على ما أمكنه من شيء ، و يومي في النافلة إيماء » (٢) .

وفي الصحيح عن جميل بن دراج عنه عليه السلام قال : سمعته يقول : « صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفريضة في المحمل يوم وحل و مطر » (٣) .

وفي الموثق عن عبدالله بن سنان عنه عليه السلام قال : « قلت له : أيصلي الرجل شيئاً من المفروض راكباً ؟ قال : لا إلا من ضرورة » (٤) .

وفي الصحيح عن زرارة عن الباقر عليه السلام قال : « الذي يخاف اللصوص والسبع يصلي صلاة المواقفة إيماءً على دابته ، و يجعل السجود أخفض من الرء كوع و لا يدور إلى القبلة و لكن أينما دارت دابته غير أنه يستقبل القبلة بأول تكبيرة حين يتوجه » (٥) .

والمواقفة المحاربة وزناً ومعنى مأخوذ من وقوف كل من الخصمين لحرب الآخر .
 و يجوز الصلاة في السفينة اختياراً فرضاً و نفلاً عند أكثر أصحابنا ، و قيل : لا يجوز إلا مع الاضطرار .

وفي الصحيح عن جميل بن دراج عن الصادق عليه السلام أنه قال له : « أكون في السفينة قريبة من الحد فأخرج وأصلي قال : صل فيها أما ترضى بصلاة

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٢٠ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٤٠ باب صلاة المضطر والاستبصار ج ١ ص ٢٤٣ .

(٣) التهذيب ج ١ ص ٣٢٠ . والوحل - بالتحريك - : الطين الرقيق .

(٤) التهذيب ج ١ ص ٣٠٤ . والاستبصار ج ١ ص ٢٤٣ .

(٥) الكافي ج ٣ ص ٤٥٩ و الفقيه ص ١٢٣ . و التهذيب ج ١ ص ٣٠٤ .

نوح عليه السلام ، (١) .

و في الصحيح عن معاوية بن عمار عنه عليه السلام قال : « سألته عن السفينة فقال : تستقبل القبلة بوجهك ثم تصلي ، كيف دارت ، تصلي قائماً فإن لم تستطع فجالساً يجمع الصلاة فيها إن أراد و يصلي على القير والقفر و يسجد عليه » (٢) .

و في الصحيح عن حماد بن عثمان عنه عليه السلام « أنه سئل عن الصلاة في السفينة فقال : يستقبل القبلة فإذا دارت فاستطاع أن يتوجه إلى القبلة فليفعل وإلا فليصل حيث توجهت به ، قال : فإن أمكنه القيام فليصل قائماً وإلا فليقعد ثم ليصل » (٣) .

المطلب الثالث في أدلة القبلة و معرفتها .

قال أبو حامد : « أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام أرضية كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار ، أو هوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها و صباها و دبورها ، أو سماوية وهي النجوم ، فأما الأرضية والهوائية فيختلف بالبلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على يمين المستقبل أو شماله أو ورائه أو قدأمه فليعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد و إقليم حكم آخر ، وأما السماوية فأدلتها تنقسم إلى نهائية و إلى ليلية ، أما النهارية فالشمس ولا بد أن يراعي قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أبين الحاجبين ؟ أو هي على العين اليمني ، أو اليسرى ، أو تميل إلى الجبين ميلاً أكثر من ذلك ، فإن الشمس لاتعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع ، فإذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذي سذكره عرف القبلة به ، وكذلك يراعي مواقع الشمس منه وقت العصر فإنه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة ، وهذا أيضاً لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه ،

(١) الفقيه ص ١٢١ تحت رقم ٢ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٣٦ ، و القفر - بضم القاف و سكون الفاء - شيء يشبه القير

و قيل : هو نوع منه .

(٣) التهذيب ج ١ ص ٣٣٧ ، والكافي ج ٣ ص ٤٤١ .

وأما القبلة وقت المغرب فإنها تدرك بموضع الغروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تغرب عن يمين المستقبل أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه و بالشفق أيضاً تعرف القبلة للعشاء الآخرة و بمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس لكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فإن المشارق والمغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك أيضاً و لكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به فعليه أن يراعي موضع القطب وهو الكوكب الذي يقال له : جُدي فإنه كوكب كالثابت لا يظهر حركته عن موضعه وذلك إما أن يكون على قفاه المستقبل أو على منكبه الأيمن من ظهره أو منكبه الأيسر ، في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فليعلم ذلك و ما عرفه في بلاده فليعول عليه في الطريق كله إلا إذا طال السفر فإن المسافة إذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب و موقع المشارق والمغارب إلا أن ينتهي في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل البصرة أو يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعول عليها .

أقول : فإن بان له أنه أخطأ فإن صلى إلى ما بين المشرق والمغرب في جهتها أجزأته وكذا إذا علم به بعد أن كان الوقت قد خرج و إلا فليعد كذا ورد عن أهل البيت عليهم السلام في أخبار مستفيضة^(١) والقبلة هي عين الكعبة حيث يمكن رؤيتها وإن احتجج إلى الاستدلال عليها لتعذر الرؤية فجهتها لقوله تعالى : « و حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره »^(٢) و معنى مقابلة العين أن يقف موقفاً لو أخرج خطاً مستقيماً من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاتصل به و حصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان و معنى مقابلة الجهة أن يتصل طرف الخط الخارج من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوي الزاويتان عن جانبي الخط هذا هو التحقيق فيه عند محققينا و عند

(١) راجع التهذيب ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) البقرة : ١٥٠ .

أبي حامد ولا حاجة إلى تطويل الكلام في هذا المقام كما فعله (١).

المطلب الرابع في آداب زيارة قبور أئمتنا عليهم السلام التي بعراق وخراسان وأما قبر أمير المؤمنين عليه السلام بالغري ففي الفقيه (٢) إذا أتيت الغري بظهر الكوفة فاغتسل وامش على سكون و وقار حتى تأتي أمير المؤمنين عليه السلام فتستقبله بوجهك و تقول : « السلام عليك يا ولي الله أنت أول مظلوم وأول من غضب حقه صبرت واحتسبت حتى أتاك اليقين وأشهد أنك لقيت الله وأنت شهيد ، عذب الله قاتلك بأنواع العذاب وجدد عليه العذاب ، جئتك عارفاً بحقك مستبصراً بشأنك ، معادياً لأعدائك و من ظلمك ، ألقى على ذلك ربي إن شاء الله ، إن لي ذنوباً كثيرة فاشفع لي عند ربك فإن لك عند الله تعالى مقاماً معلوماً وإن لك عند الله جاهاً و شفاعة و قد قال الله تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » .

وتقول عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً : « الحمد لله الذي أكرمني بمعرفته و معرفة رسوله و من فرض طاعته ، رحمة منه لي و تطوُّلاً منه علي ، و من عليّ بالإيمان ، الحمد لله الذي سيرني في بلاده ، و حملني على دوابه ، و طوى لي البعيد ، و دفع عني المكروه حتى أدخلني حرم أخي نبيّه وأزانيه في عافية ، الحمد لله الذي جعلني من زوار قبر وصي رسوله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده و رسوله جاء بالحق من عنده ، وأشهد أن علياً عبداً لله و أخو رسوله ، اللهم عبدك و زائر متقرب إليك بزيارة قبر أخي رسولك ، وعلى كل ما أتى حق لمن أتاه وزاره ، وأنت خير ما أتى وأكرم مزور ، فأسألك يا الله يا رحمن يا رحيم يا جواد يا أحد يا صمد يا -

(١) أما اليوم فمع وجود « بوصلة القبلة » التي ابتكرها الزعيم « حسين علي رزم آرا » لا نحتاج إلى أعمال هذه القواعد التقريبية والحق أنه - دام توفيقه - خفف كاهلنا عن معضلة تعيين القبلة باختراعه القيم الفخيم ، وقد استحسن عمله هذا جل العلماء المعظم من الفريقين و زعمائهما و قرضوه بمالا مزيد عليه فجزاه الله عنا وعن جميع المسلمين خير جزاء المحسنين ، وبوصلته اليوم معروفة مشهورة في جميع البلاد .

(٢) المصدر ص ٢٩٩ الباب ١٥٩ .

من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، أن تصلي علي محمد وأهل بيته وأن تجعل تحفتك إيتاي من زيارتي في موقفي هذا فكاك رقبتني من النار واجعلني ممن يسارع في الخيرات ويدعوك رغباً ورهباً واجعلني من الخاشعين ، اللهم أنت بشرتني علي لسان نبيك صلواتك عليه وآله فقلت : « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » وقلت : « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » اللهم وإني بك مؤمن و بجمع أنبيائك فلا تقفني بعد معرفتهم موقفاً تفضحني علي رؤوس الخلائق ، بل قفني معهم و توفني علي التصديق بهم فإنهم عبيدك و أنت خصصتهم بكرامتك و أمرتني باتباعهم .

ثم تدنو من القبر و تقول :

« السلام من الله علي محمد أمين الله و علي رسله و عزائم أمره ، و معدن الوحي و التنزيل ، الخاتم لما سبق و الفاتح لما استقبل و المهيمن علي ذلك كله و الشاهد علي خلقه و السراج المنير و السلام عليه و رحمة الله و بركاته ، اللهم صل علي محمد و أهل بيته المظلومين أفضل و أرفع و أشرف و أكمل ما صليت علي أحد من أنبيائك و رسلك و أصفياك ، اللهم صل علي علي أمير المؤمنين عبدك و خير خلقك بعد نبيك و أخي رسولك و وصي رسولك الذي انتجبتة من خلقك ، و الدليل علي من بعثته برسالاتك ، و ديان الدين بعدك و فصل قضائك بين خلقك ، و السلام عليه و رحمة الله و بركاته ، اللهم صل علي الأئمة من ولده القوامين بأمرك من بعده ، المطهرين الذين ارتضيتهم أنصاراً لدينك و حفظة لسرك و شهداء علي خلقك و أعلاماً لعبادك » و تصلي عليهم ما استطعت .

فاذا أردت أن تودعه فقل :

« السلام عليك و رحمة الله و بركاته ، أستودعك الله و أسترعيك و أقرأ عليك السلام آمناً بالله و بالرسول و بما جاءت به و دلت عليه فاكتبنا مع الشاهدين ، أشهد في مماتي علي ما شهدت عليه في حياتي ، و أشهد أنكم الأئمة واحداً بعد واحد و أشهد أن من قتلكم و حاربكم مشركون و من رد عليكم في أسفل درك من الجحيم أشهد أن من حاربكم لنا أعداء و نحن منهم براء ، و أنهم حزب الشيطان ، اللهم إني أسألك

بعد الصلاة و التسليم أن تصلي على محمد و آل محمد (وتسميهم ﷺ) ولا تجعله آخر العهد من زيارته فإن جعلته فاحشني مع هؤلاء الأئمة المسلمين ، اللهم وثبت قلوبنا بالطاعة و المناصحة و المحبة و حسن المؤازرة و التسليم .

وأما قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام بكر بلا

ففي الفقيه^(١) قال الصادق عليه السلام : « إذا أتيت أبا عبدالله الحسين عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات ثم البس ثياباً طاهرة ثم امش حافياً فانك في حرم من حرم الله عز وجل و رسول الله ﷺ و عليك بالتكبير و التهليل و التمجيد و التعظيم لله عز وجل كثيراً و الصلاة على محمد و أهل بيته صلوات الله عليهم حتى تصير إلى باب الحائر ، ثم تقول :

« السلام عليك يا حجة الله و ابن حجته ، السلام عليكم ياملائكة الله و زوار قبر ابن نبي الله ، ثم أخط عشر خطى ثم قف ، فكبر الله ثلاثين تكبيرة ثم امش إليه حتى تأتيه من قبل وجهه و استقبل وجهه بوجهك و اجعل القبلة بين كتفيك ثم قل : « السلام عليك يا حجة الله و ابن حجته ، السلام عليك يا ثار الله في الأرض و ابن ثاره ، السلام عليك يا وتر الله الموتور في السماوات و الأرض ، أشهد أن دمك سكن في الخلد و افسحرت له أظلة العرش ، و بكى له جميع الخلائق و بكت له السماوات السبع و الأرضون و ما فيهن و ما بينهن [وما تحتهن] و من ينقلب في الجنة و النار من خلق ربنا و ما نرى و ما لا نرى ، أشهد أنك حجة الله و ابن حجته و أشهد أنك ثار الله و ابن ثاره و أشهد أنك وتر الله الموتور في السماوات و الأرض ، و أشهد أنك بلغت عن الله و نصحت ، و وفيت و وافيت ، و جاهدت في سبيل ربك ، و مضيت للذي كنت عليه شهيداً و مستشهداً و شاهداً و مشهوداً ، أنا عبد الله و مولاك و في طاعتك و الوافد إليك ألتمس بذلك كمال المنزلة عند الله عز وجل و ثبات القدم في الهجرة إليك و السبيل الذي لا يختلج دونك من الدخول في كفالتك التي أمرت بها ، من أراد الله بدأ بكم ، من أراد الله بدأ بكم ، و بيّن الله الكذب ، و بكم يباعد الله الزمان الكلب ،

وصلّى الله على محمد وآل محمد وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته ، اللهم لا تشغلني في الدنيا عن شكر نعمتك ولا باكتافها فتلهيني عجائب بهجتها وتفتني زهرتها ، ولا باقلال يضر بعلمي ضره و يملأ صدري همه ، أعطني من ذلك غنى عن شرار خلقك و بلاغاً أنال به رضاك يا أرحم الراحمين .

فإذا أردت قبور الشهداء فقل : « السلام عليكم بما صبرتم فنعمة عقبى الدار .
وأما قبر أبي الحسن موسى بن جعفر وأبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام ببغداد ففي الفقيه^(١) : إذا وردت بغداد إن شاء الله فاغتسل وتنظف والبس ثوبيك الطاهرين و زر قبريهما وقل حين تصير إلى قبر موسى بن جعفر عليهما السلام : « السلام عليك يا ولي الله ، السلام عليك يا حجة الله ، السلام عليك يا نور الله في ظلمات الأرض أتيتك زائراً عارفاً بحقك ، معادياً لأعدائك موالياً لأولياك فاشفع لي عند ربك » .

ثم سل حاجتك ثم تسلّم على أبي جعفر عليهما السلام بهذه الأحرف والنداء .
و إذا أردت زيارته عليهما السلام فاغتسل و تنظف والبس ثوبيك الطاهرين و قل :
« اللهم صلّ على محمد بن علي الإمام التقيّ النقيّ الرضيّ المرتضى وحجّتك علي من فوق الأرض ومن تحت الثرى صلاة كثيرة نامية زاكية مباركة متواترة متواصلة مترادفة كأفضل ما صليت علي أحد من أولياك ، والسلام عليك يا ولي الله ، السلام عليك يا نور الله ، السلام عليك يا حجة الله ، السلام عليك يا إمام المؤمنين ووارث علم النبيين وسلالة الوصيين ، السلام عليك يا نور الله في ظلمات الأرض أتيتك زائراً عارفاً بحقك معادياً لأعدائك موالياً لأولياك فاشفع لي عند ربك » ثم سل حاجتك .

ثم صلّ في القبّة التي فيها محمد بن علي عليهما السلام أربع ركعات بتسليمتين عند رأسه ركعتين لزيارة موسى و ركعتين لزيارة محمد بن علي و لاتصلّ عند رأس موسى عليهما السلام فإنّه يقابل قبور قریش ولا يجوز اتّخاذها قبلة إن شاء الله .

وأما قبر أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بطوس فإذا أردت زيارته فاغتسل والبس أطهر ثيابك و امش حافياً و عليك السكينة والوقار ، بالتكبير والتهليل

والتمجيد وقصر خطاك و قل حين تدخل : « بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ﷺ »
 أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله و أن علياً ولياً
 الله وسرحتني تقف على قبره وتستقبل وجهه بوجهك واجعل القبلة بين كتفيك وقل :
 « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأنه سيد
 الأولين والآخرين ، وأنه سيد الأنبيا والمرسلين ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
 و نبيك و سيد خلقك أجمعين ، صلاة لا يقوى على إحصائها غيرك ، اللهم صل على
 أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عبدك وأخي رسولك » إلى آخر الأئمة المعصومين
 ﷺ وتسميهم بأسمائهم ثم تجلس عند رأسه ، و تقول : « السلام عليك يا ولي الله ،
 السلام عليك يا حجة الله ، السلام عليك يا نور الله في ظلمات الأرض ، السلام عليك يا عمود
 الدين ، السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله ، السلام عليك يا وارث نوح نجي الله ، السلام
 عليك يا وارث إبراهيم خليل الله ، السلام عليك يا وارث إسماعيل ذبيح الله ، السلام
 عليك يا وارث موسى كلیم الله ، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله ، السلام عليك
 يا وارث محمد رسول الله ، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ولي الله ، السلام عليك يا وارث
 فاطمة الزهراء ، السلام عليك يا وارث الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ،
 السلام عليك يا وارث علي بن الحسين سيد العابدين ، السلام عليك يا وارث محمد بن
 علي باقر علم الأولين والآخرين ، السلام عليك يا وارث جعفر بن محمد الصادق البار
 السلام عليك يا وارث موسى بن جعفر ، السلام عليك أيها الصديق الشهيد ، السلام
 عليك أيها الوصي البار التقي ، أشهد أنك قد أقمت الصلاة ، و آتيت الزكاة ،
 وأمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر ، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين ، السلام
 عليك يا أبا الحسن ورحمة الله وبركاته إنه حميدٌ مجيدٌ . »

ثم تنكب على القبر وتقول :

« اللهم إليك صمدت من أرضي و قطعت البلاد رجاء رحمتك فلا تخيبني ولا
 تردني بغير قضاء حاجتي ، وارحم تقلبي على قبر ابن أخي رسولك صلواتك عليه وآله ،
 بأبي أنت و أمي أتيتك زائراً عارفاً بحقك ، و افداً عائداً مما جنيت على نفسي

واحتطبت على ظهري ، فكن لي شافعاً إلى الله يوم فقري وفاقتي ، فلك عند الله مقام محمود ، وأنت عنده وحيه ، ثم ترفع يدك اليمنى وتبسط اليسرى على القبر و تقول : « اللهم إني أتقرب إليك بحبهم و ولايتهم أتولي آخرهم بما توليت به أولهم وأبرأ من كل وليجة دونهم ، اللهم العن الذين بدلوا نعمتك و اتهموا نبيك ، و جحدوا بآياتك ، و سخرُوا بآبائهم ، و حملوا الناس على أكتاف آل محمد ، اللهم إني أتقرب إليك باللجنة عليهم والبراءة منهم في الدنيا والآخرة يارحمن . »

ثم تحوّل عند رجله ، و قل : « صلى الله عليك يا أبا الحسن ، صلى الله على روحك وبدنك وصبرت وأنت الصادق المصدّق ، قتل الله من قتلك بالأيدي والألسن . » ثم ابتهل في اللعنة على قاتل أمير المؤمنين عليه السلام و على قتلة الحسن والحسين و على جميع قتلة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثم تحوّل عند رأسه من خلفه ، وصل ركعتين ، تقرأ في إحديهما الحمد ويس ، و في الأخرى الحمد والرحمن ، و تجتهد في الدعاء و النضرع و أكثر من الدعاء ، لنفسك ولوالديك ولجميع إخوانك ، وأقم عند رأسه ماشئت ولتكن صلاتك عند القبر .

فاذا أردت أن تودّعه فقل : « السلام عليك يا مولاي و ابن مولاي و رحمة الله وبركاته ، أنت لناجنة من العذاب وهذا أوان انصرافنا عنك ، غير راغب عنك ، ولا مستبدل بك ، ولا مؤثر عليك ، ولا زاهد في قربك ، و قد جدت بنفسي للحدثان ، وتركت الأهل والأوطان والأولاد ، فكن لي شافعاً يوم حاجتي و فقري وفاقتي يوم لا يغني عني حميمي ولا حبيبي ولا قريبي يوم لا يغني عني والدي ولا ولدي ، أسأل الله الذي قدّر رحيلي إليك أن ينقّس بك كربتي ، وأسأل الله الذي قدّر عليّ فراق مكانك أن لا يجعله آخر العهد من رجوعي ، وأسأل الله الذي أبكى عليك عيني أن يجعله لي سبباً و ذخراً وأسأل الله الذي أراني مكانك و هداني للتسليم عليك و زيارتي إياك أن يورديني حوضك و يرزقني مرافقتكم في الجنان » و تقول : « اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتي إياه فإن جعلته فاحشني معه ومع آبائه الماضين ، وإن أبقيتني ياربّ فارزقني

زيارته أبدأ ما أبيتني إنك على كل شيء قدير ، وتقول : « أستودعك الله وأسرعيك
و أقرأ عليك السلام ، آمنا بالله وبما دعوت إليه اللهم فاكتبنا مع الشاهدين ، اللهم
ارزقني حبهم ومودتهم أبدأ ما أبيتني ، السلام على ملائكة الله وزوار قبر ابن نبي الله
منِّي أبدأ ما بقيت ودائماً إذا فنيت ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .
فاذا خرجت من القبة فلا تول وجهك عنه حتى تغيب عن بصرك .

وأما قبر أبي الحسن علي بن محمد وأبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام بسر من رأى
ففي الفقيه ^(١) إذا أردت زيارة قبريهما عليهما السلام فاغتسل وتنظف والبس ثوبك الطاهرين
فان وصلت إلى قبريهما وإلا أومات من عند الباب الذي على الشارع إن شاء الله وتقول :
السلام عليكما يا وليي الله ، السلام عليكما يا حجتني الله ، السلام عليكما يا نوري الله
في ظلمات الأرض أتيتكما عارفاً بحقكما ، معادياً لأعدائكما ، موالياً لأوليائكما ،
مؤمناً بما آمنتما به ، كافراً بما كفرتما به ، محققاً لما حققتما ، مُبطلاً لما أبطلتما ،
أسأل الله ربِّي وربكما أن يجعل حظي من زيارتي إياكما الصلاة على محمد وآل محمد
و أن يرزقني مرافقتكما في الجنان مع آبائكما الصالحين ، وأسأله أن يعنق رقبتني
من النار ، ويرزقني شفاعتكما ومصاحبتهما ولا يفرق بيني وبينكما ولا يسلبني
حبكما وحب آبائكما الصالحين ، وأن لا يجعله آخر العهد من زيارتكما وأن يجعل
محشري معكما في الجنة برحمته ، اللهم ارزقني حبهما وتوقني على ملتئمتما ، اللهم
العن ظالمي آل محمد حقهم وانتقم منهم ، اللهم العن الأولين منهم والآخريين ، وضاعف
عليهم العذاب الأليم ، وبلغ بهم وبأشباعهم ومحبيهم وشيعتهم أسفل درك من الجحيم
إنك على كل شيء قدير ، اللهم عجل فرج وليك و ابن وليك و اجعل فرجنا
مع فرجه يا أرحم الراحمين ، وتجتهد في الدعاء لتسك ولو اليك ، وصل عندهما لكل
زيارة ركعتين ركعتين ، وإن لم تصل إليهما دخلت بعض المساجد ، وصليت لكل إمام
لزيارته ركعتين وادع الله بما أحببت إن الله تعالى قريب مجيب .

هذا آخر كتاب آداب السفر من ربيع العادات من المحجة البيضاء ، و يتلوه

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحمد لله أولاً وآخراً .

﴿كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر﴾

وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات من المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده ، ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه ومجده ورفده .

و الصلاة على سيد الأنبياء محمد رسول الله وعبده ، وعلى آله الطيبين الطاهرين من بعده .

أما بعد فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذي بعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوي بساطه وأهمل عمله وعلمه تعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستسرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخرب البلاد ، وهلك العباد ، وإن لم يشعروا بالهلاك إلى يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا أن يكون . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحي بالكلية حقيقته ورسمه ، واستولت على القلوب مداهنة الخلق ، وانمحقت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بسيط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها ، مجدداً لهذه السنة الدائرة ، ناهضاً بأعبائها ، ومتشمرراً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بأحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبداً بقربة تتضاهل^(١) درجات القرب

(١) تضاهل أي تصاغر و تقاصر .

- دون ذروتها ، وها نحن نشرح علم ذلك في أربعة أبواب :
- الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وفضيلته .
- الباب الثاني في أركانه و شروطه .
- الباب الثالث في مجاريه و بيان المنكرات المألوفة في العادات .
- الباب الرابع في أمر الأمراء بالمعروف ونهيبهم عن المنكر .

﴿ الباب الأول ﴾

﴿ في وجوب الامر بالمعروف وفضيلته والنهي عن المنكر وفضيلته ﴾

و المذممة في إهماله . ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه و إشارات العقول السليمة إليه الآيات و الأخبار و الآثار .

اما الآيات فقولته تعالى : « و لتكن منكم امة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون »^(١) ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله : « و لتكن » أمر و ظاهر الأمر الإيجاب ، و فيها بيان أن الفلاح منوط به إذ حصر و قال : « و أولئك هم المفلحون » و فيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين فإنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم أمرين بالمعروف بل قال : « و لتكن منكم امة يدعون إلى الخير » فإن منهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين ، و اختص الفلاح بالقائمين به المباشرين له ، و إن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة .

و قال تعالى : « ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل و هم يسجدون » يؤمنون بالله و اليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون في الخيرات و أولئك من الصالحين »^(٢) فلم يشهد لهم بالصالح بمجرد الإيمان بالله و اليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف .

و قال تعالى : « و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف

(١) آل عمران : ١٠٤ .

(٢) آل عمران : ١١٣ و ١١٤ .

و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة» (١) فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الأمر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية .
و قال تعالى : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون » كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون» (٢) .

و هذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر .
و قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر» (٣) .

و هذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف إذ بين أنهم كانوا به خير أمة .
و قال تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به أنجبنا الذين ينهون عن السوء و أخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون» (٤) .
فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء و يدل ذلك على الوجوب أيضاً .
و قال تعالى : « والذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر» (٥) .

فقرن ذلك بالصلاة و الزكاة في نعت الصالحين و المؤمنين .
و قال تعالى : « تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان» (٦) و هو أمر جزم ، و معنى التعاون الحث عليه و تسهيل طرق الخير و سد سبل الشر و العدوان بحسب الإمكان .

و قال تعالى : « لولا ينهاهم الربانيون و الأجرار عن قولهم الإثم و أكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون» (٧) فبين أنهم أثموا بترك النهي .

(١) التوبة : ٧١ . (٢) المائدة : ٧٨ .

(٣) آل عمران : ١١٠ . (٤) الاعراف : ١٦٥ و البئس : الشديد .

(٥) الحج : ٤١ . (٦) المائدة : ٣ .

(٧) المائدة : ٦٦ .

وقال تعالى : « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض - الآية - » (١).

فبين أنه أهلك جميعهم إلا قليلاً منهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض .
وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » (٢) وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين .
وقال تعالى : « لا خير في كثير من نجويتهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » (٣).
وقال تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوها بينهما - الآية - » (٤).
والإصلاح نهى عن البغي وإعادة إلى الطاعة فإن لم يفعل فقد أمر الله بقتاله .
فقال تعالى : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيى، إلى أمر الله » (٥).
وذلك هو النهي عن المنكر .

وأما الأخبار : فعن النبي ﷺ قال : « ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعصمهم الله بعذاب من عنده » (٦) .
وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى :
« لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » (٧) فقال : « يا أبا ثعلبة : مر بالمعروف وانه عن المنكر ، وإذا رأيت شحاً مطاعاً وهو متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ، إن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل ما أنتم عليه أجر خمسين منكم ، قيل : بل منهم يا رسول الله ؟ قال : بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون عليه » (٨).

(١) هود : ١١٧ . (٢) النساء : ١٣٤ .

(٣) النساء : ١١٤ . (٤) الحجرات : ٩ . (٥) الحجرات : ٩ .

(٦) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٤٣٦ وابن ماجه وابن حبان بسند حسن كما في الجامع الصغير .

(٧) المائدة : ١٠٥ .

(٨) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٠١٤ كتاب الفتن ، وقوله : « مؤثرة » أي يختارها

كل أحد على الدين ويميل إليها لآله .

و سئل ابن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال : « إن هذا ليس زمانها إنما في اليوم مقبولة ، ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها ، تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا و كذا ، وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » (١) .

وقال رسول الله ﷺ : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » (٢) .

معناه يسقط مهابتهم عن أعين الأشرار فلا يهابونهم ولا يخافونهم .

وقال ﷺ : « يا أيها الناس إن الله تعالى يقول : يا أيها الناس لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » (٣) .

وقال ﷺ : « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي ، و ما جميع أعمال البر و الجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي » (٤) .

وقال ﷺ : « إن الله تعالى ليسأل العبد : ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره ، فإذا لقن الله العبد حجته قال : يا رب وثقت بك و فرقت من الناس » (٥) .

قال ﷺ : « إياكم والجلوس على الطرقات ، قالوا : مالنا بد منها إنما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر » (٦) .

(١) أخرجه عبد بن حميد وسعيد بن منصور عنه كما في الدر المنثور ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٢) رواه الطبراني في الاوسط والبزار عن أبي هريرة كما في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٦٦ .

(٣) رواه الاصبهاني في حديث عن ابن عمر كما في الترغيب ج ٣ ص ٢٣١ .

(٤) قال العراقي : رواه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس مقتصرأ على الشطر الاول من حديث جابر باسناد ضعيف واما الشطر الاخير فرواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلولا أدري من هو . أقول : في الكافي ج ٥ ص ٥٩ نحوه .

(٥) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٠١٧ من حديث أبي سعيد الخدري .

(٦) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٣ من حديث أبي سعيد الخدري .

و قال ﷺ : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر وذكر الله » (١).

و قال ﷺ : « إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يظهر المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه » (٢).

و روى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال : « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم ، و فسق شبابكم ، و تركتم جهادكم ؟ قالوا : و إن ذلك لكائن يا رسول الله ، قال : نعم ، والذي نفسي بيده و أشد منه سيكون ، قالوا : و ما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف و لم تنهوا عن منكر ؟ قالوا : و كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم و الذي نفسي بيده و أشد منه ، قالوا : و ما أشد منه ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً و المنكر معروفاً ؟ قالوا : و كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم و الذي نفسي بيده و أشد منه سيكون ؟ قالوا : و ما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : و كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم و الذي نفسي بيده و أشد منه سيكون ، يقول الله تعالى : بي حلفت لا تبحن لهم فتنة يصير الحلیم فيها حيران » (٣).

و عن عكرمة عن ابن عباس قال : « قال رسول الله ﷺ : لا تقفن عند رجل يقتل مظلوماً فإن اللعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعه » (٤).

و قال رسول الله ﷺ : « لا ينبغي لامر، شهد مقاماً فيه حق إلا تكلم به

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٣ . وأخرجه ابوداود وابن ماجه من حديث

ام حبيبة .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ١٩٢ من حديث عدى بن عميرة ولا يبي داود ج ٢

ص ٤٣٨ من حديث عدى بن عدى نحوه .

(٣) قال العراقي : أخرجه ابن أبي الدنيا باسناد ضعيف دون قوله : « كيف بكم

إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف » و رواه أبو يعلى من حديث ابي هريرة مقتصراً

على الاسئلة الثلاثة الاول وأجوبتها دون الاخيرتين واسناده ضعيف ويأتي من الكافي مثله .

(٤) أخرجه الطبراني والبيهقي باسناد حسن كافي الترغيب ج ٣ ص ٣٠٤ .

فإنه لم يُقدّم أجله ولن يحرمه رزقاً هو له « (١) ؛ وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة و الفسقة ، ولا حضور المشاهد التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فإنه قال : « اللعنة تنزل على من حضر » و لا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذاراً بأنه عاجز ، و لهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكر في الأسواق و الأعياد و المجمع و عجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة للخلق .

وقال ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله نبياً إلا وله حوارياً فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله ، يعمل فيهم بكتاب الله و بأمره حتى إذا قبض الله نبيته مكث الحواريون يعملون بكتاب الله و بأمره سنة نبيتهم ، فإذا انقضوا كان من بعدهم قومٌ يركبون رؤوس المنابر ، يقولون ما يعرفون ، و يعملون ما ينكرون ، فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع ذلك فبقلبه ليس وراء ذلك إسلام » (٢) .

وقال ابن مسعود : كان أهل قرية يعملون بالمعاصي و كان فيهم أربعة نفر ينكرون ما يعملون ، فقام أحدهم فقال : إنكم تعملون كذا و كذا فجعل ينهائهم و يخبرهم بقبيح ما يصنعون ، فجعلوا يردون عليه ولا يراعون عن أعمالهم ، فسبهم فسبوه و قاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال : اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني و قاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ، ثم قام الآخر فنهائهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال : اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ، ثم قام الثالث فنهائهم فلم يطيعوه فاعتزل عنهم ، ثم قال : اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ، و لو سببتهم لسبوني و لو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب ، ثم قام الرابع وقال : اللهم إني لو نهيتهم لعصوني و لو سببتهم لسبوني و لو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب ، قال ابن مسعود : كان الرابع أدناهم منزلة و قليل فيكم مثله .

(١) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله (المغنى) .

(٢) أخرج مسلم ج ١ ص ٥١ نحوه .

و قال ابن عباس : « قيل : يا رسول الله أيهلك القرية و فيها الصالحون ؟ قال : نعم ، قيل : بم يا رسول الله ؟ قال : بشهادتهم و سكوتهم عن معاصي الله عز و جل »^(١).

﴿ فصل ﴾

أقول : و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال : « يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون يتقرؤون ويتنسكون^(٢) ، حدثاء سفهاء ، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر ، و يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير ، يتتبعون زلات العلماء و فساد عملهم ، يقبلون على الصلاة و الصيام و ما لا يكلمهم^(٣) في نفس و لا مال و لو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم و أبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض و أشرفها ، إن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض هنالك يتم غضب الله تعالى عليهم فيعممهم بعقابه ، فيهلك الأبرار في دار الفجاءة ، و الصغار في دار الكبار ، إن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر سبيل الأنبياء و منهاج الصالحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض ، و تأمن المذاهب ، و تحل المكاسب ، و ترد المظالم ، و تعمر الأرض ، و ينتصف من الأعداء ، و يستقيم الأمر ، فأنكروا بقلوبكم ، و ألقوا بألسنتكم ، و صكوا بها جباههم و لا تخافوا في الله لومة لائم ، فإن اتعظوا و إلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم » إنما السبيل على الذين يظلمون الناس و يبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم^(٤) هنالك^(٥) فجاهدوا بأبدانكم و أبغضوهم بقلوبكم غير طالين سلطاناً و لا باغين مالاً و لا مرئيين بالظلم ظفرأ^(٦) حتى يفيئوا إلى أمر الله و يمضوا على طاعته . قال : و أوحى الله تعالى إلى شعيب النبي عليه السلام أني معذب من قومك مائة ألف ،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير و الأوسط و فيه يحيى بن يعلى الأسلمي و هو ضعيف

و كذلك رواه البزار كما في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٦٨ . (٢) أي يتعبدون و يتزهدون .

(٣) الكلم : الجرح أي ما لا يضرهم . (٤) الشورى : ٤٢ . و البني الظلم .

(٥) أي حين لم يتعظوا و لم يرجعوا إلى الحق .

(٦) أي غير متوسلين إلى الظفر عليهم بالظلم بل بالعدل .

أربعين ألفاً من شرارهم و ستين ألفاً من خيارهم فقال : يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ فأوحى الله تعالى إليه داهنوا أهل المعاصي ^(١) و لم يغضبوا بغضبي ^(٢) .
و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ما قدست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويتها بحقه غير متمتع » ^(٣) .

و عن أبي الحسن عليه السلام قال : « لتأمرن بالمعروف ولننهن عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » ^(٤) .
و عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام « ويل للقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر » ^(٥) .

و عن أبي جعفر عليه السلام قال : « بئس القوم قوماً يعيبون الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر » ^(٦) .

و عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه حمد الله و أشنى عليه و قال : « أما بعد فما نته إنما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي و لم ينههم الربانيون و الأخبار عن ذلك و إنهم لما تبادوا في المعاصي و لم ينههم الربانيون و الأخبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات ، فأمروا بالمعروف و أنهوا عن المنكر ، و اعلموا أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لن يقر بأجلاً ولن يقطعاً رزقاً ، إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان ، فإن أصاب أحدكم مصيبة في أهل أو مال أو نفس أو رأى عند أخيه جفوة ^(٧) في أهل أو مال أو نفس فلا تكونن عليه فتنة فإن المرء المسلم لبريء من الخيانة ما لم

(١) أي تركوا نصيحتهم و لم يتعرضوا لهم و لم يمنعوهم من قبائحهم .

(٢) و (٣) الكافي ج ٥ ص ٥٦ . و « متمتع » بفتح التاء أي من غير أن يصيبه أذى

يقلقه و يزعجه .

(٤) إلى (٦) الكافي ج ٥ ص ٥٦ و ٥٧ رقم ٣ و ٤ و ٥ .

(٧) كذا وفي المصدر « غفيرة في أهل أو مال » و الغفيرة من الغفير و هنا بمعنى الكثير

كقولهم جم غفير وهو الصواب .

يفش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت فيغري بها لثام الناس كان كالفالج الياسر^(١) الذي ينتظر أول فوزه من قداحه حتى توجب له المغنم و يدفع بها عنه المغرم وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله تعالى إحدى الحسنين إما داعي الله تعالى فماعد الله خير له ، وإما رزق الله فإذا هو ذو أهل و مال و معه دينه و حسبه ، إن المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام^(٢) .

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الله تعالى بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلبها على أهلها فلما انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله و يتضرع فقال أحد الملكين لصاحبه : أما ترى هذا الداعي ؟ فقال : قد رأيته ولكن أمضي لما أمر به ربي فقال : لا ، ولكن لأحدث شيئاً حتى أراجع ربي فعاد إلى الله تعالى فقال : يا رب إنني انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك و يتضرع إليك فقال : امض لما أمرتك به فإن ذا رجل لم يتمعر وجهه غيظاً لي قط^(٣) .

و عنه عليه السلام « إن رجلاً من خنعم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله أخبرني ما أفضل الإسلام ؟ قال : الإيمان بالله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم صلة الرحم ، قال : ثم ماذا ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال : فقال الرجل : فأبي الأعمال أبغض إلى الله ؟ قال : الشرك بالله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : قطيعة الرحم ، قال : ثم ماذا ، قال : الأمر بالمنكر ، و النهي عن المعروف^(٤) .

(١) في النهاية الفالج : الغالب في قماره ، والياسر : المتقامر وهو الذي تساهم قداح الميسر ، وقال المؤلف في الوافي « لاتكونن » يعني لاتكونن ما رأى في أخيه له فتنة تفضي به الى العسذلان من لم يواقع لدناءة و قبيح يستحي من ذكره بين الناس و هتك ستره به كاللاعب بالقداح المعظوظ منها ، و « الغشيان » الاتيان « فيغري بها » أي يولع بشهرها « كان كالياسر » خبر « ان » . « توجب له المغنم الخ » أي تجلب له نفعاً و يدفع عنه بها الضر .

(٢) الكافي ج ٥ ص ٥٧ تحت رقم ٦ .

(٣) الكافي ج ٥ ص ٥٨ رقم ٨ و التمر : التغيير يقال تمعلونه عند الغضب أي تغير .

(٤) المصدر ج ٥ ص ٥٨ تحت رقم ٩ .

و عنه عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرية » (١).

و عنه عليه السلام قال : « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما أعزّه الله ومن خذلهما خذله الله » (٢).

و عنه عليه السلام « أنه كان إذا مرّ بجماعة يختصمون لا يجوزهم حتى يقول ثلاثاً : اتقوا الله يرفع بها صوته » (٣).

و عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إذا امتني تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله » (٤).

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال النبي صلى الله عليه وآله : كيف بكم إذا فسدت نساؤكم ، و فسق شبابكم ، و لم تأمروا بمعروف ، و لم تنهوا عن المنكر ؟ فقيل له : ويكون ذلك يا رسول الله ؟ فقال : نعم و شرٌّ من ذلك ، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر و نهيتم عن المعروف ؟ فقيل : يا رسول الله و يكون ذلك ؟ قال : نعم و شرٌّ من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً و المنكر معروفاً » (٥).

و عن النبي صلى الله عليه وآله « أن الله ليبيغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له ، فقيل له : وما المؤمن الذي لا دين له ؟ قال : الذي لا ينهى عن المنكر » (٦).

و في التهذيب عن الصادق عليه السلام أنه قال لقوم من أصحابه : « قد حقّ لي أن أخذ البريء منكم بالسقيم و كيف لا يحقّ لي ذلك وأنتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح و لا تنكرون عليه و لا تهجرونه و لا تؤذونه حتى يتركه » (٧).

و عن أمير المؤمنين عليه السلام « من ترك إنكار المنكر بقلبه و يده و لسانه فهو ميت بين الأحياء - في كلام هذا ختامه - » (٨).

(١) الكافي ج ٥ ص ٥٨ و المكفهر: العبوس ، قال الجوهري : اكفهر الرجل اذا عبس .

(٢) الى (٦) المصدر ج ٥ ص ٥٩ و تواكلوا أى تقاعدوا و تواكل القوم أى اتكل

بعضهم على بعض و اريد بالوقاع : النازلة الشديدة أو العرب .

(٧) و (٨) المصدر ج ٢ ص ٥٦ .

و نسبه أبو حامد في الآثار إلى حذيفة وروى فيها^(١) عن علي عليه السلام أنه قال :
 أول ما تغلبون عليه من الجهاد بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلوبكم
 فإذا لم يعرف القلب المعروف و لم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله ،^(٢)
 [قال أبو حامد :]

﴿ الباب الثاني ﴾

﴿ في أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطه ﴾

أقول: لما كان كلام أبي حامد في هذا الباب مبنياً على أصولهم الفاسدة من
 الرأي و الاستحسان و القياس و الاستدلال بالمتشابهات مما يزيد الحيرة والالتباس ،
 و كان يناقض بعضه بعضاً طويلاً ذكره و أتينا فيه بمحصل ما وصل إلينا من أئمتنا
 المعصومين سلام الله عليهم ، ثم نذكر بعض ما ورد عنهم عليهم السلام مما يؤيده و يشيده
 إن شاء الله .

فقول - و بالله التوفيق - : الأمر بالواجب واجب و بالمندوب مندوب ،
 و النهي عن الحرام واجب ولكن هذا الوجوب و الاستحباب مختص بطائفة خاصة
 لا يعم آحاد الناس كما زعمه أبو حامد ، و إنما يثبت بشروط أربعة : أحدها العلم
 بكونه واجباً أو مستحباً أو حراماً أعني معروفاً أو منكراً ليأمن الغلط فلا يجب في
 المتشابه ؛ و الثاني تجويز التأثير فلو علم أو غلب على ظنه أنه لا يؤثر لم يجب و لم
 يستحب لعدم الفائدة ، و الثالث أن يكون المأمور و المنهي مصراً على الاستمرار
 فلو ظهر منه أمارة الإقلاع سقط للزوم العبث ؛ و الرابع أن لا يكون فيه مفسدة
 فلو ظن توجّه الضرر إليه أو إلى أحد من المسلمين سقط إذ لا ضرر ولا إضرار في
 الدين ، و لا يجوز التجسس كوضع الأذن و الأنف لإحساس الصوت و الريح
 و طلب إرثمة ما تحت الثوب و نحوه ؛ و إذا اجتمعت الشرائط و كان المطلع منقرداً

(١) أي في الآثار من هذا الكتاب في الأحياء .

(٢) نقله الامدي في الفرر كما في المستدرک ج ٢ ص ٣٦١ .

تعيّن عليه وإن كان معه غيره و شرع أحدهما في الأمر أو النهي فإن ظن الآخراّن لمشار كته أثراً في تعجيل ترتب الأثر و رسوخ الانزجار و جب عليه أيضاً وإلا فلا ، لأن الغرض وقوع المعروف و ارتفاع المنكر فمتى حصل بفعل واحد كان السعي من الآخر عبثاً ، وهذا معنى ما قيل : إن الوجوب كفاي وأما من قال : إنّه عيني فإنما أراد به الوجوب على من كان مستجمعاً للشرائط فما يصح للنزاع ليس إلا سقوطه عن المستجمعين لها بقيام بعضهم به قبل ترتب الأثر ليس إلا ، سئل مولانا الصادق عليه السلام عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أوجب على الأمة جميعاً ؟ فقال : لا ، فقيل : و لم ؟ قال : إنما هو على القوي المطاع ، العالم بالمعروف من المنكر ، لاعلى الضعفة الذين لا يهتدون سبيلاً إلى أيّ من أيّ - يقول من الحق إلى الباطل - ^(١) والدليل على ذلك كتاب الله تعالى قوله : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ^(٢) فهذا خاص غير عام كما قال تعالى : « و من قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون » ^(٣) و لم يقل على أمة موسى و لا على كلّ قومه وهم يومئذ أمة مختلفة والأمة واحدة فصاعداً كما قال الله تعالى : « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله » ^(٤) يقول : مطيعاً لله و ليس على من لم يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج إذا كان لاقوة له و لا عدد و لا طاعة » ^(٥) .

ثم سئل عليه السلام عن الحديث النبوي « أن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر . ما معناه ؟ قال : هذا على أن يأمره بعد معرفته وهو مع ذلك يقبل منه » ^(٥) . أشار عليه السلام إلى أن للوجوب شرائط و لا يجب على فاقدها ، و قد يضمن الحديث من شرائطها ثلاثة : و أهمل الإصرار و لعلّه لظهوره .

و في حديث آخر عنه عليه السلام « إنما يؤمر بالمعروف و ينهى عن المنكر مؤمن

(١) كانه كلام الرادي و معناه انهم يدعون الناس من الحق الى الباطل لعدم اهدانهم .

(٢) آل عمران : ١٠٤ . (٣) الاعراف : ١٥٩ .

(٤) النحل : ١٢١ و قوله : « قانتا » أى مطيعاً . في القاموس القنوت : الطاعة .

و كان عليه السلام أمة لكماله و استجماعه فضائل لا تكاد توجد الامتفرة في جماعة كثيرة .

(٥) و (٤) الكافي ج ٥ ص ٥٩ و ٦٠ و في المصدر « لاقوة له و لا عذر و لا طاعة » .

فیتعظ أو جاهل فیتعلم فأما صاحب سوط أو سيف فلا» (١).

وعنه عليه السلام « من تعرض لسلطان جائر فأصابته بليّة لم يوجر عليها ولم يرزق الصبر عليها » (٢).

وعنه عليه السلام قال : « لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه قيل له : وكيف يذل نفسه؟ قال : يتعرض لما لا يطيق » (٣).

وعنه عليه السلام قال : « إن الله عز وجل فوض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يذل نفسه العزيز ألم ير إلى قول الله تعالى ههنا « والله العزّة ولسوله وللمؤمنين » (٤) و المؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً » (٥).

ثم للإنكار مراتب أولها بالقلب وهو أن يبغضه على ارتكاب المعصية وهو مشروط بعلم الناهي وإصرار المنهي خاصة دون الشرطين الآخرين ، ثم بإظهار الكراهة ، فإن ارتدع اكتفى به وإلا أعرض عنه وهجره ، وإلا أنكره باللسان بالوعظ والرفق في الزجر مرتباً الأيسر فالأيسر ، ولولم ينزجر إلا باليد كالضرب وما شابهه فعل ، ولو افتقر إلى الجراح فالكف أولى ، والبحث عنه قليل الجدوى لأن الجامع للشرائط أدري لما يقتضيه الحال .

وفي الحديث « أدنى الإنكار أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة » (٦) .
وفي آخره « حسب المؤمن عزاً إذا رأى منكراً أن يعلم الله من قلبه إنكاره » (٧) .
وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه ومن غاب عن أمر رضىه كان كمن شهد » (٨) .

(١) و (٢) الكافي ج ٥ ص ٦٠ باب انكار المنكر بالقلب .

(٣) المصدر ج ٥ ص ٦٤ .

(٤) المناقون : ٨ . (٥) المصدر ج ٥ ص ٦٤ .

(٦) رواه الشيخ في التهذيب ج ٢ ص ٥٧ عن أمير المؤمنين عليه السلام .

(٧) الكافي ج ٥ ص ٦٠ باب انكار المنكر بالقلب .

(٨) الجعفریات باسناده عن جعفر بن محمد عن آباءه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عن

النبي عليهما السلام كما في المستدرک ج ٢ ص ٣٦١ . ورواه ابوداود ج ٢ ص ٤٣٨ .

و في هذه الأخبار كفاية عن تطويل أبي حامد في هذا الباب مع ابتناؤه على الأصول العامية وعدم جزمه بالحكم في الأكثر و اختلاف الحكم باختلاف الأزمان و الأحوال ، و تفاوت درجات المكروهات التي مال إليها بحسب الحسبة مما يجوز تحمّله و ما لا يجوز و ذلك في محل الاجتهاد و الانسان على نفسه بصيره .

وقد روى أبو حامد عن عمر أنه تسلق دار رجل^(١) فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت قد عصيت الله من وجه فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه ، فقال : ماهي ؟ فقال : قال الله تعالى : « ولا تجسسوا » وقد تجسست ، و قال : « وأتوا البيوت من أبوابها » و قد تسوّرت من السطح ، و قال الله تعالى : « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا و تسلموا على أهلها » و ما سلمت فتركه عمر و شرط عليه التوبة .

أقول : و صاحب الدار كان أولى بأن يشترط التوبة على عمر لكثرة معاصيه بالنسبة إليه ، بل كان أولى بالأمانة منه لأنه كان أعلم منه و أستر على معصيته منه و كان عمر إما جاهلاً أو مجترئاً هذا مع أن أبا حامد ربما يستند في فتواه إلى قول عمر أو فعله و كان يعتقد فيه أنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر و يروي عنه هذه الرواية .

و في مصباح الشريعة^(٢) عن الصادق عليه السلام أنه قال : « من لم يتسلخ عن هواجسه ولم يتخلص من آفات نفسه و شهواتها و لم يهزم الشيطان و لم يدخل في كتف الله و توحيده و أمان عصمته لا يصلح له الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة فكُلما أظهر أمراً كان حجة عليه و لا ينتفع الناس به قال الله عز وجل : « أتأمرون الناس بالبرّ و تندسون أنفسكم »^(٣) و يقال له : يا خائن أتطالب خلقي بما خنت به نفسك وأرخت عنه عنانك ، روي أن أبا ثعلبة الأسدي سأل

(١) تسلق - من باب التفعّل - الجدار : صعد عليه .

(٢) الباب الرابع والستين .

(٣) البقرة : ٤٢ .

رسول الله ﷺ عن هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » فقال ﷺ : « وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعلبك بنفسك ودع أمر العامة . وصاحب الأمر بالمعروف يحتاج إلى أن يكون عالماً بالحلال والحرام ، فارغاً من خاصة نفسه مما يأمرهم به وينهاهم عنه ، ناصحاً للخلق رحيماً لهم رفيقاً بهم ، داعياً لهم باللطف وحسن البيان ، عارفاً بتفاوت أحلامهم لينزل كلاماً منزلته ، بصيراً بمكر النفس ومكائد الشيطان ، صابراً على ما يلحقه لا يكافيهم بها ، ولا يشكو منهم ، ولا يستعمل الحمية ، ولا يغلظ لنفسه ، مجرداً نيته لله مستعيناً به و مبتغياً لوجهه ، فإن خالفوه وجفوه صبر ، وإن وافقوه وقبلوا منه شكر ، مفوضاً أمره إلى الله ناظراً إلى عيبه .»

وفي التهذيب في باب من يجب عليه الجهاد في حديث عبد الملك بن عمرو عنه رضي الله عنه (١) في كلام طويل ما يؤيد هذا وينفع في هذا المقام إن شاء الله تعالى .
وقال أبو حامد في درجات الحسبة : الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله وذلك فيمن يقدر على الأمر وهو عالم بكونه منكراً أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكراً كالذي يواطىء على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى ويورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك ، ويحكي له سيرة السلف وعادة المتقين ، وكل ذلك بشفقة و لطف من غير عنف و غضب ، بل نظر إليه نظر المترحم عليه و يرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفوس واحدة و ههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها فإنها مهلكة و هي أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم و ذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الإذلال و إظهار التمييز بشرف العلم و إذلال صاحبه بالنسبة إلى حسنة الجهل ، فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ، و مثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره

(١) راجع المجلد الثاني منه ص ٤٦ .

من النار باحراق نفسه و هو غاية الجهل و هذه مزلة عظيمة و غائلة هائلة و غرور للشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه و فتح بصيرته بنور هدايته ، فإن في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين :

أحدهما من جهة دالة العلم ، و الآخر من جهة دالة الاحتكام و السلطنة وذلك يرجع إلى الرِّيا ، و طلب الجاه و هو الشهوة الخفية المتداعية إلى الشرك الخفي و له محك و معيار ينبغي أن يمتحن به المحتسب نفسه و هو أن يكون امتناع ذلك الإنسان بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فإن كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه و هو يود أن يكفي بغيره فليحتسب فإن باعته هو الدّين و إن كان اتعاط ذلك العاصي بوعظه و انزجاره بزجره أحب إليه من اتعاطه بوعظ غيره فما هو إلا متبوع هوى نفسه و متوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبه فليتنق الله فيه وليحتسب أولاً على نفسه و عند هذا يقال له : قيل لعيسى عليه السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ غيرك و إلا فاستحي مني .

و قيل لداود الطائي : رأيت رجلاً دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف و نهاهم عن المنكر فقال : أخاف عليه السوط ، فقيل : إنه يقوى عليه قال : أخاف عليه السيف قيل : إنه يقوى عليه ، قال : أخاف عليه الداء الدفين العجب .
أقول : بل أخاف عليه نار جهنم لمخالفته لله سبحانه حيث قال جل و عز :
« ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » (١) و قد مرّ تمام الكلام فيه .

[قال :]

﴿الباب الثالث﴾

في المنكرات المألوفة في العادات نشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها و استقصائها .

(١) أقول : و قد ذكر أبو حامد في هذا الباب منكرات المساجد ثم منكرات

الأسواق ، ثم منكرات الشوارع ، ثم المنكرات العامة و أمّا نحن فلا حاجة بنا إلى ذكر المنكرات لأنّ عندنا أنّه لا يجوز الاحتساب من الجاهل بالمعروف عن المنكر و إنّما يجب على العارف القويّ المطاع الجامع للشرائط المعبّرة فيه ، و من كان هذه صفته لا حاجة له إلى تعريفنا إيّاه المنكر على أنّ كلّ ما ذكره فيه أبو حامد ليس مستنداً إلى أصل صحيح و إنّما كان يبتني بعضه على أصوله الفاسدة و آرائه الكاسدة فلنطو هذا الباب طياً ، قال :

﴿الباب الرابع﴾

﴿ في أمر الامراء و السلاطين بالمعروف و نهيمهم عن المنكر ﴾

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف و أنّ أوّل التعريف و ثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ، و رابعه المنع بالقهر و الحمل على الحقّ بالضرب و العقوبة و الجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرّمتبتان الأوليان وهما التعريف و الوعظ ، و أمّا المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعيّة مع السلطان فإنّ ذلك يحرك الفتنة و يهيج الشرّ و يكون ما يتولّد منه من المحذور أكثر ، و أمّا التخشين في القول كقولك : يا ظالم ، يا من لا يخاف الله ، و أمثاله و ما يجري مجراه فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدّى شرّها إلى غيره لم يجز و إن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فلقد كان من عادة السلف التعرّض للاخطار و التصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجّة و التعرّض لأنواع العذاب لعلمهم بأنّ ذلك الشهادة .

أقول : قد دريت من القرآن و أخبار أهل البيت عليهم السلام عدم جواز ذلك و نهيمهم عليهم السلام عن أن يذلّ المؤمن نفسه و أن يتعرّض لما لا يطيق ، و ما ذكره أبو حامد من الأخبار لم يثبت و ما ثبت منه فهو ما وُل كما مرّ .

قال : « فطريق وعظ السلاطين و أمرهم بالمعروف و نهيمهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف ، و قد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين من كتاب

الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات يعرف وجه الوعظ و كيفية الإنكار عليهم .
أقول: ما ذكره من الحكايات إنما هو في حسبة أهل الضلال على الجبابة طلباً لمزيد الجاه و القبول عند العامة لشهوة خفية كانت فيهم و رعونة كامنة في أنفسهم و منهم من ألقى نفسه في التهلكة و تعرض لنهي الله سبحانه و سخطه سفاهته و حماقة زعماء منه أنه ينال بذلك رتبة الشهادة ، مع علمه بأنه لا يؤثر و عظه و إنكاره في الارتداع بل يصير سبباً لهلاكه فلا فائدة في إيراد أمثال هذه الحكايات مع أن مثل هذه الحسبة يختلف حكمه باختلاف الأزمان و الأحوال و الأشخاص فلنقتصر منها على واحدة ليست عمن هو من أمثالهم و هي ما رواه عن ابن المهاجر قال : قدم أمير المؤمنين المنصور مكة و نزل في دار الندوة و كان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف و يصلي و لا يعلم به ، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة و جاء المؤذنون فسلموا عليه و أقيمت الصلاة فيخرج فيصلّي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف إذ سمع رجلاً عند الملتمزم و هو يقول : اللهم إنني أشكو إليك ظهور البغي و الفساد في الأرض و ما يحول بين الحق و أهله من الظلم و الطمع ، فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم رجع فجلس ناحية من المسجد فأرسل إليه فدعاه و أتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين فصلّي ركعتين و استلم الركن ، و أقبل مع الرسول فسلم عليه ، فقال له المنصور : ما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البغي و الفساد في الأرض و ما يحول بين الحق و أهله من الظلم و الطمع و غيره ، فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمر ضني و أقلقني فقال : يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأُمور من أصولها و إلا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل ، فقال له : أنت آمن على نفسك ، فقال : الذي دخله الطمع حتى حال بينه و بين الحق و إصلاح ما ظهر من البغي و الفساد في الأرض أنت ، قال : ويحك و كيف يدخلني الطمع و الصفراء و البيضاء في يدي و الحلو و الحامض في قبضتي ؟ قال : و هل دخل أحداً من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ؟ إن الله عز و جل استرعاك أُمور المسلمين و أموالهم فأغفلت أُمورهم

و اهتمت بجمع أموالهم ، و جعلت بينك و بينهم حجاباً من الجصّ و الآجر ، و أبواباً من الحديد ، و حجة معهم السلاح ، ثمّ سجنّت نفسك فيها منهم، أتعبت (١) عمالك جمع الأموال و حبايتها و اتخذت وزراء و أعواناً ظلمة إن نسيت لهم يدك و رك ، و إن أحسنت لم يعينوك ، و قويتهم على ظلم الناس بالأموال و الكراع و السلاح ، و أمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان و فلان نفر سميتهم ولم تأمر بما يصل المظلوم و لا الملهوف و لا الجائع و لا العاري و لا الضعيف و لا الفقير و لا أحد إلا وله في هذا المال حقّ ، فلمّا رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك و آثرتهم على رعيتك و أمرتهم أن لا يجربوا عنك تجبى الأموال و لا تقسمها فلمّا فعلت ذلك قالوا : هذا قد خان الله فمالنا لا نخونه قد سخرنا ، فآتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس إلا ما أرادوا و لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمراً إلا أقصوه حتى تسقط منزلته و يصغر قدره ، فلمّا انتشر ذلك عنك و عنهم أعظمهم الناس و هابوهم فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا و الأموال ليتقوا و به على ظلم رعيتك ، ثمّ فعل ذلك ذوو القدرة و الثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعيّة ، فامتلات بلاد الله بالطمع بغياً و فساداً ، و صار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانتك و أنت غافلٌ فإن جاء منتظّم حيل بينه و بين الدّخول ، و إن أراد رفع قصصته إليك عند ظهورك و حدك فقد نهيت عن ذلك و وقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم . فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك ، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته ، و إن كانت للمنتظّم به حرمة و إجابة لم يمكنه ما يريد خوفاً منهم فلا يزال المنتظّم يختلف إليه و يلوذ به ويشكو و يستغيث و هو يدفعه و يعتلّ عليه ، فإذا اجتهد و أخرج و ظهرت أنت صرخ بين يديك فيضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالاً لغيره و أنت تنظر فلا تنكر و لا تعير ، فما بقاء الا سلام و أهله على هذا ؟ و قد كانت بنو أمية و كانت العرب لا ينتهي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ، و لقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الا سلام فيبتدرونه مالك ؟ مالك ؟ فيرفعون ظلامته

(١) في الاحياء «وبعثت عمالك في جمع الاموال» .

إلى سلطانهم فينتصف له ، و قد كنتُ يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك
فقدعتها مرة و قد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له و زراؤه : مالك تبكي
لابكت عيناك ؟ قال : أما إنني لست أبكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم
بالباب يصرخ فلا أسمع صوته ثم قال : أما إن كان ذهب سمعي فلم يذهب بصري نودوا
في الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم ، فكان يركب في طرفي النهار هل يرى مظلوماً
فينصفه ، هذا يا أمير المؤمنين مشركٌ بالله قد غلبت رأفته بالمشركين و رقته على
شح نفسه في ملكه ، و أنت مؤمن بالله و ابن عم رسول الله ﷺ ، لا تغلبتك رأفتك
بالمسلمين على شح نفسك ، فإنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة إن قلت :
أجمعها لولدي فقد أراك الله عبراً في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه و ماله على
الأرض مال و ما من مال إلا و دونه يدشحيجة تحويه ، فما يزال الله تعالى يلفظ
لذلك الصبي و الطفل حتى يعظم رغبة الناس إليه و لست الذي تعطي بل الله يعطي
من يشاء ، و إن قلت : أجمع مالي لأشيد سلطاني فقد أراك الله عبراً فيمن كان قبلك
ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب و الفضة و ما أعدوا من الرجال و السلاح و الكراع
و ما ضرك و ولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة و الضعف حتى أراد الله بكم ما أراد ،
و إن قلت : أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها ، ما فوق ما أنت فيه
إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح^(١) يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟
قال : لا قال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله و ما أنت فيه من ملك الدنيا و هو تعالى
لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم و هو الذي
يرى منك ما عقد عليه قلبك و أضمرته جوارحك فما تقول إذا انتزع الملك الحق
المبين ملك الدنيا من يدك ، و دعاك إلى الحساب ؟ هل يغني عنك عنده شيء مما
كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا ؟ .

فبكي المنصور بكا شديداً حتى نحب و ارتفع صوته ثم قال : يا ليتني لم

(١) « ما فوق » « ما » نافية و « فوق » ظرف مكان أى لم يكن فوق ما أنت فيه

الا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح .

أُخْلِقَ وَلَمْ أَكْ شَيْئاً ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ احْتِيَالِي فِيمَا خَوَّلْتْ فِيهِ وَ لَمْ أُرْمَنْ النَّاسَ إِلَّا جَانِباً قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ بِالْأُئِمَّةِ الْأَعْلَامِ الْمُرْشِدِينَ ، قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالَ : الْعُلَمَاءُ ، قَالَ : قَدْ فَرُّوا مِنِّي ، قَالَ : هَرَبُوا مِنْكَ مَخَافَةَ أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَيَّ مَا ظَهَرَ مِنْ طَرِيقَتِكَ وَ مِنْ قَبْلِ عَمَّا لَكَ وَلَكِنْ افْتَحِ الْأَبْوَابَ ، وَ سَهِّلِ الْحِجَابَ ، وَ انْتَصِرْ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ وَ امْنَعِ الظَّالِمَ ، وَ خُذِ الشَّيْءَ مِمَّا حَلَّ وَ طَابَ وَ أَقْسِمُ بِالْعَدْلِ وَ الْحَقِّ وَ أَنَا ضَامِنٌ عَمَّنْ هَرَبَ عَنْكَ أَنْ يَأْتِيكَ فَيُعَاوَنَكَ عَلَى صَلَاحِ أَمْرِكَ وَ رِعْيَتِكَ فَقَالَ الْمَنْصُورُ : اللَّهُمَّ وَفَّقْنِي أَنْ أَعْمَلَ بِمَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ وَجَاءَ الْمُؤَدَّبُونَ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَخَرَجَ وَصَلَّى بِهِمْ ثُمَّ قَالَ لِلْحُرْسِيِّ : عَلَيْكَ بِالرَّجُلِ إِنْ لَمْ تَأْتِنِي بِهِ لِأَضْرِبَ رُءُوسَكَ وَ اغْتَاظَ عَلَيْهِ غِيظاً شَدِيداً إِنْ لَمْ يَوْجِدْ فَخَرَجِ الْحُرْسِيُّ يَطْلُبُ الرَّجُلَ فَبَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ فَإِذَا هُوَ بِالرَّجُلِ يَصَلِّي فِي بَعْضِ الشُّعَابِ فَقَعَدَ حَتَّى صَلَّى ثُمَّ قَالَ : يَا ذَا الرَّجُلِ أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : أَمَا تَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَانْطَلِقْ مَعِيَ [إِلَى الْأَمِيرِ] فَقَدْ آلَى^(١) أَنْ يَقْتُلَنِي إِنْ لَمْ آتِهِ بِكَ ، قَالَ : لَيْسَ لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ ، قَالَ : يَقْتُلَنِي قَالَ : وَلَا يَقْتُلُكَ ، قَالَ : فَكَيْفَ ؟ قَالَ : تُحَسِّنُ تَقْرَأُ ؟ قَالَ : لَا ، فَأَخْرَجَ مِنْ مَزودِ كَانِ مَعَهُ رِقَاقٌ فِيهِ مَكْتُوبٌ شَيْئاً فَقَالَ : خُذْ وَ اتْرِكْهُ فِي جَيْبِكَ فَإِنَّ فِيهِ دَعَاءَ الْفَرَجِ ، قَالَ : وَمَا دَعَاءُ الْفَرَجِ ؟ قَالَ : لَا يَرْزُقُهُ إِلَّا الشُّهَدَاءُ ، قُلْتُ : رَحِمَكَ اللَّهُ قَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيَّ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخْبِرَنِي مَا هَذَا الدُّعَاءُ ، وَمَا فَضْلُهُ ، قَالَ : مِنْ دَعَايِهِ مَسَاءً وَ صَبَاحاً هَدَمْتَ ذُنُوبَهُ ، وَ دَامَ سُرُورُهُ وَ مَحِيَتْ خَطَايَاهُ ، وَ اسْتَجِيبَ دَعَاؤُهُ ، وَ بَسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَ أُعْطِيَ أَمَلَهُ ، وَ أَعْيَنَ عَلَيْهِ عَدُوَّهُ ، وَ كَتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقاً ، وَ لَا يَمُوتُ إِلَّا شَهِيداً تَقُولُ :

« اللَّهُمَّ كَمَا لَطَفْتَ فِي عَظَمَتِكَ دُونَ اللَّطْفَاءِ ، وَ عَلَوْتَ بِعَظَمَتِكَ عَلَى الْعُظْمَاءِ ، وَ عَلِمْتَ مَا تَحْتَ أَرْضِكَ كَعِلْمِكَ بِمَا فَوْقَ عَرْشِكَ ، وَ كَانَتْ وَ سَاوَسُ الصَّدُورِ كَالْعَلَانِيَةِ عِنْدَكَ ، وَ عَلَانِيَةُ الْقَوْلِ كَالسِّرِّ فِي عِلْمِكَ ، وَ انْقَادُ كُلِّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِكَ ، وَ خَضَعُ كُلِّ ذِي سُلْطَانٍ لِسُلْطَانِكَ ، وَ صَارَ أَمْرُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ كُلُّهُ لَكَ وَ بِيَدِكَ ، إِجْعَلْ لِي مِنْ كُلِّ هَمٍّ أَمْسَيْتُ فِيهِ فَرَجاً وَ مَخْرَجاً ، اللَّهُمَّ إِنْ عَفَوْتَ عَن ذُنُوبِي وَ تَجَاوَزْتَ عَن خَطِيئَتِي

(١) أَي أَقْسَمَ وَ حَلَفَ .

وَسَتَرَكَ عَلِيَّ قَبِيحَ عَمَلِي أَطْمَعَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَا أَسْتَوْجِبُهُ بِمَا قَصَّرْتُ فِيهِ ، أَدْعُوكَ
 آمِنًا ، وَأَسْأَلَكَ مُسْتَأْنَسًا ، وَ إِنَّكَ الْمُحْسِنُ إِلَيَّ ، وَ إِنِّي الْمُسِيءُ إِلَى نَفْسِي فِيمَا بَيْنِي
 وَبَيْنَكَ ، تَتَوَدَّدُ إِلَيَّ وَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ [بِالْمَعَاهِي] ، لَكِنَّ الثِّقَّةَ بِكَ حَمَلْتَنِي عَلَى الْجُرْأَةِ
 عَلَيْكَ فَعَدَّ بِفَضْلِكَ وَ إِحْسَانِكَ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

قال : فأخذته فصيرته في جيبِي ثم لم يكن لي همٌ غير أمير المؤمنين فدخلت
 و سلمت عليه فرفع رأسه فنظر إليّ و تبسّم و قال : و يلك تحسن السحر؟ فقلت :
 لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمرِي مع الشيخ فقال : هات الرّق الذي
 أعطاك فأعطيته فنظر إليه ، ثم جعل يبكي و يقول : قد نجوت و أمر بنسخه و أعطاني
 عشرة آلاف درهم قال : أتعرفه؟ قلت : لا ، قال : يوشك أن يكون ذلك الخضر عليه السلام .

هذا آخر الكلام في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المحجة البيضاء
 في تهذيب الإحياء و يتلوه إن شاء الله كتاب أخلاق النبوة و الحمد لله أولاً و آخرأ .

﴿كتاب أخلاق النبوة وآداب المعيشة﴾

وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات من المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه ، و أدب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ، ثم اتخذه صفيته وحبيبه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ، وحرص^(١) على التخلق بأخلاقه من أراد تحببته .
 وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيراً .
 أما بعد فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن ، و حركات الجوارح ثمرات الخواطر ، و الأعمال نتيجة الأخلاق ، و الأداب رشح المعارف ، و سرائر القلوب هي مغارس الأفعال و منابغها ، و أنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزيئنها و تحليها ، و تبدل بالمحاسن مكارهها و مساويها ، و من لم يخشع قلبه لم يخشع جوارحه ، و من لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ، و لقد كنت عزمتم على أن أختتم ربيع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربيع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستقلت تكريرها وإعادتها ، فإن طلب الإعادة ثقيل والنفس مجبول على معاداة المعادات^(٢) ، فرأيت أن أقصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد ، فأسردها بمجموعة فصلاً فصلاً محذوفة الإسناد ليجتمع فيه مع جمع

(١) حرصه على الأمر : حنه .

(٢) المعادات جمع المعادة وهي اسم مفعول من الإعادة .

الآداب تجديد الايمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي تشهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى ، وأعلام رتبة ، وأجلهم قدراً ، فكيف مجموعها ؟ ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ، ثم ذكر معجزاته التي صحّت بها الأخبار ليكون ذلك معرباً عن مكارم الأخلاق والشيم ، ومنزغاً عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصم^(١) ، والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأحوال والأخلاق وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ، ومجيب دعوة المضطربين . ولنذكر فيه أولاً بيان تأديب الله إياه بالقرآن ، ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ، ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ، ثم بيان كلامه وضحكه ، ثم بيان آدابه وأخلاقه في الطعام ، ثم بيان آدابه وأخلاقه في اللباس ، ثم بيان عفوه مع القدرة ، ثم بيان إغضائه^(٢) عما كان يكرهه ، ثم بيان سخاوته وجوده ، ثم بيان شجاعته وبأسه ، ثم بيان تواضعه ، ثم بيان صورته وخلقته ، ثم بيان جوامع معجزاته وآياته عَلَيْهِ السَّلَامُ .

أقول : وأنا أزيد فضلاً آخر بعد ذكر بيان صورته وخلقته في بيان خلقه وخلقته وسيرته مع جلسائه برواية الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فيصير أربعة عشر فصلاً . قال : (٣)

﴿ بيان تأديب الله صفيه وحببيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن ﴾ . كان عَلَيْهِ السَّلَامُ كثير الضراعة والابتهال إلى الله تعالى ، دائم السؤال من الله تعالى أن يزيّنه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق فكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول في دعائه : « اللهم حسن خلقي وخلقني »^(٤) ويقول : « اللهم جنبني منكرات الأخلاق »^(٥) فاستجاب الله

(١) الصمام - كقطام - علم للدهية الشديدة ، والصم مصدر بمعنى فقدان حاسة

السمع .

(٢) أي اغضاه وعفوه .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٤٠٣ من حديث ابن مسعود ، ورواه ابن حبان

من حديثه أيضاً .

(٤) أخرجه الترمذي والحاكم ج ١ ص ٥٣٢ واللفظ له .

تعالى دعاه وفاء بقوله : « ادعوني استجب لكم » (١) فأنزل عليه القرآن و أدبه به فكان خلقه القرآن .

قال : سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألته عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : كان خلق رسول الله ﷺ القرآن (٢) .
وإنما أدبه الله تعالى بالقرآن بمثل قوله : «خذ العفو و أمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» (٣) .

و قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان - الآية - » (٤) .

و قوله تعالى : « و اصبر وماصبرك إلا بالله » (٥) .

و قوله : « و اصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » (٦) .

و قوله تعالى : « لمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » (٧) .

و قوله تعالى : « فاعف عنهم و اصفح إن الله يحب المحسنين » (٨) .

و قوله تعالى : « فليعفوا وليصْفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » (٩) .

و قوله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » (١٠) .

و بقوله تعالى : « و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس » (١١) .

و بقوله تعالى : « اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا

(١) المؤمن : ٦٠ .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الجزء الاول القسم الثاني ص ٨٩ و أخرجه ابن

ابى شيبة وعبد بن حميد ومسلم وابن المنذر و الحاكم وابن مردويه كفاية الدر المنثور

ج ٦ ص ٢٥٠ .

(٤) النحل : ٩٠ .

(٣) الاعراف : ١٩٨ .

(٦) لقمان : ١٧ .

(٥) النحل : ١٢٧ .

(٨) المائدة : ١٤ .

(٧) الشورى : ٤٣ .

(١٠) فصلت : ٣٤ .

(٩) النور : ٢٢ .

(١١) آل عمران . ١٣٤ .

ولا يغترب بعضكم بعضاً - الآية - « (١) .

ولما كسرت رباعيته يوم أحد فجعل الدّم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول : « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدّم وهو يدعوهم إلى ربهم » فأنزل الله تعالى : « ليس لك من الأمر شيء » (٢) تأديباً له على ذلك ، وأمثال هذا التأديب في القرآن لا تنحصر وهو المقصود الأوّل بالتأديب و التهذيب ، ثمّ منه يشرق النور على كافّة الخلق فإنّه أدب بالقرآن و أدب الخلق به و لذلك قال ﷺ : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٣) ثمّ رغّب الخلق في محاسن الأخلاق بما أوردناه في كتاب رياضة النفس و تهذيب الخلق فلا نعيده ، ثمّ لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال : « و إنك لعلى خلق عظيم » (٤) فسبحانه ما أعظم شأنه و أتمّ امتنانه ، انظر إلى عميم لطفه كيف أعطى ثمّ أثنى عليه فهو الذي زينّه بالخلق الكريم ، ثمّ أضاف إليه ذلك فقال : « و إنك لعلى خلق عظيم » بين لرسول الله ﷺ الخلق ، ثمّ إن رسول الله ﷺ بين للخلق « أن الله يحبّ مكارم الأخلاق و يبغض سفافها » (٥) .

و عن عليّ عليه السلام : يا عجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً و لا يخشى عقاباً لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنّها مما تدلّ على سبيل النجاة ، فقال له رجل : أسمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم : و ما هو خيرٌ منه ، لما أتى بسبايا طيّه وقعت جارية

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) آل عمران : ١٢٨ و الخبر رواه البخاري ج ٥ ص ١٢٧ و ابن أبي شيبة و أحمد و عبيد بن حنيد و مسلم و الترمذي و النسائي و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و النحاس في ناسخه و البيهقي في الدلائل عن أنس كما في الدر المنثور ج ٢ ص ٧٠ .

(٣) أخرجه البزاز في مسنده بسند جيد كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٥ .

(٤) القلم : ٤ .

(٥) أخرجه الحاكم ج ١ ص ٤٨ و الطبراني في الاوسط كما في مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٨٨ . وقال الجزري في النهاية : السفاف : الامر العقير و الردي ، من كل شيء ، وهو ضد المعالي و المكارم .

في السبي فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت لي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ، ويفك العاني ، ويشبع الجائع ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم طي ، فقال النبي ﷺ : يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، وإن الله يحب مكارم الأخلاق ، فقام أبو بردة بن دينار فقال : يارسول الله الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال : والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق ،^(١)

وعنه ﷺ : « إن الله تعالى حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال . و من ذلك حسن المعاشرة ، وكرم الصنعة ، و لين الجانب ، و بذل المعروف ، و إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، و عيادة المريض المسلم برّاً كان أو فاجراً ، و تشييع الجنازة للمسلم ، و حسن الجوار لمن جاورت مسلماً كان أو كافراً ، و توقير ذي الشيبة المسلم ، و إجابة الداعي لدعوة الطعام ، والدعاء إليه ، و العفو والإصلاح بين الناس ، و الجود والكرم والسماحة ، و الابتداء بالسلام ، و كظم الغيظ و العفو عن الناس ، و أذهب الإسلام اللّهو و الباطل و الغناء و المعازف كلها و كل ذي وتر و كل دخل و الكذب و الغيبة و البخل و الشح و الجفاء و المكر و الخديعة و النميمة و سوء ذات اليمين و قطيعة الأرحام و سوء الخلق و التكبر و الفخر و الاختيال و الاستطالة و المدح و الفحش و الحقد و الحسد و الطيرة و البغي و العدوان و الظلم .

قال أنس : فلم يدع رسول الله ﷺ نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها و لم يدع غشياً أو قال : عيباً ولا شيئاً إلا حذرناه ونهانا عنه ، و يكفي من ذلك كله هذه الآية : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى - الآية - »^(٢) .

وقال معاذ : أوصاني رسول الله ﷺ فقال : «يا معاذ أوصيك باتقاء الله ، وصدق الحديث ، و الوفاء بالعهد ، و أداء الأمانة ، و ترك الخيانة ، و حفظ الجار ، و رحمة اليتيم ، و لين الكلام ، و بذل السلام ، و حسن العمل ، و قصر الأمل ، و لزوم الإيمان

(١) ما عثرت على أصل له و كذا الخبر الا نفي .

و التفقة في القرآن ، و حب الآخرة ، والجزع من الحساب ، و خفض الجناح ،
و إيتاك أن تسب حكيماً ، أو تكذب صادقاً ، أو تطيع آثماً ، أو تعصي إماماً عادلاً
أو تفسد أرضاً ، وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر و شجر و مدد و أن تحدث لكل
ذنب توبة السرّ بالسرّ ، والعلانية بالعلانية» (١).

فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق و محاسن الآداب .

❖ (بيان جملة من محاسن اخلاقه) ❖

(التي جمعها بعض العلماء و الفقهاء و التقطها من الأخبار) .

فقال : كان رسول الله ﷺ أحلم الناس (٢) وأشجع الناس (٣) وأعدل الناس (٤)
و أغف الناس ، لم تمس قط يده يدا امرأة لا يملك رقبتها أو عصمة نكاحها أو لا تكون ذات
رحم محرّم منه (٥) وكان أسخى الناس (٦) لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد
من يعطيه و فجاء الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه (٧) لا يأخذ
مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير و يضع سائر ذلك
في سبيل الله (٨) لا يسأل منه أحد شيئاً إلا أعطاه (٩) ، ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر

(١) أخرجه ابونعيم في الحلية والبيهقي في الزهد . (المغنى)

(٢) أخرجه أبو الشيخ في كتاب اخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله . (المغنى)

(٣) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٧٢ من حديث أنس و للبخارى مثله .

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث حسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام

في حديث طويل في صفته صلى الله عليه وآله .

(٥) أخرجه الشيخان من حديث علي بن ابي طالب في حديث عائشة : مامست يد النبي

بدا امرأة الا امرأة يملكها .

(٦) أخرجه الطبراني في الاوسط . (المغنى)

(٧) أخرجه أبوداود ج ٢ ص ١٥٢ في حديث طويل من حديث بلال .

(٨) أخرجه البخارى بنحوه في كتاب النفقات من صحيحه ج ٢ ص ٨١ من حديث

عمر وأخرج مسلم أيضاً مثله .

(٩) أخرجه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد ، و البخارى من حديث انس

ج ٧ ص ٧٣ .

منه حتى أنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأت شي^(١) وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ، و يخدم في مهنة أهله^(٢) ويقطع اللحم معهن^(٣) أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد^(٤) ويحب دعوة الحر والعبد^(٥) و يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ، ويكافي عليها ، ولا يأكل الصدقة^(٦) ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين^(٧) يغضب لربه عز وجل ولا يغضب لنفسه^(٨) ، و ينفذ الحق^(٩) وإن عاد ذلك بالضرر عليه أو على أصحابه ، عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين و هو في قلعة و حاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال : «لأستنصر بمشرك»^(٩) و وجد من فضلاء أصحابه و خيارهم قتيلاً بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به^(١٠) وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع^(١١) و مرة يأكل ما حضر ، لا يسأل ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ، إن وجد تمرأ دون خبزأ كله ، و إن وجد شواء أكله ، و إن وجد خبزير أو شعيراً كله ، و إن وجد حلواء أو عسلاً أكله ، و إن وجد لبناً

(١) أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس .

(٢) أخرجه احمد في مسند عائشة والصدوق في الخصال ج ١ ص ١٣٠ و البخارى

ج ٧ ص ٨٥ و ج ٨ ص ١٢١ .

(٣) أخرجه الترمذى ج ٨ ص ٣١ و احمد من حديث عائشة .

(٤) أخرج البخارى ج ٦ ص ٢٢٥ و مسلم ج ٧ ص ٧٧ ما يدل على ذلك .

(٥) أخرجه الترمذى في الشمائل ص ٢٣ وابن ماجه والحاكم عن أنس .

(٦) أخرجه البخارى ج ٣ ص ١٩٢ و ١٩٥ .

(٧) أخرجه الحاكم وقد تقدم .

(٨) أخرجه الترمذى من حديث هناد بن ابى هالة هكذا و كان لا تفضبه الدنيا وما

كان منها فاذا تعدى الحق لم يقم لفضبه شيء حتى ينتصر له ولا يفضب لنفسه ولا ينتصر لها .

(٩) أخرجه مسلم ج ٥ ص ٢٠١ من حديث عائشة .

(١٠) أخرجه مسلم ج ٥ ص ٩٨ من حديث سهل بن ابى حشة .

(١١) أخرجه البخارى ج ٥ ص ١٣٨ فى قصة حفر الخندق ، و رواه الطبرانى

فى حديث طويل بسند جيد كما فى مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣١ .

دون خبز أكتفى به ، وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله (١) ، لا يأكل متكثاً ولا على
خوان ، منديله باطن قدميه (٢) لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله
تعالى إيثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً (٣) يجيب الوليمة (٤) ويعود المرضى و يشهد
الجنائز (٥) ويمشي بين أعدائه وحده بلا حارس (٦) أشد الناس تواضعاً وأسكتهم في غير
كبر (٧) وأبلغهم من غير تطويل (٨) وأحسنهم بشراً (٩) ، لا يهول شياً ، من أمور الدنيا (١٠)
و يلبس ما وجد فمرّة شملة و مرّة برد حبرة يمانياً ، و مرّة جبة صوف ما وجد من

(١) راجع في جميع ذلك المواهب اللدنية للقسطلاني ج ١ ص ٣٠٨ فصل ما تدعو
ضرورته اليه صلى الله عليه وآله .

(٢) ما عثرت على مستنده ، وقال العراقي : لأعرفه من فعله وانما المعروف فيه
مارواه ابن ماجه من حديث جابر كنا زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قليلاً ما نجد
الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا .

(٣) في أمالي الصدوق ص ١٩٢ نحوه .

(٤) تقدم في آداب الاكل ص ٧ واللفظ « لودعيت الي كراع لاجبت » .

(٥) أخرجه الترمذى ج ٤ ص ٢٣٥ وابن ماجه تحت رقم ٤١٧٨ .

(٦) راجع المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٠٢ واخرج الحاكم ج ٣ ص ٣١٣ عن عائشة
قالت كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية « الله يعصمك من
الناس » فأخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأسه من القبة فقال لهم : أيها الناس انصرفوا
تقد عصمى الله .

(٧) في كتاب الشامل للترمذى ص ٢٣ ما يدل على ذلك ، وكذا في كتاب الشامل
لابي الحسن ابن الضحاك .

(٨) في صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٣١ و سنن أبي داود « كان صلى الله عليه وآله
يعتد حديثاً لوعده العاد لاحصاء » واسناده صحيح وفي حديث هند بن أبي هالة هكذا
« يتكلم بجوامع الكلم فصل لافضل ولا تقصير » المعانى للصدوق ص ٨١ والشامل للترمذى ص ١٥ .

(٩) أخرج الترمذى في الشامل ص ١٦ من حديث عبدالله بن جزء « مارأيت أحداً
كان أكثر تبساً من رسول الله صلى الله عليه وآله » .

(١٠) أخرج أحمد في مسند عائشة ما يدل عليه .

المباح لبس^(١) و خاتمه فضة^(٢) يلبسه في خنصره الأيمن والأيسر^(٣) يردف خلفه عبداً وغيره^(٤)، يركب ما أمكنه مرّة فرساً، ومرّة بعيراً، ومرّة بغلة شهباء، ومرّة حمراء، ومرّة يمشي راجلاً حافياً بالرداء، ولاعمامة ولاقلنسوة، يعود المرضى في أقصى المدينة^(٥) يحب الطيب، ويكره الروائح الردية^(٦) ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين^(٧) ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتآلف أهل الشرف بالبر

(١) راجع الشامل للترمذى ص ٦ وصحيح مسلم ج ٦ ص ١٤٥ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٦ ص ١٥١ .

(٣) أخرجه الترمذى في الشامل ص ٧، ومسلم ج ٦ ص ١٥٢ .

(٤) أخرجه البخارى ج ٦ ص ٤٩ وج ٤ ص ٦٧ .

(٥) < ركوبه فرساً > لمسلم ج ٣ ص ٦٠ من حديث جابر بن سرة ركوبه الفرس عربياً حين انصرف من جنازة ابن الدحداح وأيضاً له من حديث سهل بن سعد < كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فرس يقال له : اللعيف . وله من حديث ابن عباس < طاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع على بعير > وله ج ٥ ص ١٦٧ من حديث البراء < رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بقلته البيضاء يوم حنين > وله من حديث اسامة < أنه صلى الله عليه وآله وسلم ركب على حمار وتحتة اكاف > وله من حديث ابن عمر < كان يأتي قباء راكباً وماشيأ > وله أيضاً ج ٣ ص ٤٠ من حديثه في عيادته صلى الله عليه وآله لسعد بن عباد < فقام وقنمامه ونحن بضعة عشر ما علينا مال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نشى في السباخ > .

(٦) خبر < حب الى النساء والطيب > معروف رواه النسائي وابو داود وقد مر، وروى ابن عدى عن عائشة < أنه صلى الله عليه وآله كان يكره أن يوجد منه الريح طيبة > وكراهته عن ربح النوم أيضاً معروف رواه الشيخين في احكام المساجد وللبخارى ج ٧ ص ٢١١ من حديث أنس < كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يرد الطيب > . وفي مسند الطيالسي ص ٢١٨ تحت رقم ١٥٥٩ باسناده عن عائشة قالت : صنعت لرسول الله صلى الله عليه وآله بردة سوداء من صوف فلبسها فاعجبه فلما عرق فيها فوجد ربح النمرة قذفا . وفيه في ص ٢٧٧ تحت رقم ٢٠٨١ عن أنس قال : مارأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرض عليه الطيب قط فرده .

(٧) مؤاكلته للمساكين أخرجه البخارى ج ٨ ص ١٢٠ من حديث أبي هريرة قال < وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون الى أهل ولا مال ولا على أحد ، اذا أتته صدقة بمث بها اليهم ولم يتناول منها واذا أتته هدية ارسل اليهم واصاب منها وأشركهم فيها . > الحديث . .

لهم^(١) يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم^(٢) لا يجفوا على أحد^(٣) يقبل معذرة المعتذ إليه^(٤) يمزح و لا يقول إلا حقاً^(٥) يضحك من غير قهقهة^(٦) يرى اللعب المباح فلا ينكره^(٧) و ترفع الأصوات عليه فيصبر^(٨) و كان له لقاح و غنم يتقوت هو و أهله من ألبانها^(٩) و كان له عبيد وإماء لا يرتفع

(١) أخرجه الترمذى فى الشمائل فى حديث طويل فى صفته .

(٢) فى مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٢٤ من حديث ابن عباس « كان يجلس العباس لجلال الولد والده » وله من حديث سعد بن أبى وقاص « انه اخرج عمه العباس و غيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا و نحن عصبتك و عمومتك و تسكن علينا ؟ فقال ما أنا أخرجكم واسكنه ... الحديث » .

(٣) أخرج أبوداود ج ٢ ص ٥٥٠ من حديث أنس وعائشة ما يدل على ذلك .

(٤) أخرجه البخارى ج ٦ ص ٨٩ فى قصة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة الثلاثة الذين خلفوا ، وراجع الدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٦ .

(٥) أخرجه الترمذى ج ٨ ص ١٥٧ .

(٦) أخرج البخارى ج ٦ ص ١٦٧ من حديث عائشة قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ضاحكاً حتى أرى منه لهوآته إنما كان يتبسم . و فى حديث هند بن أبى هالة المروى فى الشمائل للترمذى ص ١٦ هكذا « جل ضحكه التبسم » .

(٧) هذا الموضوع صحيح فى نفسه و فى مسند الطيالسى ص ٢١٧ ما يدل عليه ، لكن العراقى أو ما إلى قصة لعب الحبشة بين يدى رسول الله و قوله صلى الله عليه وآله « دونكم يا بنى أرفدة » وهى قصة خرافية افتراء على الرسول صلى الله عليه وآله واجترأ على الله سبحانه مذكورة فى صحيح مسلم ج ٣ ص ٢٢ ، و صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٠ ، و سنن النسائى ج ٣ ص ١٩٥ باب اللعب فى المسجد .

(٨) أخرج البخارى ج ٦ ص ١٧١ . وابن المنذر والطبرانى عن ابن أبى مليكة قال :

كاد الخيران أن يهلكا أبا بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبى صلى الله عليه وآله حين قدم عليه ركب بنى تميم فآشار احدهما بالا قرع بن حابس وأشار الاخر برجل آخر فقال أبو بكر لعمر : ما اردت الا خلافى قال : ما اردت خلافاك فارتفعت اصواتهما فى ذلك فانزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم - الآية - » راجع الدر المنثور ج ٦ ص ٨٤ .

(٩) أخرج محمد بن سعد فى الطبقات من حديث ام سلمة ما يدل على ذلك .

عليهم في مأكل ولا ملبس^(١) ولا يمضي له وقت في غير عمل الله تعالى أوفيماً لا بدله من صلاح نفسه^(٢) يخرج إلى بساتين أصحابه^(٣) لا يحقر مسكيناً لفقره وزمانته ، ولا يهاب ملكاً ملكه ، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاءً واحداً^(٤) .

قد جمع الله له السيرة الفاضلة و السياسة التامة و هو أُمِّي لا يكتب و لا يقرأ نشأ في بلاد الجبل و الصحاري في قفر^(٥) و في رعاية الغنم يتيماً لأب له و لا أم ، فعلمه الله جميع محاسن الأخلاق و الطرق الحميدة و أخبار الأولين و الآخرين و ما فيه النجاة و الفوز في الآخرة و الغبطة و الخلاص في الدنيا ، و لزوم الواجب و ترك الفضول ، وفقنا الله لطاعته في أمره و الناسي به في فعله آمين رب العالمين .

❖ (بيان جملة الفضول من آدابه و أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم) ❖

❖ (مما رواه أبو البحتري) ❖

قالوا : ما شتم رسول الله ﷺ أحداً من المؤمنين بشتيمة إلا جعل له كفارة

(١) أخرج الترمذى فى الشمائل من حديث ابى سعيد الخدرى بسند ضعيف « كان صلى الله عليه وآله يأكل مع خادمه » . و فى الطبقات من حديث السلمى وغيره ما يدل على ذلك .
(٢) أخرج الترمذى فى الشمائل ص ٢٤ عن الحسن بن على عليهما السلام ما يدل على ذلك و الصدوق فى المعاني ص ٨١ أيضاً .

(٣) أخرجه الترمذى فى السنن فى قصة مجيئه ﷺ مع جماعة من الصحابة منزل أبى البيشم ابن التيهان و ابى ابوب و رواه مسلم أيضاً و أخرج البخارى ج ٨ ص ٢٦ عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زار اهل بيت فى الانصار فطعم عند هم طعاماً - الحديث » .
(٤) أخرج البخارى ج ٧ ص ٩ من حديث سهل بن سعد : قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ماتقولون فى هذه ؟ قالوا حرى ان خطب أن ينكح و ان شفع أن يشفع و ان قال أن يستمع ، قال : ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ماتقولون فى هذا ؟ قالوا حرى ان خطب أن لا ينكح و ان شفع أن لا يشفع و ان قال أن لا يستمع ، فقال رسول الله عليه السلام هذا خير من ملء الارض مثل هذا .

و أما عدم خوفه فكتبه الى السلاطين و الامراء و الى كل جبار من دون اى خوف فمعروف راجع صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٦ و جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٣٢ الى ٧٢ .

(٥) فى الاحياء و بعض نسخ الكتاب « بلاد الجهل و الصغارى فى فقره » .

ورحمة^(١) وما لعن امرأة ولا خادماً بلعنة^(٢) وقيل له وهو في القتال : لولعنتهم يارسول الله ؟ فقال : إنما بعثت رحمة مهداة لم أبعث لعناً^(٣) وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له^(٤) وما ضرب بيده أحداً إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى ، وما انتقم من شيء صنع إليه قطه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى ، وما خسر بين أمرين قطه إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك^(٥) وما يأتيه أحد حراً كان أو عبداً أو أمة إلا قام معه في حاجته^(٦).

وقال أنس : والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء كرهه : لم فعلته ؟ ولا لأمني أحد من أهله إلا قال : « دعوه إنما كان هذا بكتاب و قد »^(٧).

قالوا : وما عاب رسول الله ﷺ مضعماً ، إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش

(١) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٢٥ من حديث أبي هريرة .

(٢) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٨٠ بلفظ «ماضرب» مكان «مالعن» من حديث عائشة وللطيبالسي ص ٢١٤ عنها قالت : «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا مضغاً بأفني الاسواق الحديث» .

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ج ٨ ص ٢٤ .

(٤) أخرجه البخاري ج ٥ ص ٢٢٠ من حديث أبي هريرة قالوا : « يارسول الله ان دوساً قد هلكت وعصت وأبت فادع الله عليهم فقال : «اللهم اهددوساً وامت بهم» .

(٥) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٢٣٠ من حديث عائشة قالت : ماخير صلى الله عليه وآله وسلم بين امرين الا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثماً ، فان كان اثماً كان ابعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها . وأخرجه مسلم ج ٧ ص ٨٠ أيضاً .

(٦) أخرجه البخاري تعليقاً من حديث أنس : ان كانت الامة من اهل المدينة لتأخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتنتلق به حيث شاءت . ووصله ابن ماجه وقال : فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها ، و قد تقدم ، وتقدم أيضاً من حديث ابن ابي اوفى : ولا يأنف ولا يستكبر أن يشى مع الارملة والمسكين حتى يقضى لهما حاجتهما أخرجه الدارمي ج ١ ص ٣٥ .

(٧) أخرج مثله ابو داود ج ٢ ص ٥٤٧ ، وروى ابو الشيخ في كتاب اخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يدل على ذلك كما في المعنى .

له اضطجع على الأرض^(١) وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السفر الأول فقال: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، مولده بمكة، وهجرته بطابة، وملكه بالشام، يأتزر على وسطه هو ومن معه، وعاءة للقرآن والعلم، يتوضأ على أطرافه وكذلك نعته في الإنجيل^(٢).

و كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام^(٣) و من فاوضه الحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف^(٤) وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر^(٥) و كان إذا لقي أحداً من الصحابة بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابهه ثم شد قبضته^(٦) و كان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله تعالى^(٧) و كان لا يجلس إليه أحدٌ و هو يصلي إلا خفف صلاته و أقبل عليه، فقال: ألك حاجة؟ فإذا

(١) أخرج البخاري ج ٣ ص ١٦٦ في حديث طويل انه اضطجع على رمال حمير ليس بينه وبينه فراش قدأثر الرمال على جنبه وأخرج الطيالسي في مسنده ص ٣٦ عن ابن مسعود قال: «اضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حمير فأنثر الحمير بجلده فجملت أمسه عنه وأقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إلا أذنتنا نبسط لك شيئاً يقيهك منه تنام عليه؟ فقال: مالي وللدينا ماأنا والدينا إنما أنا والدينا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

(٢) أخرجه الدارمي ج ١ ص ٤ ونحوه الطيالسي ص ٢١٤، وراجع أمالي الصدوق ص ٢٧٩، و عيون الاخبار ص ٢٢٤، و أمالي ابن الشيخ ص ١٩٦.

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل والصدوق في المعاني ص ٨١ بلفظاً يندر من لقيه بالسلام من حديث هند بن أبي هالة.

(٤) أخرجه الطبراني وابونعيم في دلائل النبوة وابن سعد كما في الجامع الصغير. وفي مكارم الاخلاق ص ٢١ و ٢٢ مرسلًا ورواه الصدوق في المعاني ص ٨٠ مسنداً.

(٥) تقدم غير مرة عن ابن ماجه والترمذي من حديث أنس.

(٦) أخرجه أبوداود ج ٢ ص ٦٤٥ من حديث أبي ذر.

(٧) أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث الحسن بن علي عليهما السلام عن هند

والصدوق في المعاني ص ٨٠.

فرغ من حاجته عاد إلى صلاته (١) و كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً و يمسك يديه عليهما شبه الحبوة (٢) ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه حيث ما انتهى به المجلس جلس (٣) و ما رئي قط ماداً رجله بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه (٤) و كان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة (٥) و كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه و بينه قرابة و لارضاع يجلسه عليه (٦).

و كان يؤثر الدخول عليه بالوسادة التي تكون تحته فان أبي أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل (٧) و ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه ، حتى كان مجلسه و سمعه و حديثه و لطيف مجلسه و توجهه للجالس إليه و مجلسه مع ذلك مجلس حياء و تواضع و أمانة (٨) قال الله تعالى: « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك »

(١) معاشرت علي أصل له .

(٢) أخرج أبو داود ج ٢ ص ٥٦١ و الترمذي في الشمائل ما يدل على ذلك .

(٣) أخرج أبو داود ج ٢ ص ٥٢٧ من حديث أبي هريرة و أبي ذر قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيبهم الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل ... الحديث و روى الترمذي في الشمائل ما يدل على ذلك .

(٤) أخرجه الدار قطنى ، و للترمذي و ابن ماجه هكذا « ولم يرمقهما و كتيه بين يدي جلس له . و زاد ابن ماجه « قط » و سنده ضعيف كما فى المغنى و رواء الطبرسى فى المكارم مرسل و الصدوق فى المعانى ص ٨٠ مسنداً من حديث هند بن أبى هالة .

(٥) نقله الطبرسى فى المكارم ص ٢٥ من كتاب المحاسن لآبى عبد الله البرقى و فى مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٢٧٠ عنه صلى الله عليه وآله قال : اشرف المجالس ما استقبل به القبلة .

(٦) أخرج الحاكم ج ٤ ص ٢٩٢ و صحح اسناده من حديث جابر « دخل جرير بن عبد الله على النبى صلى الله عليه وآله وسلم - و فيه - فاخذ رداءه فألقاه إليه - الحديث - » .

(٧) تقدم فى آداب الصحبة و المعاشرة .

(٨) رواء الصدوق فى المعانى ص ٨٢ و أخرجه الترمذي فى الشمائل فى حديث طويل .

و لقد كان يدعو أصحابه بكنائهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم^(١) و يكنى من ليس له كنية ، فكان يدعى بما كناه به^(٢) و كان يكنى أيضاً النساء اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدي لهن الكنى^(٣) و كان يكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم^(٤) و كان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاءً ، و كان أرف الناس وخير الناس للناس ، و أنفع الناس للناس ، ولم يكن ترفع في مجلسه الأصوات^(٥) و كان إذا قام من مجلسه قال : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك » ثم يقول : علمنيهن جبرئيل عليه السلام^(٦) .

❦ بيان كلامه و ضحكك صلى الله عليه وآله وسلم ❦

كان صلى الله عليه وآله وسلم أفصح الناس منطقاً^(٧) وأحلامهم كلاماً ، ويقول : أنا أفصح العرب^(٨)

(١) قال في حديث الغار لابي بكر يا أبا بكر ، ولعمري يا أبا حفص كما ذكره الحاكم من حديث ابن عباس ، وقال لعلي عليه السلام يا أبا تراب كما هو المعروف .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ج ١٣ ص ٢٢٤ من كلام أنس قال : كنانى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيقلة كنت أجتنبها - يعني أباحزة - قال : حديث غريب ، وابن ماجه تحت رقم ٣٧٣٨ أن عمر قال لصبيبه : مالك تكنى وليس لك ولد ؟ قال : كنانى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبي يحيى ، وللطبراني من كلام أبي بكر : تدليت بيكرة من الطائف فقال لى النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فأنت أبو بكر .

(٣) أخرجه الحاكم ج ٤ ص ٦٣ من كلام أم أيمن في قضية لها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٤) أخرج الطيالسي في مسنده ص ٢٨٠ تحت رقم ٢٠٨٨ عن أنس « كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليخالطنا حتى يقول لآخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير » وأخرجه البخاري ج ٨ ص ٣٧ و ٥٥ أيضاً .

(٥) رواه الصدوق في المعاني ص ٨١ .

(٦) أخرجه النسائي في عمل اليوم و الليلة والحاكم في المستدرک ج ١ ص ٥٣٧ .

(٧) قال العراقي : أخرجه ابوالحسن ابن ضحاک في كتاب الشمائل وابن الجوزي في الوفاء باسناد ضعيف من كلام بريدة : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أفصح العرب و كان يتكلم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم .

(٨) أخرجه ابن سعد في الطبقات عن يحيى بن يزيد السعدي مرسلًا بسند صحيح هكذا « أنا أمر بكم من قريش » كما في الجامع الصغير ، و راجع الموضوعات الكبير ص ٤٠ للمولى علي القاري .

وأن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغه محمد ﷺ^(١) و كان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار ، وكان كلامه كخرزات النظم^(٢) قالت عائشة : كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا ، كان كلامه نزرأ ، وأنتم تنثرون الكلام نثرأ^(٣).

وقالوا : و كان أوجز الناس كلاماً و بذلك جاءه جبرئيل ﷺ ، و كان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد ، و كان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير ، كلام يتبع بعضه بعضاً ، بين كلاميه توقف يحفظه سامعه و يعيه^(٤) و كان جبير الصوت أحسن الناس نغمة^(٥).

و كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة^(٦) ولا يقول المنكر ، ولا يقول في الغضب و الرضا إلا الحق^(٧) و يعرض عمن تكلم بغير جميل^(٨) و يكني عمأ

(١) اخرج الطبراني وأبو الشيخ والحاكم في المستدرک وابن مردويه والبيهقي في الشعب من كلام ابن عباس هكذا « كلام أهل الجنة عربي » راجع الدر المنثور ج ٤ ص ٢ .
(٢) وصفته ام معبد هكذا في حديث هجرة النبي الى المدينة راجع مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٩ ، تاريخ الطبري ، تاريخ الخميس و غيره . وقوله : نزر الكلام اي القليل ، والمهذار كثير الكلام يعني ليس بقليل الكلام حتى يدل على ولا بكثير حتى يكون فاسداً .
(٣) أخرج صدره البخاري ج ٤ ص ٢٣١ . وقال العراقي : اما الجملتان الاخيرتان اخرجهما الخلعى في فوائده باسناد منقطع .

(٤) أخرجه الترمذی في الشمائل من حديث هندی بن ابی هالة ، ورواه الصدوق في المعاني ص ٨١ .

(٥) ما عثرت على مستنده الا أنه يأتي عن مسلم ما لعله يدل على ذلك .

(٦) أخرجه الترمذی في الشمائل من حديث هندی بن ابی هالة .

(٧) أخرج الحاكم في المستدرک ج ١ ص ١٠٥ و ابوداود في السنن ج ٢ ص ٢٨٦ عن عبدالله بن عمر قال : كنت أكتب كل شيء أسعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اريد حفظه فنهتني فريش وقالوا : تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فامسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك له فأومأ باصبعه الى فيه وقال : « اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق » .

(٨) أخرجه الترمذی في الشمائل بلفظ « يتناقل عما لا يشتهي » في حديث طويل .

اضطره الكلام إليه مما يكره (١) وكان إذا سكت تكلم جلساؤه ، ولا يتنازع عنده في الحديث (٢) ويعظ بالجدِّ والنصيحة (٣) ويقول : « لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فإنه أنزل على وجوه » (٤).

و كان أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه ، و تعجباً مما تحدثوا به ، و خلطاً لنفسه بهم (٥) و لربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٦) و كان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به و توقيراً له (٧).

قالوا : و لقد جاءه أعرابي يوماً و هو صلى الله عليه وسلم متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا : لا تفعل يا أعرابي فإننا ننكر لونه ، فقال : دعوني والذي بعثه بالحق نبياً لا أدعه حتى يتبسم ، فقال : يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي على ناس بالثرید و قد هلكوا جوعاً أفترى لي بأبي أنت و أمي أن أكف عن ثريده تعففاً و تنزهاً حتى أهلك هزلاً أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلعت شبعاً آمنت بالله و كفرت به ؟ قالوا : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمن (٨).

(١) أخرج البخاري في كتاب الطلاق من الصحيح ج ٧ ص ٥٥ قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة القرظي « لا حتى تنوق عسيلتك و تنوق عسيلتها » و هذا كناية عن الجماع .

(٢) رواه الترمذي في الشمائل .

(٣) أخرج مسلم ج ٣ ص ١١ من حديث جابر : كان النبي صلى الله عليه وآله إذا خطب احمرت عيناه و علاصوته و اشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صباحكم و مساءكم . اهـ .

(٤) أخرجه الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو باسناد حسن « ان القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض » و في رواية له « أبهذا أمرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض »

(٥) في الشمائل للترمذي في حديث علي صلى الله عليه وسلم : « يضحك ما تضحكون منه و يتمجب ما تعجبون منه » و روى مسلم ج ٧ ص ٧٨ من حديث جابر بن السمرة : كانوا يتحدثون فيماخذون في امر الجاهلية فيضحكون و يتبسم .

(٦) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٢٥ في قصة مجيء حبر اليهود اليه صلى الله عليه وآله .

(٧) أخرجه الترمذي في الشمائل عن هند .

(٨) لم أقف له على أصل .

قالوا : وكان من أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة ، وكان إذا سرّ ورضي فهو أحسن الناس رضى وإن وعظ وعظ بجد فلم يكن يغضب إلا لله (١) ، لم يقم لغضبه شيء ، وكذلك كان في أموره كلها. وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول: «اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني المنكر منكراً وارزقني اجتنابه وأعدني من أن يشتبه عليّ فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك ، وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي [من تشاء] إلى صراط مستقيم».

❖ بيان أخلاقه وآدابه صلى الله عليه وآله في الطعام ❖

كان صلى الله عليه وآله وسلم يأكل ما وجد ، وكان أحب الطعام إليه ما كان على صَفِّ والضعف ما كثرت عليه الأيدي ، وكان إذا وضعت المائدة قال : «بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة» وكان كثيراً إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي إلا أن الركبة فوق الركبة ، والقدم فوق القدم ويقول : إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (٢). وكان لا يأكل الحاراً ويقول : إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه (٣).

وكان يأكل مما يليه و يأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل بأصبعين ويقول : ذلك أكلة الشياطين (٤).

وجاءه عثمان بن عفان بفالودج فأكل منه فقال : ما هذا يا أبا عبد الله ؟ قال :

(١) للطبراني في المكارم من كلام جابر كان إذا نزل عليه الوحي قال : نذير قوم فاذا سرى عنه فاكثر الناس ضعفاً . ولاحمد من كلام علي أو الزبير كان يخطب فيذكر بابام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة . (المغني)

(٢) تقدم في الباب السابق وهو في المكارم ص ٢٦ عن كتاب مواليد الصادقين .

(٣) الطبرسي في المكارم ص ٢٧ نقله عن مجموعة لاييه عن الصادق عليه السلام : مرسل

ورواه الطبراني في الاوسط كما في مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٠ في روايتين .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير عن عامر بن ربيعة كما في الجامع الصغير .

بأبي أنت وأُمِّي نجعل السمن والعسل في البرمة^(١) ونضعها على النار ثم نغليهما ثم نأخذ من الحنطة إذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ، ثم نسوّه حتى ينضج فيأتي كما تری ، فقال عليه السلام : إن هذا طعام طيب^(٢) .

وكان يأكل خبز الشعير غير منخول^(٣) وكان يأكل القثاء بالرطب والملح^(٤) وكان أحب الفواكه إليه الرطبة والبطيخ والعنب^(٥) وكان يأكل البطيخ والخبز والسكر وربما أكله بالرطب^(٦) ويستعين باليدين جميعاً ، وأكل يوماً رطباً كان في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرّت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل ما في كفه اليسرى و هو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة^(٧) وكان ربما أكل العنب خرطاً^(٨) يرى روا له على لحيته كخرز اللؤلؤ^(٩) و هو الماء الذي يتقطر منه و كان أكثر طعامه الماء و التمر^(١٠) ، و كان يتمجّع اللبن بالتمر و يسميها

(١) البرمة : القدر من الحجر .

(٢) نقله الطبرسي في المكارم ص ٢٨ مرسلًا والسوط : الغلط .

(٣) أخرجه الترمذي ص ١٠ في الشمائل من حديث سهل بن سعد .

(٤) البخاري ج ٧ ص ١٠٢ من حديث عبد الله بن جعفر ، وابن حبان من حديث عائشة . (المعنى)

(٥) أخرجه ابونعيم في الطب عن معاوية بن يزيد العيسى بسند ضعيف كما في

الجامع الصغير .

(٦) رواه البرقي في المعاسن ص ٥٥٧ عن موسى بن جعفر عليهما السلام ورواه الترمذي

والنسائي من حديث عائشة .

(٧) أقول : نقله الطبرسي في المكارم ص ٢٨ كما في المتن بلفظه . وقال العراقي : اما

استعانت به يديه جميعاً فرواه احمد من حديث عبد الله بن جعفر قال : آخر ما رأيت من النبي صلى الله عليه وآله في إحدى يديه رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه وبعض من هذه واما قصته مع الشاة فرويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث انس باسناد ضعيف .

(٨) أخرجه ابن عدي في الكامل . (المعنى)

(٩) نقله الطبرسي في المكارم ص ٢٩ من حديث أنس .

(١٠) أخرج البخاري ج ٧ ص ١٢٠ من حديث عائشة توفي النبي صلى الله عليه وآله

وسلم وقد شعبنا من الاسودين : التمر و الماء .

الأطيين^(١) و كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول : هو يزيد في السمع ، و هو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ، ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل^(٢) و كان يأكل الثريد باللحم والقرع^(٣) و كان يحب القرع ويقول : إنها شجرة أخي يونس عليه السلام^(٤) قالت عائشة : كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثروا فيه من الدباء فإنه يسر قلب الحزين^(٥) ، و كان يأكل لحم الطير الذي يصاد^(٦) . و كان لا يتبعه ، و لا يصيده ، و يحب أن يصاد له و يؤتي به فيأكله^(٧) ، و كان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه و دفعه إلى فيه رفعا ثم ينتهشه انتهاشاً^(٨) و كان

(١) المكارم ص ٣٠ و التمعج : أكل التمر اليابس باللبن معاً أو أكل التمر وشرب عليه اللبن . و أخرجه احمد في مسنده من رواية اسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال : دخلت على رجل وهو يجمع لبناً بتمر وقال : ادن فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سآها الاطيين راجع مجمع الزوائد ج ٥ ص ٤٠ .

(٢) ما عثرت على لفظه الا أن للترمذى فى السائل ص ١٢ من حديث جابر : أتانا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى منزلنا فذبحنا له شاة فقال : > كأنهم علموا انا نحب اللحم < و اخرج ابن ماجه تحت رقم ٢٣٠٥ > سيد طامم اهل الدنيا و اهل الجنة اللحم . (٣) أخرجه مسلم ج ٦ ص ١٢١ .

(٤) روى نحوه الطبرسى فى المكارم ص ٣٠ وله ص ٢٠١ من حديث على بن الحسين عليهما السلام بلفظ آخر و فى صحيح مسلم ج ٦ ص ١٢١ كان يمجبه الدباء و الدباء - بالضم و الشد - : القرع .

(٥) روى البرقى فى المعاسن ص ٥٢١ نحوه و فى المكارم ص ٣٠ بلفظه . (٦) روى الترمذى من حديث انس حديث طير المشوى ، و له فى كتاب السائل ص ١٢ كان صلى الله عليه وآله يأكل لحم حبارى . و كذا فى السنن ج ٨ ص ٢٣ .

(٧) قال المراقى : هذا هو الظاهر من حاله فقد قال : > من اتبع الصبيد غفل < رواه ابوداود و النسائى و الترمذى من حديث ابن عباس و اما حديث صفوان بن امية عند الطبرانى > قد كانت قبلى لله رسل كلهم يصطاد و يطلب الصيد < فهو ضعيف جداً أقول : و فى مكارم الاخلاق للطبرسى ص ٣٠ كفاى المتن .

(٨) نقله الطبرسى فى المكارم ص ٣١ بلفظه و فى بعض النسخ [ينتسه انتهاشاً] أى أخذه بمقدم أسنانه للاكل . و النهش بالاسنان و الاضراس و النهس باطراف الاسنان ←

يأكل الخبز والسمن ، وكان يحب من الشاة الذراع والكثف ومن القدر الدباء ،
ومن الصباغ الخل ، و من النمر العجوة ^(١) ودعا في العجوة بالبركة وقال :
هي من الجنة ، و شفاء من السمّ و السحر ^(٢) ، وكان يحب من البقول الهندباء ،
والباذروج ، والبقلة الحمقاء التي يقال لها : الرجلة ^(٣) وكان يكره الكلوتين لمكانهما
من البول ^(٤) ولا يأكل من الشاة سبعا : الذكر ، والأثنيين ، والمثانة ، والمرارة ،
والغد ، والحيا ، والدم ، و يكره ذلك ^(٥) و كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا
الكرات ^(٦) وما ذمّ طعاماً قطّ لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم

← وللترمذى فى السنن ج ٨ ص ٣١ من حديث أبى هريرة قال : أتى بلحم فرفع إليه الذراع
وكانت تعجبه فنهس منها .

(١) قال العراقى : روى الشيخان من حديث أبى هريرة : قال : وضعت بين يدي
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قصعة من ترديد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه .
وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس « كان أحب اللحم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
الكثف » وإسناده ضعيف ، ومن حديث أبى هريرة « لم يكن يعجبه من الشاة إلا الكثف » .
ولابى الشيخ من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف « كان أحب الصباغ إليه صلى الله عليه
وآله وسلم الخل » وله بالإسناد المذكور « كان أحب التمر إليه العجوة » .

(٢) أخرجه البخارى ج ٧ ص ١٠٤ من حديث سعد بن أبى وقاص وللنسائى وابن
ماجه والترمذى « قال : العجوة من الجنة وهى شفاء من السم » .

(٣) روى البرقى فى المعاسن ص ٥٠٧ أخباراً فى الهندباء ، وكذلك فى ص ٥١٣
فى الباذروج ، وقال العراقى : روى أبو نعيم من رواية ثوبان قال : مر النبي صلى الله عليه وآله
وسلم بالرجلة وفى رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال صلى الله عليه وآله وسلم : بارك
الله فىك أنتى حيث شئت فانت شفاء من سبعين داء أدناه الصداغ .

(٤) قال العراقى : رويناه فى جزء من كلام أبى بكر محمد بن عبد الله بن الشخير من
حديث ابن عباس بإسناد ضعيف فيه حسن بن العدوى أحد الكذابين .

(٥) رواه ابن عدى ومن طريق البيهقى من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ورواه
البيهقى أيضاً من رواية مجاهد مرسل . (المبغى)

(٦) نقله الطبرسى فى المكارم مرسل ص ٣١ .

يُبغضه إلى غيره ^(١) وكان يلحق الصفحة فيقول: آخر الطعام أكثر بركة ^(٢) و كان يلحق أصابعه من الطعام حتى تحمر ^(٣) ولا يمسح بالمنديل حتى يلحق أصابعه واحدة واحدة ويقول: إنه لا يدري في أي الطعام البركة ^(٤)، وإذا فرغ قال: «اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت، وسقيت وأرويت، لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه ^(٥) وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه ^(٦) وكان يشرب في ثلاث دفعات، له فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات ^(٧) وكان يمص الماء مصاً ولا يعب عباً، وربما كان يشرب في نفس واحد حتى يفرغ ولا يتنفس في الإثناء بل ينحرف عنه ^(٨) و كان يدفع فضل سوره إلى من على يمينه ^(٩) فان كان من على يساره أجل رتبة، قال

- (١) أخرجه البخاري ج ٧ ص ٩٦ . وفي الضب قال : «لا آكله ولا احرمه» رواه الترمذي ج ٧ ص ٢٨٦ وصححه اسناده .
- (٢) أخرج البيهقي في الشعب من حديث جابر « ولا ترفع القصة حتى تلحقها فان آخر الطعام فيه البركة . وروى الطبراني «من لقم أصابعه أشبعه الله في الدنيا والاخرة» راجع مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٨ .
- (٣) أخرجه البخاري ج ٧ ص ١٠٦ وللترمذي ج ٧ ص ٣٠٧ نحوه .
- (٤) رواه احمد والبخاري و لفظه «إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح يده حتى يلحق أصابعه و روى يلحقها او يلحقها فان النبي صلى الله عليه وآله قال : لا تدري في اي طعامك تكون البركة» . وروى مسلم ج ٦ ص ١١٣ نحوه وراجع مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٨ .
- (٥) روى نحوه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ١٢٥ و ١٢٦ .
- (٦) أخرج أبو يعلى نحوه من حديث عبدالله بن عمر باسناد ضعيف كما في المعنى .
- (٧) أخرج مسلم ج ٦ ص ١١١ من حديث أنس وابدود ج ٢ ص ٣٠٣ «كان يتنفس في الشراب ثلاثاً ويقول انه أروى وأبره وأمره - الحديث -» . وروى نحوه ما في السنن ابن السني في اليوم والليلة ص ١٢٦ .
- (٨) رواه الطبراني في الكبير من حديث بهز وفيه ثبت من كثير و هو ضعيف وعن ام سلمة « كان صلى الله عليه وآله يبدأ بالشراب اذا كان صائماً و كان لا يعب يشرب مرتين أو ثلاثاً راجع مجمع الزوائد ج ٥ ص ٨٠ والواهب للقسطلاني ج ١ ص ٢٢٣ .
- (٩) أخرجه مسلم ج ٦ ص ١١٢ من حديث أنس .

للذي على يمينه : السنة أن أعطيك فإن أحببت آثرتهم (١) وأتي بآء فيه غسل و
لبن فأبى أن يشربه وقال: شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد ، ثم قال صلى الله عليه وسلم :
« لا أحرّمه ولكنني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غداً وأحب التواضع فإن
من تواضع لله رفعه الله » (٢).

وكان في بيته أشد حياء من العاتق ، لا يسألهم طعاماً ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموه
أكل ، وما أعطوه قبيد ، وما سقوه شرب (٣) وكان ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب
بنفسه (٤).

﴿ بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ﴾

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار ورداء أو قميص أوجبة أو
غير ذلك ، وكان يعجبه الثياب الخضراء ، وكان أكثر لباسه البياض ويقول : ألبسوها
أحياءكم وكفّنوا فيها موتاكم ، وكان يلبس القباء المحشوّ للحرب وغير المحشوّ ،
وكان له قباء سُنْدَس فيلبسه فيحسن خضرته على بياض لونه (٥).

(١) أخرجه مسلم ج ٦ ص ١١٣ من حديث سهل بن سعد .

(٢) نقله الطبرسي في المكارم ص ٣٣ مرسلًا .

(٣) أخرج الشيخان من حديث أبي سعيد « كان أشد الناس حياء من العذراء في خدرها »
وأما كونه لا يسألهم طعاماً أى طعاماً خاصاً وإلأروى عائشة انه قال ذات يوم : « يا عائشة
هل عندكم شيء - الحديث » وما جاء في حديث أنه قال : « لو صنعتم لنا من هذا اللحم »
فلعله لبيان الحكم لا التشهي والله أعلم . (المغنى)

(٤) أخرج أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٦٤ ما يدل على ذلك .

(٥) أخرج البخاري ج ٧ ص ١٩٢ من حديث أبي ذر قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وآله
وآله وعليه ثوب أبيض وهو نائم . . . الحديث » وفي ص ١٨٢ من حديث حسين بن علي
عليهما السلام « أن علياً صلى الله عليه وسلم قال : فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بردائه فارتدى
به ثم انطلق يمشي . . . الحديث » . و ص ١٨٥ « لما توفي عبدالله بن ابي جاه ابنه اليه
صلى الله عليه وآله وسلم وقال : يا رسول الله اعطني قميصك اكنفه فيه وصلّ عليه واستغفر له
فأعطاه قميصه . . . الحديث » و ص ١٨٦ في حديث « فتمسّل صلى الله عليه وآله وجهه ←

وكانت ثيابه كلها مشمسة فوق الكعبين و يكون الأزار فوق ذلك إلى نصف الساق^(١) وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها^(٢) وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها^(٣) وربما

← وبديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة الخبر» وأخرج ابن ماجه تحت رقم ٣٥٥١ من حديث عائشة « أن له صلى الله عليه وآله وسلم ازاراً غليظاً من التي تصنع باليمن وكساء من هذه الاكسية التي تدعى الملبدة وتوفى فيها » وفيه تحت رقم ٣٥٥٢ من حديث عبادة بن الصامت « صلى في شملة قد عقد عليها » وفيه تحت رقم ٣٥٥٦ من حديث أنس قال : « لبس رسول الله صلى الله عليه وآله الصوف واحتنى المخصوف ولبس ثوباً خشناً خشناً » . وأخرج أبو داود ج ٢ ص ٣٦٦ من حديث ام سلمة قالت : « كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القميص ، وفي حديث آخر عن المسور بن مخرمة قال : انطلق بنا رسول الله فانطلقت معه قال ادخل فادعه ، قال فدعوته فخرج اليه وعليه قباء - الحديث - » وأخرج الحاكم ج ٤ ص ١٨٥ عنه صلى الله عليه وآله قال : « البسوا من الثياب البياض و كفنوا فيها موتاكم » ورواه الطبراني والبخاري كما في مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٢٨ . وفيه ص ١٢٩ روى البزار والطبراني في الاوسط عن انس قال : « كان يحب الخضرة أوقال كان أحب الالوان الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » وأخرج أبو داود ج ٢ ص ٣٧٠ من حديث أنس « ان ملك الروم اهدى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستقة من سندس فلبسها فكأنى أنظر الى يديه يذبذبان » . والمستقة : فراء طوال الاكمام . وله ج ٢ ص ٣٧٤ عن أبي رمثة قال : « انطلقت مع أبي نعو النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرأيت عليه بردين أخضرين » .

(١) قال العراقي : روى محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبدالله ابن يسر : كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و ازاره فوق الكعبين و قميصه فوق ذلك و رداؤه فوق ذلك و اسناده ضعيف .

(٢) أخرج الترمذي في الشمائل ص ٥ من رواية معاوية بن قره بن اياس عن ابيه أنبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رهنط من مزينة و بايعناه وان قميصه لمطلق الأزرار ، وقال العراقي : وللبيهقي من رواية ابن عمر يصلى محلولة الأزرار فسأته عن ذلك فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعله .

(٣) قال القسطلاني في المواهب ج ١ ص ٣٣٠ : و عن يحيى بن عبدالله بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه و رداء و عمامته رواها الدمياطي وعند أبي داود بلفظ يصبغ بالورد و الزعفران ثيابه حتى عمامته و كذا ←

لبس الكساء وحده ما عليه غيره^(١) وكان له كساء ملبّد يلبسه ويقول: «إنّما أنا عبدٌ ألبس كما يلبس العبيد»^(٢) وكان له ثوبان لجمعة خاصّة سوى ثيابه في غير الجمعة^(٣) وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره يقعد طرفيه بين كتفيه^(٤) وربما أمّ الناس به على الجنائز^(٥) و ربّما صلّى في بيته في الإزار الواحد ملتخفاً به مخالفاً بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ^(٦) وكان ربّما صلّى بالليل في الإزار و يرتدي ببعض الثوب ممّا يلي هُدبه ويلقي البقيّة على بعض نسائه فيصلّي كذلك^(٧) ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أمّ سلمة: بأبي أنت وأُمّي ما فعل ذلك الكساء الأسود؟ قال: كسوته، فقالت: ما رأيت شيئاً قطُّ أحسن من بياضك على سواده^(٨)

← رواء من حديث زيد بن أسلم وام سلمة وابن عمر لكن بعارضة مافى الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن التزعفرانتهى . أقول : راجع صحيح البخارى ج ٧ ص ١٨٧ .
(١) أخرجه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتراله أهله فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره ، وللبخارى من رواية محمد بن السكندر صلى بناجا بر فى ازاره قد عقده من قبل قفاه و ثيابه موضوعه على المشجب . وفى رواية له و هو يصلى فى ثوب ملتخفاً به ورداؤه موضوع وفيه : رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلى هكذا ، السنن للبيهقى ج ٢ ص ٢٤٠ .
(٢) المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٢٧ رواء عن البخارى من حديث أنس وتقدم ما يدل على ذلك .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الصغير والاوسط من حديث عائشة بسند ضعيف كما فى المعنى

(٤) تقدم ما يدل على ذلك ولا يى داود ج ١ ص ١٦٤ نحوه .

(٥) ما عثرت على اصل له .

(٦) أخرجه أبوداود ج ١ ص ١٤٦ ومسلم ج ٢ ص ٦٢ من حديث عمر بن أبى سلمة .

(٧) أخرج ابوداود ج ١ ص ١٤٧ عن عائشة قالت : ان النبي صلى الله عليه وآله

وسلم صلى فى ثوب [واحد] وبعضه على .

(٨) قال المراقى : لم أقف عليه من حديث ام سلمة ، و لمسلم من حديث عائشة :

خرج النبي وعليه يرط مرتحل اسود ولا يى داود والنسائى صنعت للنبي صلى الله عليه وآله

وسلم بردة سوداء من صوف فلبسها . وزاد فيه ابن سعد فى الطبقات فذكرت بياض النبي

صلى الله عليه وآله وسوادها ورواه الحاكم بلفظ جبة وقال صحيح على شرط الشيخين انتهى .

أقول : والمرط - بكسر الميم واسكان الراء - كساء من صوف أو خز يؤتزروه ، والمرحل ←

وقال أنس : وربما رأيتَه يصلي الظهر في شملة عاقداً بين طرفيها^(١) وكان يتختم^(٢) وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يستد كربه الشيء^(٣) وكان يختم به على الكتب^(٤) ويقول : الخاتم على الكتاب خير من التهمة^(٥) وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة ، وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ، ثم يصلي إليها^(٦) وربما لم يكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته^(٧) وكانت له عمامة تسمى

← بتشديد الحاء المهملة المفتوحة - كمعظم - هو الذي فيه صور الرجال وفي القاموس في مادة رجل - كمعظم - بردفيه تصاور رجل ، قال : وتصوير الجوهرى اياه بازار خزفيه علم غير جيد انما ذلك تفسير المرجل بالجيم ، وقال في مادة رجل - بالمعجمة - : وبرد مرجل - كمعظم - فيه صور الرجال . وقال الخطابي : المرجل بالهملة الذي فيه خطوط .

(١) أخرجه البزار وأبو يعلى بلفظ صلى في ثوب واحد وقد خالف بين طرفيه ، وللبزار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتدياً بثوب قطن فصلى بالناس واسناده صحيح وابن ماجه تحت رقم ٣٥٥٢ من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها ، وفي كامل ابن عدى : قد عقد عليها هكذا - وأشار سفيان الى قفاء - وفي جزء النظر بف مقدها في عنقه ما عليه غيرها واسناده ضعيف كما في المغني وراجع السنن للبيهقي ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٢) تختمه صلى الله عليه وآله وسلم رواه الترمذى في الشمائل ص ٧ والبخارى ج

٧ ص ٢٠١ ومسلم ج ٦ ص ١٥٠ . مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

(٣) روى ابن عدى في الكامل بسند ضعيف من حديث وائلة بلفظ « كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد حاجة اوثق في خاتمه خيطاً » وروى أبو يعلى عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وآله وسلم « كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في أصبعه خيطاً لينذكرها » وكذا في رابع الخلفيات لكن فيه سالم بن عبدالله الاعلى أبو الفيز رماه ابن حبان بالوضع بل اتهمه أبو حاتم بهذا الحديث . (راجع المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٣٦) .

(٤) أخرجه البخارى ج ٧ ص ٢٠٢ ومسلم ج ٦ ص ١٥١ .

(٥) ما عثرت على أصل له .

(٦) أخرجه الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبس قلنسوة بيضاء ذات آذان يلبسها في السفر فربما وضعها بين يديه إذا صلى واسنادهما ضعيف (المغني) و لابي داود ج ٢ ص ٣٧٦ والبغوي في المصابيح ج ٢ ص ١١٩ من حديث ركاة « فرق ما بيننا وبين الشركين العمائم على القلانس » .

(٧) أخرجه الترمذى في الشمائل ص ٩ عن ابن عباس رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وعليه عصابة دسباء . وللبخارى ج ٤ ص ٢٤٨ عن في حديث مرضه الذي مات فيها .

السحابة فوهبها من علي عليه السلام فربما طلع علي عليه السلام فيها فيقول بسم الله الرحمن الرحيم : أتاكم علي في السحاب ^(١) وكان إذا لبس ثوباً يلبسه من قبل ميامنه ^(٢) و يقول : « الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتني وأتجمل به في الناس » ^(٣) وإذا نزع ثوبه أخرج من مياسره ^(٤) ، وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول : « ما من مسلم يكسو مسلماً من شمل ثيابه لا يكسوه إلا الله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واره حياً وميتاً » ^(٥) وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع و شبر أو نحوه ^(٦) وكانت له عباءة تفرش له حيث ما تنقل تشني طاقين تحته ^(٧) .

وقد كان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره ^(٨)

وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه :

(١) أخرجه ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عليهما السلام (المعنى) .

(٢) أخرجه الترمذي ج ٧ ص ٢٦٦ من السنن بسند ضعيف كما في الجامع الصغير .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٥٥٧ ، والحاكم ج ٤ ص ١٩٣ من حديث عمر بن الخطاب .

(٤) أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر « كان إذا لبس شيئاً من الثياب بدأ باليمن وإذا نزع بدأ بيمينه وإذا خلع بدأ بيساره . وهو في الانتقال في الصحبة من حديث ابي هريرة من قوله لافعله .

(٥) أخرجه الحاكم ج ٤ ص ١٩٣ في حديث طويل .

(٦) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٣٩١ دون ذكر عرضه وطوله . وقال العراقي : ولا يبي

الشيخ من حديث ام سلمة « كان فراشه نحو ما يوضع الانسان في قبره » .

(٧) أخرج الترمذي في الشمائل ص ٢٣ من حديث حفصة « وسئلت ما كان فراشه ؛

قالت : مستح تشبه ثنتين فينام عليه وقال العراقي : أخرج أبو الشيخ من حديث عائشة وابن سعد في الطبقات دخلت على امرأة من الانصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وآله عباءة مشية .

(٨) أخرجه الطيالسي ص ٣٦ والبخاري ج ٣ ص ١٦٦ في حديث طويل .

وكان اسم رايته العقاب ، واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذوالفقار ، وكان له سيف يقال له المخدم ، وآخر يقال له الرسوب ، وآخر يقال له القضيب ، وكانت قبيلة سيفه محلاة بالفضة^(١) وكان يلبس المنطقة من آدم فيها ثلاث حلق من فضة ، وكان اسم قوسه الكتوم ، وجعبته الكافور ، وكان اسم ناقته القصواء ، وهي التي يقال لها العضباء ، واسم بغلته الدلدل ، واسم حماره يعفور ، واسم شاته التي يشرب لبنها عينة ، وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلو فيدخلون على رسول الله ﷺ فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة^(٢).

﴿ بيان عفوه مع القدرة ﴾

كان رسول الله ﷺ أحلم الناس ، وأرغبهم في العفو مع القدرة حتى أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسّمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال : والله يا محمد لئن

- (١) أخرج الطبراني من حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيف قائمه من فضة وقبيعته من فضة ويسمى ذوالفقار ، وله قوس تسمى السداد ، وكانت له كنانة تسمى الجمع ، وكانت له درع موشعة بنحاس تسمى ذات الفضول ، وكانت له حربية تسمى النبعة ، وكانت له معجن تسمى الدفن ، وكان له ترس ابيض يسمى موجزاً .
- (٢) في تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٢١ باسناده عن محمد بن سهل بن أبي حنيفة عن ابيه قال : اول فرس ملكه رسول الله صلى الله عليه وآله فرس ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فزارة بعشراواق وكان اسمه عند الاعرابي الفرس فسماه رسول الله السكب وكان اول ماغزا عليه احدليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره وفرس لابي بردة بن دينار يقال له : ملاوح . وفيه باسناده عن محمد بن عمر قال : سألت ابن أبي حنيفة عن المرتجز فقال : هو الفرس الذي اشتراه من الاعرابي الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت وكان الاعرابي من بني مرة . وفيه عن عباس بن سهل عن ابيه عن جده قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة افراس : لزاز ، والظرب ، واللخيف ، فاما لزاز فأهداه له مقوقس ، واما اللخيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء فأنابه عليه فرائض من نعم بني كلاب ، واما الظرب فأهداه له فروة ابن عمرو الجذامي ، واهدى تميم الداري لرسول الله فرساً يقال له : الورد فأعطاه صرفحمل عليه عمر في سبيل الله فوجده يباع ، وقد زعم بعضهم أنه كان له مع ما ذكرت من الخيل فرس ←

أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل، فقال : ويحك فمن يعدل عليك بعدي ، فلمّا ولى قال : ردّوه عليّ رويداً (١) .

وروى جابر أنّه رضي الله عنه كان يقبض للناس يوم حنين من فضة كانت في ثوب بلال فقال له رجل : يا نبيّ الله أعدل ، فقال رضي الله عنه : ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذا و خسرت إن كنت لا أعدل ، فقام عمر فقال : ألا أضرب عنقه فإنّه منافق ، فقال : معاذ الله أن يتحدّث الناس أنّي أقتل أصحابي (٢) .

← يقال له اليسوب . وفيه باسناده عن موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال : كانت دلّيل بقلّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول بقلّة ربيت في الاسلام أهداها له المقوقس وأهدى له معها حماراً يقال له : عفير فكانت البقلّة قد بقيت حتى كان زمن معاوية . وفيه عن الزهري قال : الدليل أهداه له فروة بن عمرو الجندامي . وفيه عن زامل بن عمرو قال : أهدى فروة ابن عمرو الى النبي صلى الله عليه وآله بقلّة يقال له فضة فوهبها لابي بكر وحماره يعفور فنفق منصرفه من حجة الوداع . وفيه عن موسى بن محمد عن أبيه قالت : كانت القصواء من نعم بني العريش ابتاعها أبو بكر وأخرى بشمانمائة درهم وأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأربعمائة فكانت عنده حتى نفقت وهي التي هاجرت عليها وكانت حين قدم رسول الله المدينة رباعية و كان اسمها القصواء والجدهاء والمضباء . وفيه من ٤٢٣ عن ابراهيم بن عبدالله قال : كانت منافع رسول الله سبعمائة ، وزمزم ، وسقيا ، وبركة ، وورسة ، وأطلال ، وأطراف . وفيه من ٤٣٤ عن مروان بن أبي سعيد قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف : سيفاً قلمياً ، وسيفاً يدعى بتاراً ، وسيفاً يدعى العتف ، وكان عنده بعد ذلك المخدّم ورسوب ، أصابهما من القلس ، وقيل انه قدم صلى الله عليه وآله المدينة ومعه سيفان يقال لاحدهما : العضب شهد به بدرأ وسيفه ذو الفقار غنمه يوم بدر كان لمنبه بن الحجاج . وفيه عنه قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سلاح بني قينقاع درعين درع يقال : لها السعدية ودرع يقال لها فضة . وفيه عن محمد بن مسلمة قال : رأيت علي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد درعين درعه ذات الفضول ودرعه فضة ورأيت عليه يوم خيبر درعين ذات الفضول والسعدية .

(١) أخرجه البخاري ج ٤ من ٢٤٣ و أبو لشيخ ابن حبان من حديث ابن عمر باسناد جيد (المعنى) .

(٢) راجع تاريخ الطبري ج ٣ من ٣٩٠ في غزوة رسول الله صلى الله عليه وآله هوازن بعينين .

وكان ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غيرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف فقال : من يمنعك مني ؟ فقال : الله قال : فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال : من يمنعك مني فقال : كن خيراً أخذ قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله فقال الأعرابي : لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فحلى سبيله فجاء إلى قومه فقال : جئكم من عند خير الناس^(١) .

و روى أنس أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة لياً كل منها فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها عن ذلك فقالت : أردت قتلك فقال : ما كان الله يسلمك على ذلك ، قالوا : أفلا تقتلها ؟ قال : لا^(٢) .

و سحره رجل من اليهود فأخبره جبرئيل ﷺ بذلك حتى استخرجه وحل عقده ، فوجد لذلك خفة و ما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط^(٣) .

وقال علي بن أبي طالب : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها ، فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فاذا الطعينة بها ، فقلنا : أخرجي الكتاب ، قالت : ما معي الكتاب ، فقلنا : لتخرجن الكتاب ، أو لتقتلن ، أو لتنزعن الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به النبي ﷺ فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمراً من أمر رسول الله ﷺ ، فقال : يا حاطب ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله لاتعجل علي فإنني كنت أمراً ، أملتصقاً في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إن فاتني ذلك منهم من النسب أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي ، ولم أفعل ذلك كفراً ، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام ، ولا ارتداداً عن ديني ، فقال ﷺ : صدقكم ، فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال ﷺ : «إنه شهد بداراً و ما يدريك لعل الله عز وجل قد أطلع علي

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٣٩٠ من حديث جابر ، والبخاري ج ٥ ص ١٤٧ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٧ ص ١٤ وابن سعد في الطبقات ج ٢ القسم الأول ص ٧٨ و ٨٣ .

(٣) أخرجه البخاري ج ٧ ص ١٧٦ . ومسلم ج ٧ ص ١٤ .

أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (١).
 وقسم رسول الله ﷺ قسمة فقال رجل من الأنصار : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ،
 فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه ، فقال : « رحم الله أخي موسى قد أُوذي بأكثر
 من هذا فصبر » (٢).

و كان رسول الله ﷺ يقول : « لا يبلغني أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابي شيئاً فأنتي
 أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدء » (٣).

﴿ بيان إغضائه عما كان يكره صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

كان رسول الله ﷺ رقيق البشرة ، لطيف الظاهر والباطن ، يعرف في وجهه غضبه
 ورضاه (٤) ، وكان إذا اشتدَّ وجده أكثر من مسِّ لحيته (٥) ، وكان لا يشافه أحداً
 بما يكره ، دخل عليه رجل و عليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئاً حتى خرج فقال
 لبعض القوم : لو قُلتُم لهذا أن ينزع هذه - يعني الصفرة - (٦) . وبال أعرابي في المسجد
 بحضرتة فهم به الأصحاب فقال : لاتزرموه يعني لا تقطعوا عليه البول ، ثم قال :
 « إن هذه المساجد لاتصلح لشيء من القذر والبول والخلاء » وفي رواية : « قرءوا ولا

(١) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة حاطب مرسل و البخاري ج ٥

ص ١٨٤ باسناده عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد و البخاري ج ٥ ص ٢٠٢ من حديث ابن مسعود بسند صحيح .

(٣) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٦٤ و الترمذي ج ١٣ ص ٢٦٢ من حديث ابن مسعود

وقال غريب من هذا الوجه ، وفي مسند أحمد ج ١ ص ٣٩٦ .

(٤) روى الصدوق في المعاني ص ٨١ والعيون باب الثلاثين في حديث طويل عن

الحسن بن علي عليهما السلام عن خاله قال : « كان صلى الله عليه وآله دائم البشر ، سهل
 الخلق ، لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ - وأيضاً - فيه إذا غضب اعرض وأشاح ، وإذا فرح
 غص طرفه . وفي صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ مثله .

(٥) أخرجه أبو الشيخ باسناد حسن عن عائشة كما في المعنى .

(٦) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٥٠ ، وفي الشمائل للترمذي ص ٢٥ .

تنفروا، (١).

وجاءه أعرابي يوماً يطلب منه شيئاً فأعطاه ﷺ ثم قال له : أحسنت إليك فقال الأعرابي : لا ولا أجملت ، قال : فغضب المسلمون و قاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئاً ، ثم قال ﷺ : أحسنت إليك ؟ فقال الأعرابي : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فقال له النبي ﷺ : إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك ، قال : نعم ، فلما كان من الغد أو من العشي جاء فقال النبي ﷺ : إن هذا الأعرابي قال ما قال ، فزدناه فزعم أنه رضي لذلك ، فقال الأعرابي : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فقال ﷺ : إن مثلي ومثل هذا الرجل الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدها إلا نفوراً فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني و بين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم ، فتوجه إليها صاحب الناقة بين يديها فأخذها من قمام الأرض فردها هوناً هوناً حتى جاءت واستأخت وشد عليها رحلها واستوى عليها ، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال ، فقتلتموه دخل النار ، (٢).

❖ (بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وآله وسلم) ❖

كان ﷺ أجود الناس وأسخاهم ، و كان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئاً (٣).

وكان علي عليه السلام إذا وصف النبي ﷺ قال : كان أجود الناس وأسخاهم كفاً ، وأوسع الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذمّة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته : لم أرقبله ولا بعده مثله ﷺ (٤).

(١) أخرجه النسائي ج ١ ص ١٧٥ والبغاري ج ١ ص ٦٣ .

(٢) أخرجه أبو الشيخ بطوله والبزار من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كما في المغني .

(٣) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٢٢٩ ، ومسلم ج ٧ ص ٧٣ من حديث ابن عباس .

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل ص ١ عن إبراهيم بن محمد عنه ﷺ .

وما سئل عن شيء على الإسلام قط إلا أعطاه ، وإن رجلاً أتاه فسأله فأعطاه
غنياً بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : أسلموا فإن تجرداً يعطي عطاء من لا يخشى
الفاقة (١) .

وما سئل قط شيئاً فقال لا (٢) وحمل إليه سبعون ألف درهماً فوضعها على حصير
ثم قام إليها فقسّمها فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها (٣) وجاءه رجل فسأله : فقال : ما
عندي شيء ، ولكن ابتع عليّ فأذا جاءنا شيء قضيناها ، فقال عمر : يا رسول الله ما كنتك
الله ما لا تقدر عليه ، فكره عليه السلام ذلك ، فقال الرجل : أنفق ولا تخف من ذي العرش
إقلاً ، فتبسم النبي عليه السلام وعرف السرور في وجهه (٤) .

ولما قفل من حين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطرّوه إلى شجرة فخطفت
ردأه فوق رسول الله عليه السلام وقال : «اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العيضاء نعماً
لقسّمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً» (٥) .

❖ (بيان شجاعته صلى الله عليه وآله وسلم) ❖

كان عليه السلام أنجد الناس وأشجعهم (٦) ، قال علي عليه السلام : لقد رأيتني يوم بدر
و نحن نلوذ بالنبي عليه السلام وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً .

(١) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٧٤ من حديث أنس .

(٢) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٧٤ من حديث جابر ، والدارمي ج ١ ص ٣٤ من حديث سهل .

(٣) أخرجه أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث الحسن مرسل أن رسول
الله صلى الله عليه وآله قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفاً لم يقدم عليه مال أكثر منه ،
لم يسأله يومئذ أحداً إلا أعطاه ولم يمنع سائلاً ولم يعط ساكتاً له ، ونقله البخاري ج ٤ ص ١٢
تعليقاً من حديث أنس أمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال
أمي به صلى الله عليه وآله .. الحديث .

(٤) أخرجه الترمذي من حديث عمر بن الخطاب في الشمائل ص ٢٦ .

(٥) أخرجه البخاري ج ٤ ص ١١٥ من حديث جبير بن مطعم ، والعضاء شجرام

غيلان وكل شجر عظيم له شوك ، الواحدة عضة (النهاية) .

(٦) أخرجه الدارمي ج ١ ص ٣٠ من حديث ابن عمر .

وقال أيضاً : كُنَّا إِذَا أَحْرَمَ الْبَأْسَ وَلَقِيَ الْعَدُوَّ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ (١).

وقيل : كان ﷺ قليل الحديث ، قليل الكلام ، فإذا أمر الناس بالقتال تسمّر (٢) وكان من أشد الناس بأساً وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو (٣) وقال عمران بن حصين : ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب (٤) قالوا : وكان قوي البطش ، ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول :
أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبدالمطلب
فما رأي يومئذ أحد كان أشد منه (٥).

(بيان تواضعه صلى الله عليه وآله وسلم) *

كان ﷺ أشد الناس تواضعاً في علو منصفه (٦) قال ابن عامر : رأيت يرمي الجمرة على ناقه شهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك (٧) وكان يركب الحمار موكفاً عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف (٨) وكان يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك (٩) ويخفف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع أهله

(١) نقله الطبري مسنداً في التاريخ ج ٢ ص ١٣٥ وأبو الشيخ في أخلاق النبي (ص).

(٢) أخرجه أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالي مرسل كما في المغنى .

(٣) أخرجه مسلم ج ٥ ص ١٦٨ من حديث البراء قال : كنا إذا احمر البأس نتقى

به وإن الشجاع منا للذي يحاذي به .

(٤) أخرجه ابن حبان أبو الشيخ كما في المغنى .

(٥) نقله الطبري في التاريخ ج ٢ ص ٣٤٨ بإسناده عن البراء بن عازب .

(٦) أخرجه أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من كلام أبي سعيد الخدري في حديث

طويل في صفته قال فيه : « متواضع في غير مذلة » كما في كنوز الحقايق للمناوى .

(٧) أخرجه الترمذي في السنن ج ٤ ص ١٣٦ من حديث قدامة بن عبدالله وابن ماجه

تحت رقم ٣٠٣٥ ، والنسائي ج ٥ ص ٢٧٠ .

(٨) أخرجه البخاري ج ٧ ص ٢١٧ من حديث أسامة بن زيد .

(٩) أخرجه الترمذي في الشمائل ص ٢٣ من حديث أنس بن مالك .

في حاجتهم^(١) وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك^(٢) وكان يمرُّ على الصبيان فيسلم عليهم^(٣) وأتى عليه السلام برجل فأرعد من هيبتة فقال: «هُونْ عليك فلست بمَلِكٍ إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»^(٤) وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم ، فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً يعرفه الغريب فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه^(٥) وقالت له عائشة : كُلْ متكئاً فإنه أهون عليك قالت : فأصغى برأسه حتى كاد يصيب جبهته الأرض ثم قال : «بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»^(٦). وكان لا يأكل على خوان ولا في سُكْرَجَةٍ حتى لحق بالله عزَّ وجلَّ^(٧) وكان لا يدعو أحداً من أصحابه وغيرهم إلا قال : لبيك^(٨) وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم ، وإن تحدَّثوا في طعام أو شراب تحدَّث معهم ، وإن تكلموا في الدنيا تحدَّث معهم رفقا بهم و تواضعا لهم^(٩) وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً و يذكرون أشياء من أمر الجاهلية و يضحكون و يتبسّم هو إذا ضحكوا^(١٠) ولا يزجرهم إلا عن حرام .

(١) أخرجه أحمد في المسند من حديث عائشة وقد تقدم .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ج ١٠ ص ٢١٢ باب كراهية قيام الرجل للرجل .

(٣) أخرجه البخاري ج ٨ ص ٦٨ باب التسليم على الصبيان عن أنس .

(٤) أخرجه العاظم ج ٢ ص ٤٦٦ من حديث جرير وقال : صحيح على شرط الشيخين ،

وأخرجه الطبراني في الاوسط كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠ .

(٥) أخرجه ابوداود ج ٢ ص ٥٢٧ من حديث أبي ذر .

(٦) أخرجه ابوالشيخ من رواية عبدالله بن عبيدالله بن عمير عنها كما في المغنى .

(٧) أخرجه البخاري ج ٧ ص ٩١ من حديث أنس .

(٨) أخرجه ابويعلی في الكبير كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠ .

(٩) أخرجه الترمذي في الشمائل من كلام زيد بن ثابت .

(١٠) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٧٨ و الترمذي في الشمائل ص ١٧ من حديث جابر بن

سرة . بدون قوله : «ولا يزجرهم الا عن حرام» .

﴿ بيان صورته و خلقته صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

كان من صفة رسول الله ﷺ في قامته أنه لم يكن بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد ، بل كان ينسب إلى الرُبعة إذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحدٌ من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ ولربما اكتنفه الرُّجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول و نسب هو ﷺ إلى الرُبعة ، وهو ﷺ يقول : جعل الخير كله في الرُبعة .

وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالأدم ولا بالشديد البياض والأزهر ، هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان (١) .
ونعته عمه أبوطالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ✽ ثمال اليتامى عصمة للأرامل (٢)

ونعته بعضهم بأنه مشربٌ حمرة فقال : إنما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة ، والأزهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه (٣) .
و كان عرقه ﷺ في وجهه كاللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر (٤) .

(١) الى هنا أخرجه أبو نعيم في الدلائل ص ٢٣٠ . وراجع معاني الاخبار ص ٧٩ و عيون أخبار الرضا آخر الجزء الاول و مكارم الاخلاق ص ٩ والكافي ج ١ ص ٤٤٣ ، والشامل للترمذي ص ١ ، وصحيح مسلم ج ٧ ص ٨٣ .

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية والطبرسي في اعلام الوردى مرسلًا و رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ٤٤٩ مسنداً .

(٣) قال في النهاية في صفة صلى الله عليه وآله وسلم «أبيض مشرب حمرة» الاشراب خلط لون بلون كأن اللونين سقى اللون الآخر يقال : بياض مشرب حمرة بالتخفيف وإذا شدد كان للتكثير والمبالغة . انتهى ، وقال احمد بن الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري : ازهر اللون معناه نير اللون ، يقال : اصفر يزهرا اذا كان نيراً ، والسراج يزهرا معناه ينير .

(٤) اي طيب الريح ، والذفر - بالتحريك - يقع على الطيب والكريم ويفرق بينهما بما يضاف اليه ويوصف به . وفي صحيح مسلم ج ٧ ص ٨٢ أخبار تدل على ما في المتن .

وأما شعره فقد كان رجل الشعره حسنها، ليس بالسبط ولا الجعد القَطَط^(١) كان إذا مشطه بالمشط كان كأنه حبهك الرمل، وقيل: كان شعره يضرب منكبيه، وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه و ربما يجعله غدائر أربعا يخرج كل أذن من بين غديرتين، وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سواقه يتلأأ، وكان شبيهه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة فما زاد على ذلك^(٢).

وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأتورهم لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر^(٣) وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته^(٤) وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أزج^(٥) الحاجبين سايفهما^(٥) وكان أبلج ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة^(٦) وكان عيناه نجلاوين أدعجهما^(٧) وكان في عينيه تمزج من حمرة، وكان أهدب الأشفار

(١) أخرجه الترمذى في الشمائل من ١ والقطط: الشديده الجموده وقيل: حسن الجموده والاول اكثر وقد تكرر في الحديث (النهاية).

(٢) معاشرت على لفظه في المصادر التي كانت عندي نعم روى أبو نعيم في الدلائل من ٢٣١ ومسلم في صحيحه في باب شيبته صلى الله عليه وآله ج ٧ ص ٨٤ أخباراً يفهم ذلك من بعضها. (٣) كما في حديث هناد بن ابى هالة وعلى بن ابى طالب عليه السلام الذى باتى آخر الباب من ١٥٨.

(٤) راجع الكافى ج ١ ص ٤٤٩، معانى الاخبار من ٨٠، عيون الاخبار آخر الجزء الاول، والشمائل للترمذى من ٢، ودلائل النبوة لابی نعيم الجزء الثالث من ٢٢٨، والطبقات لابن سعد ج ١ القسم الاول من ٥٤ و ١٥٦ والقسم الثانى من ١٢١ و ١٣١.

(٥) رواه الصدوق في المعانى والترمذى في الشمائل من حديث الحسن بن على عليهما السلام عن هناد بن ابى هالة وفيهما « أزج الحواجب » فهو على لغة من يوقع الجمع على التنثية. وزج حاجبه أى رق في طول فهو أزج، و في الكافى ج ١ ص ٤٤٣ « مقرون العاجبين » والسابق: الوافر.

(٦) روى الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٩ والزمخشري في ربيع الابرار من حديث ام ميمد « كان أبلج الوجه » والابلج هو الذى قد وضع ما بين حاجبيه فلم يقترنا والاسم البلج - بالتحريك - . ولم ترده ام ميمد لانها قد وصفتها في حديثها بالقرن (النهاية).

(٧) قال الجزرى: « فى عينيه دعج » الدعج والدعجة: السواد فى العين وقال: عين نجلاء أى واسعة.

حتى كاد يلتبس من كثرتها^(١) وكان أقبى العربين أي مستوي الأنف^(٢) وكان مفلج الأسنان - أي متفرقها - وكان إذا افترضاً حكاً افترض عن مثل سنا البرق إذا تلاً^(٣) وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم^(٤)، وكان سهل الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم^(٥) كث اللحية^(٦) وكان يعني لحيته ويأخذ شاربه^(٧). وكان من أحسن عباد الله عنقاً، لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح كأنه إبريق فضة مشرب ذهباً يتلاً في بياض الفضة

(١) قال في النهاية: « في صفته صلى الله عليه وآله وسلم « كان أهدب الأشفار » وفي رواية « هذب الأشفار » أي طویل شعر الاجفان .

(٢) في المعاني للصدوق: قوله: « أقبى العربين » القنا أن يكون في عظم الأنف احد يداب [أي ارتفاع] في وسطه ، والعربين : الأنف . وفي القاموس : قنا الأنف ارتفاع اعلاه واحديداب وسطه وسبوع طرفه اوتتو وسط القصبه وضيق المنخرين وهو أقبى وهي قنواء انتهى . ومعنى المؤلف غير مستقيم .

(٣) افترا الرجل ضحكاً حسناً، وفي المعاني وغيره « افترض عن مثل حب الغمام » .
(٤) في صحيح مسلم ج ٧ ص ٨٤ والمعاني للصدوق ص ٨٠ و الدلائل لابي نعيم الجزء الثالث ٢٢٨ والكارم ص ١٠ ، والكافي ج ١ ص ٤٤٣ في صفته صلى الله عليه وآله « ضليح الفم » وفي النهاية قال : « من صفته ضليح الفم » أي عظيمه وقيل واسمه ، والعرب تمدح عظيم الفم وتذم صغيره . انتهى وقال الشاعر بهجورجلا :

ان كان كدى و اقدمى لفي جرد * بين العواسج أجنى حوله المصح
الجرذ : الفارة والمصح بضم الميم وسكون الصاد او فتحها ثمر العوسج . والعوسج : شجر الشوك .

ومعناه ان كان كدى واقدمى لرجل فمه مثل فم الجرذ في الصفر . وقال آخر : « لحي الله أفواه الدبا من قبيله » فعيرهم بصفر الافواه .

(٥) أخرجه الترمذى في السنن ج ١٣ ص ١١٧ . وفي النهاية : في صفته صلى الله عليه وآله « لم يكن مكلثم » هو من الوجوه القصير الحنك ، الدانى الجيبة ، المستدير مع خفة اللحم ، أراد أنه كان أسيل الوجه ولم يكن مستديراً .

(٦) معناه أن لحيته قصيرة كثيرة الشعر فيها .

(٧) اعفاء اللحي هو أن يوفر شعرها ولا يقص كالشوارب من عفا الشيء إذا كثروا زاد .

وفي حمرة الذهب (١) .

وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً كالمرايا في استوائه ،
والمقعر في بياضه ، موصول ما بين لبسته و سرته بشعر منقاد كالقضيبي ، لم يكن في
صدره ولا في بطنه شعر غيره (٢) كانت له عكبان ثلاث يغطي الإزار منها واحدة ويظهر
اثنان (٣) .

وكان عظيم المنكبين أشعرهما ، ضخم الكراديس - أي رؤوس العظام من المنكبين
والمرفقين والوركين (٤) .

وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه
شامة سوداء تضرب إلى الصفرة ، حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس (٥) .
وكان عبل العضدين والذراعين ، طويل الزندين ، رحب الراحتين ، سائل الأطراف (٦)
كان أصابعه قضبان الفضة (٧) كفه ألين من الخبز كأن كفه كف عطار طيباً مسها
بطيب أو لم يمستها ، يصفحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ، ويضع يده على رأس

(١) مرآة المعاني وغيره ويأتي عن الكافي .

(٢) في الكافي ج ١ ص ٤٤٣ «سرتة سائلة من لبته الى سرتة كأنها وسط الفضة
المصفاة وكان عنقه الى كاهله ابريق فضة» وفي المعاني ص ٨٠ «موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر» .

(٣) العكبة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن جمعها عكبان وأعكبان ، ودرع ذات عكن :
واسمة تثنى على صاحبها ، والمكان : العنق .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٩٦ و ١١٦ من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ومسلم ج ٧ ص ٨٥ .

(٥) أخرجه البخاري ج ١ ص ٥٧ ، ومسلم ج ٧ ص ٨٦ ، وابن سعد في الطبقات ج ١
القسم الثاني ص ١٣١ ، وأحمد ج ٢ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ .

(٦) العبل : الضخم والرحب : الواسع وفي المعاني ص ٨٧ رحب الراحة اي كثير المطاء
كما قالوا : ضيق الباع في الذم . وقوله : «سائل الاطراف» اي تامها غير طويلة ولا قصيرة .
(٧) قضبان جمع القضب وهو النصب .

الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه^(١) وكان جميل^(٢) ما تحت الإزار من الفخذين والساقين ، وكان معتدل الخلق في السمن ، بدّن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكاً يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن .

وأما مشيه بالتشديد فكان يمشي فكأنما يتقلع من صخر ، وينحدر من صلب يخطو تكفوفاً و يمشي الهونياً بغير تبختر - والهونياً تقارب الخطا - ^(٣) .

وكان بالتشديد يقول : « أنا أشبه الناس بآدم عليه السلام وكان أبي إبراهيم عليه السلام أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً » ^(٤) .

وكان يقول : « إن لي عند الله عشرة أسماء أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد ، وأنا الحاشر الذي يحشر العباد على قدمي ، وأنا رسول التوبة ، وأنا رسول الملاحم ، والمقفي قفيت الناس جميعاً ، وأنا قثم » ^(٥) قال أبو البحتري : القثم الكامل الجامع .

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل من ٢٣٢ آخر الجزء الثالث . وأخرج الدارمي في مقدمة سننه من ٣١ وابن سعد في الطبقات ج ١ ق ٢ من ٩٩ و ١٢٣ واحمد في المسند ج ٣ من ١٠٧ و ٢٠٠ و ٢٢٢ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و الطيالسي في مسنده من ١٧٥ تحت رقم ١٢٤٨ والبيهقي في مجمع الزوائد ج ٨ من ٢٨٢ ما يدل على ذلك .

(٢) في بعض النسخ [عبل] مكان جميل .

(٣) في حديث هند بن أبي هالة « اذا زال زال قلماً ، يخطو وتكفوفاً ويمشى هوناً ، ذريع الشية اذا مشى كأنها ينحط في صلب واذا التفت التفت جميعاً » معناه أن خطاه كأنه يتكسر فيها او يتبختر لقللة الاستعجال معها ولا تبختر فيها ولا خيلاء ، و«الهونياً» تصغير الهوني نأنيث الاهون وهومن الهون : الرفق واللين و التثبت كذا في النهاية و قال : في صفته صلى الله عليه وآله وسلم « يشى هوناً » . وفي مجمع الزوائد ج ٨ من ٢٧٢ نقلاً عن البزار في مسنده « اذا مشى مشى مشياً يقلع الصخر » .

(٤) أخرجه أبو نعيم آخر كتاب الدلائل ، وأخرج ابو يعلى وابن عساكر عن ام هانئ رضي الله عنها خبر أطويلا فيه « واما ابراهيم فوائه لانا أشبه الناس به خلقاً » راجع الدر المشورج ج ٤ من ١٤٨ .

(٥) راجع مجمع الزوائد ج ٨ من ٢٨٤ ، وصحيح مسلم ج ٧ من ٨٩ ، والبغاري

﴿ بيان خلقه وخلقه وسيرته مع جلسائه برواية الحسن والحسين عليهما السلام ﴾
 ﴿ (وهو الذي أضفناه) ﴾

روى في مكارم الأخلاق^(١) من كتاب محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني عن الحسن بن علي^{عليه السلام} قال : سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي^(٢) وكان وصافاً عن حلية النبي^{صلى الله عليه وآله} وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال : كان رسول الله^{صلى الله عليه وآله} فخمًا مفتحاً^(٣) يتلألأ وجهه تلاًلأ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأقصر من المشدب ، عظيم الهامة ، رجل الشعر إذا انفرقت عقيصته قرن^(٤) وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج^(٥) الحواجب سوابغ من غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب ، أفتى العرين ، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم^(٥) كث اللحية ، سهل الخدين ، أذعج ، ضليع النم ، أشنب^(٦) مفلج الأسنان^(٦) دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة^(٧) معتدل الخلق ، بادئاً متماسكاً ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ،

(١) الباب الأول الفصل الأول في خلقه وخلقه وشأنه .

(٢) هو أخو فاطمة عليهما السلام من قبل امه ، فكان ربيب رسول الله وكان رجلاً فصيحاً وصافاً للنبي صلى الله عليه وآله ، قتل مع علي^{عليه السلام} يوم الجمل .

(٣) الفخامة : العظمة أي عظيماً معظماً .

(٤) المشدب - كمعظم - : الطويل ، والهامة : الرأس ، ورجل الشعر أي ليس كثير الجمودة ولا شديد السبوطة ، والعقصة : الفتيلة من الشعر وفي الشعر كثرته .

(٥) تقدم معنى «ازج الحواجب» والدريرة : جريان الشيء في مجراه . والشم ارتقاع في قصبه الأنف مع استواء اعلاه واشراف الازنية قليلاً فان كان فيه احديداب فهو القنى وهو مصدر باب تمب ومنه رجل أشم .

(٦) شنب الرجل فهو أشنب : كان ابيض الاسنان حسنها والذي لريقه عنوبة وبرد والمفلجة من الاسنان المنفرجة .

(٧) المسربة : الشعر وسط الصدر الى البطن ، والدمية - بضم الدال - الصورة المزينة فيها حمرة كالدّم وفي بعض النسخ [ديمة] .

صَحَّمَ الكَرَادِيسَ ، أَنورَ المتجرّد ، موصولَ ما بين اللبّة^(١) والسُرّة بشعرٍ يجري كالخطّ ، عاري الثديين والبطن ممّا سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر ، طويل الزندين ، رَحَبَ الرَّاحَةِ ، سبط القصب ، شِنَ الكَفَيْنِ^(٢) والقدمين ، سائل الأطراف ، حُمُصَانِ الأَخْمَصِينَ ، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء^(٣) ، إذا زال زال قَلِيعاً يخطو تَكْفُؤاً ويمشي هوناً ، سَرِيعَ المِشْيَةِ^(٤) إذا مشى كأنّما يَنحَطُّ مِن صَبَبٍ ، و إذا التفتت التفتت جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه^(٥) و يبدر من لقي بالسّلام .

قال : قلت له : صِف لي منطقتَه ، قال : كان رسول الله ﷺ مواصلاً الأحران ، دائمَ الفكرة ، ليست له راحة ، لا يتكلّم في غير حاجة ، طويل السكت ، يفتح الكلام و يختمه بأشداقه و يتكلّم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول ولا تقصير فيه^(٦) دَمِئاً ليس بالجافي ولا بالمهين^(٧) يُعظّم النعمة و إن دقت لا يذمّ منها شيئاً و لا يذمّ ذواقاً و لا

(١) اللبّة موضع الفلادة من الصدر .

(٢) القصب : العظام المجوف التي فيها مخ نحو الساقين والذراعين و سبوطهما :

امتدادهما . « شِن الكفين والقدمين » أي غليظهما .

(٣) حُمُصَانِ الأَخْمَصِينَ أي لم يصب باطن قدمه الأرض . ومسيح القدمين أي مقدم قدمه ومؤخره مساو أو انهما ملساوان وأنه ليس في ظهورهما تكبير ولهذا قال : ينبو عنهما الماء يعني أنه لا تبات للماء عليهما . (٤) في بعض نسخ الحديث [ذريع الشية] أي واسع الغطاء .

(٥) « يسوق أصحابه » في المعاني أي يقدمهم بين يديه تواضعاً وتكرمة لهم .

(٦) قال الجزري : الأشداق : جوانب الفم ، وإنما يكون ذلك لرحب شديقه والعرب

تمتدج بذلك . وقيل أي كان لا يتشدد في الكلام بان يفتح فاه كله ، و قوله : « بجوامع الكلم » أي أنه كان كثير المعاني قليل الالفاظ . و قوله : « فصلاً » أي بيناً ظاهراً يفصل بين الحق والباطل ، وقيل أي الحكم الذي لا يعاب قائله .

(٧) « دمئاً » قال في النهاية : أراد أنه كان لين الخلق في سهولة ، وأصله من الدمث

وهو الأرض السهلة الرخوة ، و الرمل الذي ليس بمتلبد . وقوله « ليس بالجافي » أي ليس

بالغليظ الخلقة و الطبع اولى بالذي يجفوا أصحابه ، و المهين يروى بضم الميم وفتحها ،

فالضم على الفاعل من أهان أي لا يهين من صحبه ، والفتح على المفعول من السهانة : الحقارة

وهومهين أي حقير .

يمدحه ولا يغضبه الدنيا وما كان لها فإذا تعدّي الحق لم يعرفه أحد^(١) لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها ، وإذا أشار بأشار بكفه كلها ، وإذا تعجّب قلبها ، وإذا تحدّث أشار بها ، فضرب براحته اليمنى باطن أبيهامه اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض من طرفه ، جلّ ضحكه التبسّم ويفتر عن مثل حبّ الغمام .

قال الحسن عليه السلام فكنتم بها الحسين زماناً ثم حدثتته فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته عنه ، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منها شيئاً .

قال الحسين بن علي عليه السلام : «سألت أبي عليه السلام عن دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك وكان إذا أوى إلى منزله جزءاً دخوله ثلاثة أجزاء جزء الله عز وجل ، وجزء أهله ، وجزء نفسه ، ثم جزءاً بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة والخاصة [ولا يدخر عنهم شيئاً] فكان من سيرته في جزء الأمة : إثارة أهل الفضل بآذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذوالحاجة ومنهم ذوالحاجتين ومنهم ذوالحوائج فيتشاكل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم وأصلح الأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول : «ليبلغ الشاهد الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبت الله قدميه يوم القيامة » لا يذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره يدخلون رواداً ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة فقهاء^(٢) .

قال : فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) كذا في الشامل للترمذي وفي المصدر ودلائل أبي نعيم «تعوطى الحق» .

(٢) «رواداً» الرواد جمع رادم وهو الذي يتقدم القوم إلى المنزل يرتادهم الكلاء

يعني أنهم ينفعون بما يسمعون من النبي صلى الله عليه وآله من ورائهم كما ينفع الرادم من خلفه وقوله : «ولا يفترقون إلا عن ذواق» معناه عن علوم يتوقون من حلاوتها وما يداق من الطعام الشتهي ، والأدلة التي تدل الناس على أمور دينهم . وفي نظم درر السطين للزرندی المتوفى ٧٢٥ ص ٦٥ «ويخرجون أدلة» يعني على الخير .

يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ، و يؤلفهم ولا يفرقهم أو قال : ينفرهم - شك مالك - و
يكرم كريم كل قوم و يؤليه عليهم ، و يحذر الناس من الفتن و يحترس منهم من غير
أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه ، و يتفقد أصحابه و يسأل الناس عما في الناس ،
فيحسن الحسن و يقوي به ، و يقبح القبيح و يوهنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا
يفغل مخافة أن يغفلوا أو يملوا ، لكل حال عنده عناد ، لا يقصر عن الحق ولا يجوزه ،
الذين يلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، و أعظمهم عنده منزلة
أحسنهم مواساة و مؤازرة .

قال : فسألته عن مجلسه فقال : كان رسول الله ﷺ لا يجلس و لا يقوم إلا
على ذكر الله عز وجل اسمه ، ولا يوطن الأماكن و ينهى عن إيطانها ، و إذا انتهى
إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس و يأمر بذلك ، يعطي كل جلسائه نصيبه ، لا
يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو فاضه في حاجة صابره حتى
يكون هو المنصرف عنه ، و من سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول ،
قد وسع الناس منه بسطة وخلقاً ، و كان لهم أباً و صاروا عنده في الحق سواء ، مجلسه
مجلس حلم و حياء و صبر و أمانة ، لا ترفع فيه الأصوات و لا توهن فيه الحرم و لا تنثني
فلتاته (١) ، متعادلون متفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعون يوقرون فيه الكبير ، و
يرحمون فيه الصغير ، و يؤثرون ذا الحاجة ، و يحفظون - أوقال : يحيطون - الغريب .
- شك أبو غسان - .

قال : قلت : كيف كان سيرته في جلسائه ، قال : كان رسول الله ﷺ دائم
البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب (٢) ولا فحاش
ولا عيباب ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يؤيس منه ، ولا يخيب فيهم مؤمليه ،
قد ترك نفسه من ثلاث : المرء ، إلا كثارو مما لا يعنيه : و ترك الناس من ثلاث كان

(١) «لاتنثي فلتاته» معناه من غلط فيه غلطة لم يشع ولا يتعدت بها ، يقال : ثوت
الحديث أشوه ثواً إذا حدثت به . وفي النهاية أي لم يكن في مجلسه زلات فتعفظ وتعكى .

(٢) الصخاب بالصاد والسين : الضجة واضطراب الأصوات للخصام .

لا يذمُّ أحداً ولا يعيِّره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أو لهم ، يضحك مما يضحكون منه و يتعجب مما يتعجبون منه ، و يصبر للغريب على الجفوة في منطقته و مسألته حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم و يقول : إذا رأيت طالب الحاجة يطلبها فاردوه ، ولا يقبل الشاء إلا عن مكافئ^(١) ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أوقيام .

قال : قلت : كيف كان سكوته ؟ قال : كان سكوت رسول الله ﷺ على أربعة على الحلم والحند والتقدير و التفكير ، فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس ، وأما تفكره فيما يبقى ويفنى ، وجمع له الحلم والصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه ، وجمع له الحند في أربعة : أخذه بالحسن ليقتدي به ، وتركه القبيح ليقتناه عنه ، واجتهاده للرأي فيما أصلح أمته ، والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة . وفي المكارم أيضاً عن الصادق عليه السلام قال : «إنني لأكره للرجل أن يموت و قد بقيت خلّة من خلال رسول الله ﷺ لم يأت بها»^(٢) .

❖ بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه ❖

اعلم أن من شاهد أحواله و آياته أو أصغى إلى استماع أخباره المشتملة على أخلاقه و أفعاله و أحواله و عاداته و سجاياه و سياسته لأصناف الخلق و هدايته إلى ضبطهم ، و تألفه أصناف الخلق و قوده إليّاهم إلى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة ، و بدايع تدبيراته في مصالح الخلق ، و محاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع التي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول

(١) معناه من صح عنده اسلامه حسن موقع ثناءه عليه عنده ، و من استشعر منه نفاقاً و ضعفاً في ديانته ألقى ثناءه عليه و لم يبالي به (كذا في المعاني للصدوق) .

(٢) المصدر ص ٤١ آخر الباب الاول .

أعمارهم لم يبق له ريبٌ ولا شكٌ في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة يقوم بها القوة البشرية، بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة الهيئة وإن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى أن العربي القحح كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذاب و كان يشهد له بالصدق بمجرد رؤية شمائله فكيف بمن شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده، وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق ويتنبه لصدقه ﷺ وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله، إذا آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيمماً ضعيفاً مستضعفاً، فمن أين له من محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلاً دون غيره من العلوم فضلاً عن معرفته بالله وملائكته وكتبه ورسله وغير ذلك من خواص النبوة لو لا صريح الوحي؟ فمن أين للبشر الاستقلال بذلك؟

أقول: هذا الكلام يؤذن بما اشتهر بين العامة من أن نبينا ﷺ كان أمياً بمعنى أنه لا يحسن القراءة والكتابة، والمروي عن أهل البيت عليهم السلام خلاف ذلك فقد روى محمد بن الحسن الصفار - رحمه الله - في بصائر الدرجات بإسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن النبي ﷺ كان يقرأ ويكتب ويقرأ ما لم يكتب ^(١).

و بإسناده عن جعفر بن محمد الصوفي قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام وقلت له: يا ابن رسول الله لم سمي النبي الأمي؟ قال: ما يقول الناس؟ قلت: يزعمون أنما سمي النبي الأمي لأنه لم يكتب فقال: كذبوا عليهم لعنة الله أنى يكون ذلك والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه: «هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فكيف يعلمهم ما لا يحسن والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنين و سبعين أو بثلاثة

و سبعين لساناً ، و إنما سمّي الأمي لأنه كان من أهل مكّة من أمّيات القرى ، و ذلك قول الله في كتابه : « لتنذر أمّ القرى و من حولها » (١) .

قال أبو حامد : «فلولم يكن له إلهذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية و قد ظهر من آياته و معجزاته مالا يستريب فيه محصل ، فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار ، و اشتملت عليه الكتب الصحاح ، إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل .

فقد خرق الله العادة على يده غير مرّة إذ شقّ له القمر بمكّة لما سألته قريش آية (٢) و أطعم النقر الكثير في منزل جابر (٣) و في منزل أبي طلحة ، و يوم الخندق (٤) و مرّة أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير و عناق - و هو من أولاد المعز فوق العتود - (٥) و مرّة أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص شعير حملها أنس في يده (٦) و مرّة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يديها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك و فضل لهم (٧) .

و نبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم و هم عطاش (٨)

(١) المصدر ص ٦٢ و رواه الصدوق في المجلد ١ ص ١١٨ والمعاني ص ٥٤ . والاية الاولى في سورة الجمعة : ٢ والثانية سورة الانعام : ٩٢ .

(٢) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٢٥١ و مسلم ج ٨ ص ١٣٢ من حديث عبدالله بن مسعود وأنس .

(٣) راجع صحيح البخاري ج ٥ ص ١٣٨ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣١ و مسند احمد ج ٢ ص ٣٧٧ .

(٤) أخرجه أحمد ج ٣ ص ١٤٧ و رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف كما في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٣٠٦ و الدارمي ج ١ ص ٢٢ .

(٥) أخرجه الدارمي ج ١ ص ٢٤ .

(٦) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٢٣٤ .

(٧) أخرجه البيهقي في الدلائل من طريق ابن اسحاق . (المعنى)

(٨) أخرجه الدارمي في سننه ج ١ ص ١٤ و احمد ج ٣ ص ٣٢٩ .

و توضأوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط باليدين يده فيه ^(١) .
 وإهراق وضوئه باليدين في عين تبوك ولأما فيها ، ومرة أخرى في بئر الحديدية
 فجاشتا بالماء ، فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا ، وشرب
 من بئر الحديدية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء ^(٢) .
 وأمر باليدين عمر بن الخطاب أن يزود أربعمئة راكب من تمر كان في اجتماعه
 كربة البعير - وهو موضع بروكه - فزودهم كلهم منه وبقي منه فحبسه ^(٣) .
 ورمى الجيش بقبضة من التراب فعميت عيونهم ، ونزل بذلك القرآن في
 قوله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » ^(٤) .
 وأبطل الله الكهانة بمبعثه باليدين فعدمت وكانت ظاهرة موجودة ^(٥) .
 وحنّ الجذع الذي كان يخطب إليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع
 أصحابه مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن ^(٦) .
 ودعا اليهود إلى تمسّي الموت وأخبرهم بأنهم لا يتعمّنونه فحيل بينهم وبين
 النطق بذلك وعجزوا عنه ، وهذه الآية مذكورة في القرآن يقرؤها في الجوامع أهل
 الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرًا تعظيمًا للآية التي فيها ^(٧) .

(١) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٢٣٤ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٦٠ من كلام معاذ و أحمد ج ٥ ص ٢٤٧ وابن سعد في
 الطبقات ج ١ القسم الأول ص ١١٨ وج ٢ القسم الأول ص ٧٠ . والطبائسي ص ٢٣٩
 تحت رقم ١٧٢٩ .

(٣) أخرجه أحمد ج ٤ ص ١٧٤ باسناد صحيح .

(٤) أخرجه مسلم ج ٥ ص ١٦٩ من كلام سلمة بن الأكوع بدون ذكر الآية ، وأخرجه
 أبو الشيخ وابن مردويه عن جابر وابن عباس مع ذكرها كما في الدر المنثور ج ٣ ص ٧٥
 والاية في الانفال : ١٧ .

(٥) أخرج الخرائطي من كلام مرداس بن قيس المدوسي قال : حضرت النبي
 صلى الله عليه وآله فذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه . (المغنى)

(٦) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٢٣٧ والترمذي ج ١٣ ص ١١١ والدارمي ج ١ ص ١٦ .

(٧) أخرجه ابن المنذر وابن جريج كما في الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٧ .

و أخبر صلى الله عليه وسلم بالغيوب و بأن عمّاراً تقتله الفئة الباغية ^(١).
 و أن الحسن عليه السلام يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ^(٢).
 و أخبر صلى الله عليه وسلم عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار فظهر ذلك بأن
 قتل الرجل نفسه ^(٣).

وهذه أشياء لا تعرف البتة بشيء، من وجوه تقدّمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكنهن
 ولا بكف و لا بخطّ و لا بزجر لكن باعلام الله تعالى له و وحيه إليه .
 و أتبعه سراقه بن جعشم فساخت قدّما فرسه في الأرض و أتبعه دخان حتى
 استغاثه فدعا له و انطلقت الفرس و أنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوار كسرى فكان
 ذلك ^(٤).

و أخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله و هو بصنعاء اليمن وأخبر
 بمن قتله ^(٥).
 و خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم فلم يروه ^(٦).

(١) أخرجه الحاكم ج ٣ ص ٣٨٦ ومسلم ج ٨ ص ١٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري ج ٥ ص ٣٢ ورواه الطبراني في الاوسط والكبير و البزار
 في المسند بسند جيد من حديث جابر وأبي بكر كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٨ .

(٣) أخرجه البخاري ج ٥ ص ١٦٨ .

(٤) رواه الكليني في الكافي ج ٨ ص ٢٦٣ ، و البخاري ج ٥ ص ٧٦ في قصة هجرته
 صلى الله عليه وآله الى المدينة .

(٥) أخرجه البخاري ج ٥ ص ٢١٦ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله
 قال : بينما أنا نائم رأيت في بدي سوارين من ذهب ، فأهمني شأنهما ، فأوحى الله الي
 في المنام أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان بدي أحدهما العنسي
 والاخر مسيلمة . وفي خبر آخر «صاحب صنعاء وصاحب اليمامة» . أقول : والقصة مسطورة
 في أغلب التواريخ والسير .

(٦) أخرجه ابو نعيم في الدلائل وابن مردويه عن ابن عباس في ذيل اية الفار بدون
 ذكر العدد راجع الدر المنثور ج ٣ ص ٢٤٠ .

و شكى إليه البعير بحضرة أصحابه و تدلّل له (١).
و قال لنفر من أصحابه مجتمعين : « أحدكم في النار سده مثل أحد » فمات
كلّهم على استقامة و ارتدّ منهم واحدٌ فقتل مرتدّاً (٢).
و قال لآخرين منهم : « آخركم موتاً في النار » ، فسقط آخرهم موتاً في نار
فاحترق فيها فمات (٣).
و دعا شجرتين فأتتاها و اجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا (٤).
و دعا بنو النصارى إلى المباهلة فامتنعوا و أخبر أنهم إن فعلوا هلكوا ،
فعاموا صحّة قوله فامتنعوا (٥).
و أتاه عامر بن طفيل و أربد بن قيس و هما فارسا العرب و فاتكاهم عازمين على

(١) أخرجه الدارمي في مقدمة سننه ج ١ ص ١١ و ابن سعد في الطبقات ج ١ القسم
الاول ص ١٢٤ و أحمد في المسند ج ٣ ص ١٥٨ و ج ٤ ص ١٧٠ و الهيثمي في مجمع الزوائد
ج ٩ ص ٥ في حديث طويل عن أحمد و الطبراني نحوه ، و في اعلام الوري للطبرسي
ص ٣٩ مرسلًا .

(٢) قال العراقي : ذكره الدار قطنى في المؤلف و المختلف من حديث ابى هريرة
بغير اسناد في ترجمة الرجال بن عذرة وهو الذى ارتد - وهو بالجيم - و ذكره عبدالغنى -
بالمهمله - و سبقه الى ذلك الواقدي و المدائنى و الاول أصح و أكثر كما ذكره الدار قطنى
و ابن ماكولا ، و وصله الطبراني من حديث رافع بن خديج و لفظه « وأحد هؤلاء نفر فى
النار » و فيه الواقدي عن عبدالله بن نوح متروك .

(٣) نقل ابن عبدالبر في الاستيعاب في ترجمة سمرة بن جندب : و كان سمرة من
الحفاظ المكثرين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت وفاته بالبصرة في خلافة
معاوية سنة ثمانى و خمسين سقط في قدر مملوءة ماء حاراً ، كان يتعالج بالقيود عليها من
كزاز شديد أصابه فسقط في القدر الحارة فمات ، فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم له و لابي هريرة و لثالث معهما « آخر موتاكم فى النار » .

(٤) أخرجه الدارمي ج ١ ص ١٣ من السنن من حديث ابن عباس . و رواه الصفار
في البصائر ص ٧١ .

(٥) راجع فتوح البلدان للبلاذرى ص ٧٥ و ٧٦ و تفسير الدر المنثور ج ٢ ص ٣٨ .

قتله عليه السلام ، فحيل بينهما و بين ذلك ودعا عليهما ، فهلك عامر بغدّة و هلك أربد بصاعقة أحرقتة (١) .

و أخبر عليه السلام أنه يقتل أبي بن خلف الجمحيّ عليه اللعنة فيخدشه يوم أحد خدشاً لطيفاً فكانت منيته فيه (٢) .

وأطعم عليه السلام السمّ فمات الذي أكل معه و عاش هو عليه السلام بعده أربع سنين ، و كلمه الذراع المسموم (٣) .

و أخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلاً رجلاً ، فلم يتعدّ واحد منهم ذلك الموضع (٤) .

و أنذر بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك (٥) .

و زويت له الأرض فأري مشارقها و مغاربها ، و أخبر أن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها (٦) . فكان ذلك كما أخبر فقد بلغ ملكهم من أول المشرق من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس و بلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا

(١) أخرجه الطبراني في الكبير والاوسط من حديث ابن عباس كفا في المغنى وفي سعد السعود ص ٢١٨ عن تفسير الكلبي وفي المجمع للطبرسي ج ٦ ص ٢٨٣ مثله .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل ص ١٧٤ ونقله الطبري في التاريخ ج ٢ ص ٢٠١ باسناده عن السدي .

(٣) ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة بشر بن البراء بن معرور أنه مات بغير في حين افتتاحها سنة سبع من الهجرة من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الشاة التي سم فيها ، قيل : انه لم يبرح من مكانه حتى مات وقيل بل لزمه وجهه ذلك سنة ثم مات منه . وأخرج الدارمي في سننه ج ١ ص ٢٣ اخبار الذراع بأنه مسموم .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٥ ص ١٧٠ من حديث أنس .

(٥) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٣٩ واحمد في مسنده ج ٦ ص ٤٢٣ و أبو نعيم في الدلائل ص ٢٠٣ من حديث أم حرام بنت ملحان .

(٦) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٩٥٢ ومسلم ج ٨ ص ١٧١ وأحمد ج ٥ ص ٢٧٨ من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفي النهاية زويت أي جمعت .

في الشمال كما أخبر عليه السلام سواء بسواء .
 و أخبر ابنته فاطمة عليها السلام بأنها أوّل أهله لحاقاً به فكان كذلك ^(١) .
 و أخبر نساءه بأن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً به ، فكانت زينب بنت جحش
 الأسيديّة أطولهن يداً بالصدقة وأولهن لحاقاً به ^(٢) .
 و مسح ضرع شاة حائل لابن لها فدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود ،
 و فعل ذلك مرّة أخرى في خيمة أمّ معبد الخزاعيّة ^(٣) .
 و ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردّها بيده فكانت أصحّ عينيه وأحسنهما ^(٤) .
 و تفلّ في عين عليّ عليه السلام وهو أرمد يوم خيبر فصحّ في وقته و بعثه بالراية ^(٥) .
 و كانوا يسمعون تسبيح الطعام من بين يديه عليه السلام ^(٦) .
 و أُصيبت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده عليه السلام فبرئت من حينها ^(٧) .
 و قلّ زاد جيش كان معه فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جداً فدعا
 فيه بالبركة ، ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملئ ، من ذلك ^(٨) .
 و حكى الحكم بن العاص مشيته عليه السلام مستهزئاً فقال عليه السلام : « كذلك فكن »

- (١) أخرجه البخاري ج ٤ ص ٢٤٨ من حديث فاطمة عليها السلام وعائشة ، وأخرجه
 الترمذي ج ١٣ ص ٢٦١ من حديث أم سلمة - رضی الله عنها - .
 (٢) أخرجه مسلم ج ٧ ص ١٤٤ من حديث عائشة ، ورواه البزار باسناد صحيح
 كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٨ . والحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٢٥ .
 (٣) راجع مسند أحمد ج ١ ص ٣٧٩ و ٤٦٢ والطبقات لابن سعد ج ١ القسم
 الاول ص ١٢٣ . ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١ .
 (٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات ج ١ القسم الاول ص ١٢٥ ، وابن عبد البر في الاستيعاب
 في ترجمة قتادة بن النعمان ، ورواه الطبراني وأبو يعلى كما في مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٩٧ .
 (٥) أخرجه مسلم ج ٧ ص ١٢١ ، والبخاري ج ٥ ص ١٧١ .
 (٦) أخرجه البخاري و أحمد في المسند ج ١ ص ٤٦٠ ، من حديث ابن مسعود
 ونقله ابن شهر آشوب في المناقب فصل معجزاته صلى الله عليه وآله .
 (٧) أخرجه أحمد ج ٤ ص ٤٨ من حديث سلمة بن الأكوع .
 (٨) أخرجه مسلم ج ١ ص ٤٢ والبخاري ج ٣ ص ١٧١ وأحمد ج ٣ ص ٤١٧ .

فلم يزل يرتعش حتى مات (١).

و يد طلحة زال ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حين مسحها بيده (٢).
و خطب عليه السلام امرأة فقال أبوها: إن بها برصاً امتناعاً من خطبته و اعتذاراً
ولم يكن بها برصٌ فقال عليه السلام: فلنكن كذلك فبرصت و هي أم شبيب الذي يعرف
بابن البرصاء الشاعر (٣).

إلى غير ذلك من آياته و معجزاته ، وإنما اقتصرنا على المستفيض ع
أقول: و مما استفاض نقله من طريق أهل البيت عليهم السلام إخباره بشهادة مولانا
أمير المؤمنين عليه السلام و أنه يضرب على رأسه في شهر رمضان فيخضب بدمه لحيمته
المباركة (٤) و بشهادة سبطيه الحسن و الحسين عليهما السلام ، و أن الحسن عليه السلام يسم
والحسين عليهما السلام يُقتل بأرض كربلاء بعد شهادة أصحابه و حيداً غريباً (٥) ، و بأنه يدفن
بضعة منه عليه السلام بطوس إشارة إلى مولانا الرضا عليه السلام (٦) و بأن الأئمة بعده اثنا عشر
و تسميتهم بأسمائهم عليهم السلام (٧) و بأن أمير المؤمنين عليه السلام يقاتل بعده الناكثين و القاسطين

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل من حديث هند بن خديج باسناد جيد (المعنى)

(٢) معاشرت على أصل له .

(٣) ذكرها ابن الجوزي في التفتيح و سماها جيرة بنت الحرث بن عوف المزني
و تبه على ذلك الدمياطي (المعنى) و في الغاموس البرصاء لقب أم شبيب الشاعر و اسمها
أمامة او قرصافة .

(٤) رواه الصدوق في الامالي في خبر طويل من ٦٩ ، و أخرجه الحاكم في المستدرك
ج ٣ من ١١٣ و رواه الطبراني و أبو يعلى كما في مجمع الزوائد ج ٩ من ١٣٦ .

(٥) رواه الصدوق في الامالي من ٧١ و في مجمع الزوائد ج ٩ من ١٨٨ عن الطبراني
رواه في الكبير و الاوسط . و أيضاً في أمالي الصدوق من ٧٠ و مستدرك الحاكم ج ٤
من ٢٩٨ و الدلائل لابي نعيم من ٢٠٢ اخباره بشهادة الحسين عليه السلام .

(٦) رواه الصدوق في العيون من ٣٦٢ .

(٧) نقله الشيخ سليمان الحنفي في الينايع باب ٧٦ من كتاب فرائد السمطين للحموي
عن مجاهد عن ابن عباس في حديث مجيب . نعت اليهودى الى النبي صلى الله عليه و آله
و سؤاله عنه . و في كمال الدين للصدوق من ١٥٠ .

والمارقين ^(١) وأن بعض أزواجه تبغي عليه وهي له ظالمة وأنه تنبئ عندها كلاب حوآب ^(٢) وبجميع الفتن التي وقعت بعده ، وأن أباذر - رضي الله عنه - يموت وحيداً غريباً ^(٣) ، وأن آخر رزق عمارة من الدنيا صاع من لبن ^(٤) إلى غير ذلك من الخصوصيات .

و من معجزاته إطاعة الشمس له في التوقف عن الغروب مرة و في الطلوع بعد الغروب أخرى ^(٥) و إطاعة الشجرة بالإتيان حتى انقلعت من مكانها وخذت الأرض جارة عروقها مغبرة فوقف بين يديه و سلم عليه ثم رجعت بأمره إلى مكانها

(١) أخرجه معب الدين الطبري في ذخائر المعقبى وحسام الدين المتقى الهندي في منتخب كنز العمال مسنداً (هامش مسند احمد ج ٥ ص ٣٩) والحموي في الفرائد والسيوطي في ذيل اللثالي ص ٦٥ والبهوي في شرح السنة والصدوق في المعاني .

(٢) أخرجه ابن قتيبة في الامامة والسياسة وابن ابي الحديد عن قريب الحديث لابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة راجع شرح النهج ج ٢ ص ٧٩ من الطبعة الاولى وكتاب الجمل ص ١١٢ للنفيد ، والمعاني ص ٣٧٥ ، وذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٣) راجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٣١ رواه عن احمد والبخاري .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٢٨٥ .

(٥) قال القاضي في الشفاء كما في شرحه ج ١ ص ٥٨٩ . أخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ، وكذا الطبراني رواه باسانيد رجال بعضها نقاة واللفظ هكذا «أن النبي صلى الله عليه وآله كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال صلى الله عليه وآله : أصليت يا علي ؟ قال : لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم انه كان في طاعتك وفي طاعة رسولك فاردد عليه الشمس قال اسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الأرض وذلك بالصباح في خيبر» وقال : هذان الحديثان ثابتان رواتهما نقاة ، وحكى الطحاوي أن احمد بن صالح [هو ابو جعفر الطبري المصري الحافظ سمع ابن عيينة ونحوه وروى عنه البخاري وغيره] : كان يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم النخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة انتهى وان أردت زيادة على ذلك فراجع التذير ج ٣ ص ١٢٦ إلى ص ١٤١ مفصل الكلام حول الموضوع .

كما هو مذکور في نهج البلاغة (١).

قال أبو حامد: «ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواتراً بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة علي عليه السلام و سخاوة حاتم ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع توحد علماً ضرورياً، ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه عليه السلام إذ تحدى بها بلغاء الخلق و فصحاء العرب، وجزيرة العرب يومئذ مملوءة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم، وكان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشور من مثله أو بسورة من مثله إن شكوا وقال لهم: «لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» وقال: ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك و صرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم و ذراريهم للسبي وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه، ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر وقد انقضى اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر أحد على معارضته، فأعظم بغاوة من ينظر في أحواله ثم في أفعاله ثم في أقواله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إذعان ملوك الأرض له في عصره وبعده مع ضعفه و يتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه، وما أعظم من توفيق من آمن به و صدقه واتبعه في كل ورد و صدر، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للإقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وكرمه وسعة جوده إنه سميع مجيب، والسائل من الكريم لا يخيب» (٢).

هذا آخر الكلام في كتاب أخلاق النبوة وآداب المعيشة من المحججة البيضاء في تهذيب الأحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب أخلاق الإمامة وآداب الشيعة والحمد لله أولاً و آخراً و ظاهراً و باطناً.

(٢) خاب بخيب خيبة أى لا يظفر بماطلب .

(١) في الخطبة القاصمة .

﴿كتاب أخلاق الأئمة وآداب الشيعة﴾

وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أكمل الدين وأتمّ النعمة على المؤمنين بإدامة الخلافة والإمامة إلى يوم القيامة ، ورفع درجة من عرف إمام زمانه و شيعه على منواجه إلى أشرف منازل الكرامة في دارالمقامة ، والصلاة على سيدالنبيين وأفضل المرسلين الذي بلغ ما نزل إليه من ربه كماله وتمامه ، وعلى آله الطاهرين وعترته المعصومين وأوصيائه الهادين أهل بيت النبوة والخلافة والإمامة .

أما بعد : فأقول : لما ذكر أبو حامد في هذا الرّبع أخلاق النبوة وآداب المعيشة ناسب لنا أن نتبع ذلك بذكر أخلاق الإمامة وآداب الشيعة إكمالاً لعلوم الدين وشكراً لما هدانا الله عز وجل من معرفة مقرّبيه وخواصه المهديين إذ كان للإمام عليه السلام أخلاق شريفة ربّانية لم يشركه فيها سائر الخلق ، وصفات كريمة موهبّة خصّها الله بها من دونهم للفرق وللمن عرفه بحقّه وحقيقته و شيعه على طريقته أيضاً آداب وعلامات وخواص بها امتاز عن سائر المؤمنين واستحق لأن يحشر مع إمامه في درجة النبيين ، فكان من الواجب على العبد بعد معرفة الله عز وجل و صفاته ومعرفة نبيّه عليه السلام وأخلاقه أن يعرف إمام زمانه و صفاته وأخلاقه المختصّة به بأن يعلم مقامه ومرتبته عند الله ويعرف شخصه من بين الخلق حتى يتبعه ويقتفي أثره و يطيعه في أوامره و نواهيه و يصير من شيعته .

وقد ورد في الحديث المستفيض المشهورين الخاصّة والعامة «أن من مات ولم

يعرف إمام زمانه مات ميته جاهليّة (١) و أن يعرف آداب شيعته وسماتهم المختصّة بهم حتّى يعرف بذلك مقام أهل الله و خاصّته و مقرّبي حضرته و يعرف أشخاصهم بأعيانهم فيتمشبه بهم و يقتدي بهمديهم و يدخل في حزبهم إذ هم المقصودون من الخلق بعد الإمام و الباقيون إنّما خلّفوا لأجلهم كما مرّ ذكره في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات و قد ذكرنا هناك أنّ أئمّتنا عليهم السلام من هم و أنّ إمام زماننا عليه السلام من هو ، و عرفناهم بأعيانهم و بيّنا أنّ أوّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله و آخرهم قائم أهل بيته عليه السلام و هو سميّه و كنيّه المهدي المنتظر للأمر .

والآن نريد أن نكشف عن مقام الإمام و فضيلته و مرتبته عند الله عزّ وجلّ بذكر الصفات و السمات المختصّة به عليه السلام ، ثمّ نورد طرفاً من أخلاق أئمّتنا صلوات الله عليهم و فاطمة عليها السلام و صفاتهم و كراماتهم واحداً واحداً ، ثمّ نذكر صفات شيعتهم و آدابهم و أخلاقهم و علاماتهم و بعض فضائلهم ، ثمّ نأتي بكلام جامع و ضابطة كليّة في تحقيق معنى الإمام و معنى الشيعة و تقسيم الناس بهذا الاعتبار على وجه كليّ فهذه ستّة عشر مطلباً نذكرها و بالله التوفيق .

﴿ بيان مقام الإمام و فضيلته و مرتبته عند الله عزّ وجلّ ﴾

﴿ بذكر صفاته و سماته المختصّة به عليه السلام ﴾

روى في الكافي (٢) بإسناده عن عبدالعزيز بن مسلم قال : « كنّا مع الرضا عليه السلام بمرور فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدّمنا فأداروا أمر الإمامة و ذكروا كثرة اختلاف الناس فيها فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه فتبسّم (١) و اما من طريق الخاصة ففي الكافي ج ١ ص ٣٧٦ و بصائر الدرجات للصفار و كمال الدين وغيره من كتب الصدوق و كتب الشيخ الطوسي و الشيخ المفيد و غيرهم باسنانيد مستضافة و امامن طريق العامة بهذا اللفظ و لفظ آخر فراجع صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٢ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٢٤ رواه عن البزار و الطبراني ، وفي ربيع الابرار للزمخشري عدة أحاديث بهذا المعنى .

(٢) المجلد الاول ص ١٩٨ (باب نادر جامع في فضل الامام و صفاته) مرفوعاً و

أيضاً رواه الصدوق في العيون ص ١٢٠ بسند متصل .

ﷺ ثم قال : « يا عبدالعزیز جهل القوم وخذعوا عن آرائهم إن الله تعالى لم يقبض نبيه ﷺ حتى أكمل له الدين و أنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء ، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كمالاً فقال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (١) وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره ﷺ « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً » (٢) وأمر الإمامة من تمام الدين ، و لم يمض ﷺ حتى بين لامته معالم دينهم و أوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق و أقام لهم علياً صلوات الله عليه علماً وإماماً و ما ترك شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بينه ، فمن زعم أن الله تعالى لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله تعالى و من رد كتاب الله فهو كافر به ، هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم ، إن الإمامة أجلُّ قدراً وأعظم شأناً و أعلا مكاناً و أرفع جانباً و أبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم ، إن الإمامة خص الله بها إبراهيم الخليل صلوات الله عليه بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة و فضيلة شرفه بها و أشادها ذكره (٣) فقال : « إني جاعلك للناس إماماً (فقال الخليل ﷺ سروراً بها) : و من ذريتي قال تعالى : « لا ينال عهدي الظالمين » (٤) فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال : « و وهبنا له إسحاق و يعقوب نافلة و كلاً جعلنا صالحين » و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا و أوحينا إليهم فعل الخيرات و إقام الصلوة و إيتاء الزكاة و كانوا لنا عابدين » (٥) .

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها الله تعالى النبي ﷺ فقال جل و تعالى : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي و الذين آمنوا والله ولي المؤمنين » (٦) فكانت له خاصة فقلدها علياً ﷺ

(٢) المائدة : ٣ .

(١) الانعام : ٣٨ .

(٤) البقرة : ١٢٤ .

(٣) الاشارة : رفع الصوت بالشىء .

(٦) آل عمران : ٦٨ .

(٥) الانبياء : ٧٣ .

بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى : « وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث » (١) فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمن أين يختار هؤلاء الجهال .

إن الإمامة هي منزلة الأنبياء ، وإرث الأوصياء .

إن الإمامة خلافة الله ، وخلافة الرسول ، ومقام أمير المؤمنين ، وميراث الحسن والحسين صلوات الله عليهم .

إن الإمامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا ، وعز المؤمنين .
إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي ، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف .

الإمام يحل حلال الله ، ويحرم حرام الله ، و يقيم حدود الله ، و يذب عن دين الله ، و يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحجة البالغة .
الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار .

الإمام البدر المنير ، والسراج الزاهر ، والنور الساطع ، والنجم الهادي في غياهب الدجى (٢) وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار .

الإمام الماء العذب على الظماء ، والدال على الهدى ، والمنجي من الردى .
الإمام النار على اليقاع (٣) الحار لمن اصطلى به ، والدليل في المهالك من فارقه فهالك .

الإمام السحاب الماطر ، والغيث الهائل (٤) ، والشمس المضيئة ، والسماء الظليلة

(١) الروم : ٥٦ .

(٢) الغيب : الظلمة وشدة السواد . والاجواز جمع الجوز وهو من كل شيء وسطه .

(٣) اليقاع : ما ارتفع من الارض أى التل .

(٤) الهائل : المطر المتتابع المتفرق العظيم القطر .

والأرض البسيطة ، والعين الغزيرة ، والغدير والروضة .
 الإمام الأئمة الرفيق ، والوالد الشقيق ، والأخ الشقيق ، والامم البرة بالولد
 الصغير ، ومفزع العباد في الداهية الناد^(١) .
 الإمام أمين الله في خلقه ، و حجته على عباده ، وخليفته في بلاده ، والداعي
 إلى الله ، والذائب عن حرم الله .
 الإمام المطهر من الذنوب ، والمبرأ عن العيوب ، المخصوص بالعلم ، الموسوم
 بالحلم ، نظام الدين ، وعز المسلمین ، وغیظ المنافقین ، وبوار الكافرين .
 الإمام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ، ولا
 له مثل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص
 من المفضل الوهاب .

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ، أو يمكنه اختياره ، هيهات هيهات ضلت
 العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وخست العيون^(١) وتصاغرت
 العظام ، وتحيرت الحكماء ، وتقاصرت الحكماء ، وحصرت الخطباء ، وجهلت
 الآليات ، وكلت الشعراء ، وعجزت الأدباء ، وعيبت البلغاء^(٣) عن وصف شأن من
 شأنه أو فضيلة من فضائله ، وأقرت بالعجز والتقصير ، وكيف يوصف بكلمة ، أو ينعت
 بكنهه ، أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه ، لا كيف وأنى و
 هو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين ، فأين الاختيار من هذا ؟ وأين
 العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟

أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول صلوات الله عليه وعليهم ، كذبتهم
 والله أنفسهم ومنتهم الأباطيل^(٤) فارتقوا مرتقاً صعباً دحساً ، تزل عنه إلى الحضيض

(١) الداهية الامر العظيم ، والناد - كسحاب - بمعناها .

(٢) العلوم - كالألباب - العقول ، وضلت وتاهت وحارت متقاربة المعاني ، وخست :

أى كلت .

(٣) عيبت أى عجزت .

(٤) أى اوقعت فى انفسهم الامانى الباطلة او اضعفتهم .

أقدامهم ، راموا إقامة الامام بعقول حائرة باثرة ناقصة ، و آراء مضلة فلم يزدادوا منه إلا بعداً ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، و لقد راموا صعباً ^(١) و قالوا إفاكاً و ضلّوا ضلّالاً بعيداً ، و وقعوا في الحيرة إذ تركوا الامام عن بصيرة ، و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل و كانوا مستبصرين .

رغبوا عن اختيار الله و اختيار رسوله و أهل بيته إلى اختيارهم ، و القرآن يناديهم : « و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله و تعالى عما يشركون » ^(٢) و قال تعالى : « و ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » ^(٣) و قال : « ما لكم كيف تحكمون » أم لكم كتاب فيه تدرسون « إن لكم فيه لما تخيرون » أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة أن لكم لما تحكمون « سلمهم أيّهم بذلك زعيم » أم لهم شركاء فليأتوا بشر كائهم إن كانوا صادقين » ^(٤) و قال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » ^(٥) أم « طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون » ^(٦) أم « قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » إن شرّ الدواب عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم و لو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون » ^(٧) أم « قالوا سمعنا و عصينا » ^(٨) بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فكيف لهم باختيار الامام و الامام عالم لا يجهل ، و راع لا ينكل ، ^(٩) معدن القدس و الطهارة و النسك و الزهادة ، و العلم و العبادة ، مخصوص بدعوة الرسول ، و نسل المطهرة البتول ، لا مغمز فيه في نسب ، ولا يدانيه ذو حسب ، في البيت من قریش

(١) رام الشيء أراده فهو رائم .

(٢) القصص : ٦٨ .

(٣) الاحزاب : ٣٦ .

(٤) القلم : ٣٧ الى ٤٢ .

(٥) محمد : ٢٤ .

(٦) راجع سورة التوبة : ٨٧ .

(٧) الانفال : ٢١ و ٢٢ .

(٨) البقرة : ٩٣ .

(٩) راع اي حافظ للامة و في بعض نسخ المصدر «داع» بالبدال ، و لا ينكل من باب

ضرب و نصر و علم اي لا يضعف ولا يجبن .

والذروة من هاشم، والعترة من الرسول، والرضا من الله عز وجل، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة^(١) عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقه الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتبه غيرهم فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله تعالى: «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون»^(٢) وقوله تعالى: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»^(٣) وقوله في طالوت: «إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم»^(٤) وقال لنبيه ﷺ: «أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً»^(٥) وقال في الأئمة من أهل بيت نبيه وعترته وذريته صلوات الله عليهم: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً»^(٦).

وإن العبد إذا اختاره الله لأموره عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد موفق مسدد، قد أمن الخطايا والزلل والعتار، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فهل يقدر على مثل هذا فيختارونه، أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدّمونه، تعدوا - وبيت الله - الحق ونبتوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدى والشفاء فنبذوه واتبعوا أهواءهم فذمهم الله ومقتهم وأتعسهم فقال تعالى: «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي

(١) اضطلع أى قوى واضطلع بعمله أى نهض به وقوى عليه .

(٢) البقرة : ٢٦٩ .

(٣) يونس : ٣٥ .

(٤) راجع سورة النساء : ١١٣ .

(٥) البقرة : ٢٤٧ .

(٦) النساء : ٥٣ و ٥٤ .

القوم الظالمين» (١) وقال: «فتعسا لهم وأضل أعمالهم» (٢) وقال: «كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» (٣) وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً .

وعن إسحاق بن غالب ، عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم « إن الله تعالى أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عن دينه ، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه ، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه ، فمن عرف من أئمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم واجب حق إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه وعلم فضل طلاوة إسلامه (٤) لأن الله تعالى نصب الإمام علماً لخلقه ، وجعله حجة على أهل مواده وعالمه (٥) وألبسه الله تعالى تاج الوقار ، وغشاه من نور الجبار ، يمد بسبب إلى السماء ، ولا ينقطع عنه مواده ، ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه ، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته ، فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجى ، ومعميات السنن ، ومشبهات الفتن ، فلم يزل الله تعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كل إمام ، يصطفيهم لذلك و يجتبيهم ، ويرضى بهم لخلقه ، ويرتضيهم كلما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً علماً بيتاً و هادياً نيراً وإماماً قيماً و حجة عالماً ، أئمة من الله ، يهدون بالحق وبه يعدلون ، حجج الله ودعواته ورعاه على خلقه ، يدين بهديهم العباد ، ويستهل بنورهم البلاد (٦) وينمو ببركتهم التلاد ، جعلهم الله حياة للأنام ، ومصاييح للظلام ، ومفاتيح للكلام ، ودعائم للإسلام ، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها .

(١) القصص : ٥٠ .

(٢) محمد (ص) : ٨ ، والنس - بالفتح - : الهلاك .

(٣) المؤمن ٣٥ .

(٤) الطلاوة الحسن والبهجة والقبول .

(٥) أهل مواده أى أهل زياداته المتصلة وتكميلاته المتواترة الغير المنقطعة مطيعاً

كان أوعاصياً ، عالمه - بفتح اللام - كما فى الوافى .

(٦) « يستهل » أى يتنور . والتلاد : المال القديم .

فالإمام هو المنتخب المرتضى ، والهادي المنتجى ^(١) فالقائم المرتجى اصطفاه الله بذلك و اصطنعه على عينه في الذر حين ذراه و في البرية حين برأه ، ظللاً قبل خلق نسمة عن يمين عرشه محبوباً بالحكمة ^(٢) في علم الغيب عنده ، اختاره بعلمه ، وانتجبه لطهره ، بقية من آدم وخيرة من ذرية نوح ، ومصطفى من آل إبراهيم ، وسلالة من إسماعيل ^(٣) وصفوة من عتره ^(٤) ، لم يزل مرعياً بعين الله يحفظه ويكلاه بستره ، مطروداً عنه حبائل إبليس و جنوده ، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق ، و نفوث كل فاسق ، مصروفاً عنه قوارف السوء ^(٥) مبرئاً من العاهات ، محجوباً عن الآفات ، معصوماً من الزلات ، مصوناً عن الفواحش كلها ، معروفاً بالحلم والبر في يفاعه ^(٦) منصوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه ، مسنداً إليه أمر والده ، صامتاً عن المنطق في حياته .

فاذا انقضت مدة والده إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته ، وجاءت الإرادة من الله فيه إلى حجته ^(٧) وبلغ منتهى مدة والده ، فمضى وصار أمر الله إليه من بعده ، وقلده دينه ، وجعله الحججة على عباده وقيمة في بلاده ، وأيده بروحه ، و آتاه علمه ، و أنبأه فصل بيانه ، و استودعه سرّه ، و انتد به لعظيم أمره ، و أنبأه فضل بيان علمه ، و نصبه علماً لخلقته ، وجعله حججة على أهل عالمه ، و ضياءً لأهل دينه ، و القيم على عباده ، رضي الله به إماماً لهم ، استودعه سرّه ، و استحفظه علمه و استخبأه حكمته ^(٨) و استرعاه لدينه ، و انتد به لعظيم أمره ، و أحياه مناهج سبيله و فرائضه و حدوده ، فقام بالعدل عند تحيير أهل الجهل ، و تحيير أهل الجدل

- (١) المنتجى صاحب السر، و اصطنعه على عينه اختاره على شهودته بحاله (الوافي) .
 (٢) أي منعماً عليه وهو حال مقدرة لظلاً بقريته قوله في علم الغيب . (المرآة)
 (٣) الوقوب : دخول الظلام ، و الفاسق : الليل المظلم ، و النفوث كالنفخ ، و القرفة : التهمة .
 (٤) في يفاعه أي أوائل سنه ، يقال : أيفح الغلام إذا شارف الاحتلام ولم يعنم .
 (٥) في المصدر « إلى محبته » .
 (٦) استخبأه - بالخاء المعجمة - : أودع عنده وأمره بالكتمان . (الوافي) واسترعاه لدينه أي اعتنى بشأنه ، وفي بعض نسخ المصدر « واستدعاه » .

بالنور الساطع ، و الشفاء النافع ، بالحق الأبلغ ، و البيان اللائح من كل مخرج على طريق المنهج الذي مضى عليه الصادقون من آباءه عليهم السلام ، فليس يجهل حق هذا العالم إلا شقي ، ولا يجحده إلا غوي ، ولا يصد عنه إلا جري على الله جل و علا ^(١) .

﴿ فصل ﴾

و عن أبي بصير قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى : « أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم » ^(٢) فقال : نزلت في علي بن أبي طالب و الحسن و الحسين عليهم السلام ، فقلت له : إن الناس يقولون : فما له لم يسم علياً و أهل بيته في كتاب الله ؟ قال : فقال : قولوا لهم إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نزلت عليه الصلاة و لم يسم الله لهم ثلاثاً و لا أربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هو الذي فسر ذلك لهم ، و نزلت عليه الزكاة و لم يسم لهم من كل أربعين درهماً درهم حتى كان رسول الله هو الذي فسر ذلك لهم ، و نزل الحج فلم يقل لهم : طوفوا أسبوعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هو الذي فسر ذلك لهم ، و نزلت « أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم » و نزلت في علي و الحسن و الحسين فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في علي عليه السلام : من كنت مولاه فعلي مولاه ، و قال صلى الله عليه و آله و سلم : أوصيكم بكتاب الله تعالى و أهل بيته فإني سألت الله تعالى أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما علي الحوض فأعطاني ذلك ، و قال : لا تعلموهم فهم أعلم منكم ، و قال : إنهم لن يخرجوكم من باب هدى و لن يدخلوكم في باب ضلالة ، فلو سكت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلم يبين من أهل بيته لادعائها آل فلان و آل فلان ولكن الله تعالى أنزل في كتابه تصديقاً لنبيه « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » ^(٣) فكان علي و الحسن و الحسين و فاطمة عليهم السلام ، فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تحت الكساء في بيت

(٢) النساء : ٥٩ .

(١) الكافي ج ١ ص ٢٠٣ .

(٣) الاحزاب : ٣٣ .

أم سلمة ثم قال : اللهم إن لكل نبي أهلاً و ثقلاً ، و هؤلاء اهل بيتي و ثقلي ، فقالت أم سلمة : ألسنت من أهلك ؟ فقال : إنك إلى خير ، ولكن هؤلاء أهلي و ثقلي ، فلما قبض رسول الله ﷺ كان علي عليه السلام أولى الناس بالناس لكثرة ما بلغ فيه رسول الله ﷺ و إقامته للناس وأخذه بيده ، فلما مضى علي لم يكن يستطيع علي عليه السلام ولم يكن ليفعل أن يدخل عهد بن علي ولا العباس بن علي ولا واحداً من ولده إذا لقال الحسن والحسين عليهما السلام : إن الله تعالى أنزل فينا كما أنزل فيك ، وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك ، و بلغ فينا رسول الله ﷺ كما بلغ فيك ، وأذهب عنا الرجس كما أذهب عنك ، فلما مضى علي عليه السلام كان الحسن أولى بها لكبره فلما توفي علي عليه السلام لم يستطع أن يدخل ولده ، و لم يكن ليفعل ذلك ، والله تعالى يقول : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » فيجعلها في ولده إذا لقال الحسين عليه السلام : أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك و طاعة أبيك ، وبلغ في رسول الله ﷺ كما بلغ فيك و في أبيك ، و أذهب الله عني الرجس كما أذهب عنك و عن أبيك ، فلما صارت إلى الحسين عليه السلام لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدعي عليه كما كان هو يدعي على أخيه و على أبيه لو أراد أن يصرفا الأمر عنه ولم يكونا ليفعل ، ثم صارت حين أفضت إلى الحسين عليه السلام فجرى تأويل هذه الآية « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ثم صارت من بعد الحسين لعلي بن الحسين ، ثم صارت من بعد علي بن الحسين إلى محمد بن علي عليه السلام و قال : الرجس هو الشك والله لا نشك في ربنا أبداً « (١).

﴿فصل﴾

اعلم أن الله عز و جل فرض على الناس كافة طاعة الأئمة عليهم السلام كما فرض عليهم طاعته تعالى و طاعة رسوله ﷺ حيث قال : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم » فلا يسع الناس إلا معرفتهم ، و لا يعند

الناس بجهالتهم ، من عرفهم كان مؤمناً و من أنكرهم كان كافراً ، و من لم يعرفهم ولم ينكرهم كان ضالاً ، حببهم إيمان ، و بغضهم كفر ، وهم شهداء الله في خلقه في قوله عز وجل : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد » (١) وهم الهداة في قوله سبحانه : « ولكل قوم هاد » (٢) وهم ولاة أمر الله و خزنة علمه و عيبة و حيه ، وإن جبرئيل عليه السلام أنبأ رسول الله صلى الله عليه وآله بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وإن لهم نطقت الشجر ، وعبادتهم عبد الله و لولاهم ما عبد الله ، وإنهم خلفاء الله في أرضه و أبوابه التي يؤتي منها ، و لولاهم ما عرف الله ، و بهم احتج الله على خلقه ، و إنهم نور الله ، و إن نور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين ، و يحجب الله نورهم عما يشاء فيظلم قلوبهم ، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها ، و حجته البالغة على من فوق الأرض و من تحت الثرى ، و عمد الإسلام ، و رابطة على سبيل هداه ، لا يهدي هاد إلا يهداهم ، و لا يضل خارج من الهدى إلا بتقصير عن حقهم ، و إنهم أمنا الله على ما أهبط من علم أو عند أو نذر ، و إنهم المحسودون في قوله جل و عز : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (٣) و إنهم علامات التي ذكرها الله بقوله : « و علامات وبالنجم هم يهتدون » (٤) والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله و إنهم الآيات التي ذكرها الله في قوله : « و ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » (٥) والنذرهم الأنبياء صلى الله عليهم وآله في قوله : « كذبوا بآياتنا كلها » (٦) و إنهم الصادقون في قوله عز وجل : « و كونوا مع الصادقين » (٧) و أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم في قوله : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (٨) والذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ، و إنهم الراسخون في العلم في قوله عز وجل : « و ما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم » (٩) ، و الذين أتوا العلم في قوله جل و عز : « بل

. (٢) الرعد : ٨

. (٤) النحل : ١٦

. (٦) القمر : ٤٢

. (٨) النحل : ٤٥

. (١) النساء : ٤٤

. (٣) النساء : ٥٤

. (٥) يونس : ١٠١

. (٧) التوبة : ١٢٠

. (٩) آل عمران : ٦

هو آياتُ بيِّناتٍ في صدور الذين أوتوا العلم « (١) و المتوسِّمون في قوله سبحانه : « إن في ذلك لآياتٍ للمتوسِّمين » (٢) ، والمؤمنون الذين يعرض عليهم أعمال العباد كل يوم و ليلة أبرارها و فجَّارها في قوله عزَّ اسمه : « اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون » (٣) ، وإنَّهم شجرة النبوة ، وبيت الرِّحمة ، و مفاتيح الحكمة ، و معدن العلم ، و موضع الرِّسالة ، و مختلف الملائكة ، و موضع سرِّ الله ، و ودعة الله في عباده ، و حرم الله الأكبر ، و ذمَّة الله ، و عهد الله ، و إنَّهم ورثوا علم النبي ﷺ و سائر الأنبياء و الأوصياء الذين من قبلهم ، و إنَّ عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله تعالى ، و إنَّهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها ، و إنَّه لم يجمع القرآن كلُّه إلَّاهم ، و إنَّهم يعلمون علمه كلُّه ، ولو وجدوا أوعية أومستراحاً لقالوا ، و إنَّ عندهم خبر السماء و خبر الأرض و خبر ما كان و خبر ما هو كائن ، و إنَّهم لو ستر عليهم لأخبروا كلَّ امرئ بما له و ما عليه ، و إنَّهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة و الأنبياء و الرُّسل صلوات الله عليهم ، و إنَّ عندهم من الاسم الأعظم اثنين و سبعين حرفاً و تمامه ثلاثة و سبعون حرفاً ، و إنَّما حجب عنهم حرف واحد و كان أعطى آصف بن برخيا منه حرف واحد ، و عيسى عليه السلام حرفان ، و موسى عليه السلام أربعة أحرف ، و إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف ، و نوح عليه السلام خمسة عشر حرفاً ، و آدم عليه السلام خمسة و عشرين حرفاً ، و إنَّ عندهم علم البلايا و المنايا و أنساب العرب و مولد الإسلام ، و إنَّهم ليعرفون الرجل إذا رآه بحقيقة الإيمان و حقيقة النفاق ، و إنَّ شيعتهم لمكتوبون عندهم بأسمائهم و أسماء آبائهم ، أخذ الله عليهم و على شيعتهم الميثاق يردون موردهم ، و يدخلون مدخلهم ، ليس على ملَّة الإسلام غيرهم و غير شيعتهم ، و هم النجباء النجاء ، أفراد الأنبياء و الأوصياء ، المخصوصون في كتاب الله ، أولى الناس بكتاب الله ، و أولى الناس برسول الله ﷺ ، و إنَّ عندهم آيات الأنبياء ﷺ مثل ألواح موسى و عصاه ، و الطست الذي كان

(٢) العنكبوت : ٧٥ .

(١) العنكبوت : ٤٨ .

(٣) التوبة : ١٠٦ .

يقرَّب به القربان ، وخاتم سليمان ، وسلاح رسول الله ﷺ ومتاعه من السيف والدرع والعنزة ، وذو الفقار وغير ذلك ، ومثل السلاح فيهم كمثل التابوت في بني إسرائيل كان بنو إسرائيل في أيِّ أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوة فمن صار إليه السلاح منهم أوتي الإمامة ، وإنَّ عندهم الجفر والجامعة ومصحف فاطمة ، وإنَّ ليلة القدر لهم خاصة ، وإنَّما ينزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم عليهم خاصة وإنَّهم يزدادون فيها علماً ، وإنَّهم متى شاؤوا أن يعلموا شيئاً علمهم الله ذلك ، وإنَّهم يعلمون متى يموتون ، وإنَّهم لا يموتون إلا باختيار منهم ، وإنَّ رسول الله ﷺ فوض إليهم أمر الدين كما فوض الله إليه حيث قال : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) وإنَّ مثلهم مثل ذي القرنين وصاحب سليمان وصاحب موسى حيث لم يكونوا أنبياء و كانوا علماء ، وإنَّهم يكلمون الناس بكلِّ لسان ولا يخفى عليهم كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا ذي روح ، وإنَّهم محدثون مفهمون يسمعون صوت الملك ولا يرون شخصه ، وإنَّ معهم الروح وهو خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده وهو مع سائر الأئمة من بعده ، وليس كلُّما طلب وجد وإنَّ الملائكة تدخل بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار ، وربما يلتقطون من زغبها (٢) وإنَّ الجنَّ يأتيهم فيسألونهم من معالم دينهم ويخدمونهم ويتوجهون في أمورهم ، وإنَّهم لم يفعلوا ولا يفعلون شيئاً إلا بعهد من الله وأمر منه لا يتجاوزونه ، وإنَّ كلاً منهم يعرف الذي بعده ، وكلُّهم منصوص عليه بالإمامة من الله سبحانه ومن الذين قبله وكلُّهم في العلم والشجاعة والطاعة سواء إلا أنَّ لرسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام فضلها ، وإنَّ أبدانهم خلقت من عليين وأرواحهم من فوق ذلك ، وخلقت أرواح شيعتهم من عليين وأبدانهم من دون ذلك ، وإنَّ مستقى العلم من بينهم ، وإنَّه ليس شيء

(١) العشر : ٧ .

(٢) الزغب - بفتحين - : صفار الشعر ولينه حين يبدو من الصبي وكذلك من الشيخ حين

يرق شعره ويضعف ، وأيضاً الریش اول ما ينبت ودقاقه الذي لا يوجد ولا يطول وهو المراد هنا .

من الحقّ في أيدي الناس إلا ما خرج من عندهم ، وكلّ شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل ، وإنّ حديثهم صعبٌ مستصعب ، لا يحتمله إلا ملك مقربٌ أو نبي مرسل أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان ، وإنّ الأرض كلّها للإمام وإذا ظهر أمره حكم بحكم داود وآل داود عليهم السلام لا يسأل البيئنة ، وقسم بالسوية وعدل في الرعية وقدّر نفسه في مطعمه ومشربه وملبسه بضعفة الناس كيلا يتبيخ بالفقير فقره ^(١) بل يقتدي الفقير بفقره ولا يطغى الغني بغناه ، وكان أباً لليتامى وزوجاً للأرامل ^(٢) ، ومن ترك ديناً لم يكن في فساد ولا إسراف فعلية قضاؤه ، إلى غير ذلك من الخواص . وكلّ هذه مروية في الكافي بغير واحد من الإسناد ^(٣) .

﴿ذكر طرف من أخلاق أمير المؤمنين﴾

﴿علي بن أبي طالب عليه السلام وصفاته وكراماته﴾

وكان صلوات الله وسلامه عليه أوّل القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيماناً ، وأشدّهم يقيناً ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم عناءً ، وأحوطهم على رسوله ^(٤) وأفضلهم مناقب ، وأكثرهم سوابق ، وأرفعهم درجةً ، وأشرفهم منزلةً ، وأكرمهم عليه . قوي حين ضعف أصحابه ، وبرز حين استكانوا ، ونهض حين وهنوا ، ولزم منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله ، كان خليفته حقاً لم يناع برغم المنافقين ، وغيط الكافرين ، وكره الحاسدين ، وضمن الفاسقين . فقام بالأمر حين فشلوا ، ونطق حين تتعنوا ^(٥) ، ومضى بنور الله إذ وقفوا ، كان أقلهم كلاماً ، وأصوبهم منطقاً ، وأكبرهم رأياً ، وأشجعهم قلباً ، وأشدّهم يقيناً وأحسنهم عملاً ، وأعرفهم بالأمور .

(١) التبيخ : الهيجان والغلبة .

(٢) جمع الارملة وهي التي لا زوج لها .

(٣) راجع الكافي ج ١ من ص ١٩٠ الى ٤١٢ على الترتيب .

(٤) اي أشدهم حيطة وحفظاً وصيانة وتمهداً .

(٥) التعمّة في الكلام : التردد فيه من حصاروعى .

كان للدِّين يعسوباً^(١) أوّلاً حين تفرّق الناس ، و آخراً حين فشلوا ، كان للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليه عيالاً ، فحمل أثقال ما عنه ضعفوا ، و حفظ ما أضعوا ، ورعى ما أهملوا ، و شمر إذ اجتمعوا ، و شهد إذ جمعوا و علا إذ هلموا^(٢) و صبر إذ جزعوا .

كان على الكافرين عذاباً صعباً ، وللمؤمنين غيثاً وخصباً ، لم تقلل حجته^(٣) و لم يزغ قلبه ، و لم تضعف بصيرته ، و لم تجبن نفسه ولم يهن .

كان كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف ، وكان كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً في بدنه ، قوياً في أمر الله ، متواضعاً في نفسه ، عظيماً عند الله ، كبيراً في الأرض ، جليلاً عند المؤمنين ، لم يكن لأحد فيه مهمز ، و لا لقائل فيه مغمز^(٤) ، و لا لأحد فيه مطمع ، و لا لأحد عنده هوادة^(٥) ، الضعيف الذليل عنده قوي عزيز حتى يأخذ له بحقّه ، و القوي العزيز عنده ضعيف ذليل حتى يأخذ منه الحق ، و القريب و البعيد عنده في ذلك سواء ، شأنه الحق و الصدق و الرفق ، و قوله حكم و حتم ، و أمره حلم و حزم ، و رأيه علم و عزم ، اعتدل به الدِّين ، و سهل به العسير ، و اطفئت به النيران ، و قوي به الإيمان ، و ثبت به الإسلام و المؤمنون ، كان للمؤمنين

(١) في القاموس في مادة عسوب : اليعسوب امير النحل و ذكرها ، والرئيس الكبير .

(٢) الهلع - معركة - : الجبن حين لقاء العدو و الجزع .

(٣) اي مصوباً بكثرة ، شبهه بالمطر الغزير الوابل ، فالمصدر بمعنى المفعول ، و الخصب بالكسر : كسرة العشب و رفاهة العيش . و قوله : لم تقلل حجته على بناء المجهول من المجرد او بناء المعلوم من باب التفعّل بحذف احدى التائين ، و في القاموس فله و قلله : ثلثه فتقلل و انقل .

(٤) المهمز و المغمز مصدران او أسماء مكان من الهمز و الغمز و هما بمعنى ، او الهمز الغيبة و الوقية في الناس و ذكر عيوبهم ، و الغمز : الاشارة بالعين خاصة او بالعين و العاجب و اليد . و في فلان مغمز اي مطعن .

(٥) في النهاية : في الحديث « لا تأخذ في الله هوادة » اي لا يسكن عند وجوب حديثه تعالى و لا يحايي فيه احد ، و الهوادة : السكون و الرخصة و المعايبة .

كهنأ حصيناً و على الكافرين غلظة و غيظاً ، (١) .

وفي كشف الغمة (٢) قال معاوية لضرار بن ضمرة : صف لي علياً قال :
أعفني ، قال : لتصفنّه ، قال : أما إذ لا بد فانه والله كان بعيد المدى ، شديد القوى ،
يقول فصلاً ، و يحكم عدلاً ، ينفجر العلم من جوانبه ، و تنطق الحكمة من نواحيه ،
يستوحش من الدنيا و زهرتها ، و يأنس بالليل و وحشته ، و كان غزير الدمعة ،
طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما خشن ، و من الطعام ما جشب (٣) و كان فينا
كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، و يأتينا إذا دعواناه ، و نحن والله من تفريره إيانا و قربه
مننا لانكاد نكلمه هيبته له ، يعظم أهل الدين ، و يقر بالمساكين ، لا يطمع القوي
في باطله ، و لا يأيس الضعيف من عدله ، فأشهد لقد رأيتّه في بعض مواقفه و قد أرخى
الليل سدوله ، و غارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، و يبكي بكاء الحزين
و هو يقول : يادنيا غري غري ، أبي تعرّضت ، أم إليّ تشوّفت ، هيبات هيبات قد
أبنتك ثلاثاً لا رجعة فيها (٤) فعمرك قصير ، و خطرك كبير ، و عيشك حقير ، آه من
قلّة الزاد للسفر ، و وحشة الطريق ، فبكي معاوية و قال : رحم الله أبا الحسن كان
والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي
لا ترقى ، عبرتها و لا يسكن حزنها .

﴿ فصل ﴾

و من مناقب الخوارزمي عن أبي مريم قال : سمعت عمار بن ياسر - رضي الله
عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا عليّ إن الله زينك بزينة لم يزين العباد

(١) راجع من أول الفصل الى هنا الكافي ج ١ ص ٤٥٤ الى ٤٥٦ .

(٢) ص ٢٣ . و نقله غير واحد من المؤرخين و المحدثين كالصدوق و المسمودي و

غيرهما .

(٣) الجشب من الطعام : الغليظ و ما ساء منه .

(٤) كذا في مطالب السؤل ص ٣٣ و امالي الصدوق ص ٣٧١ و مروج الذهب

ج ٢ فصل ذكر لبع من أخباره و زهده عليه السلام . وفي النهج « قد طلقك ثلاثاً » .

بزينة هي أحب إليه منها ، زهدك فيها وبغضها إليك ، وحبب إليك الفقراء فرضيت بهم أتباعاً ورضوا بك إماماً ، يا علي طوبى لمن أحببك وصدق عليك والويل لمن أبغضك وكذب عليك ، أما من أحببك وصدق عليك فأخوانك في دينك و شركاؤك في جنتك ، وأما من أبغضك وكذب عليك فحقيق على الله تعالى يوم القيامة أن يقيمه مقام الكذابين (١) .

ومنه عن عبدالله بن أبي الهذيل (٢) قال : رأيت على علي عليه السلام قميصاً زرياً إذا مدّه بلغ الظفر وإذا أرسله كان مع نصف الذراع (٣) .
ومنه قال عمر بن عبدالعزيز : ما علمنا أن أحداً كان في هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله أزهد من علي بن أبي طالب عليه السلام (٤) .

ومنه عن سويد بن غفلة قال : دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام القصر فوجدته جالساً بين يديه صحيفة فيها لبن (٥) حازر أجدر يرحه من شدة حموضته وفي يده رغيف أرى قشار الشعير في وجهه وهو يكسّر بيده أحياناً فإذا غلبه كسّره بركبته فطرحه فيه ، فقال : أدن فأصب من طعامنا هذا ، فقلت : إنني صائم فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « من منعه الصوم عن طعام تشتهيه كان حقاً على الله أن يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرايبها » ، قال : فقلت لجاريته وهي قائمة بقريب منه : ويحك يا فضة ألاتسقين الله في هذا الشيخ ألاتنخلون له طعاماً مما أرى فيه من النخالة فقالت : لقد تقدّم إلينا أن لانخل له طعاماً ، قال عليه السلام : ما قلت لها ؟ فأخبرته ، فقال : بأبي أنت وأمي من لم ينخل له طعاماً ولم يشبع من خبز البرّ ثلاثة أيام حتى

(١) المناقب لموفق بن أحمد الخوارزمي ص ٦٩ وفي كشف الغمة ص ٤٧ ونقله الجزري في اسد الغابة ج ٤ ص ٢٢ والطبري في ذخائر العقبى ص ١٠٠ وقال أخرجه أبو الخير الحاكم .
(٢) عبدالله بن أبي الهذيل الكوفي أبو الخير ثقة من الطبقة الثانية مات في ولاية خالد القسري على العراق .

(٣) و (٤) المصدر ص ٤٧ . وفي المناقب للخوارزمي ص ٧٠ .

(٥) المراد باللبن هنا ما يقال له بالفارسية (ماست) وبالتركي (يوغورت) و إلا فالعليب إذا حمض فسد ، وفي المناقب للخوارزمي ص ٧١ : الحازر اللبن العامض جداً .

قبضه الله عز وجل (١).

ومن اليواقيت لأبي عمر الزاهد قال ابن الأعرابي: إن علياً صلوات الله عليه دخل السوق وهو أمير المؤمنين فاشترى قميصاً بثلاثة دراهم ونصف فلبسه في السوق فطال أصابعه فقال للخياط: قصه فقصه، وقال الخياط: أحوصه يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ومشى والدرة على كتفه وهو يقول: «شرعك ما بلغك المحلّ»، «شرعك ما بلغك المحلّ» (٢).

وروي أنه عليه السلام خرج ذات يوم وعليه إزار مرقوع فعوتب عليه، فقال: «يخشع القلب بلبسه ويقتدي بي المؤمن إذا رآه علي» (٣). واشترى عليه السلام ثوبين غليظين فخير قنبراً فيهما فأخذ واحداً ولبس هو الآخر ورأى في كمه طولاً عن أصابعه فقطعه (٤).

وخرج يوماً إلى السوق ومعه سيفه ليبيعه فقال: «من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطلال ما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ولو كان عندي ثمن إزار لما بعته» (٥).

و عن هارون بن عنتره قال: حدثني أبي قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام بالخورنق وهو يرعد تحت سمل قطيفة فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعلم وأنت تصنع بنفسك ما تصنع، فقال: «والله ما أرزؤكم من أموالكم شيئاً وإن هذه لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي من المدينة ما عندي غيرها» (٦).

وروي الواحدي في تفسيره أن علياً عليه السلام آجر نفسه ليلة إلى الصبح يستقي

(١) يعني رسول الله صلى الله عليه وآله. والخبر في كشف الغمة ص ٢٤ والمناقب ص ٧١ وفي اختصاص المفيد من حديث ابن دأب ص ١٤٨ شطره الاخير في رواية اخرى.
(٢) كشف الغمة ص ٤٨ والغوص الخياطة، وشرعك أي حسبك وكانك، وهو مثل يضرب في التبليغ باليسير.

(٣) الى (٥) كشف الغمة ص ٥٠ ومطالب السؤل ص ٣٤.

(٦) السمل الغلق من الثياب، والخبر رواه كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في

مطالب السؤل ص ٣٣ وفي كشف الغمة ص ٥٠.

نخلًا بشيء من شعير فلما قبضه طحن ثلثه واتخذوا منه طعاماً فلما تم أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام ، وعملوا الثلث الثاني فأتاهم يتيم فأخرجوه إليه ، وعملوا الثلث الثالث فأتاهم أسير فأخرجوا الطعام إليه ، و طوى علي* و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام و علم الله حسن مقصدهم وصدق نيّاتهم وأنهم إنّما أرادوا بما فعلوه وجهه و طلبوا بما أتوا ماعنده و التمسوا الجزاء منه عز وجل فأنزل الله فيهم قرآناً ، وأولاهم من لدنه إحساناً ، ونشر لهم من العالمين ديواناً ، وعوّضهم بما بذلوا جناناً ، و حوراً و ولداناً ، فقال : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً - إلى آخرها » (١).

و روى في تفسيره يرفعه إلى ابن عباس قال : إن علي* بن أبي طالب عليه السلام كان يملك أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلاً ، و بدرهم نهاراً ، و بدرهم سرّاً ، و بدرهم علانية ، فأنزل الله سبحانه فيه « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلم أجروهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢).

ومن المناقب عن أبي الحمراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه و إلى نوح في فهمه و إلى يحيى بن زكريّا في زهده و إلى موسى بن عمران في بطشه فليتنظر إلى علي* ابن أبي طالب عليه السلام » (٣).

و روى البيهقي يرفعه بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، و إلى نوح في تقواه ، و إلى إبراهيم في حلمه و إلى موسى في هيئته و إلى عيسى في عبادته فليتنظر إلى علي* ابن أبي طالب عليه السلام » (٤).

﴿ فصل ﴾

قال صاحب كشف الغمّة (٥) أمّا شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام و بأسه و مصادمته الأقران و مراسه (٦) و ثبات جأشه حيث تزلزل الأقدام ، و شدّة صبره حين تطير

(١) كشف الغمة من ٤٩ . (٢) كشف الغمة من ٥١ .

(٣) و (٤) كشف الغمة من ٣٣ . وفي المناقب للخوارزمي من ٥٠ .

(٥) المصدر من ٥١ .

(٦) المراس - بكسر الميم - : الشدة والقوة .

فراخ الهام ، و سطوته وقلوب الشجعان واجفة ، واستقراره وأقدام الأبطال راجفة ،
ونجدته عند انخلاع القلوب من الصدور ، وبسالته ورحى الحرب تدور والدما تقور
ونجوم الأسنّة تطلع وتغور ، وحماسه والموت قد كشر عن نابه^(١) وسماحته بنفسه ،
والجبان قد انقلب على أعقابهم ، وكشفه الكرب عن وجه رسول الله ﷺ وقد فر من
فر من أصحابه ، وبذله روحه العزيزة رجاء ما أعد الله من ثوابه ، فهي أمر قد اشتهر وحال
قد بان وظهور وشاع ، فعرّفه من بقي ومن غبر ، وتضمّنته الأخبار والسير ، فاستوى في العلم
به العبيد والقريب ، واتّفق على الإقرار به البغيض والحبيب ، وصدّق به عند ذكره
الأجنبي والنسيب ، فارس الإسلام وأسنده ، وباني ركن الإيمان ومشيدته ، طلاع
الأنجد والاعوار^(٢) ومفرّق جموع الكفار ، حاصد خضرائهم بندي الفقار ، ومخرجهم
من ديارهم إلى المفاوز والقفار ، مضيف الطير والسباع يوم الملحمة والقراع ، سيف الله
الماضي ، ونائبه المتقاضي ، وآيته الواضحة ، وببئته اللايحة ، وحجته الصادقة ،
ورحمته الجامعة ، ونعمته الواسعة ، ونقمة الوازنة ، قد شهدت بدربمقامه ، وكانت حنين
من بعض أيامه ، وسل أخذاً عن فعل قناته وحسامه ، و يوم خيبر إذ فتح الله على
يديه ، ويوم الخندق إذ خرّ عمر و لغمه ويديه ، وهذه جعل لها تفصيل وبيان ، ومقامات
رضي بها الرحمن ، ومواطن هدّت الشرك وزلزلته وحملته على حكم الصغار وأنزلته ،
ومواقف كان فيها جبرئيل يساعده وميكائيل يؤازره ويعاضده ، والله يمدّه بعناياته ،
والرسول يتبعه بالصالح دعواته ، وقلب الإسلام يرجف عليه ، وأمداد التأييد تصل إليه .
نقلت من مسند أحمد بن حنبل عن هبيرة قال : خطبنا الحسن بن علي رضي الله
فقال : « لقد فارقتكم بالأمس رجل لم يسبقه الأولون بعلم ولم يدركه الآخرون
بعمل ، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، لا

(١) الواجفة : المضطربة ، والراجفة : المتزلزلة . والنجدة : الشدة والبأس ،

والبسالة : الشجاعة . والكشر : الكشف ، وكشر عن نابه أي كشف عن أسرته .

(٢) الانجدة ما أشرف من الأرض وارتفع . يقال : هو طلاع أنجد وأنجدة ونجاد

وطلاع النجاد أي ضابط للامور يدلل المصعب .

ينصرف حتى يفتح له» (١).

ومن حديث آخر من المسند بمعناه « ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يرصدها لخادم لأهله » (٢).

وقال الشيخ المفيد - رحمه الله - (٣) ومن آيات الله الخارقة للعادة في أمير المؤمنين عليه السلام أنه لم يعهد لأحد من مبارزة الأقران و منازلة الأبطال ما عرف لأمر المؤمنين عليه السلام من كثرة ذلك على مر الزمان ، ثم لم يوجد في ممارسي الحروب إلا من عرته بشر ونيل منه بجراح أو شين إلا أمير المؤمنين عليه السلام فإنه لم ينله مع طول مدة زمان حربه جراح من عدوه ولا وصل إليه أحد منهم بسوء حتى كان من أمره مع ابن ملجم لعنه الله على اغتياله إياه ما كان ، وهذه العجوبة أفرده الله تعالى بالآية فيها خصه بالعلم الباهر في معناها ، ودل بذلك على مكانه منه وتخصه بكرامته التي بان بفضلها من كافة الأنام ؛ ومن آيات الله فيه عليه السلام أنه لا يذكر ممارس للحروب لقي فيها عدواً إلا وهو ظافر به حيناً وغير ظافر به حيناً ، ولا نال أحد منهم خصمه بجراح إلا و قضى منها وقتاً وعوفى منها وقتاً ، ولم يعهد من لم يفلت منه قرن في الحرب ولا نجى من ضربته أحد فصلح منها إلا أمير المؤمنين عليه السلام فإنه لا مريّة في ظفره بكل قرن بارزه وإهلاكه كل بطل نازله ، وهذا أيضاً مما انفرد به عليه السلام من كافة الأنام ، وخرق الله به العادة في كل حين وزمان ، وهو من دلائله الواضحة . ومن آيات الله تعالى فيه أيضاً مع طول ملاقاته الحروب وملاسته إياها ، وكثرة من منى به فيها من شجعان الأعداء وصناديدهم وتجمعهم عليه ، واحتياهم في الفتك به ، وبذل الجهد في ذلك ما ولى قط عن أحد منهم ظفهره ، ولا انهمز عن أحد منهم ولا تزحزح عن مكانه ، ولا هاب أحداً من أقرانه ، ولم يلق أحد سواه خصماً له في الحرب إلا وثبت له حيناً وانحرف عنه حيناً ، وأقدم عليه وقتاً وأحجم عنه زماناً ، وإذا كان الأمر على ما وصفناه ثبت ما

(١) و(٢) كشف الغمة ص ٥١ وفي مسند أحمد كلاماً حديث واحد ج ١ ص ١٩٩ .

وأخرجه النسائي في الخصائص ص ١٠ أيضاً في حديث واحد .

(٣) راجع ارشاد المفيد ص ١٤٥ ، وفي كشف الغمة ص ٧٨ .

ذكرناه من انفراده بالآية الباهرة والمعجزة الظاهرة و خرق العادة فيه بما دل الله وكشف به عن فرض طاعته وأبانه بذلك من كافة خليقته .

﴿ فصل ﴾

و أمّا كراماته ^(١) عليه السلام وما جرى على لسانه من الأخبار بالمغيبات فمنها إخباره عليه السلام بحال الخوارج المارقين و ذلك أنهم لما اجتمعوا و أجمعوا على قتاله و ركب إليهم لقيه فارس ير كض فقال : يا أمير المؤمنين إنهم سمعوا بمكانك فعبروا النهران منهزمين فقال له : أنت رأيتهم عبروا؟ قال : نعم ، فقال عليه السلام : و الذي بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يعبرون ولا يبلغون قصر بنت كسرى حتى يقتل مقاتلهم على يدي فلا يبقى منهم إلا أقل من عشرة ولا يقتل من أصحابي إلا أقل من عشرة ، و ركب و قاتلهم ، و جرى الأمر على ما أخبر في الجميع ولم يعبروا النهر .

ومنها ما أورده ابن شهر آشوب في كتابه ^(٢) عليه السلام لما قدم الكوفة وفد عليه الناس و كان فيهم فتى فصار من شيعته يقاتل بين يديه في مواقفه فخطب امرأة من قوم فز و جوه ، فصلّى عليه السلام يوماً الصبح وقال لبعض من عنده : اذهب إلى موضع كذا تجد مسجداً إلى جانبه بيت فيه صوت رجل وامرأة يتشاجران فأحضرهما إليّ ، فمضى وعاد وهما معه ، فقال لهما : فيم طال تشاجر كما الليلة ؟ فقال الفتى : يا أمير المؤمنين إن هذه المرأة خطبتها وتزوجتها فلما خلوت بها وجدت في نفسي منها نفرة منعني أن ألمّ بها ، ولو استطعت إخراجها ليلاً لأخرجتها قبل النهار ، فنقمت على ذلك وتشاجرنا إلى أن ورد أمرك فصرنا إليك ، فقال عليه السلام لمن حضر : ربّ حديث لا يؤثر من يخاطب به أن يسمعه غيره ، فقام من كان حاضراً ولم يبق عنده غيرهما ، فقال لها علي عليه السلام : أتعرفين من هذا الفتى؟ فقالت : لا ، فقال : إذا أنا أخبرتك بحاله تعلمينها

(١) راجع كشف الغمة ص ٧٩ .

(٢) المناقب باب اخباره بالغيب ج ٢ ص ٢٦٦ و في كشف الغمة ص ٧٩ نقلا من

المناقب لكن في المناقب بلفظ آخر .

فلاتنكريها؟ قالت لا: يا أمير المؤمنين، قال: ألسنت فلانة بنت فلان؟ قالت: بلى، قال: ألم يكن لك ابن عمّ وكلّ منكما راغب في صاحبه؟ قالت: بلى، قال: أليس أن أباك منعك عنه ومنعه عنك ولم يزوجك بك وأخرجه من جواره لذلك؟ قالت: بلى، قال: أليس خرجت ليلة لقضاء الحاجة فافتالك وأكرهك ووطئك، فحملت فكنمت أمرك عن أبيك وأعلمت أمك؟ فلما آن الوضع أخرجتك أمك ليلاً فوضعت ولداً فلغفته في خرقة وألقيته من خارج الجدران حيث قضاء الحوائج، فجاها كلب فشمه فخشيت أن يأكله فرميته بحجر فوقعت في رأسه فشجته فعدت إليه أنت وأمك فشددت رأسه أمك بخرقة من جانب مرطها، ثم تركتماه ومضيتما ولم تعلما حاله فسكتت، فقال لها: تكلمي بحق، فقالت: بلى والله يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر ما علمه مني غير أمي، فقال: قد اطلعني الله عليه فأصبح وأخذته بنو فلان فربّي فيهم إلى أن كبر و قدم معهم الكوفة وخطبك وهو ابنك، ثم قال للفتى: اكشف رأسك فكشفه فوجد أثر الشجة فقال ﷺ: هذا ابنك قد عصمه الله بما حرّمه عليه فخذي ولدك وانصري فلانكاح بينكما.

ومنها ما رواه الحسين بن ذكوان الفارسي^(١) قال: كنت مع أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب ﷺ وقد شكى إليه الناس زيادة الفرات وأنها قد أهلكت مزارعهم ونحب أن تسأل الله أن ينقصه عنا، فقام ودخل بيته والناس مجتمعون ينتظرونه، فخرج وعليه جبة رسول الله ﷺ و عمامته وبرده وفي يده قضيبه، فدعا بفرسه وركب فمشى ومعه أولاده والناس وأنا منهم رجالة حتى وقف على الفرات، فنزل عن فرسه وصلى ركعتين خفيفتين، ثم قام وأخذ القضيب بيده ومشى على الجسر وليس معه سوى الحسن والحسين ﷺ وأنا فأهوى إلى الماء بالقضيب فنقصت الفرات ذراعاً فقال: أيكفيكم؟ قالوا: لا يا أمير المؤمنين، فقام فأوماً بالقضيب وأهوى به إلى الماء فنقصت الفرات ذراعاً آخر هكذا إلى أن نقصت ثلاثة أذرع فقالوا: حسبنا يا أمير المؤمنين فركب فرسه وعاد إلى منزله^(٢).

(١) في المصدر بعض النسخ [حسن بن ذكوان] وفي بعضها [دكردان] (٢) كشف الغمة ص ٨٠.

ومنها إخباره عليه السلام بقصة قتله وذلك أنه لما فرغ من قتال الخوارج عاد إلى الكوفة في شهر رمضان فأمّ المسجد فصلى ركعتين ثمّ صعد المنبر فخطب خطبة حسناء ثمّ التفت إلى ابنه الحسن فقال : يا أبا عبد الله كم مضى من شهرنا هذا ؟ فقال : ثلاثة عشر يا أمير المؤمنين ، ثمّ سأل الحسين فقال : يا أبا عبد الله كم بقي من شهرنا هذا ؟ - يعني رمضان - فقال : سبع عشرة يا أمير المؤمنين ، فضرب يده على لحيته وهي يومئذ بيضاء فقال : ليخضبنها بدمها « إذ انبعث أشقاها » ثمّ قال :

أريد حياه ^(١) ويريد قتلي ☆ عذيري من خليلي من مراد ^(٢)

وعبدالرحمن بن ملجم المرادي يسمع فوق في قلبه من ذلك شيء فجاء حتى وقف بين يدي علي عليه السلام و قال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين هذه يميني و شمالي بين يديك فاقطعها أو فاقتلني ، فقال علي عليه السلام : فكيف أقتلك ولا ذنب لك إليّ ولو أعلم أنك قاتلي لم أقتلك ولكن هل كانت لك حاضنة - يهودية - فقالت لك يوماً من الأيام : يا شقيق عاقر ناقة ثمود ؟ قال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فسكت عليّ عليه السلام فلما كانت ليلة تسع عشرة ^(٣) من الشهر قام ليخرج من داره إلى المسجد لصلاة الصبح وقال : إن قلبي يشهد أنني مقتول في هذا الشهر ففتح الباب فتعلق الباب بمئزره فجعل ينشد .

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا قبلك

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك

فخرج فقتل صلوات الله عليه ^(٤) .

ومنها حديث ميثم التمار وإخباره عليه السلام إياه بحاله وصلبه وموضعه والنخلة

التي يصلب عليها ، والقصة مشهورة ^(٥) .

(١) في بعض النسخ « اريد حياته » .

(٢) في بعض نسخ الحديث « عذيرك من خليلك من مراد » .

(٣) في المصدر « ثلاث وعشرين » . (٤) كشف الغمة ص ٨٠ عن مطالب السؤول .

(٥) راجع كتاب الخصائص للشيخ الرضى فصل اخباره عليه السلام بالقيس ، و مدينة

البحراني ج ١ ص ١١٩ .

ومنها أن الحجاج طلب كميل بن زياد فهرب منه فقطع عطاء قومه فلما رأى ذلك قال : إنني شيخ كبير قد نفذ عمري فلا ينبغي لي أن أحرم قومي عطياتهم ، فخرج إلى الحجاج فقال : قد كنت أحب أن أجد عليك سيلاً فقال له كميل : لا تصرف على أنيابك فما بقي من عمري إلا القليل فاقض ما أنت قاض فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب ، ولقد أخبرني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : أنك قاتلي ، فضرب عنقه ^(١).

ومنها أن الحجاج قال ذات يوم : أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب فاتقرب إلى الله بدمه ، فقيل له : ما نعلم أحداً أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولى فطلبه فأتى به فقال : أنت قنبر؟ قال : نعم قال : مولى علي بن أبي طالب؟ قال : الله مولاي وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي ، قال : أبرء من دينه قال : دلني على دين أفضل منه ، قال : إنني قاتلك فاخترأي قتلة أحب إليك ، قال : قد صيرت ذلك إليك ، قال : لم؟ قال : لا تقتلني قتلة إلاقتلنك مثلها ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أن منييتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق ، فأمر به فذبح ^(٢).

ومنها أنه قال للبراء بن عازب : « يا براء يقتل ابني الحسين وأنت حي لا تنصره » فلما قتل الحسين عليه السلام قال البراء : صدق علي عليه السلام ، قتل الحسين ولم أنصره وأظهر الحسرة على ذلك والندم ^(٣).

ومنها أنه وقف في كربلاء في بعض أسفاره ناحية من عسكره فنظر يميناً وشمالاً واستعبر باكياً ، ثم قال : هذا والله مناخ ركا بهم وموضع منييتهم ، فقيل : يا أمير المؤمنين ما هذا الموضع؟ فقال : هذا كربلاء يقتل فيه قوم يدخلون الجنة بغير حساب ثم سار ولم يعرف الناس تأويل قوله حتى كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان ^(٤).

ومنها ما رواه الناس أنه عليه السلام لما توجه إلى صفين واحتاج أصحابه إلى الماء و التمسوه يميناً وشمالاً فلم يجدوه ، فعدل بهم أمير المؤمنين عليه السلام عن الجادة قليلاً فلاح له دير في البرية ، فساروا إليه وسأل من فيه عن الماء فقالوا : بيننا وبين

الماء فرسخان وماهنا منه شيء، وإنما يجلب لي من بُعد وأستعمله على التقدير ولولا ذلك لمت عطشاً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : اسمعوا ما يقول الراهب فقالوا : تأمرنا أن نسير إلى حيث أوماً إلينا لعلنا ندرك الماء، وبنا قوة ، فقال عليه السلام : لا حاجة لكم إلى ذلك ولوى عنق بغلته نحو القبلة وأشار إلى مكان بقرب الدير أن اكشفوه ، فكشفوه فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هنا صخرة لا تعمل فيها المساحي فقال : هذه الصخرة على الماء فاجتهدوا في قلعها فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء ، فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً ، واستصعبت عليهم فلمّا رأى ذلك لوى رجله عن سرجه ، وحسر عن ساعده ، ووضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحرّكها وقلعها بيده ودحابها أذرعاً كثيرة فظهر لهم الماء ، فبادروه وشربوا وكان أعذب ماء شربوه في سفرهم وأبرد وأصفاء ، فقال : تزودوا وارتبوا ، ففعلوا ذلك ، ثمّ جاء إلى الصخرة فتنا ولها بيده ووضعها حيث كانت وأمر أن يعنى أثرها بالتراب ، والرّاهب ينظر من فوق ديره فنادى يا قوم أنزلوني ، فأنزلوه فوق بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا هذا أنت نبيّ مرسلٌ ؟ قال : لا ، قال : فملكٌ مقربٌ ؟ قال : لا ، قال : فمن أنت ؟ قال : أنا وصي رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيّين عليه السلام قال : ابسط يدك أسلم على يدك فبسط أمير المؤمنين عليه السلام يده وقال له : أشهد الشهادتين ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أنك وصي رسول الله ، وأحقّ الناس بالأمر من بعده ، فأخذ عليه شرائط الإسلام ، وقال : ما الذي دعاك إلى الإسلام بعد إقامتك على دينك طول المدة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا الدير بُني على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها ، وقدمضى على ذلك عالم قبلي ولم يدركوا ذلك ، فرزقني الله عزّ وجلّ ، إننا نجد في كتبنا ونأثر عن علمائنا أن في هذا الموضع عيناً عليها صخرة لا يعرفها إلا نبيّ أو وصي نبيّ وأنه لا بدّ من وليّ الله يدعو إلى الحقّ ، آتبه معرفة مكان هذه الصخرة وقدرته على قلعها ، ولما رأيتك قد فعلت ذلك تحققت ما كنا نتنظر وبلغت الأمانة وأنا اليوم مسلم على يدك ، ومؤمن بحقك ومولاك ، فلمّا سمع أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بكى حتى

اخضلت لحيته من الدموع وقال : الحمد لله الذي لم أكن عنده منسياً ، الحمد لله الذي كنت في كتبه مذكوراً ، ثم دعا الناس ، وقال : اسمعوا ما يقول أخوكم المسلم فسمعوا وحمدوا الله وشكروه إذ ألهمهم معرفة أمير المؤمنين عليه السلام وسار والراهب بين يديه وقاتل معه أهل الشام واستشهد فتولى أمير المؤمنين عليه السلام الصلاة عليه ودفنه وأكثر من الاستغفار له ، وكان إذا ذكره يقول : ذاك مولاي ^(١).

ومنها ما رواه أصحابنا من رد الشمس عليه مرتين في عهد النبي صلى الله عليه وآله مرة و بعد وفاته مرة ^(٢) روت أسماء بنت عميس وأُم سلمة وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري في جماعة من أصحاب النبي أن النبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم في منزله وعليه عليه السلام بين يديه إذ جاء جبرئيل يناجيه عن الله فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام و لم يرفع رأسه حتى غابت الشمس ، فصلى العصر جالساً إيماء ، فلما أفاق قال لأمر المؤمنين عليه السلام : فاتتك العصر؟ قال : صليتُها قاعداً إيماء فقال : ادع الله يرد عليك الشمس حتى تصلبها قائماً في وقتها فإن الله يجيبك لطاعتك لله و لرسوله ، فسأل الله في ردّها فردت عليه حتى صارت في موضعها من السماء وقت العصر فصلاها ثم غربت قالت أسماء : فوالله لقد سمعنا لها عند عزوبها كصرير المنشار . وبعد النبي صلى الله عليه وآله حين أراد أن يعبر الفرات ببابل واشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم و صلى هو مع طائفة من أصحابه العصر وفاتت جمهورهم فتكلموا في ذلك فلما سمع سأل الله في ردّها ليجتمع كافة أصحابه على الصلاة فأجابه الله تعالى وردّها فكانت كبحا لها وقت العصر فلما سلم بالقوم غابت و سمع لها و جيب شديد حال الناس وأكثروا التسبح والتهليل والاستغفار ، والحمد لله على نعمته التي ظهرت فيهم وسار خبر ذلك في الآفاق .

ومنها أنه عليه السلام اتهم رجلاً يقال له : العيزارير رفع أخباره إلى معاوية فأنكر ذلك وججده فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لتحلف بالله إنك ما فعلت؟ قال : نعم فبدر

(١) كشف الغمة ص ٨١ .

(٢) كشف الغمة ص ٨٢ وراجع المصادر العامة الفديريج ٣ ص ١٢٦ الى ١٤١ .

فحلف فقال علي عليه السلام : إن كنت كاذباً فأعمى الله بصرك فمادارت الجمعة حتى عمى وأخرج يقاد وقد أذهب الله بصره (١) .

ومنها أنه عليه السلام نشد الناس من سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار وأنس بن مالك في القوم ولم يشهد فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : يا أنس ما منعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا ؟ قال : يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : اللهم إن كان كاذباً فأضربه ببياض أو بوضح لا تواريه العمامة ، قال طلحة بن عمير : فأشهد بالله لقد رأيتها ببيضاء بين عينيه (٢) .

ومنها أنه عليه السلام نشد الناس فقال : أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والهن والآه وعادم من عاداه [وانصر من نصره] » فقام اثنا عشر بدرية سته من الجانب الأيسر وستة من الجانب الأيمن فشهدوا بذلك ؛ قال زيد بن أرقم : كنت فيمن سمع ذلك فكنتمته فذهب الله ببصري ، وكان يتندم على ما فاتته من الشهادة ويستغفر (٣) .

ومنها أنه عليه السلام قال على المنبر : أنا عبد الله ، وأخو رسول الله ، ورثت نبي الرحمة ، ونكحت سيده نساء أهل الجنة ، وأنا سيد الوصيين ، وآخر أوصياء النبيين ، لا يدعي ذلك غيري إلا أصابه الله بسوء ، فقال رجل من عبس - من لا يحسن أن يقول هذا - : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، فلم يبرح من مكانه حتى تخبطه الشيطان فجر برجله إلى باب المسجد ، فسألنا قومه هل يعرفون به عرضاً قبل هذا قالوا : اللهم لا (٤) .
ومنها ما حكى أن معاوية بن أبي سفيان قال لجلسائه بعد الحكومة : كيف لنا أن نعلم ماتؤول إليه العاقبة في أمرنا ؟ قال جلساؤه : ما نعلم لذلك وجهاً ، قال : فأننا أستخرج علم ذلك من علي عليه السلام فإنه لا يقول الباطل ، فدعا ثلاثة رجال من ثقافته وقال لهم : امضوا حتى تصيروا جميعاً من الكوفة على مرحلة ثم تواطوا على أن تنعوني بالكوفة وليكن حديثكم واحداً في ذكر العلة واليوم والوقت وموضع القبر ،

ومن تولى الصلاة عليّ، وغير ذلك حتى لا تختلفوا في شيء، ثمّ ليدخل أحدكم فليخبر بوفاتي ثمّ ليدخل الثاني فيخبر بمثله ثمّ ليدخل الثالث فيخبر بمثل خبر صاحبه وانظروا ماذا يقول عليّ، فخرجوا كما أمرهم معاوية ثمّ دخل أحدهم وهو راكبٌ مغدٍ شاحب، فقال له الناس بالكوفة: من أين جئت؟ قال: من الشام: قالوا له: ما الخبر؟ قال: مات معاوية، فأتوا عليّاً عليه السلام وقالوا: رجل راكب من الشام يخبر بموت معاوية، فلم يحفل عليه السلام بذلك^(١)، ثمّ دخل آخر من الغد وهو مغدٍ، فقال له الناس: ما الخبر؟ قال: مات معاوية وخبر بمثل ما أخبر صاحبه، فأتوا عليّاً عليه السلام وقالوا: رجل راكب آخر يخبر من موت معاوية بمثل ما أخبر صاحبه ولم يختلف كلامهما فأمسك عليّ عليه السلام ثمّ دخل الآخري اليوم الثالث فقال الناس: ما وراك؟ قال: مات معاوية، فسألوه عما شاهد، فلم يخالف قول صاحبه فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين صحّ الخبر هذا راكب ثالث قد أخبر بمثل خبر صاحبه، فلمّا كثروا عليه قال عليّ عليه السلام: كلاً أو تخضب هذه من هذه - يعني لحيته من هامته - ويتلاعب بها ابن لآكلة الأكباد، فرجع الخبر بذلك إلى معاوية^(٢).

ومنها ما قال عليه السلام في خطبة له يذكر فيها واقعة بغداد كأنه يشاهدها ويقول فيها: «والله كأنني أنظر إلى القائم من بني العباس وهو يقاد بينهم كما يقاد الجزور إلى الأضحية ولا يستطيع دفعاً عن نفسه، ويحه ثمّ ويحه ما أدلة فيهم لا طراحه أمر ربّه وإقباله على أمر دنياه، ويقول فيها: والله لو شئت لأخبرتكم بأسمائهم وكناهم وحلّاهم ومواضع قتلاهم ومساقط رؤوسهم» إلى غير ذلك من أخباره بالغيوب^(٣).

ومنها ما روته أسماء بنت عميس قالت: سمعت سيدي فاطمة عليها السلام تقول: «ليلة دخل بي عليّ عليه السلام أفزعني في فراشي سمعت الأرض تحدّثه ويحدّثها فأصبحت وأنا فزعة فأخبرت والدي عليه السلام فسجد سجدة طويلة ثمّ رفع رأسه وقال: يا فاطمة أبشري بطيب النسل فإنّ الله فضل بعلك علي سائر خلقه وأمر الأرض أن تحدّثه بأخبارها وما يجري علي وجهها من شرق الأرض إلى غربها^(٤).

(١) ما حفله وما حفله به أي ما بالي به ولا هتم له. (٢) إلى (٤) كشف الغمّة ص ٨٢ و ٨٣.

نقلت هذه كلها من كتاب كشف الغمّة لعليّ بن عيسى الإربليّ - رحمه الله - بحذف إسناد بعضها -

قال^(١): وقال بعض أرباب الطريقة أن علياً عليه السلام إنما قال: «لو كشف الغطاء، ما أزددت يقيناً» في أول أمره وابتداء حاله فأما في آخر أمره فإن الغطاء كشف له و الحجاب رفع دونه و مناقبه عليه السلام و مآثره و ما جرى على يديه من خوارق العادات أكثر من أن تحصى و أشهر من أن تخفى ، و ما ذكر دليل على ما لم يذكر فإن بالثمرة الواحدة قد يستدل على الشجرة .

﴿ فصل ﴾

روى الصدوق - رحمه الله - في كتاب التوحيد^(٢) بإسناده عن الأصبع بن نباتة قال : لما جلس عليّ عليه السلام على الخلافة و بايعه الناس خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لا بسأ بردة رسول الله صلى الله عليه وآله ، متنعلاً نعل رسول الله ، متقلداً سيف رسول الله ، فصعد المنبر فجلس عليه متمكناً ثم شبك أصابعه فوضعها أسفل بطنه ، ثم قال : « معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني ، هذا سفظ العلم ، هذا لعاب رسول الله هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً ، سلوني فإن عندي علم الأولين و الآخرين أما والله لو تئيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى ينطق التوراة فيقول : صدق عليّ ما كذب ، لقد أفناكم بما أنزل الله في ، وأفتيت أهل الإنجيل بانجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول : صدق عليّ ما كذب لقد أفناكم بما أنزل الله في ، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول : صدق عليّ ما كذب لقد أفناكم بما أنزل الله في ، وأنتم تتلون القرآن ليلاً و نهاراً ، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه ، ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون و ما هو كائن إلى

(١) كشف الغمّة ص ٨٣ .

(٢) المصدر ص ٣١٩ باب حدوث العالم و الخبر طويل الذيل نقل منه موضع الحاجة .

ورواه الخوارزمي ص ٥٠ من المناقب .

يوم القيامة وهي هذه الآية « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني فوالله الذي فلق الحبة و برء النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل أنزلت أوفي نهار أنزلت مكيتها ومدنيها ، سفرها وحضريها ، ناسخها و منسوخها ، محكمها و متشابها ، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم .

وروي أنه عليه السلام خطب يوماً فقال : « سلوني قبل أن تفقدوني فأنا نمط الحجاز ، وأنا عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنا فقأت عين الفتنة بباطنها و ظاهرها سلوا من عنده علم البلايا والمنايا والوصايا وفصل الخطاب ، سلوني فأنا يعسوب المؤمنين حقاً ، ومامن فئة تهدي مائة أو تضل مائة إلا وقد أتيت بقائدها و سائقها ، والذي نفسي بيده لو طوي لي الوسادة فأجلس عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم ، و لأهل الإنجيل با نجيلهم ، و لأهل الزبور بزبورهم ، و لأهل الفرقان بفرقانهم » (١).

وروي الصدوق في كتاب معاني الأخبار (٢) بإسناده عن أبي بصير : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته : « أنا الهادي ، أنا المهدي ، وأنا أبو اليتامي والمساكين وزوج الأراامل ، وأنا ملجأ كل ضعيف ، ومأمّن كل خائف ، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنة ، وأنا حبل الله المتين ، وأنا عروة الله الوثقى ، وكلمة الله التقوى ، و أنا عين الله و لسانه الصادق و يده ، وأنا جنب الله الذي يقول : « أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله » (٣) وأنا يد الله المبسوطة على عبادة بالرحمة والمغفرة ، وأنا باب حطة ، من عرفني وعرف حقي فقد عرف ربه لأنني وصي نبيه في أرضه و حجته على خلقه لا ينكر هذه إلا راداً على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم . و من كتاب القائم للفضل بن شاذان بإسناده قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام على

(١) راجع المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٨ .

(٢) المصدر ص ١٧ باب معاني ألفاظ وردت في التوحيد .

(٣) الزمر : ٥٦ والجنب : القرب . وقوله : « يا حسرتي على ما فرطت في جنب

الله » أي في قربه وجواره ومنه قوله تعالى : « والصاحب بالجنب » وهو الرفيق في السفر الذي يصحب الانسان وكنى عنه بالجنب لكونه قريباً منه ملاصقاً له . وقال عليه السلام أنا جنب الله لشدة قربه منه تعالى .

منبر الكوفة : « وإني لديان الناس يوم الدين وقسيم الله بين الجنة والنار لا يدخلها داخل إلا على أحد قسمين ، وأنا الفاروق الأكبر و قرن من حديد و باب الايمان و صاحب الميسم و صاحب السنن ، وأنا صاحب النشر الأول والنشر الآخر و صاحب القضاء ، و صاحب الكرات و دولة الدول ، و أنا إمام لمن بعدي و المؤدّي بمن كان قبلي ، ما يتقدمني إلا أحمد صلوات الله عليه وآله ، وإن جميع الملائكة والرسل والروح خلفنا ، وإن رسول الله ﷺ لي دعاء فينطق وأدعافاً نطق على حد منطقه و لقد أعطيت السبع التي لم يسبق إليها أحد ، و بصرت سبيل الكتاب و فتحت لي الأبواب و علمت الأنساب و مجرى الحساب و علمت المنايا و البلايا و الوصيات و فصل الخطاب ، و نظرت في الملكوت ، فلم يعزب عني شيء غاب عني ، و لم يفتني ما سبقني و لم يشر كني أحد فيما أشهدني يوم شهادة الأَشهاد ، و أنا الشاهد عليهم و على يدي تم موعد الله بكل كلمة ، و بي يكمل الدين ، و أنا نعمة الله التي أنعمها الله على خلقه ، و أنا الإسلام الذي ارتضاه لنفسه كل ذلك من الله » .

و من مناقب الخوارزمي^(١) قال : قال علي^{عليه السلام} : قال لي رسول الله ﷺ يوم فتحت خيبر : « لولا أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر على ملاء من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجليك و فضل طهورك يستشفوا به ولكن حسبك أن تكون مني و أكون منك ترثني و أرتك و أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، أنت تؤدّي ديني و تقاتل على سنتي و أنت في الآخرة أقرب الناس مني ، و إنك غداً على الحوض خليفتي ، تدود عنه المنافقين ، و أنت أول من يرد علي^{عليه السلام} الحوض ، و أنت أول داخل في الجنة من أمتي ، و إن شيعتك على منابر من نور ، رواء مرويتون مبيضة و وجوههم حولي ، اشفع لهم فيكونون غداً في الجنة جيرانني ، و إن عدوك غداً ظمأ مظمؤون مسودة و وجوههم مقمحون ، حربك حربي و سلمك سلمي و سرّك سرّي و علانيتك علانيتي و سريرة صدرك سريرة صدري ، و أنت باب علمي ، و إن ولدك ولدي و لحمك

(١) ص ٧٧ ، وفي كفاية الطالب ص ١٣٥ .

لحمي و دمك دمي ، وإن الحق معك ، والحق على لسانك وفي بين عينيك ، والإيمان مخالط لحمك و دمك كما خالط لحمي و دمي ، وإن الله عز وجل أمرني أن أشارك أنك و عترتي في الجنة ، وأن عدوك في النار ، لا يرد علي الحوض مبعوض لك ولا يغيب عنه محب . قال : قال علي عليه السلام فخررت لله سبحانه ساجداً وحدثته على ما أنعم به علي من الإسلام والقرآن وحبسني إلى خاتم النبيين و سيد المرسلين صلى الله عليه وآله .

والأخبار في فضائله عليه السلام أكثر من أن تحصى ، وليس غرضنا في هذا الكتاب بيان فضائل الأئمة عليهم السلام ومناقبتهم بل الغرض بيان بعض أخلاقهم وصفاتهم وكراماتهم اتباعاً لما ذكره أبو حامد في أخلاق النبوة و إنما ذكرنا هذا المقدار من فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام تطفلاً و تيمناً .

و قد روى الخوارزمي في مناقبه ^(١) عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لو أن الرياض أقلاماً و البحر مداداً و الجن حساباً و الإنس كتاباً ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام . » .

مركز حقیقت پژوهی فصل *

وأما خلقته عليه السلام ففي كشف الغمّة ^(٢) قال الخطيب أبو المؤيد الخوارزمي عن أبي إسحاق قال : لقد رأيت علياً عليه السلام أبيض الرأس واللحية ، ضخم البطن ، ربة من الرجال . و ذكر ابن مندّة أنه كان شديد الأدمة ، ثقيل العينين عظيمهما ، ذا بطن وهو إلى القصر أقرب ، أبيض الرأس واللحية .

وزاد محمد بن حبيب البغدادي صاحب المحبر الكبير في صفاته عليه السلام آدم اللون ، حسن الوجه ، ضخم الكراديس .

واشتهر صلوات الله عليه بالأزعر البطن أما في الصورة فيقال : رجل أنزع بين النزع وهو الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته ، و موضعه النزعة وهما النزعتان ولا يقال لامرأة : نزعا ، ولكن زعرا ، والبطن الكبير البطن ، وأما المعنى فإن نفسه نزعت

(١) ص ١٨ وفي الكفاية للكنجي الشافعي ص ١٢٥ . (٢) ص ٢٣ .

يقال: نزع إلى أهله ينزع نزاعاً اشتاق ونزع عن الأمور نزوعاً انتهى عنها أي نزعته نفسه عن ارتكاب الشهوات فاجتنبها، ونزعت إلى اجتناب السيئات فسد عليها مذهبها، ونزعت إلى اكتساب الطاعات فأدر كها حين طلبها، ونزعت إلى استصحاب الحسنات فارتدى بها وتجلبت بها، وامتلاً علماً فلقب بالبطين وأظهر بعضاً وأبطن بعضاً حسبما اقتضاه علمه الذي عرف به الحق اليقين، أما ما ظهر من علومه فأشهر من الصباح وأسير في الآفاق من سرى الرياح، وأما ما بطن فقد قال: «بل اندمجت على مكنون علم لوبحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة» (١).

و مما ورد في صفته عليه السلام أنه كان ربعة من الرجال أدعج العينين، حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حسناً، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكفين أغيد (٢) كأن عنقه إبريق فضة، أصلع، كث اللحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري (٣)، لا يبين عضده من ساعده، وقد أدمجت إدماجاً، إن أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، شديد الساعد واليد، إذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع، منصور على من لاقاه صلوات الله عليه.

﴿ ذكر طرف من أخلاق فاطمة عليها السلام وصفاتها وكراماتها ﴾

في كشف الغمة عن أم سلمة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله على أبيها وعليها السلام أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٤). وعن عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه و كان إذا دخل عليها قامت إليه فقبلته وأخذت بيده فأجلسته في مكانها (٥).

وعنها أنها ذكرت فاطمة فقالت: ما رأيت أحداً أصدق منها إلا أباه (٦).

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: ما رأيت فاطمة عليها السلام تمشي إلا ذكرت

(١) كشف الغمة ص ٢٣ . والكلام في النهج خ ٥ . (٢) الغيد: النومة .

(٣) التشبيه في غاية السخافة . (٤) المصدر ص ١٤٢ .

(٥) المصدر ص ١٣٦ . (٦) المصدر ص ١٤٢ .

رسول الله ﷺ تميل على جانبها الأيمن مرة وعن جانبها الأيسر مرة^(١).
وعن عائشة أنها سألت من كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ فقالت : فاطمة
قيل : إنما أسألك عن الرجال ، قالت : زوجها^(٢).

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر
عهده با نسان من أهله فاطمة وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة قال : فقدم من غزاة
فأتاها فإذا هو بمسح على بابها ورأى على الحسن والحسين عليهما السلام قلبين من فضة
فرجع ولم يدخل عليها فلما رأت ذلك فاطمة ظننت أنه لم يدخل عليها من أجل
ما رأى فهتكت السترونزعت القلبين من الصبيين فقطعتهما فبكي الصبيان فقسمته
بينهما فانطلقا إلى رسول الله ﷺ وهما يبكيان فأخذه رسول الله ﷺ منهما وقال :
يا ثوبان إذهب بهذا إلى بني فلان - أهل بيت في المدينة - واشتر لفاطمة قلادة من
عصب و سوارين من عاج فإن هؤلاء أهل بيتي ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم
الدنيا^(٣).

وعن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : « قال علي عليه السلام : إن رسول الله
ﷺ دخل على ابنه فاطمة عليها السلام وإذا في عنقها قلادة فأعرض عنها فقطعتها ورمت بها
فقال لها رسول الله ﷺ : أنت مني يا فاطمة ، ثم جاء سائل فناوله القلادة ثم قال
رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على من أهرق دمي وآذاني في عترتي »^(٤).

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين عن فاطمة الصغرى ، عن
الحسين بن علي ، عن أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : « رأيت أمي
فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعة فلم تزل راكعة وساجدة حتى انفجر عمود
الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعولنفسها
بشيء ، فقلت لها : يا أماء ولم لاتدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟ فقالت : يا بني الجار

(١) و (٢) كشف الغمة ص ١٣٩ .

(٣) المصدر ص ١٣٥ نقله عن احمد رواه مسنده ج ٥ ص ٢٧٥ .

(٤) المصدر ص ١٤٢ .

ثم الدار» (١).

وعن عائشة قالت : لما مرض رسول الله ﷺ دعا ابنته فاطمة فسارها فبكت ثم سارها فضحكت ، فسألته عن ذلك فقالت : أما حيث بكيت فإنه أخبرني أنه ميت فبكيت ، ثم أخبرني أنني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت (٢).

قال علي بن عيسى الأربلي (٣) - رحمه الله - أن الطباع البشرية مجبولة على كراهة الموت مطبوعة عن النفور منه ، محبة للحياة ومائلة إليها حتى أن الأنبياء ﷺ على شرف مقاديرهم وعظم أخطارهم ومكانتهم من الله و منازلهم من محال قدسه و علمهم بما تؤول إليه أحوالهم وتنهي إليه أمورهم أحبوا الحياة و مالوا إليها و كرهوا الموت و نفروا منه ، وقصة آدم ﷺ مع طول عمره و امتداد أيام حياته مع داود ﷺ مشهورة ، و كذلك حكاية موسى ﷺ مع ملك الموت و كذلك إبراهيم ﷺ .

وفاطمة ﷺ امرأة حديثة عهد بالصبي ذات أولاد صغار و بعل كريم لم تقض من الدنيا إرباً (٤) وهي في غضارة عمرها و عتقوان شابا يعرضها أبوها أنها سريعة اللحاق به فتسلو بموت أبيها و تضحك طيبة نفسها بفراق الدنيا و فراق بنيتها و بعلها فرحة بالموت ، مائلة إليه ، مستبشرة بهجومه ، مسترسلة عند قدمه ، وهذا أمر عظيم لاتخييط الألسن بصفته و لاتتهدي القلوب إلى معرفته ، وما ذاك إلا الأمر علمه الله من أهل هذا البيت الكريم ، و سرراً أوجب لهم به مزيد التقدير ، فخصهم بآيات معجزاته ، و أظهر عليهم آثار علامته و سماته ، و أيدهم ببراهينه الصادقة و دلالاته و الله أعلم حيث يجعل رسالاته .

وفي الفقيه أن أمير المؤمنين ﷺ قال لرجل من بني سعد : « ألا حدثتكَ عني وعن فاطمة الزهراء ﷺ أنها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أتر في صدرها ، و طحنت بالرحى حتى مجلت يدها ، و كسحت البيت حتى اغبرت ثيابها ، و أوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها ، فأصابها من ذلك ضر شديد ، فقلت لها : لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرماً أنت فيه من هذا العمل ، فأنت النبي ﷺ فوجدت عنده أحداً فاستحيت فانصرفت فعلم ﷺ أنها جاءت لحاجة فغدا علينا

(١) إلى (٣) المصدر ص ١٣٥ و ١٣٦ . (٤) الارب : العاجة .

ونحن في لحافنا فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا لما كنا ، ثم قال : السلام عليكم فسكتنا ، ثم قال : السلام عليكم فخشينا إن لم نرد عليه أن ينصرف ، وقد كان يفعل ذلك فيسلم ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف ، فقلنا : و عليك السلام يا رسول الله ادخل فدخل و جلس عند رؤوسنا فقال : يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد ؟ فخشيت إن لم نجبه أن يقوم فأخرجت رأسي فقلت : أنا والله أخبرك يا رسول الله أنها استقت بالقربة حتى أثمر في صدرها ، وطحن بالرحى حتى مجلت يدها ، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها ، فقلت لها : لو أتيت أباك فسألته خادماً ، يكفيك حرماً ما أنت فيه من هذا العمل ، قال : أفلا أعلمكما ما هو خير لكم من الخادم ؟ إذا أخذتما منامكما فكبراً أربعاً وثلاثين تكبيرة ، وسبحاً ثلاثاً وثلاثين تسيحة ، واحمداً ثلاثاً وثلاثين تحميدة ، فأخرجت فاطمة عليها السلام رأسها فقالت : رضيت عن الله و عن رسوله ، رضيت عن الله وعن رسوله ^(١) .

وفي كشف الغمة روي عن علي عليه السلام قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أخبروني أي شيء خير للنساء فعيينا بذلك كلنا حتى تفرقنا فرجعت إلى فاطمة عليها السلام فأخبرتها الذي قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس أحد منا علمه ولا عرفه فقالت : ولكنني أعرفه : خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : يا رسول الله سألتنا أي شيء خير للنساء ، خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال ، فقال : من أخبرك ولم تعلمه وأنت عندي ؟ قلت : فاطمة ، فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : « إن فاطمة بضعة مني ^(٢) » .

وعن مجاهد قال : خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أخذ بيد فاطمة فقال : « من عرف هذا فقد عرفها و من لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد ، وهي بضعة مني ، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي ، فمن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ^(٣) » .
و في كتاب الفردوس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ ^(٤) » .

(٢) و (٣) المصدر ص ١٤٠ .

(١) الفقيه ص ٨٨ .

(٤) المصدر ص ١٤٢ .

وفيه أيضاً عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « يا علي إن الله زوجك فاطمة وجعل صداقها الأرض فمن مشى عليها مبغضاً لك مشى حراماً » (١).

وروى ابن بابويه في حديث طويل أورده في تزويج أمير المؤمنين بفاطمة عليها السلام أنه عليه السلام أخذ في فيه ماء ودعا فاطمة فأجلسها بين يديه ثم مسح الماء في المخضب - وهو المركن - و غسل فيه قدميه ووجهه ، ثم دعا فاطمة عليها السلام فأخذ كفاً من ماء فضرب به على رأسها وكفاً بين يديها ، ثم رش جلدتها ، ثم دعا بمخضب آخر ثم دعا علياً عليه السلام فصنع به كما صنع بها ، ثم التزمهما فقال : اللهم إنهما مني وأنا منهما ، اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني تطهيراً فأذهب عنهما الرجس وطهرهما تطهيراً ، ثم قال : قوما إلى بيتكما ، جمع الله بينكما ، وبارك في سيركما ، وأصلح بالكما ، ثم قام فأغلق عليهما الباب بيده (٢).

قال ابن عباس : فأخبرتني أسماء أنها رمتني (٣) رسول الله ﷺ فلم يزل يدعو لهما خاصة لا يشر كهما في دعائه أحداً حتى تواري في حجرته (٣) .
وفي روايه أنه قال : « بارك الله في سيركما ، وجمع شملكما ، وألف على الايمان بين قلوبكما ، شأنك بأهلك ، السلام عليكما » (٤).

وعن نافع بن أبي الحمراء قال : شهدت رسول الله ﷺ ثمانية أشهر إذا خرج إلى صلاة الغداة مرّ بباب فاطمة عليها السلام وقال : « السلام عليكم [الصلاة] ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس [أهل البيت] ويطهركم تطهيراً » (٥).

وروى عن جابر بن عبد الله قال : لما زوج رسول الله ﷺ فاطمة من علي عليه السلام كان الله تعالى مزوجاً من فوق عرشه ، و كان جبرئيل عليه السلام الخاطب و كان ميكائيل و إسرافيل في سبعين ألفاً من الملائكة شهوداً ، و أوحى الله إلى شجرة طوبى أن انثري ما فيك من الدرّ و الياقوت و اللؤلؤ ، و أوحى الله إلى الحور العين أن

(١) الى (٤) الكشف ص ١٤٢ .

(٢) اي أطالت النظر اليه صلى الله عليه وآله .

(٥) المصدر ص ١٢٧ .

التقطنه فهن يتهادينه بينهن إلى يوم القيامة فرحاً بتزويج فاطمة علياً عليها السلام ،^(١)
وعن شرحبيل بن سعيد قال : دخل رسول الله ﷺ على فاطمة عليها السلام في صبيحة
عرسها بقدرح فيه لبن فقال : « اشربي فداك أبوك ، ثم قال لعلي عليه السلام : اشرب فداك
ابن عمك »^(٢).

و عن علي عليه السلام قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله تبارك وتعالى
خلقني و علياً و فاطمة و الحسن و الحسين من نور واحد »^(٣) .
و عن أسماء بنت عميس قالت : قال لي رسول الله ﷺ و قد كنت شهدت
فاطمة عليها السلام و قد و لدت بعض ولدها و لم أر لها دماً ، فقال النبي ﷺ : « فاطمة
خلقت حورية في صورة إنسيّة »^(٤) .

و عن علي عليه السلام أن النبي ﷺ سئل ما البتول ؟ فأنا سمعناك يارسول الله
تقول : « إن مريم بتول ، و فاطمة بتول » فقال : « البتول التي لم تر حرمة قط - أي
لم تحض - فإن الحيض مكروه في بنات الأنبياء »^(٥) .
و عن أبي جعفر عليه السلام قال : « لما ولدت فاطمة أوحى الله إلي ملك فأنطق به
لسان محمد فسمّاها فاطمة ، ثم قال : إني فطمتك بالعلم و فطمتك من الطمث ، ثم
قال أبو جعفر عليه السلام : لقد فطمها الله بالعلم و عن الطمث في الميثاق »^(٦) .
و في رواية أخرى عن أبي هريرة قال : إنما سميت فاطمة لأن الله فطم من
أحبها من النار^(٧) .

و عن جعفر بن محمد عن آباءه عليهم السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : يا فاطمة
أتدريين لما سميت فاطمة ؟ قال : علي عليه السلام لم سميت ؟ قال : لأنها فطمت هي و شيعتها
من النار »^(٨) .

و عنه عليه السلام قال : « لفاطمة تسعة أسماء عند الله عز و جل فاطمة و الصدّيقة
و المباركة و الطاهرة و الزكيّة و الرضيّة و المرضيّة و المحدثّة و الزهراء ، قال :

(١) و (٢) الكشف ص ١٤٢ .

(٤) الى (٩) المصدر ص ١٣٩ .

(٣) المصدر ص ١٣٨ .

وسميت فاطمة لأنها فطمت من الشرّ ولولا عليّ لما كان لها كفؤ في الأرض (١) .
وعن أبي جعفر عليه السلام «أنه سئل لم سميت الزهراء الزهراء؟ قال : لأن الله تعالى خلقها من نور عظمته فلما أشرقت أضأت السماوات والأرض بنورها ، وغشيت أبصار الملائكة لله تعالى ساجدين وقالوا : إلهنا وسيدنا ما هذا النور فأوحى الله إليهم : هذا من نوري ، أسكنته في سمائي وخلقته من عظمتي ، أخرجته من صلب نبي من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء ، وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري ويهدون إلى حقّي وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي » (٢) .

وعن عليّ عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام : يا بنية إن الله أشرف على الدنيا فاخترني على رجال العالمين ، ثم أطلع ثانية فاختر زوجك على رجال العالمين ، ثم أطلع ثالثة فاخترك على نساء العالمين ، ثم أطلع رابعة فاخترت أبنيك على شباب العالمين » (٣) .

وروي في معنى قوله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » قال : « سأله بحقّ محمد وعليّ والحسن والحسين وفاطمة عليها السلام » (٤) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « اشتاقت الجنة إلى أربع من النساء مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، زوجة فرعون وهي زوجة النبي في الجنة ، وخديجة بنت خويلد زوجة النبي في الدنيا والآخرة ، وفاطمة بنت محمد » (٥) .

وفي رواية عائشة : سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران ، وفاطمة بنت محمد ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون (٦) .

وعن أبي سعيد الخدري (٧) قال : أصبح عليّ عليه السلام ذات يوم وقال : يا فاطمة عندك شيء تغدّ ينيه؟ قالت : لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندي شيء أغدّ يكا . وما كان عندي شيء منذ يومين إلا شيء كنت أوثرك به على نفسي وعلى ابني هذين حسن وحسين ، فقال عليّ عليه السلام : يا فاطمة ألا كنت

(١) و (٢) كشف الغمة ص ١٣٩ (٣) الى (٥) المصدر ص ١٤٠ .

(٦) المصدر ص ١٣٥ . (٧) المصدر ص ١٤١ .

أعلمتني فأبغىكم شيئاً؟ فقالت: يا أبا الحسن إنني لأستحيي من إلهي أن تكلف نفسك ما لا تقدر عليه فخرج عليّ عليه السلام من عند فاطمة عليها السلام واثقاً بالله حسن الظن به عز وجل فاستقرض ديناراً فأخذه ليشتري لعياله ما يصلحهم فعرض له المقداد بن الأسود في يوم شديد الحرّ قد لو حتمه الشمس من فوقه وآدته من تحته، فلما رآه عليّ عليه السلام أنكر شأنه فقال: يا مقداد ما أزعجك هذه الساعة من رحلك؟ فقال: يا أبا الحسن خلّ سبيلي ولا تسألني عما ورائي، قال: يا أخي لا يسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك، فقال: يا أبا الحسن رغبت إلى الله عز وجل وإليك أن تخلّي سبيلي ولا تكشفني عن حالي، فقال: يا أخي إنّه لا يسعك أن تكتمني حالك فقال: يا أبا الحسن أما إذا أبيت فوالذي أكرم محمداً بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أزعجني من رحلي إلا الجهد وقد تركت عيالي جيباعاً، فلما سمعت بكاهم لم تحمّلني الأرض فخرجت مهموماً راكباً رأسي^(١) هذه حالتي وقصتي، فانهملت عيناي عليّ عليه السلام بالبكاء حتى بليت دموعه لحيته فقال: أحلف بالذي حلفت به ما أزعجني إلا الذي أزعجك وقد اقترضت ديناراً فيها كاه، فقد آثرتك على نفسي فدفعت الدينار إليه ورجعت حتى دخل المسجد فصلى الظهر والعصر والمغرب، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المغرب مرّ بعليّ عليه السلام وهو في الصف الأول فغمزه برجله فقام عليّ عليه السلام فلحقه في باب المسجد فسلم عليه فردّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا أبا الحسن هل عندك عشاء تعشينا فتميل معك؟ فمكث مطرقاً لا يحير جواباً حياً، من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد عرف ما كان من أمر الدينار ومن أين أخذه وأين وجهه بوحي من الله إلى نبيه وأمره أن يتعشى عند عليّ عليه السلام تلك الليلة فلما نظر إلى سكوته، قال: يا أبا الحسن مالك لا تقول: لا؟ فأنصرف أو نعم فأمضي معك؟ فقال: حياً وتكرماً فإذهب بنا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد عليّ عليه السلام فانطلقا حتى دخلا على فاطمة عليها السلام وهي في مصلاها قد قضت صلاتها وخلقها جفنة تفور دخاناً، فلما سمعت كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرجت من

(١) قال الزمخشري في الأساس: ومن الجاز «ركب رأسه» مضى على وجهه

بغير روية لا يطبع مرشداً، وهو يمشى الركبة وهم يمشون الركبات.

مصلاًها فسلمت عليه ، و كانت أعزُّ الناس عليه فردُّ السلام و مسح بيده على رأسها فقال لها : يا بنتاه كيف أمسيت رحمك الله ؟ قالت : بخير ، قال : عشينا رحمك الله وقد فعل ، فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي رسول الله ﷺ وعليَّ عليٌّ ﷺ فلما نظر عليٌّ ﷺ إلى الطعام وشمَّ ريحه رمى فاطمة ببصره رمياً شحيحاً قالت له فاطمة : يا سبحان الله ما أشحَّ نظرك و أشده هل أذنت فيما بيني وبينك ذنباً استوجب به منك السخط فقال : وأيُّ ذنب أعظم من ذنب أصبته أليس عهدي بك اليوم الماضي و أنت تحلفين بالله مجتهدة ما طعمت طعاماً منذ يومين قال : فنظرت إلى السماء وقالت : إلهي يعلم في سمائه و أرضه أنني لم أكل إلا حقاً فقال لها : يا فاطمة أنتى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه و لم أشم مثل رائحته قط و لم أكل أطيب منه ؟ قال : فوضع رسول الله ﷺ كفه المبارك الطيبة بين كتفي عليٍّ ﷺ فغمزها ثم قال : يا عليُّ هذا بدلٌ من دينارك ، هذا جزاء دينارك من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، ثم استعبر النبي ﷺ باكيائهم قال : الحمد لله الذي أبى لكما أن تخرجا من الدنيا حتى يجريك يا عليُّ مجرى زكريا و يجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران .

❖ (ذكر طرف من أخلاق الامام الثاني) ❖

❖ (أبي محمد الحسن بن عليٍّ عليهما السلام وصفاته وكراماته) ❖

كان ﷺ أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً و هدياً و سوؤداً (١) .
وعن أنس بن مالك قال : لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن عليٍّ ﷺ (٢) .

و روي أن أمير المؤمنين ﷺ قال : « كان الحسن بن عليٍّ أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه فيما كان أسفل من ذلك » (٣) .
و روي أن فاطمة ﷺ أتت بابنيتها الحسن والحسين ﷺ إلى رسول الله ﷺ في شكواه التي توفيت فيها فقالت : يا رسول الله هذان ابناك فورتهما شيئاً

(١) إلى (٣) كشف انعمة ص ١٥٤ الهدى : السيرة والسوؤد : الشرف والمجد .

فقال: أمّا الحسن فإنّ له هديي وسؤددي ، وأمّا الحسين فإنّ له جودي وشجاعتي» (١) .
ورواه الجنازدي « أمّا الحسن فله هيبتي وسؤددي ، وأمّا الحسين فله جرأتي
وجودي» (٢) .

و روى سعيد بن عبدالعزيز قال : إنّ الحسن عليه السلام سمع رجلاً يسأل ربه
تعالى أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف الحسن عليه السلام إلى منزله فبعث بها إليه (٣) .
و روى أنّ رجلاً جاء إليه وسأله حاجة فقال له : يا هذا حقّ سؤالك يعظم
لدي ، و معرفتي بما يجب لك تكبر لدي ، و يدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله
والكثير في ذات الله عزّ وجلّ قليلٌ وما في ملكي وفاء لشركك ، فإن قبلت الميسور
ورفعت عني مؤونة الاحتفال والاهتمام لما أتكلّفه من واجبك فعلت ، فقال : يا ابن
رسول الله أقبل القليل و أشكر العظيمة و أعند على المنع ، فدعا الحسن عليه السلام وكيله
وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها ، فقال : هات الفاضل من الثلاثمائة ألف
درهم فأحضر خمسين ألفاً ، قال : فما فعل الخمسمائة دينار ؟ قال : هي عندي قال :
أحضرها فأحضرها فدفعت الدرهم والدنانير إلى الرجل ، و قال : هات من يحملها
لك فاتاه بحمالين فدفعت الحسن عليه السلام إليه رداً ، لكرى الحمالين ، فقال مواليه : والله
ما بقي عندها درهم ، فقال : لكنني أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم ، (٤) .

و روى أبو الحسن المدائني قال : خرج الحسن والحسين و عبدالله بن جعفر
حجاجاً ففاتهم أثقالهم فجاجعوا و عطشوا فمرّوا بعجوز في خباء لها ، فقالوا : هل
من شراب ؟ فقالت : نعم فأناخوابها و ليس لها إلا شوية في كسر الخيمة ، فقالت :
احلبوها وامتدقوا لبنها ، ففعلوا ذلك و قالوا لها : هل من طعام قالت : لا إلا هذه
الشاة ، فليذبحنّها أحدكم حتى أهينى ، لكم شيئاً تأكلون فقام إليها أحدهم فذبحها
و كشطها ثم هينأت لهم طعاماً فأكلوا ، ثم أقاموا حتى أبردوا ، فلما ارتحلوا قالوا
لها : نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمسي بنا فأناصنعون

(١) و (٢) كشف الغمة ص ١٥٤ .

(٣) و (٤) كشف الغمة ص ١٦٦ و ١٦٧ و مطالب السؤل ص ٦٦ .

إليك خيراً ، ثم ارتحلوا وأقبل زوجها وأخبرته عن القوم والشاة فغضب الرجل و قال : ويحك أتدبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم ، ثم تقولين نفر من قریش ، ثم بعد مدّة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلها وجعلاً ينقلان البعر إليها فيبيعانه ويعيشان منه ، فمرّت العجوز في بعض سكك المدينة فإذا الحسن عليه السلام على بابداره جالس فعرف العجوز وهي له منكرة ، فبعث غلامه فردّها وقال لها : يا أمة الله أتعرفيني ؟ قالت : لا ، قال : أناضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز : بأبي أنت وأمي لست أعرفك ، فقال : فإن لم تعرفيني فأنا أعرفك ، فأمر الحسن عليه السلام فاشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة ، وأمر لها بألف دينار وبعث بهامع غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام فقال : بكم وصلك أخي الحسن ؟ فقالت : بألف دينار ، وألف شاة ، فأمر لها بمثل ذلك ، ثم بعث بهامع غلامه إلى عبدالله بن جعفر فقال : بكم وصلك الحسن والحسين عليه السلام ؟ قالت : بألفي دينار وألفي شاة ، فأمر لها عبدالله بألفي دينار وألفي شاة ، وقال : لو بدأت بي لاتعبتمهما ، ورجعت العجوز إلى زوجها بذلك ^(١) .

وروي أن عائشة قالت : دخل رجل من أهل الشام المدينة فرأى رجلاً راكباً بغلة حسنة قال : لم أر أحسن منه ، فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل لي : إنه الحسن ابن علي بن أبي طالب ، فامتلاً قلبي غيظاً وحنقاً وحسداً أن يكون لعلي ولد مثله فقمتم إليه فقلتم : أنت ابن أبي طالب ؟ فقال : أنا ابنه : فقلتم : أنت ابن من ومن ومن جعلت أشتمه و أنال منه ومن أبيه وهو ساكت . حتى استحيت منه فلما انقضى كلامي ضحك وقال : أحسبك غريباً شامياً ، فقلتم : أجل ، فقال : فمل معي إن احتججت إلى منزل أنزلناك و إلى مال أرفدناك و إلى حاجة عاوناك ، فاستحيت منه وتعجبت من كرم أخلاقه فانصرفت وقد صرت أحبّه مالا أحبُّ أحداً غيره ^(٢) .

وعن محمد بن علي قال : « قال الحسن عليه السلام : إنني لاستحيي من ربي أن ألقاه و لم أمش إلى بيته فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجله » ^(٣) .

(١) و (٢) كشف النعمة ص ١٦٦ و ١٦٧ ومطالب السؤل ص ٦٦ .

(٣) كشف النعمة ص ١٦٩ .

وعن أبي نجيع أن الحسن بن علي عليه السلام حج ماشياً ، وقسم ماله نصفين ^(١) .
وعن شهاب بن أبي عامر أن الحسن بن علي عليه السلام قاسم الله ماله مرتين حتى
تصدق بفرد نعله ^(٢) .

وعن علي بن زيد بن جذعان قال : خرج الحسن بن علي عليه السلام عن ماله مرتين
وقاسم الله ثلاث مرات حتى أنه كان يعطي من ماله نعلاً ويمسك نعلاً ويعطي خفاً
ويمسك خفاً ^(٣) .

وعن ابن سيرين قال : تزوج الحسن بن علي عليه السلام امرأة فارس فإرسل إليها بمائة
جارية مع كل جارية ألف درهم ^(٤) .

وعن الحسن بن سعيد عن أبيه قال : متع الحسن بن علي عليه السلام امرأتين بعشرين
الفاوقاق من غسل ، فقالت أحدهما وأراها الحنيفة : متاع قليل من حبيب مفارق ^(٥) .
وسئل عليه السلام عن البخل فقال : « هو أن يرى الرجل ما أنفقته تلقاً وما أمسكه
شرفاً » ^(٦) .

وأما رجل فقال : « إن فلاناً يقع فيك ؟ فقال : ألقيتني في تعب أريد الآن
أن أستغفر الله لي وله » . *مركز تحقيق كتاب توير علوم رسولي*
وقال كمال الدين بن طلحة ^(٧) : ونقل « أنه عليه السلام اغتسل وخرج من داره في
حلة فاخرة ، وبزوة ظاهرة ، ومحاسن سافرة ، وقسمات ناضرة ^(٨) ، ونفحات ناشرة ،
ووجهه يشرق حسناً ، وشكله قد كمل صورةً ومعنى ، والاقبال يلوح من أعطافه ،
ونضرة النعيم تعرف من أطرافه ، وقاضي القدر قد حكم أن السعادة من أوصافه ،
ثم ركب بغلة فارهة ^(٩) غير قطوف ، وسار مكتنفاً من حاشيته و غاشيته بصفوف ،

(١) الي (٣) كشف الغمة ص ١٦٩ .

(٤) نقله محمد بن طلحة الشافعي مرسل في مطالب السؤل ص ٦٧ .

(٥) و (٦) كشف ص الغمة ١٦٩ .

(٧) مطالب السؤل ص ٦٥ .

(٨) يأتي معنى القسمات عنقريب .

(٩) أي سريع السير . وقطف الفرس قطفوناً ضاق مشيه وأبطأ .

فلو شاهده عبد مناف لأرغم بمفاخرته به معاطس أنوف ، وعدّه أباه وجدّه في إحراز
 خصل الفخار يوم التفاخر بألوف ، فعرض له في طريقه من محاويع اليهودهم^(١) في
 هدم قد أنهكته العلة و ارتكبتة الذلّة و أهلكته القلّة و جلدّه يستر عظامه ، وضعفه
 يقيد أقدامه ، و ضرّه قد ملك زمامه ، و سوء حاله قد حبّب إليه حمامه ، و شمس
 الظهيرة يشوي شواه ، و أخمصه تصافح ثرى ممشاه ، و غداف عرعرية^(٢) قد عراه ،
 و طول طوواه قد أضعف بطنه و طوواه ، وهو حامل جرّ مملوء وماء على مطاه^(٣) و حاله
 يعطف عليه القلوب القاسية عند مرآه ، فاستوقف الحسن عليه السلام وقال : يا ابن رسول الله
 أنصفتني فقال عليه السلام : في أي شيء ؟ فقال : جدك يقول : « الدنيا سجن المؤمن و جنة
 الكافر » و أنت مؤمن و أنا كافر فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم فيها وتستلذ بها وما
 أرىها إلا سجناً لي قد أهلكني ضرّها و أتلفني فقرها ، فلمّا سمع الحسن عليه السلام كلامه
 أشرق عليه نور التأييد واستخرج الجواب بفهمه من خزانة علمه و أوضح لليهودي
 خطأ ظنّه و خطل زعمه و قال : يا شيخ لو نظرت إلى ما أعدّ الله تعالى لي وللمؤمنين
 في الدار الآخرة ممّا لا عين رأت ولا أذن سمعت لعلمت أنني قبل انتقالي إليه في
 هذه الدنيا في سجن صنك ، ولو نظرت إلى ما أعدّ الله لك و لكلّ كافر في الدار
 الآخرة من سعير نار الجحيم و نكال العذاب المقيم لرأيت أنك قبل مصيرك إليه الآن
 في جنة واسعة و نعمة جامعة^(٤) . نقلت هذه كلّها من كتاب كشف الغمّة .

﴿ فصل ﴾

و اما كراماته عليه السلام فقدروي في الكافي^(٥) بإسناده عن حبابة الوالبيّة قالت :

(١) الهم - بشد الميم - : الشيخ الفاني ، والهدم - بسكون الدال - بمعناه .

(٢) الغداف : الشعر الطويل ، وعرعرية كل شيء - بالضم - : رأسه وأعلاه .

(٣) طوواه في الاول بضم الطاء اي البطن وفي الثاني بفتحها من طوى بطوى طياً

الثوب : نقيض نشره . و «مطاه» أي ظهره .

(٤) كشف الغمّة ص ٦٢ ، مطالب السؤل ص ٦٥ .

(٥) المصدر ج ١ ص ٢٤٦ .

رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس ^(١) - إلى أن قالت - فقلت له : يا أمير المؤمنين مادلالة الإمامة يرحمك الله ، قالت : فقال : ائتينى بتلك الحصاة وأشار بيده إلى حصاة فأتمته بها فطبع لي فيها بخاتمه ، ثم قال لي : يا حباة إذا ادعى مدع الإمامة فقدر أن يطبع كما رأيت فأعلمي أنه إمام مفترض الطاعة ، والإمام لا يعزب عنه شيء يريد ، قالت : ثم انصرفت حتى قبض أمير المؤمنين عليه السلام ، فجنحت إلى الحسن عليه السلام وهو في مجلس أمير المؤمنين عليه السلام والناس يسألونه فقال : يا حباة الوالدية ، فقلت : نعم يامولاي ، فقال : هاتي مامعك ، قالت : فأعطيته فطبع لي فيها كما طبع أمير المؤمنين عليه السلام قالت : ثم أتيت الحسين عليه السلام وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقرب ورحب ثم قال لي : إن في الدلالة دليلاً على ما تريدان أفتريدان دلالة الإمامة ؟ فقلت : نعم يا سيدي ، فقال : هاتي مامعك ، فناولته الحصاة فطبع لي فيها ، قالت : ثم أتيت علي بن الحسين عليه السلام وقد بلغ بي الكبر إلى أن أرعشت وأنا أعد يومئذ مائة و ثلاثة عشرة سنة فرأيته راكعاً وساجداً ومشغولاً بالعبادة فيئست من الدلالة فأومأ إلي بالسبابة فعاد إلي شاببي ، قالت : فقلت : يا سيدي كم مضى من الدنيا وكم بقي ؟ فقال : أما ما مضى فنعم وأما ما بقي فلا ، قالت : ثم قال لي : هاتي مامعك ، فأعطيته الحصاة فطبع لي فيها ، ثم أتيت أبا جعفر عليه السلام فطبع لي فيها ، ثم أتيت أبا عبد الله عليه السلام فطبع لي فيها ، ثم أتيت أبا الحسن موسى عليه السلام فطبع لي فيها ، ثم أتيت الرضا عليه السلام فطبع لي فيها ، وعاشت حباة بعد ذلك تسعة أشهر على ما ذكر محمد بن هشام .

و بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « خرج الحسن بن علي إلى مكة سنة ماشياً فورمت قدماه فقال له بعض مواليه : لو ركبت ليسكن عنك هذا الورم فقال : كلا إذا أتينا هذا المنزل فإنه يستقبلك أسودومعه دهن فاشتر منه ولا تماكسه فقال له مولاه : بأبي أنت وأمي ما قد أمننا منزلاً فيه أحد يبيع هذا الدواء ، قال : بلى إنه أمامك دون المنزل فساروا ميلاً فإذا هو بالأسود فقال الحسن بن علي عليه السلام لمولاه : دونك

الرجل فخذ منه الدهن و أعطه الثمن فقال الأسود : يا غلام لمن أردت هذا الدهن ؟ فقال : للحسن بن علي عليه السلام فقال : انطلق بي إليه فانطلق فأدخله عليه فقال له : بأبي أنت وأمي لم أعلم أنك تحتاج إلى هذا أوترى ذلك ولست آخذله ثمناً إنما أنا مولاك و لكن ادع الله لي أن يرزقني ولداً ذكر أسويماً يحبكم أهل البيت فإني خأفت أهلي تمخض فقال : انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً وهو من شيعتنا^(١) .

وإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « خرج الحسن بن علي عليه السلام في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته فنزلوا منهاً تحت نخلة يابس ففرش للحسن عليه السلام تحت نخلة و للزبير تحت أخرى ، فقال الزبير : لو كان في هذه النخيل رطباً لأكلنا منه ، فقال له الحسن عليه السلام : و إنك لتشتبه الرطب ؟ فقال الزبير : نعم ، فرفع يده إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه فاحضرت النخلة ، ثم صارت إلى حالها ، وأورقت و حملت رطباً ، فقال الجمال الذي اكتروا منه : سحر والله ، فقال له الحسن عليه السلام : ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبي مستجابة ، فصعدوا و صرموا ما كان في النخلة و كفاهم^(٢) .

﴿ فصل ﴾

و أما خلقته عليه السلام ففي كشف الغمة^(٣) عن أحمد بن محمد بن أيوب المغربي قال : كان الحسن بن علي عليه السلام أبيض مشرباً حمرة ، أدمج العينين ، سهل الخدين ، دقيق المسربة ، كث اللحية ، ذا وفرة ، كان عنقه إبريق فضة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، ربعة ليس بالطويل ولا القصير ، مليحاً ، من أحسن الناس وجهاً ، و كان يخضب بالسواد ، وكان جعد الشعر ، حسن البدن .

و من كتاب الآل لابن خالويه اللغوي^(٤) مرفوعاً إلى عقبه بن عامر قال :

(١) و (٢) الكافي ج ١ ص ٤٦٣ .

(٣) المصدر ص ١٥٧ .

(٤) ابن خالويه هو ابو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه النحوي اللغوي ، شيخ ←

قال : رسول الله ﷺ : « قالت الجنة : يا ربّ أليس قد وعدتني أن تسكنني ركناً من أركانك ؟ قال : فأوحى إليها ما ترضين أني زينتك بالحسن والحسين ، فأقبلت تميس كما تميس العروس » (١) .

و من كتاب الآل عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « حسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنة ، من أحبّهما أحبّني ، ومن أبغضهما أبغضني » (٢) .

و عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الجنة تشاق إلى أربعة من أهلي قد أحبّهم الله و أمرني بحبّهم عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين والمهديّ الذي يصلي خلفه عيسى ابن مريم » (٣) .

و الأخبار في فضائله و مناقبه و منزلته من رسول الله ﷺ و محبّته له أكثر من أن تحصى ، و أشهر من أن تخفى ، و ليس هنا موضع ذكرها .

﴿ ذكر طرف من اخلاق الامام الثالث ﴾

﴿ أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليهما السلام و صفاته و كراماته ﴾

قد تقدّم في أخبار أبيه و أخيه عليّ ما هو قسميهما فيه فما افتراعا غارب مجد إلا افتراعه ، و لاجمعا شمل سوّد إلا جمعه ، و لا نالا رتبة علاه إلا نالها ، و لا طلاهضبة

← جليل اديب شاعر متبحر من فضلاء الامامية و العارفين بالعربية ، اصله من همدان ولكنه دخل بغداد و ادرك جلة العلماء بها و استفاد من اعيانهم كالانباري و ابن عمر الزاهد و ابن دريد و السيرا في ، انتقل الى الشام و استوطن حلب و توفي بهاسنة ٣٧٠ قال النجاشي : كان عارفاً بذهبنا وله كتب منها كتاب الآل المذكور ثم ذكر أنه يرويه عن القاضي أبي الحسين النصيبي الذي قرء الكتاب على مصنفه . و ترجمه السيوطي في بنية الوعاة و ذكر تصانيفه غير كتاب الآل . و قال اليافعي في مرآة الجنان في حوادث سنة ٣٧٠ في وصف كتاب الآل : انه صدر بمعاني الآل ثم قسمه خمسة و عشرين قسماً ثم ذكر الائمة الاثني عشر من آل محمد و تاريخ مواليدهم و وفياتهم و اسماء ابائهم و امهاتهم . و ذكر ابن خلكان قريباً منه .

(١) كشف الغمة ص ١٥٧ . و تميس أي تنبختر .

(٢) و (٣) المصدر ص ١٥٧ .

عزّ إلا طالها (١) .

وفي كشف الغمّة (٢) عن يعلى بن مرّة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «حسينٌ منّي وأنا من حسين ، أحبّ الله من أحبّ حسيناً ، حسين سبط من الأسياب» .
وعن الصادق عليه السلام قال : « اصطرع الحسن و الحسين عليهما بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : إيهما حسن خذ حسيناً ، فقالت فاطمة : يا رسول الله أتستنهض الكبير على الصغير ؟ فقال رسول الله ﷺ : هذا جبرئيل يقول للحسين إيهما حسن خذ الحسن » (٣) .

قال ابن طلحة (٤) : و قد اشتهر النقل عنه صلوات الله عليه أنّه كان يكرم الضيف ، و يمنح الطالب ، و يصل الرّحم ، و ينيل الفقير ، و يسعف السائل ، و يكسو العاريّ و يشبع الجايع ، و يعطي الغارم ، و يشدّ من الضعيف ، و يشفق على اليتيم ، و يعين ذا الحاجة ، و قولٌ أنّ وصله مال إلا فرقه .

و نقل أنّ معاوية لما قدم مكة وصله بمال كثير و ثياب وافرة و كسوات وافية فردّ الجميع عليه ولم يقبله منه ، و هذا سجيّة الجواد و شنشنة الكريم (٥) ، و سمة ذي السماحة ، و صفة من قد حوى مكارم الأخلاق ، فأفعاله المتلوّاة شاهدة له بصفة الكرم ، ناطقة بأنّه متّصف بمحاسن الشيم ، و قد كان في العبادة مقتدياً بمن تقدّم حتّى نقل أنّه عليه السلام حجّ خمساً وعشرين حجّة إلى الحرم و نجائبه تقاد معه و هو ماش على القدم (٦) .

وقال عليّ بن عيسى - رحمه الله (٧) - : اعلم أيّدك الله بتوفيقه وهداك إلى سبيله وطريقه أنّ الكرم كلمة جامعة لأخلاق محمودة ، تقول : كريم الأصل ، كريم

(١) الهضبة : الجبل المنبسط على وجه الارض ، وقيل الجبل الطويل الممتنع المنفرد ،

وما ارتفع من الارض ، ورجل هضبة اي كثير الكلام .

(٢) و (٣) المصدر من ١٧٧ . (٤) مطالب السؤل من ٧٣ .

(٥) الشنشنة - بالكسر - : الخلق والطبيعة .

(٦) كشف الغمة من ١٨٢ و مطالب السؤل من ٧٣ .

(٧) كشف الغمة من ١٨٢ .

النفس ، كريم البيت ، كريم المنصب ، إلى غير ذلك من صفات الشرف ويقابله اللؤم فإنه جامع لمساوي الأخلاق تقول : لئيم الأصل و النفس والبيت وغيرها .
 وإذا عرفت هذا فاعلم أن الكرم الذي الجود من أنواعه كامل في هؤلاء القوم ثابت لهم ، محقق فيهم ، متعين لهم ، ولا يعدوهم ، ولا يفارق أفعالهم و أقوالهم ، بل هو لهم على الحقيقة ، وفي غيرهم كالمجاز ، ولهذا لم ينسب الشح إلى أحد من بني هاشم ، ولا نقل عنهم ، لأنهم يجارون الغيوث سماحة ، ويبارون اللبوث حماسة ، يعدلون الجبال حلاً ورجاحة ، فهم البحور الزاخرة ، والسحب الهامية الهامة ، فما كان من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل
 ولهذا قال علي عليه السلام وقد سئل عن بني هاشم و بني أمية فقال : « نحن أمجد و أنجد و أجود ، وهم أغدر وأمكر و أنكر » .

و لقد صدق عليه السلام فإن الذي ظهر من القبيلتين في طول الوقت دال على ما قاله عليه السلام ، ولا ريب أن الأخلاق تظهر على طول الأيام ، وهذه الأخلاق الكريمة اتخذوها شريعة وجعلوها إلى بلوغ غايات الشرف ذريعة لشرف فروعهم و أصولهم و ثبات عقولهم ، لأنهم لا يشيبون مجدهم بما يصمه ، و لا يشوهون وجوه سيادتهم بما يخلقها ، ولأنهم مقتدى الأئمة ، ورؤوس هذه الملة ، و سروات الناس و سادات العرب ، و خلاصة بني آدم ، و ملوك الدنيا والهداة إلى الآخرة ؛ و حجة الله على عباده ، و أمناؤه على بلاده ، فلا بد أن تكون علامات الخير فيهم ظاهرة ، و سمات الجلال بادية باهرة ، و أمثال الكرم العام سائرة ، و أن كل متصف بالجود من بعدهم بهم اقتدى ، و على منوالهم نسج ، و بهم اهتدى ، و كيف لا يجود بالمال من يجود بنفسه التقيسة في مواطن النزال ، و كيف لا يسمح بالعاجل من همته في الآجل ، و لا ريب عند العقلاء أن من جاد بنفسه في القتال فهو بالمال أجود ، و من زهد في الحياة المحبوبة فهو في الحطام الفاني أزهد ، و قد عرفت زهدهم فاعرف به رفدهم ، فإن الزاهد من زهد في حطامها ، و خاف من آثامها ، و رغب عن حلالها و حرامها ، و لعنك سمعت بما أتى في « هل أتى » من إشارهم على أنفسهم ، أليسوا هم الذين أطعموا الطعام

على حبّه ، و رغب كل واحد منهم في الطوى لإرضاء ربّه ، و عرضوا تلك الأنفس الكريمة لمرارة الجوع ، و أسهروا تلك العيون الشريفة من الخوى فلم تذوق حلاوة الهجوع^(١) وجعلوها لما وجدوه من الرقة على المسكين واليتيم والأسير غرقى من الدُموع ، وتكرّر عليهم ألم فقد الغذاء غدواً وبكوراً ، وأضرم السغب في قلوب أهل الجنة سعيراً ، وأمنوا حين قالوا : « إننا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ، فوقهم الله شرّ ذلك اليوم ولقاهم نضرةً وسروراً » وشكرهم من أنعموا عليه فقالوا : « إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً » .

و الحسين عليه السلام و إن كان فرعاً للنبي والله المستودع وعلي وفاطمة عليهما السلام فهو أصل لولده من بعده و كلّهم جواد كرام .

كرموا وجاد قبيلهم من قبلهم ✧ و بنوهم من بعدهم كرماء
فالناس أرض في السماحة والندى ✧ و هم إذا عدّ الكرام سماء
لو أنصفوا كانوا لآدم و حدهم ✧ و تفرّدت بولادهم حواء

و قال النبي والله المستودع وقد جاءته أمّ هاني ، يوم الفتح تشكو أخاها علياً عليه السلام :
« الله درّ أبي طالب لو ولد للناس كلّهم كانوا شجعاناً ، وكان علي عليه السلام يقول في بعض حروبّه :
« أملكوا عني هذين الغلامين فإني أنفس بهما على القتل لئلا ينقطع نسل رسول الله والله المستودع » .

وقيل لمحمّد بن الحنفية - رضي الله عنه - : أبوك يسمح بك في الحرب و يشحّ بالحسن والحسين عليهما السلام فقال : هما عيناها وأنا يده و الإنسان يقي عينيه بيده و قال مرّة أخرى وقد قيل له ذلك : أنا ولده وهما ولدا رسول الله والله المستودع .

و الحماسة و السماحة رضيعتا لبان و قد تلازما في الجود فهما توأمان ، و الجواد شجاع و الشجاع جواد .

قال : و شجاعة الحسين عليه السلام يضرب بها المثل و صبره في مآقط الحراب^(٢)

(١) الخوى : خلو الجوف من الطعام ، و هجع جوعه هجماً فهجع جوعه هجوعاً
اي كسره فانكسر .

(٢) المآقط موضع القتال وقيل : المضيق في الحرب لانهم يختلطون فيه ، جمعه مآقط .

أعجز الأواخر والأول ، و ثباته إذا دعيت نزال ثبات الجبل ، و إقدامه إذا ضاق المجال إقدام الأجل ، و مقامه في مقابلة هؤلاء الفجرة عادل مقام جدّه عليه السلام ببدر فاعتدل ، و صبره على كثرة أعدائه وقلة أنصاره صبر أبيه عليه السلام في صفين والجمل ، ومشرب العداوة واحد فبفعل الأوّل فعل الآخر ما فعل ، فكم من فارس مدلّ بآسه جدّه له عليه السلام فانجدل ، و كم من بطل طلّ دمه فبطل ، و كم حكّم سيفه فحكم في الهوادي والقتل ، فما لاقى شجاعاً إلا وكان لا مّه الهبل ، و حشرهم الله و جازى كلاً بما قدم من العمل^(١).

وقال^(٢) في علمه عليه السلام : وقد حلّى الحسين عليه السلام من هذا البيت الشريف في أوجه و يفاعه^(٣) و علا محلّه فيه علواً تطامنت النجوم^(٤) عن ارتفاعه ، و اطلع بصفاء سرّه على غوامض المعارف ، فكشفت له الحقايق عند اطلاعه ، و سار صيته بالفواضل والفضائل فاستوى الصديق والعدو في استماعه ، فلما اقتسمت غنائم المجد حصل على صفاياها و مرباعه^(٥) فقد اجتمع فيه و في أخيه عليه السلام من خلال الفضل ما لا خلاف في اجتماعه ، و كيف لا يكونان كذلك و هما ابنا فاطمة و عليّ عليه السلام بلا فصل و سبطا النبي عليه السلام فأكرم بالفرع و الأصل والسيدان الامامان قاما أو قعدا فقد استوليا على الأمد و حاز الخصل ، و الحسين عليه السلام هو الذي أرضى غرب السنان و حدّ النصل ، و غادر جثث الأعداء فرائس الكواسب بالهبر و الفصل^(٦).

﴿ فصل ﴾

و في كشف الغمّة لما قتل معاوية حُجْرَ بن عديّ (ره) وأصحابه لقي في ذلك

(١) و (٢) كشف الغمّة ص ١٨٠ و ١٨١ و ظل دمه : هدره .

(٣) اليفاع : التل المشرف او كل ما ارتفع من الارض .

(٤) أى انخفضت .

(٥) المرباع - كمكيال - ربع الغنمية الذي كان يأخذه الزعيم في الجاهلية .

(٦) غرب السنان : حده ، و غادره أى تركه اعراضاً ، و الفرائس جمع فريسة وهى

ما تقتنسه الاسد ، و الكواسب جمع كاسية ، و الهبر : القطع و زناً ومعنى .

العامّ الحسين عليه السلام فقال : يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعت بحجر و أصحابه من شيعة أبيك ؟ قال : لا قال : إنا قتلناهم و كفنناهم و صلينا عليهم ، فضحك الحسين عليه السلام ثم قال : خصمك القوم يوم القيامة يا معاوية أما والله لو ولينا مثلها من شيعتك ما كفنناهم ولا صلينا عليهم ، وقد بلغني وقوعك في أبي حسن و قيامك به و اعتراضك بني هاشم بالعيوب و أيام الله لقد أو ترت غير قوسك ، و رميت غير غرضك و تناولتها بالعداوة من مكان قريب و لقد أطعت امرأ ما قدم إيمانه و لا حدث نفاقه ، و ما نظر لك فانظر لنفسك أودع - يريد عمرو بن العاص - (١).

قال أنس : كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية فحيته بطاقة ريحان : فقال لها : أنت حرّة لوجه الله ، فقلت : تحييتك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها ؟ فقال : كذلك : أدبنا الله ، قال : « و إذا حييتم بنحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » (٢) و كان أحسن منها عتقها (٣).

وقال يوماً لأخيه الحسن عليه السلام : يا حسن وددت أن لسانك لي و قلبي لك (٤).
و كتب إليه الحسن عليه السلام يلومه إلى إعطائه الشعراء ، فكتب إليه أنت أعلم مني بأن خير المال ما وقى العرض (٥) بالتواضع
فانظر أيديك الله إلى حسن أدبه في قوله : أنت أعلم مني فإن له حظاً من اللطف تاماً . و نصيباً من الإحسان و افرأ ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته .

و من دعائه عليه السلام « اللهم لاتستدرجني بالإحسان و لاتؤدّ بني بالبلاء » (٦)
و هذا دعاء شريف المقاصد ، عذب الموارد ، و قد جمع بين المعنى الجليل و اللفظ الجزل القليل ، و هم مالكو الفصاحة حقاً ، و غيرهم عابر سبيل .
و دعاه عليه السلام عبد الله بن الزبير و أصحابه فأكلوا و لم يأكل الحسين عليه السلام فقيل له : ألاتأكل ؟ فقال : إني صائم ولكن تحفة الصائم ، قيل : وماهي ؟ قال : الدهن و المعجم (٧).

(١) كشف الغمة ص ١٨٤ .

(٢) الاعراف : ٩٠ .

(٣) الى (٧) كشف الغمة ص ١٨٤ و ١٨٥ .

و جنى له غلام جنابة توجب العقاب عليه فأمر به أن يضرب فقال : يامولاي
« والكاظمين الغيظ » فقال : خلّوا عنه ، فقال : يامولاي « والعافين عن الناس » فقال :
قد عفوت عنك ، فقال : يا مولاي « والله يحب المحسنين » قال : أنت حر لوجه الله ،
ولك ضعف ما كنت أعطيك (١) .

و قال الفرزدق لقيني الحسين عليه السلام : في منصرفي من الكوفة ، فقال : ما وراءك
يا أبافراس ؟ قلت : أصدقك ؟ قال : الصدق أريد ، قلت : أمّا القلوب فمعك ، وأمّا
السيوف فمع بني أمية والنصر من عند الله ، قال : ما أراك إلا صدقت ، الناس عبيد
المال والدين لغو على ألسنتهم (٢) يحوطونه ما درت به معاشهم فاذا تحصوا بالبلاء
قلّ الديّانون (٣) .

و قال عليه السلام : « من أتانا لم يعدم خصلة من أربع : آية محكمة و قضية عادلة
و أخاً مستفاداً ، و مجالسة العلماء » (٤) .
و قيل كان بينه و بين الحسن عليه السلام كلامٌ فقيل له : ادخل على أخيك فهو
أكبر منك فقال : إنني سمعت جدي عليه السلام يقول : أيما اثنين جرى بينهما كلامٌ
فطلب أحدهما رضى الآخر كان سابقه إلى الجنة وأنا أكره أن أسبق أخي الأكبر ،
فبلغ قوله الحسن عليه السلام فأناه عاجلاً (٥) .

قال علي بن عيسى - رحمه الله - : فأنت أيديك الله متى أردت أن تعرف مناقب
هؤلاء القوم ومزاياهم ، وخلالهم الشريفة وسجاياهم ، وتقف على حقيقة فضلهم الجزيل
و تطلع من أحوالهم على الجملة والتفصيل وتعلم مالهم من المكانة بالبرهان والدليل
فتدبر كلامهم في مواضعهم وخطبهم وأنحائهم و مقاصدهم و كتبهم تجده مشتملاً على
المفاخر التي جمعوها وغوارب الشرف التي افترعوها ، وغرائب المحاسن التي سنوها
وشرعوها فإن أفعالهم تناسب أقوالهم ، وكلها تشبه أحوالهم ، فالإناء ينضح بما فيه ،

(١) كشف الغمة ص ١٨٤ و ١٨٥ .

(٢) كذا وفي بعض نسخ الحديث « والدين لعق على السنتهم » .

(٣) الى (٥) كشف الغمة ص ١٨٥ .

والولد بضعة من أبيه ، وليس من يضلّه الله كمن يهديه ، ولا من أذهب عنه الرّجس وطهره كمن حار في ليل الباطل فهو أبداً فيه ، والكريم يحذو حذو الكريم ، والشرف الحادث دليل على الشرف القديم ، والأصول لانتخب ، والنجيب ابن النجيب ، وما أشدّ الفرق بين البعيد والقريب ، والأجنبي والنسيب ، فالواحد منهم عليه السلام يجمع خلال الجميع ، ويدلّ على أهل بيته دلالة الزهر على الرّبيع ، ولو اقتضت على ذكر مناقب أحدهم عليه السلام لم آل في حقّ الباقيين مقصراً ولناداني لسان الحال اكتف بما ذكرت فدليل على الذي لا تراهُ الذي ترى ، نفّعي الله بحبّهم وقد فعل ، وألحقني بتربة أوليائهم ومحبّتهم الأول ، وأوزعني أن أشكر فضله وإن عظم عن الشكر وجلّ .

﴿ فصل ﴾

﴿ (و أما كراماته عليه السلام) ﴾

فمنها ما رواه في كشف الغمّة ^(١) عن أمّ سلمة - رضي الله عنها - قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة فغاب غاباً طويلاً وعاد ، وهو أشعث أغبر ، ويده مضمومة ، فقلت : يا رسول الله مالي أراك أشعث مغبراً ؟ فقال : أُسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له : كربلاء فأريت فيه مصرع الحسين ابني ، وجماعة من ولدي وأهل بيتي ، فلم أزل ألقط دماءهم فهاهي في يدي ، وبسطها لي فقال : خذها فاحتفظي بها فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر فوضعت في قارورة سدّدت رأسها واحتفظت به ، فلما خرج الحسين عليه السلام من مكّة متوجّهاً إليّ العراق كنت أخرج القارورة في كلّ يوم فأشمّها وأنظر إليها وأبكي لمصابه ، فلما كان اليوم العاشر من المحرمّ وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها ثمّ عدت إليها في آخر النهار فإذا هي دمٌ عبيط ، فصحت في بيتي و بكيت وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة ، فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتّى جاء الناعي ينعاه فحقّق ما رأيت .

(١) المصدر ص ١٧٧ .

وروى سالم بن أبي حفصة قال : قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام : يا أبا عبد الله إن قبلنا ناساً سفهاء يزعمون أنني أقتلك ، فقال له الحسين عليه السلام : إنهم ليسوا بسفهاء لكنهم حلماء ، أما إنه يقرُّ بعيني أنك لا تأكل برِّ العراق بعدي إلا قليلاً^(١) .

وروى يوسف بن عبيدة قال : سمعت محمد بن سيرين يقول : لم تر هذه الحمرة في السماء إلا بعد قتل الحسين عليه السلام^(٢) .

وروى سعد الاسكاف قال : قال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام : « كان قاتل يحيى بن زكريا عليه السلام ولد زناً ، و كان قاتل الحسين بن علي عليه السلام ولد زناً ، ولم تحمر السماء إلا لهما »^(٣) .

وعن سلمى الأنصارية^(٤) قالت : دخلت على أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي تبكي فقلت : ما يبكيك ، قالت : رأيت الآن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام و علي رأسه و لحيته التراب ، فقلت : مالك يا رسول الله ؟ قال : قد شهدت قتل الحسين عليه السلام آنفاً .

وعن أنس قال : أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين عليه السلام فجعل في طست فجعل ينكته ، و قال في حسنه شيئاً ، قال أنس : فقلت : والله ما كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وكان مخضوباً بالوسمة^(٥) .

وفي رواية الترمذي فجعل يضرب بقضيب في أنفه ثم روى عن عمارة بن عميرة قال : لما قتل عبيد الله بن زياد وجيء برأسه و رؤوس أصحابه ونُضدت في المسجد بالرحبة فانتهيت إليهم والناس يقولون : قد جاءت قد جاءت فإذا حية قد جاءت تخلل الرؤوس حتى جاءت فدخلت في منخر عبيد الله ، فمكثت هينئة ثم خرجت فذهبت حتى تغيست ، ثم قالوا : قد جاءت ففعلت ذلك مراراً^(٦) .

وفي هذه موعظة لأولي الأبصار وعجيبة من عجائب هذه الدار .

(١) إلى (٣) المصدر ص ١٧٧ .

(٤) أخرجه الترمذي ج ١٣ ص ١٩٣ من السنن . ومنقول في كشف الغمة ص ١٧٨ .

(٥) كشف الغمة ص ١٧٨ .

(٦) الصحيح للترمذي ج ١٣ ص ١٩٧ وفيه « ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً » .

* (ذكر طرف من أخلاق الامام الرابع) *

* (أبي محمد علي بن الحسين زين العابدين وصفاته وكراماته) *

قال ابن طلحة في مناقبه^(١): هذا زين العابدين قدوة الزاهدين وسيّد المتّقين وإمام المؤمنین ، سمّته تشهد أنّه من سلالة رسول الله ، وسمّته تثبت مقام قربه من الله زلفاً ، وثقناته تسجل بكثرة صلاته وتهجده ، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها ، درّت له أخلاف التّقوى فتفوقها ، وأشرقت لديه أنوار التّأييد فاهتدى بها ، وألفته أوراد العبادة فأنس بصحبته ، وحالفته وظائف الطاعة فتحلّى بحليتها ، طالما اتّخذ اللّيل مطيّة فركبها لقطع طريق الآخرة ، وظمأ الهواجر دليلاً استرشده في مسافة المسافرة^(٢) ، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة ، و ثبت بالآثار المتواترة ، و شهد له أنّه من ملوك الآخرة . قال :

وأما لقبه فكان له ألقاب كثيرة ، كلّها تطلق عليه ، أشهرها زين العابدين ، وسيّد العابدين ، الزكّي ، والأمين ، وذو الثّقنات ، وقيل : كان سبب لقبه بزین العابدين أنّه كان ليلة في محرّابه قائماً في تهجده فتمثّل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته ، فام يلتفت إليه فجاء إلى إبهام رجله فالتصمها ، فلم يلتفت إليه فألمه فلم يقطع صلاته فلما فرغ منها وقد كشف الله له فعلم أنّه شيطان فسبّه ولطمه وقال له : احسأ يا ملعون ، فذهب وقام إلى إتمام ورده فسمع صوتاً ولا يرى قائله و هو يقول : أنت زين العابدين - ثلاثاً - فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقباً له **عليّاً**^(٣) .

و أما مناقبه ومزاياه وصفاته فكثيرة .

فمنها أنّه كان إذا توضّأ للصلاة يصفرُّ لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ، فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم^(٤) .

ومنها أنّه كان إذا مشى لا يجاوز يده فخذه ولا يخطر بيده ، و عليه السكينة

(١) مطالب السؤل من ٧٧ .

(٢) في المصدر «مفازة المسافرة»

(٣) و (٤) كشف النعمة من ١٩٨ .

والخشوع ، و إذا قام إلى الصلاة أخذته الرعدة ، فيقول لمن يسأله : أريد أن أقوم بين يدي ربي و أناجيه فلماذا تأخذني الرعدة ، و وقع الحريق و النار في البيت الذي هوفيه ، و كان ساجداً في صلاته فجعلوا يقولون : يا ابن رسول الله ، يا ابن رسول الله النار النار ، فما رفع رأسه من سجوده حتى اطفئت ، فقيل له : ما الذي ألهاك عنها ؟ فقال : نار الآخرة (١) .

ومنها ما نقله سفيان قال : جاء رجلٌ إلى علي بن الحسين عليهما السلام فقال : إن فلاناً قد وقع فيك و آذاك ، قال : فانطلق بنا إليه ، فانطلق معه و هو يرى أنه سينتصر لنفسه ، فلما أتاه قال له : يا هذا إن كان ما قلت في حقاً فالله تعالى يغفره لي ، وإن كان ما قلت في باطلاً فالله يغفره لك (٢) .

وكان بينه وبين ابن عمه الحسن بن الحسن شيء من المنافرة فجاء الحسن إلى علي وهو في المسجد مع أصحابه فما ترك شيئاً إلا قاله له من الأذى و هو ساكت ثم انصرف الحسن فلما كان الليل أتاه في منزله ففرغ عليه الباب فخرج إليه الحسن فقال له علي عليه السلام : يا أخي إن كنت صادقاً فيما قلت فغفر الله لي ، و إن كنت كاذباً فغفر الله لك ، و السلام عليك و رحمة الله ، ثم ولى فأتبعه الحسن و التزمه من خلفه و بكى حتى رق له ثم قال له : والله لأعدت إلى أمر تكرهه ، فقال له علي عليه السلام : وأنت في حل مما قلت (٣) .

ومنها أنه لما مات علي بن الحسين عليهما السلام وجدوه يقوت مائة بيت من أهل المدينة كان يحمل إليهم ما يحتاجون إليه (٤) .

و قال محمد بن إسحاق كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم ، فلما مات علي بن الحسين عليهما السلام فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل (٥) وقال أبو حمزة الثمالي كان زين العابدين عليه السلام يحمل جراب الخبز على ظهره

(١) و (٢) كشف الغمة ص ١٩٨ .

(٣) إلى (٥) راجع ارشاد المفيد - رحمه الله - ص ٢٤٠ و اعلام الوردى للطبرسي

ص ٢٥٦ ، و كشف الغمة ص ١٩٨ إلى ٢٠٠ .

بالليل فيتصدق به ويقول : « إن صدقة السر تطفي غضب الرب » (١) .
ولما مات عليه السلام وغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار في ظهره فقالوا : ما هذا ؟
قيل : كان يحمل جرب الدقيق على ظهره ليلاً ويوصلها إلى فقراء المدينة سرّاً (٢) .
وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى

مات علي بن الحسين عليهما السلام (٣) .

قال سفيان : أراد علي بن الحسين عليهما السلام الخروج إلى الحج ، فاتخذت له
سكينة بنت الحسين عليها السلام أخته زاداً أنفقت عليه ألف درهم فلما كان بظهر الحرّة
سيرت ذلك إليه فلم يزل يفرقه على المساكين (٤) .

وقال رجل لسعيد بن المسيّب : ما رأيت رجلاً أروع من فلان - لرجل سمّاه -
فقال له سعيد : ما رأيت علي بن الحسين عليهما السلام ؟ فقال : لا ، قال : ما رأيت أروع منه .
وقال الزهري : لم أر هاشمياً أفضل من علي بن الحسين عليهما السلام (٥) .

وقال أبو حازم كذلك أيضاً : ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين عليهما السلام
وما رأيت أحداً كان أفقه منه (٦) .

وقال طاووس : رأيت علي بن الحسين عليهما السلام ساجداً في الحجر فقلت : رجل
صالح من أهل بيت طيب لا سمعنا ما يقول ، فأصغيت إليه فسمعته يقول : « عبدك
بنفائك ، مسكينك بنفائك ، سائلك بنفائك ، فقيرك بنفائك » فوأنه مادعوت بهن في
كرب إلا كشف الله عني (٧) .

وكان عليه السلام يصلي في كل يوم و ليلة ألف ركعة ، فإذا أصبح سقط مغشياً
عليه ، وكانت الرّيح تميله كالسنبله (٨) .

وكان عليه السلام يوماً خارجاً فلقيه رجل فسبه فنارت إليه العبيد والموالي فقال لهم
علي : مهلاً كفوا ثم أقبل علي ذلك الرجل فقال له : ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر ،
ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل فألقى عليه علي عليه السلام خميصة كانت عليه (٩)

(١) إلى (٨) راجع ارشاد المفيد - رحمه الله - ص ٢٤٠ و اعلام الوری للطبرسی

ص ٢٥٦ وكشف الغمة ص ١٩٨ إلى ٢٠٠ .

(٩) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان فان لم يكن معلماً فليس بخميصة .

وأمر له بألف درهم فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرُّسل (١) .
وكان عنده عليه السلام قومٌ أضياف ، فاستعجل خادماً له بشواء كان في التَّنُور ،
فأقبل به الخادم مسرعاً فسقط السفود منه على رأس بنيّ لعليّ بن الحسين عليه السلام
تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله ، فقال عليّ عليه السلام للغلام وقد تحير الغلام واضطرب :
أنت حرٌّ فانكلم تعتمده ، وأخذ في جهاز ابنه ودفنه (٢) .
و دخل عليّ بن محمد بن أسامة بن زيد في مرضه ، فجعل محمد يبكي ، فقال له عليّ عليه السلام :
ما شأنك ؟ فقال : عليّ دين ، فقال له : كم هو ؟ فقال : خمسة عشر ألف دينار ،
فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : هو عليّ ، فالتزمه عنه (٣) .

﴿ فصل ﴾

وفي كشف الغمّة (٤) عن سعيد بن كلثوم قال : كنت عند الصادق جعفر بن
محمد عليه السلام فذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأطراه ومدحه بما هو أهله ،
ثم قال : « والله ما أكل عليّ بن أبي طالب عليه السلام من الدنيا حراماً قطُّ حتى مضى
لسبيله ، وما عرض له أمران قطُّ هم الله رضا إلا أخذ بأشدّهما عليه في دينه ، وما نزلت
برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نازلة قطُّ إلا دعاه ثقة به ، وما أطاق أحدٌ عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
هذه الأمة غيره وإن كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار ، يرجو ثواب
هذه ، ويخاف عقاب هذه ، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله عز وجلّ
والنجات من النار مما كدّ بيديه ، ورشح منه جبينه ، وإنه كان ليقوت أهله بالزيت
و الخللّ و العجوة ، و ما كان لباسه إلا الكرايبس إذا فضل شيء عن يده من كُفّه

(١) و (٢) كشف الغمة ص ٢٠٠ .

(٣) ارشاد المفيد - رحمه الله - ص ٢٤٢ إلا أن فيه زيد بن أسامة بن زيد مكان

محمد بن أسامة بن زيد . وفي كشف الغمة ص ٢٠١ .

(٤) ص ٢٠١ وفي ارشاد المفيد ص ٢٣٩ وفي اعلام الورى باعلام الهدى للطبرسي

ص ٢٥٤ .

دعا بالجلم فقصه ، وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحدٌ أقرب شياً به في لباسه .
 وفقهه من علي بن الحسين عليهما السلام ، ولقد دخل ابنه أبو جعفر عليه السلام عليه فإذا هو قد بلغ
 من العبادة ما لم يبلغه أحدٌ فرآه قد اصفرَّ لونه من السهر ، ورمصت عيناه ^(١) من
 البكاء ، ودبرت جبهته ، وانخرم أنفه من السجود ، وورمت ساقاه وقد مآه من القيام
 في الصلاة ، قال أبو جعفر عليه السلام : فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة له
 وإذا هو يفكر فالتمت إليَّ بعد هنيئة من دخولي ، وقال : يا بني أعطني بعض تلك الصحف
 التي فيها عبادة علي بن أبي طالب فأعطيته فقرأ منها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده
 تضجراً ، وقال : من يقوي عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام .
 و عن إبراهيم بن علي عن أبيه قال : حججت مع علي بن الحسين عليهما السلام ،
 فالتأثت الناقة عليه في سيرها فأشار إليها بالقضيب ثم قال : آه آه لولا القصاص
 وردَّ يده عنها ^(٢) .

و بهذا الإسناد قال : حجَّ علي بن الحسين عليهما السلام ماشياً فسار عشرين يوماً
 من المدينة إلى مكة ^(٣) .

وعن زرارة بن أعين قال : سمع سائل في جوف الليل وهو يقول : أين الزاهدون
 في الدنيا ، الرُّاعبون في الآخرة ؟ فهتف به هاتفٌ من ناحية من البقيع - يسمع
 صوته ولا يرى شخصه - ذلك علي بن الحسين عليهما السلام - ^(٤) .

و سكبت عليه الماء جاريةً ليتوضأ للصلاة فنعتت فسقط الإبريق من يدها
 فشجّه فرفع رأسه إليها ، فقالت له الجارية : إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : « والكاطمين
 الغيظ » قال : كظمت غيظي ، قالت : « والعافين عن الناس » قال لها : عفا الله عنك ،
 قالت : « والله يحبُّ المحسنين » قال : اذهبي فأنتِ حرَّةٌ لوجه الله ^(٥) .

(١) بالصاد المبهمة أي خرجت منها وسخ أبيض . وفي اعلام الوری « رمدت عيناه » .

(٢) كشف الغمة ص ٢٠١ وإرشاد المفيد ص ٢٤٠ و اعلام الوری ص ٢٥٥ والالتياث :

الابطاء في الشئ .

(٣) إرشاد المفيد ص ٢٤٠ و اعلام الوری ص ٢٥٦ و كشف الغمة ص ٢٠١ .

(٤) و (٥) الإرشاد ص ٢٤ و ص ٢٤٢ و كشف الغمة ص ٢٠٢ وقوله : « ليتوضأ

للصلاة » في الإرشاد « ليتبها للصلاة » .

و روي أنه عليه السلام دعا مملوكه مرتين فلم يجبه ، و أجابه في الثالثة فقال له :
يا بني^١ أما سمعت صوتي ؟ قال : بلى ، قال : فما لك لم تجبني ؟ قال : أمنتك ، قال :
« الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمني »^(١).

وعن عبد الله بن عطاء قال : أذنب غلام لعلي^{بن الحسين} عليهما السلام ذنباً استحق به
العقوبة فأخذ له السوط و قال : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام
الله » فقال الغلام : وما أنا كذلك إني لأرجو رحمة الله وأخاف عذابه ، فألقى السوط
و قال : أنت عتيق^(٢).

واستطال رجل^٣ على علي^{بن الحسين} عليهما السلام فتغافل عنه ، فقال له الرجل :
إيّاك أعني ، فقال علي^{بن الحسين} عليهما السلام : وعنك أعضي^(٣).

و سقط له ابن في بئر ففرغ أهل المدينة لذلك حتى أخرجوه ، وكان عليهما السلام
قائماً يصلي فما زال عن محرابه ، فقيل له في ذلك ، فقال : ما شعرت أنني كنت أناجي
رباً عظيماً^(٤).

وكان له عليه السلام ابن عم^٥ يأتيه بالليل متنكراً فبناوله شيئاً من الدنانير فيقول :
لكن علي^{بن الحسين} لا يواصلني لأجزأه الله عني خيراً ، فيسمع ذلك ويحتمله ويصبر
عليه ولا يعرفه بنفسه فلما مات عليه السلام فقدّها ، فحينئذ علم أنه هو كان فجاء إلى قبره
يبكي عليه^(٥).

وكان يقال له عليه السلام : ابن الخيرتين لقول رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن لله من عباده
خيرتين » فخيرته من العرب قريش و من العجم فارس ، وكانت أمه بنت كسرى^(٦).
وقيل له عليه السلام : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحنا خائفين برسول الله ، وأصبح
جميع أهل الإسلام آمنين به »^(٧).

وقيل له عليه السلام : ما بالك إذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة ؟ فقال : أكره

(١) اعلام البورى ص ٢٥٦ وارشاد البغد ص ٢٤١ . وفي كشف الغمة ص ٢٠١ .

(٢) و (٣) كشف الغمة ص ٢٠٥ و ٢٠٦ .

(٤) الى (٧) المصدر ص ٢٠٧ .

أن آخذ برسول الله ، مالا أعطي مثله (١).

وقال رجل لرجل من آل الزبير كلاماً أقذع (٢) فيه فأعرض الزبير عنه ، ثم دار الكلام فسب الزبير علي بن الحسين عليه السلام فأعرض عنه ولم يجبه ، فقال له الزبير : ما يمنعك من جوابي ؟ فقال عليه السلام : ما يمنعك من جواب الرجل (٣) . ومات له ابن فلم يرمنه جزع ، فسئل عن ذلك ، فقال : أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره (٤) .

قال طاووس : رأيت رجلاً يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب ، يدعو ويبكي في دعائه ، فبحثته حين فرغ من الصلاة فإذا هو علي بن الحسين عليه السلام فقلت له : يا ابن رسول الله رأيتك على حالة كذا و لك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف أحدها أنك ابن رسول الله ﷺ ، والثاني شفاعته جدك ، والثالث رحمة الله ، فقال : يا طاووس أمّا إنني ابن رسول الله فلا يؤمنني ، قد سمعت الله تعالى يقول : « فلا أنساب بينهم يومئذ » (٥) .

و أمّا شفاعته جدّي فلا يؤمنني لأن الله تعالى يقول : « ولا يشعفون إلا لمن ارتضى » (٦) .

و أمّا رحمة الله فإن الله يقول : إنها « قريب من المحسنين » (٧) ولأعلم أنني محسن (٨) .

﴿فصل﴾

و أمّا كراماته عليه السلام ففي كشف الغمة (٩) من كتاب الدلائل تأليف أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري قال : دلائل أبي عبد الله بن الحسين عليه السلام كان علي بن الحسين عليه السلام في سفر وكان يتعدى وعنده رجل فأقبل غزال في ناحية يتقمم (١٠) وكانوا

- | | |
|----------------------------|---------------------------------|
| (١) الى (٣) المصدر ص ٢٠٧ . | (٤) القدم الغناء والفحش . |
| (٤) المؤمنون : ١٠٢ . | (٥) الانبياء : ٢٨ . |
| (٦) الاعراف : ٥٥ . | (٧) كشف الغمة ص ٢٠٨ . |
| (٨) المصدر ص ٢٠٨ . | (٩) تقم المائدة بتتبع ما فيها . |

يأكلون على سفرة في ذلك الموضع ، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام : اُدن فكل فأنت آمن ، فدنى الغزال فأقبل يتقسم من السفرة ، فقام الرجل الذي كان يأكل معه بحصاة فتذف بها ظهره ، فنقر الغزال ومضى ، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام : أخفرت ذمتي لا كلمتك كلمة أبداً .

وهنه عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إن أبي خرج إلى ماله و معناه أناس من مواليه وغيرهم فوضعت المائدة لتتغذى وجاء ظبي وكان منه قريباً ، فقال له : يا ظبي أنا علي بن الحسين و أمي فاطمة بنت رسول الله هلم إلى هذا الغذاء ، فجاء الظبي حتى أكل معهم ماشاء الله أن يأكل ، ثم تنحى الظبي ، فقال له بعض غلماناه : رده علينا ، فقال : نعم لا تخفروا ذمتي ، قالوا : لا ، فقال له : يا ظبي أنا علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب و أمي فاطمة بنت رسول الله هلم إلى الغذاء ، و أنت آمن في ذمتي فجاء الظبي حتى قام على المائدة ، فأكل معهم فوضع رجل من جلسائه يده على ظهره فنقر الظبي ، فقال علي بن الحسين : أخفرت ذمتي لا كلمتك كلمة أبداً (١) و تلكأت عليه (٢) ناقته بين جبال الرضوى فأناخها ثم أراها السوط والقضيب ثم قال : لتنطلقن أولاً فعلمن ، فانطلقت وماتلكأت بعدها (٣) .

و منه باسناده قال : بينا علي بن الحسين عليهما السلام جالسا مع أصحابه إذ أقبلت ظبية من الصحراء حتى قامت بحذاء و ضربت بذنبها و سمحمت ، فقال بعض القوم : يا ابن رسول الله ما يقول هذه الظبية ؟ قال : تزعم أن فلان بن فلان القرشي أخذ خشفها بالأمس و أنها لم ترضه منذ أمس شيئاً فوق في قلب رجل من القوم فأرسل علي بن الحسين عليهما السلام إلى القرشي فأتاه فقال : مال هذه الظبية تشكوك ؟ قال : و ما تقول ؟ قال : تقول : إنك أخذت خشفها بالأمس في وقت كذا و كذا و إنها لم ترضه شيئاً منذ أخذته و سألتني أن أبعث إليك فأسألك أن تبعث به إليها حتى ترضه وتردّه إليك ،

(١) المصدر ص ٢٠٨ .

(٢) تلكأت عن الأمر أبطأ و توقف و تلكأت عليه : اعتل .

(٣) كشف الغمة ص ٢٠٨ .

فقال : والذي بعث محمداً بالحق لقد صدقت عليّ ، قال له : فأرسل إلى الخشف فجيبه ، به ، قال : فلما جاء به أرسله إليها ، فلما رأته صحمت وضربت بذنبتها ثم رضع منها ، فقال علي بن الحسين عليهما السلام للرجل : بحقي عليك إلا وهبته لي ، فوهبه له ووهبه علي بن الحسين عليهما السلام لها وكلمها بكلامها ، فصحمت وضربت بذنبتها وانطلقت وانطلق الخشف معها ، فقالوا : يا ابن رسول الله ما الذي قالت ؟ قال : دعت لكم وجزتكم خيراً ^(١) .

و منه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لما كان في الليلة التي وعد فيها علي بن الحسين عليهما السلام قال لمحمد : يا بني أبغني وضوء أقال : فقممت فجئته بماء ، قال : لا تبغ هذا فإن فيه شيئاً ميتاً ، قال : فخرجت فجئمت بالمصباح فإذا فيه فارة ميتة ، فجئته بوضوء غيره فقال : يا بني هذه الليلة التي وعدتها ، فأوصى بناقته أن يحط عليه خطاماً وأن يقام لها علف ، فجعلت فيه فلم تلبث أن خرجت حتى أتت القبر فضربت بجراها ، ورغت و هملت عيناها ، فأتى محمد بن علي عليهما السلام فقيل له : إن الناقة قد خرجت ، فجاءها فقال : قومي بارك الله فيك ، فلم تفعل ، فقال : دعوها فإنها مودعة ، فلم تلبث إلا ثلاثاً حتى نفقت ^(٢) قال : كان يخرج عليها إلى مكة فيعلق السوط بالرحل فما يقرعها حتى يدخل المدينة » ^(٣) .

و منه عن أبي جعفر عليه السلام قال : « لما قتل الحسين بن علي عليهما السلام جاء محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليهما السلام فقال له : يا ابن أخي أنا عمك وصنو أبيك وأنا أسن منك فأنا أحق بالإمامة والوصية ، فادفع إلي سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال علي بن الحسين عليهما السلام : يا عم اتق الله ولا تدع ما ليس لك ، فأني أخاف عليك نقص العمر وشتات الأمر ، فقال له محمد بن الحنفية : أنا أحق بهذا الأمر منك ، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام : يا عم فهل لك إلى حاكم نحتكم إليه ؟ فقال : ومن هو ؟ قال : الحجر الأسود ، قال : فتحا كما إليه فلما وقفا عنده قال له : يا عم تكلم فأنت المطالب ، قال : فنكلم محمد بن الحنفية فلم يجبه ، قال : فتقدم علي بن الحسين عليهما السلام فوضع يده عليه وقال :

ه اللهم إني أسألك باسمك المكتوب في سرادق البهاء ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق الجلال ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق السلطان ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العظمة ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق القوة ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق السرائر ، وأسألك باسمك الفائق الخبير البصير ، ربّ الملائكة الثمانية ، وربّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، وربّ محمد خاتم النبيين لما أنظقت هذا الحجر بلسان عربي فصيح يخبر لمن الإمامة والوصية بعد الحسين بن عليّ ، قال : ثمّ أقبل عليّ بن الحسين عليهما السلام على الحجر فقال : أسألك بالذي جعل فيك موثيق العباد والشهادة لمن وافاك إلا أخبرت لمن الإمامة والوصية بعد الحسين ابن عليّ ؟ قال : فتزعزع الحجر حتى كاد أن يزول من موضعه وتكلم بلسان عربيّ مبين فصيح يقول : يا محمد سلّم سلّم إن الإمامة والوصية بعد الحسين بن عليّ لعليّ ابن الحسين ، قال أبو جعفر عليه السلام : فرجع محمد بن الحنفية وهو يقول : بأبي عليّ (١) .

ومنه عن أبي عبد الله عليه السلام « أنه التزقت يد رجل وامرأة على الحجر في الطواف وجهد كل واحد منهما أن ينزع يده فلم يقدر عليه وقال الناس : اقطعوهما قال : فبيناهما كذلك إذ دخل عليّ بن الحسين عليهما السلام فأفرحوا فلما عرف أمرهما تقدّم فوضع يده عليهما فانحلاّ وتفرّقا » (٢) .

ومنه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجّاج بن يوسف : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجّاج بن يوسف أمّا بعد فانظر دماء بني عبد المطلب واحتقنها واجتنبها فإنّي رأيت آل أبي سفيان لما ولعوا فيها لم يلبثوا إلا قليلاً والسلام . قال : وبعث بالكتاب سرّاً وورد الخبر على عليّ بن الحسين عليهما السلام ساعة كتب الكتاب وبعث به إلى الحجّاج فقيل له : إن عبد الملك قد كتب إلى الحجّاج كذا وكذا وإن الله قد شكر لفضلك وثبت ملكه وزاده برهة قال : فكتب عليّ بن الحسين عليهما السلام : بسم الله الرحمن الرحيم

(١) و (٢) كشف الغمّة ص ٢٠٩ .

إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من علي بن الحسين أما بعد فإنك قد كتبت يوم كذا وكذا من ساعة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بكذا وكذا ، وإن رسول الله أنبأني وأخبرني أن الله قد شكر لك ذلك وثبت ملكك وزادك برهة ، وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له على بعيره وأمره أن يوصله إلى عبد الملك ساعة يقدم عليه ، فلما قدم الغلام أوصل الكتاب إلى عبد الملك ، قلمًا نظر في تاريخ الكتاب وجده موافقًا لتلك الساعة التي كتب فيها إلى الحجاج فلم يشك في صدق علي بن الحسين عليه السلام وفرح فرحاً شديداً وبعث إلى علي بن الحسين عليه السلام بوقر راحلته دراهم ثواباً لما سره من الكتاب ^(١).

ومنه عن المنهال بن عمرو قال : حججت فدخلت على علي بن الحسين عليه السلام فقال لي : يا منهال ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي ؟ قلت : تركته حياً بالكوفة ، قال : فرفع يده ثم قال : اللهم أذقه حر الحديد ، اللهم أذقه حر النار ، قال : فانصرفت إلى الكوفة وقد خرج بها المختار بن أبي عبيدة وكان لي صديقاً فركبت لأسلم عليه فوجدته قد دعا بدابته وركبها فركبت معه حتى أتى الكناسة فوقف وقوف منتظر لشيء ، وقد كان وجهه في طلب حرملة بن كاهل فأحضر فقال : الحمد لله الذي مكنتني منك ، ثم دعا بالجزء ارفقال : اقطعوا يديه فقطعنا ، ثم قال : اقطعوا رجله فقطعنا ، ثم قال : النار النار ، فأتي بطن قصب ^(٢) ، ثم جعل فيها ، ثم ألهب فيه النار حتى احترق ، فقلت : سبحان الله سبحان الله ، فالتفت إلي المختار ، وقال : مم سبحت ؟ فقلت له : دخلت على علي بن الحسين عليه السلام فسألني عن حرملة فأخبرته أنني تركته بالكوفة حياً ، فرفع يديه وقال : اللهم أذقه حر الحديد ، اللهم أذقه حر النار ، فقال المختار : الله الله أسمعت علي بن الحسين يقول هذا ؟ فقلت : الله الله لقد سمعته يقول هذا ، فنزل المختار وصلى ركعتين ثم أطال ، ثم سجد فأطال ، ثم رفع رأسه وذهب و مضيت معه حتى انتهى إلى باب داري فقلت له : إن رأيت أن تكرمني بأن تنزل وتتغدى عندي ، فقال : يا منهال : وتخبرني أن علي بن الحسين عليه السلام دعا الله

(١) المصدر ص ٢٠٩ . (٢) الطن - بضم الطاء - : حزمة القصب .

بثلاث دعوات فأجاب به الله فيها على يدي ، ثم تسألني الأكل عندك ، هذا يوم صوم شكراً لله على ما وفقني له ، (١) .

و من كتاب المناقب لابن طلحة (٢) عن ابن شهاب الزهري أنه قال : شهدت علي بن الحسين عليهما السلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام فأثقله حديداً ووكل به حفائظاً في عدة وجمع ، فاستأذنتهم بالتسليم عليه ، والتوديع له فأذنوا لي فدخلت عليه وهوني قبسة والأقياد في رجليه والغل في يديه فبكيت وقلت : وددت أنني أكون في مكانك و أنت سالم فقال لي : يا زهري أوتظن هذا مما ترى علي و في عتقي مما يكرهني أما لو شئت ما كان وإنه إن بلغ بك وبأمثالك غم ليدكرن عذاب الله ، ثم أخرج يده من الغل و رجله من القيد ثم قال : يا زهري لاجزت معهم علي ذامنلتين من المدينة ، فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه من المدينة فما وجدوه ، و كنت فيمن سألهم عنه ، فقالوا لي : إنما نراه متبوعاً ، إنه لنازل ونحن حوله لانام نرصده إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا حديداً ، قال الزهري : فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن علي بن الحسين عليهما السلام فأخبرته فقال لي : إنه جاء في يوم فقدته الأعوان فدخل علي فقال : ما أنا وأنت ، فقلت : أقم عندي ، فقال : لا أحب ، ثم خرج فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة ، قال الزهري : فقلت : يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث تظن إنه مشغول بربه فقال : حبذا شغل مثله فنعم ما شغل به ، وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين عليهما السلام يبكي ويقول : زين العابدين .

❖ (ذكر طرف من اخلاق الامام الخامس) ❖

❖ (ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام و صفاته و كراماته) ❖

قال ابن طلحة (٣) : هو باقر العلم و جامع ، و شاهر علمه و رافعه ، و متفوق

(١) المصدر ص ٢٠٩ .

(٢) مطالب السؤل ص ٧٨ .

(٣) المصدر ص ٨٠ .

دَرَّةً وراضعه ، ومنمَّق دُرَّةً وراضفه ، صفاقليه ، وزكا عمله ، وظهرت نفسه ، و شرف أخلاقه ، و عمرت بطاعة الله أوقاته ، ورسخت في مقام التقوى قدمه ، وظهرت عليه سمات الازدلاف (١) و طهارة الاجتباء ، فالمناقب تسبق إليه ، و الصفات يتشرف به . قال : وله ثلاثة ألقاب : باقر العلم ، والشاكر ، والهادي ، وأشهرها الباقر ، وسمي به ليتبقره في العلم - وهو توسعه فيه - .

وأما مناقبه الحميدة وصفاته الجميله فكثيرة : منها .

قال أفلح مولى أبي جعفر عليه السلام : خرجت مع محمد بن علي عليه السلام حاجاً فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علاصوته فقلت : بأبي و أمي أنت إن الناس ينظرون إليك فلورفقت بصوتك قليلاً ، فقال لي : ويحك يا أفلح ولم لأبكي لعل الله تعالى أن ينظر إليّ منه برحمة فأفوز بها عنده غداً ، قال : ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عندالمقام فرفع رأسه من سجوده فاذا موضع سجوده مبتل من كثرة دموع عينيه ، وكان إذاضحك قال : اللهم لاتمقمني (٢) .

و قال عبدالله بن عطاء : مارأيت العلماء عندأحد أصغر علمامنهم عند أبي جعفر عليه السلام ، لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم (٣) .

و روي عنه ولده جعفر عليه السلام وقال : كان أبي يقول في جوف الليل في تضرعه : « أمرتني فلم أثمر ، ونهيتني فلم أنزجر ، فها أناذا عبدك بين يديك ولأعتذر » (٤) . و قالت سلمى مولاة أبي جعفر عليه السلام : كان يدخل عليه إخوانه فلايخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ، ويكسوهم الثياب الحسنة ، ويبهب لهم الدرهم فأقول له في ذلك ليقل منه ، فيقول : يا سلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف ، وكان يجيز بالخمسمائة والستمائة إلى الألف ، وكان لايمل من مجالسة إخوانه (٥) .

(١) قال الجزري في نهايته : و في حديث الباقر عليه السلام « مالك من عيشك الالذة تردلف بك إلى حمامك » اي تقربك إلى موتك .

(٢) و (٣) مطالب السؤول من ٨٠ وقوله : « لاتمقمني » المقصود : أشد الغضب .

(٤) و (٥) المصدر من ٨١ .

و قال الأسود بن كثير : شكوت إلى أبي جعفر عليه السلام الحاجة وجفاء الإخوان فقال : بئس الأخ أخٌ يردك غنياً ويقطعك فقيراً ، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم فقال : استنق هذه فإذا فرغت فأعلمني ، وقال : «عرف المودة لك في قلب أخيك بما له في قلبك» (١).

و نقل عن أبي الزبير محمد بن مسلم المكي أنه قال : كنا عند جابر بن عبد الله فأتاه علي بن الحسين عليه السلام ومعه ابنه محمد وهو صبي فقال علي لابنه : قبل رأس عمك فدنا محمد من جابر فقبل رأسه فقال جابر : من هذا ؟ وكان قد كف بصره ، فقال له علي : هذا ابني محمد فضمه جابر إليه ، وقال : يا محمد ، محمد رسول الله يقرأ عليك السلام فقالوا لجابر : كيف ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام في حجره وهو يلاعبه فقال : يا جابر يولد لابني الحسين ابنٌ يقال له : علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين ، ويولد لعلي ابنٌ يقال له : محمد يا جابر إن لقبته فأقرئه مني السلام واعلم أن بقاءك بعد رؤيته يسير ، فلم يعيش بعد ذلك إلا قليلاً ومات . وهذه وإن كانت منقبة واحدة فهي عظيمة تعادل جملاً من المناقب (٢).

أقول : و حديث جابر هذا قد رواه غير واحد من العامة و الخاصة بالفاظ متقاربة .

وفي إرشاد المفيد (٣) عن عمر بن دينار و عبد الله بن عبيد بن عمير أنهما قالوا : ما لقينا أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام إلا و حمل إلينا النقطة والكسوة والصدقة يقول : هذه معدة لكم قبل أن تلقوني .

وعن سليمان بن قرم قال : كان أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام يجيزنا بالخمسمائة درهم إلى الستمائة درهم إلى الألف درهم ، وكان لا يمل من صلة إخوانه وقاصديه و مؤمليه و راجيه (٤) .

(٣) ص ٢٤٩ .

(١) و (٢) مطالب السؤل ص ٨١ .

(٤) إرشاد المفيد ص ٢٥٠ .

و عنه عليه السلام أنه سئل عن الحديث يرسله ولا يسنده ، فقال : « إذا حدثتكم بالحديث فلم أسنده فسندي فيه أبي عن أبيه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن الله تعالى » (١) .

وكان عليه السلام يقول : « بليّة الناس علينا عظيمة ، إن دعوناهم لم يستجيبوا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا » (٢) .

وكان عليه السلام يقول : « ما يقيم الناس منّا نحن أهل بيت الرّحمة ، وشجرة النبوة ومعدن الحكمة ، وموضع الملائكة ، ومهبط الوحي » (٣) .

﴿ فصل ﴾

و أمّا كراماته عليه السلام ففي كشف الغمّة (٤) من كتاب دلائل الحميري عن يزيد ابن أبي حازم قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فمررنا بدار هشام بن عبد الملك وهي تبني فقال : أما والله لتهدمنّ أما والله ليُنقلنّ ترايبها من مهدمتها ، أما والله لتبدونّ أحجار الزّيت وإنّه لموضع النّفس الرّكيّة ، فتعجبت وقلت : دار هشام من يهدمها فسمعت أذني هذا من أبي جعفر عليه السلام قال : فرأيتها بعد مامات هشام ، وقد كتب الوليد في أن تستهدم و ينقل ترايبها فنقل حتى بدت الأحجار ورأيتها .

و منه بالاسناد قال : كنت مع أبي جعفر عليه السلام فمرّ بنا زيد بن عليّ فقال أبو جعفر :

(١) الى (٣) ارشاد المفيد ص ٢٥٠ .

(٤) المصدر ص ٢١٧ . و كتاب الدلائل لابي العباس عبدالله بن جعفر بن الحسين ابن مالك بن جامع الحميري القمي شيخ القميين صاحب كتاب قرب الاسناد المعروف قال النجاشي : انه قدم الكوفة سنة نيف و تسعين ومائتين ، وسمع منه أهلها و صرح ابو غالب الزراري في رسالته أن قدومه الكوفة كان في سنة سبع و تسعين ومائتين ينقل عن الدلائل السيد ابن طاووس في محاسبة النفس ص ٧ حديث عرض الاعمال و أوصى لولده محمد في كشف المحجة ص ٣٥ بان ينظر في كتاب المعجزات و الدلائل منها دلائل ابن جرير الطبري و دلائل الحميري ، وقال الميرزا كامالا صهر العلامة المجلسي في « البياض الكمالى » عليك بمطالعة كتاب الدلائل للحميري فيظهر منه وجود نسخه عنه . راجع الذريعة الى تصانيف الشيعة ج ٨ ص ٢٣٧ .

أما والله ليخرجن بالكوفة وليقتلن وليطافن برأسه ، ثم أتني به فنصب في ذلك الموضع على قصبه ، فعجبنا من القصة و ليس في المدينة قصب أتوا بها معهم (١) .

و منه عن أبي بصير قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « كان فيما أوصى أبي إلي إذا أنا مت فلا يلي غسلني أحدٌ غيرك ، فإن الإمام لا يغسله إلا إمام ، واعلم أن عبدالله أخاك سيدعو إلى نفسه فدعه ، فإن عمره قصير ، فلما مضى أبي غسلته كما أمرني وادعى عبدالله الإمامة مكانه فكان كما قال أبي ، وما لبث عبدالله يسيراً حتى مات ، وكانت هذه من دلالاته ، يبشّرنا بالشيء قبل أن يكون فيكون و به يعرف الإمام » (٢) .

و عن فيض بن مطر قال : « دخلت على أبي جعفر عليه السلام ، وأنا أريد أن أسأله عن صلاة الليل في المحمل ، قال : فابتدأني فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي على راحلته حيث توجهت به » (٣) .

و منه عن سعد الاسكاف قال : طلبت الإذن على أبي جعفر عليه السلام فقيل : لا تعجل إن عنده قوماً من إخوانكم فما لبثت أن خرج علي اثنا عشر رجلاً يشبهون الزط ، وعليهم أقبية ضيقات و خفاف فسلموا ومرروا فدخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت : ما عرف هؤلاء الذين خرجوا من عندك من هم قال : هؤلاء قوم من إخوانكم الجن ، قال : قلت : و يظهرون لكم ؟ فقال : نعم ينفدون علينا في حلالهم و حرامهم كما تفدون » (٤) .

و منه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعت أبي يقول ذات يوم : إنما بقي من أجلي خمس سنين ، فحسب ذلك فما زاد ولا نقص (٥) .

و عن محمد بن مسلم قال : سرت مع أبي جعفر عليه السلام ما بين مكة والمدينة وهو على بغلة وأنا على حمار له إذ أقبل ذئب يهوي من رأس الجبل حتى دنا من أبي جعفر عليه السلام فجلس البغلة و دنا الذئب حتى وضع يده على القربوس و تطاول بخطمه (٦) إليه وأصغى إليه أبو جعفر عليه السلام بأذنه ملياً ، ثم قال : اذهب فقد فعلت ، فرجع

(١) الى (٥) كشف الغمة ص ٢١٧ . (٦) اي بيقدم أنه .

هو يهرول ، فقال لي : تدري ما قال ؟ قلت : الله ورسوله وابن رسوله أعلم ، قال : إنه قال لي : يا ابن رسول الله إن زوجتي في ذلك الجبل و قد عسر إليها ولادتها ، فادع الله أن يخلصها ولا يسلم أحداً من نسلي على أحد من شيعتكم ، قلت : قد فعلت « (١) .

و منه عن عبدالله بن عطاء المكي قال : « اشتقت إلى أبي جعفر عليه السلام وأنا بمكة فقدمت المدينة ما قدمتها إلا شوقاً إليه فأصابني تلك الليلة مطر وبرد شديد فانتهيت إلى بابه نصف الليل فقلت : أطرقه الساعة أو أنتظره حتى يصبح فانني لأفكر في ذلك إذ سمعته يقول : يا جارية افتح الباب لابن عطاء فقد أصابه في هذه الليلة برد و أذى ، قال : فجاءت ففتحت الباب فدخلت « (٢) .

و منه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « كنت عند أبي محمد ابن علي عليه السلام في اليوم الذي قبض فيه و أوصاني بأشياء في غسله و كفنه و في دخوله قبره قال : فقلت : يا أبا عبد الله ما رأيت مذاشكت أحسن هيئة منك اليوم ما أرى عليك أثر الموت ، فقال : يا بني أما سمعت علي بن الحسين عليه السلام ينادي من وراء الجدار : يا محمد تعال عجل « (٣) .

و منه عن حمزة بن محمد الطيمار قال : « أتيت باب أبي جعفر عليه السلام أستأذن عليه فلم يأذن لي وأذن لغيري فرجعت إلى منزلي وأنا مغموم فطرحت نفسي على سرير في الدار و ذهب عني النوم ، فجعلت أفكر و أقول : إلى من إلى المرجئة تقول كذا ، والقدرية تقول كذا ، والزيدية تقول كذا ، فيفسد عليهم قولهم ، فأنا أفكر في هذا حتى نادى المنادي فاذا الباب يدق ، فقلت : من هذا ؟ فقال : رسول أبي جعفر فخرجت إليه . فقال : أجب ، فأخذت ثيابي علي و مضيت فلما دخلت إليه قال : يا ابن محمد لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية ولا إلى الزيدية ولا إلى الحرورية ولكن إلينا إنما حجبتك لكذا و كذا ففعلت و قات به « (٤) .

و عن مالك الجهني قال : « كنت قاعداً عند أبي جعفر عليه السلام فنظرت إليه و

(١) كشف الغمة ص ٢١٢ .

(٢) إلى (٤) كشف الغمة ص ٢١٨ نقل كلها من دلائل العميرى .

جعلت أفكر في نفسي وأقول : لقد عظمك الله وكرمك وجعلك حجة على خلقه ،
فالتفت إليّ وقال : يا مالك الأمر أعظم مما تنهب إليه « (١) .

و منه عن جابر قال : « سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « لا يخرج علي هشام
أحد إلا قتله ، فقلت لزريد هذه المقالة ، فقال : إنني شهدت هشاماً ورسول الله
صلى الله عليه وآله ليست عنده فلم ينكر ذلك ولم يغيّره ، فوالله لو لم يكن إلا أنا وآخر لخرجت
عليه « (٢) .

و منه عن أبي الهذيل قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : « يا أبا الهذيل إنه لا
يخفى علينا ليلة القدر إن الملائكة يطيفون بنا فيها « (٣) .

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « كان في دار أبي جعفر عليه السلام فاخنة فسمعها وهي
تصيح ، فقال : تدرون ما تقول هذه الفاخنة ؟ قالوا : لا ، قال : يقول : فقد تكم
فقد تكم ، تفقدنا قبل أن تفقدنا ، ثم أمر بذبحها « (٤) .

و من كتاب الخرائج والجرائح ^(٥) للإمام قطب الدين أبي الحسين سعيد
ابن هبة الله بن الحسن الراوندي - رحمه الله - في معجرات محمد الباقر عليه السلام عن عباد
ابن كثير البصري قال : « قلت للباقر عليه السلام : ما حق المؤمن على الله ؟ فصرف وجهه
فسألته عنه ثلاثاً ، فقال : من حق المؤمن على الله أن لو قال لتلك النخلة : أقبلني لأقبلت ،
فنظرت والله إلى النخلة التي كانت هناك قد تحركت مقبلة فأشار إليها قرني فلم
أعنيك .

و منه عن أبي الصباح الكناني قال : « صرت يوماً إلى باب محمد الباقر عليه السلام
فقرعت الباب فخرجت إليّ و صيفة ناهد ^(٦) فضربت بيدي إلى رأس ثديها وقلت
لها : قولي لمولاي إنني بالباب فصاح من داخل الدار : أدخل لا أم لك ، فدخلت
فقلت : يا مولاي ما قصدت ريبة ولا أردت إلا زيادة ما في نفسي فقال : صدقت لئن

(١) إلى (٤) كشف الغمة ص ٢١٨ نقل كلها من دلائل العميري .

(٥) ص ١٩٦ من طبعه الملحق بالاربعين و كفاية الاثر .

(٦) أنهد العظية : عظيها ، والعوض او الاناء ملاء حتى يفيض ، وأنهدت المرأة :

أشرف ثديها و كعب .

ظننتم أن هذه الجدران تحجب أبصارنا كما تحجب أبصاركم إذا لافرق بيننا وبينكم فإياك أن تعاود لمثلها» (١).

و منه أن حباية الوالبيّة دخلت على الباقر عليه السلام فقال : « ما الذي أبطأ بك عني ؟ فقالت : بياض عرض في مفرق رأسي شغل قلبي ، قال : أرينيه فوضع الباقر يده عليه فاذا هو أسود ، ثم قال : هاتوا لها المرآة فنظرت وقد أسود ذلك الشعر» (٢) و منه عن أبي بصير قال : « كنت مع الباقر عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله قاعداً حدثان مامات علي بن الحسين عليهما السلام إذ دخل المنصور و داود بن عليّ قبل أن أفضى الملك إلى ولد العباس و ما قعد إلا داود إلى الباقر عليه السلام فقال : ما منع الدّ وانيقي أن يأتي ؟ قال : فيه جفاء ، قال الباقر عليه السلام : لا تذهب الأيام حتّى يلي أمر هذا الخلق ، فيطأ أعناق الرّجال و يملك شرقها و غربها و يطول عمره فيها حتّى يجمع من كنوز الأموال ما لم يجمع لأحد قبله فقام داود ، وأخبر الدّ وانيقي بذلك فأقبل إليه الدّ وانيقي وقال : ما معني من الجلوس إليك إلا إجلالك فما الذي أخبرني به داود ؟ قال : هو كائن ، قال : وملكنا قبل ملككم ؟ قال : نعم ، قال : وملك بعدي أحد من ولدي ؟ قال : نعم ، قال : فمدة بني أمية أكثر أم مدتنا ؟ قال : مدتنا أطول و ليتلقفن هذا الملك صبيانكم و يلعبون به كما يلعبون بالكرة هذا ماعده إليّ أبي ، فلما ملك الدّ وانيقي تعجّب من قول الباقر عليه السلام » (٣).

و منه عن أبي بصير قال : قلت يوماً للباقر عليه السلام : « أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : نعم ، قالت : و رسول الله وارث الأنبياء كلهم ؟ قال : نعم وورث جميع علومهم ، قلت : وأنتم ورثتم جميع علم رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : نعم ، قلت : وأنتم تقدرون أن تحيوا الموتى و تبرؤوا الأكمه والأبرص و تخبروا الناس بما يأكلون و يدخرون في بيوتهم ؟ قال : نعم ، بإذن الله ، ثم قال : أدن منّي يا أبا بصير فدنوت منه فمسح بيده على وجهي فأبصرت السهل و الجبل و السماء ، والأرض ، ثم مسح بيده على وجهي فعدت كما كنت لا أبصر شيئاً ، قال أبو بصير : فقال لي الباقر عليه السلام : إن أحببت

أن تكون هكذا كما أبصرت وحسابك على الله ، وإن كنت تحب كما كنت و ثوابك الجنة ؟ فقلت : أكون كما كنت والجنة أحب إليّ ، (١) .

و منه عن جابر قال : « كنا عند الباقر عليه السلام نحواً من خمسين رجلاً إذ دخل عليه كثير النّوامة وكان من المقامرة فسلم و جلس ، ثم قال : إن المغيرة بن عمران عندنا بالكوفة يزعم أن معك ملكاً يعرفك الكافر من المؤمن و شيعتك من أعدائك ، قال : ما حرفتك ؟ قال : بيع الحنطة ، قال : كذبت ، قال : و ربما أبيع الشعير ؟ قال : ليس كما قلت ، بل تبيع النّوى ، قال : من أخبرك بهذا ؟ قال : الملك الرّباني يعرفني شيعتي من عدوّي ، ولست تموت إلا تائهاً ، فلما انصرفنا إلى الكوفة ذهبت في جماعة نسأل عن كثير ، فدللنا على عجوز فقالت : مات تائهاً منذ ثلاثة أيام ، (٢) .

و منه وقد اختصرت ألفاظها عن عاصم بن أبي حمزة قال : « ركب الباقر عليه السلام يوماً إلى حائله وأنامعه وسليمان بن خالد ، فسرنا قليلاً فلقينا رجلان فقال عليه السلام : هما سارقان خذوهما فأخذهما عبيده فقال : استوثقوا منهما فقال لسليمان : انطلق إلى ذلك الجبل مع هذا الغلام واصعد رأسك تجد في أعلاه كهفاً فادخله واستخرج ما فيه ، وحملة الغلام فهو قد سرق من رجلين ، فمشى وأحضر عيبتين فقال : صاحبها حاضر وغائب سيحضر ، واستخرج عيبة أخرى من موضع آخر في الكهف وعاد إلى المدينة فدخل صاحب العيبتين وقد كان ادعى على جماعة أراد الوالي أن يعاقبهم ، فقال الباقر عليه السلام : لاتعاقبهم وردّهما على الرّجل ، وقطع السارقين فقال أحدهما : لقد قطعنا بحق والحمد لله الذي أجرى توپتي وقطعي على يد ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : لقد سبقتك يدك التي قطعت إلى الجنة بعشرين سنة فعاش بعد قطعها عشرين سنة وبعد ثلاثة أيام حضر صاحب العيبة الأخرى فقال له الباقر عليه السلام : أخبرك بما في عيبتك ، فيها ألف دينار لك و ألف لغيرك و فيها من الثياب كذا وكذا ، فقال : إن أخبرتني بصاحب الألف و ما اسمه وأين هو علمت أنك الإمام المفترض الطاعة ، فقال : هو محمد بن عبد الرحمن و هو رجل صالح كثير الصدقة و الصلاة و هو الآن على الباب

ينتظرك ، فقال الرجل - وهو بربري نصراني - : آمنت بالله الذي لا إله إلا هو وأن محمداً عبده ورسوله ، وأسلم « (١) .

و منه روى الحسين بن راشد قال : « ذكرت زيد بن علي فتنقصته عند أبي عبدالله عليه السلام فقال : لاتفعل رحم الله عمي زيداً فإنه أتى إلى أبي فقال : إنني أريد الخروج على هذا الطاغية فقال : لاتفعل يا زيد فإنه لا يخرج أحداً من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفيناني إلا قُتل ، وقال لي : يا حسين إن فاطمة قد أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ، وفيهم نزل « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات » فالظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام ، و المقتصد العارف بحق الإمام ، و السابق بالخيرات هو الإمام ، ثم قال : يا حسين إننا أهل بيت لا نخرج من الدنيا حتى نقر لكل ذي فضل بفضله « (٢) .

و منه روى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : « إنني لأعرف رجلاً لو قام بشاطيء البحر لعرف دواب البحر بأسمائها و عمارتها و خالاتها » (٣) .
و منه أن جماعة استأذنوا على أبي جعفر عليه السلام قالوا : فلما صرنا في الدهليز إذا قراءة السريانية بصوت حسن يقره و يبكي حتى أبكى بعضنا و مانعهم مما يقول شيئاً ، فظننا أن عنده بعض أهل الكتاب استقرأه فلما انقطع الصوت دخلنا عليه فلم نر عنده أحداً فقلنا : لقد سمعنا قراءة السريانية بصوت حزين ، قال : ذكرت مناجاة إلياس النبي فأبكتني « (٤) .

و منه روى عن عيسى بن عبد الرحمن عن أبيه قال : « دخل ابن عكاشة بن محسن الأسدي على أبي جعفر عليه السلام وكان أبو عبدالله عليه السلام قائماً عنده فقدم إليه عبناً ، فقال : حبة حبة يأكله الشيخ الكبير و الصبي الصغير ، و ثلاثة و أربعة يأكله من يظن أنه لا يشبع فكلوا حبتين حبتين فإنه يستحب » ، فقال لأبي جعفر عليه السلام : لأي شيء لا تزوج

أبا عبد الله فقد أدرك للتزويج ، وبين يديه صرّة محتومة فقال : سيجي ، نخاس من بربر ينزل دارميمون فأتى لذلك ما أتى ، فدخلنا على أبي جعفر عليه السلام فقال : ألا أخبركم عن ذلك النخاس الذي ذكرته لكم فذهبوا فاشترؤا بهذه الصرّة جارية ، فأتينا النخاس فقال : قد بعته ما كان عندي إلا جارتين إحداهما مثل من الأخرى ، قلنا : فأخرجهما حتى نظر إليهما فأخرجهما ، فقلنا : بكم تبيعنا هذه المتماثلة ؟ قال : بسبعين ديناراً قلنا : أحسن ، قال : لأنقص من سبعين ديناراً ، فقلنا : نشترها منك بهذه الصرّة ما بلغت وماندري ما فيها ، وكان عنده رجل أبيض الرأس واللحية ، فقال : فكّوا الخاتم وزنوا فقال النخاس : لا تفكّوا فإنها إن نقصت حبة من السبعين لأبايعكم ، فقال الشيخ : ادنوا ففكّنا ووزننا الدنانير فاذهبي سبعين لا تزيد ولا تنقص ، فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر عليه السلام و جعفر عليه السلام عنده فأخبرنا أبا جعفر بما كان ، فحمد الله ثم قال لها : ما اسمك ؟ قالت : حميدة ، قال : حميدة في الدنيا محمودة في الآخرة ، أخبريني أبكر أنت أم ثيب ؟ قالت : بكر ، قال : كيف ولا يقع في يد النخاسين شيء إلا أفسدوه ، قالت : كان يجي ، النخاس فيقعد منّي فيسلط الله عليه رجلاً أبيض الرأس واللحية فلا يزال يلطمه حتى يقوم عني ، ففعل بي مراراً ، وفعل الشيخ به مراراً ، فقال : يا جعفر خذها إليك ، فولدت خير أهل الأرض موسى بن جعفر عليه السلام ^(١).

و منه روى أبو بصير عن الصادق عليه السلام قال : « كان أبي في مجلس له ذات يوم إذا طرق رأسه في الأرض ثم رفع رأسه فقال : يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف حتى يستعرضكم بالسيف ثلاثة أيام ، فيقتل مقاتلتكم وتلقون منه بلاء ، لا تقدرّون أن تدفعوه ، وذلك من قابل فخذوا حذركم ، واعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لا بد ، فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه وقالوا : لا يكون هذا أبداً ولم يأخذوا حذرهم إلا تفريسيرو بنو هاشم خاصة ، وذلك أنهم علموا أن كلامه هو الحق ، فلمّا كان من قابل تحمل أبو جعفر عليه السلام بعباله وبنو هاشم وخرجوا من المدينة وجاء نافع بن الأزرق حتى كبس المدينة ، فقتل مقاتلتهم ، وفضح

(١) كشف الغمة ص ٢١٨ ورواه الكليني في الكافي ج ١ ص ٤٤٦ .

نساء هم فقال أهل المدينة : لانردُّ على أبي جعفر شيئاً نسمعه منه أبداً بعد ما سمعنا ورأينا ، فانتم أهل بيت النبوة ينطقون بالحق . آخر ما نقل من كتاب الراوندي (١) .
 ومن كتاب جمعه الوزير السعيد مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن محمد بن علي العلقمي - رحمه الله - قال : ذكر الأجل أبو الفتح يحيى بن محمد بن حياء الكاتب قال : حدث بعضهم قال : كنت بين مكة والمدينة فاذا أنا بشيخ يلوح من البرية يظهر تارة و يغيب أخرى حتى قرب مني ، فتأملته فاذا هو غلام سباعي أو ثماني فسلم علي فرددت عليه السلام وقلت : من أين ؟ قال : من الله ، فقلت : وإلى أين ؟ فقال : إلى الله ، قال : فقلت : فعلى م ؟ فقال : على الله ، فقلت : فما زادك ؟ قال : التقوى ، فقلت : ممن أنت ؟ قال : أنا رجلٌ عربيٌّ ، فقلت : ابن لي ، قال : أنا رجل قرشيٌّ ، فقلت : ابن لي ، فقال : أنا رجلٌ هاشميٌّ ، فقلت : ابن لي ، فقال : أنا رجل علويٌّ ، ثم أنشد و قال :

فنحن على الحوض ذوادُهُ * نذود و يسعد و رآده
 فما فاز من فاز إلا بنا * وما خاب من حُبنا زاده
 فمن سرنا نال منا السرور * ومن ساءنا ساء ميلاده
 ومن كان غاصبنا حقنا * فيوم القيامة ميعاده

ثم قال : أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ثم التفت فلم أره ، فلا أعلم هل صعد إلى السماء أم نزل في الأرض (٢) .

(ذكر طرف من أخلاق الامام السادس)

(أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وصفاته وكراماته)

قال ابن طلحة (٣) : هو من عظماء أهل البيت وساداتهم ، ذو علوم جمّة ، وعبادة موفورة ، و أوراد متواصلة ، وزهادة بيّنة ، و تلاوة كثيرة ، يتتبع معاني القرآن

(٢) كشف الغمة ص ٢١٧ .

(١) كشف الغمة ص ٢١٨ .

(٣) مطالب السؤل ص ٨١ .

الكريم ، ويستخرج من بحره جواهره ، ويستنتج عجائبه ، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه ، رؤيته تذكر بالآخرة ، واستماع كلامه يزهد في الدنيا ، والافتداء بهديه يورث الجنة ، نورقسماته^(١) شاهدأنه من سلالة النبوة ، وطهارة أفعاله تصدع بأنه من ذرية الرسالة ، نقل عنه الحديث ، واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم مثل يحيى بن سعيد الأنصاري ، وابن جريح ومالك ابن أنس ، والثوري ، وابن عيينة ، وأبي حنيفة ، وشعبة ، وأيوب السجستاني ، وغيرهم وعدوا أخذهم عنه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها .

قال : وله ألقاب أشهرها الصادق ، ومنها الصابر ، والفاضل ، والظاهر .

و أما مناقبه و صفاته فتكاد تفوق عدد الحاصر ، و يحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر ، حتى أن من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى صارت الأحكام التي لاتدرك عللها ، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها تضاف إليه وتروى عنه ، وقد قيل : إن كتاب الجفر الذي بالمغرب ويتوارثه بنوع عبد المؤمن هو من كلامه عليه السلام ، و إن في هذه لمنقبة سنية ، و درجة في مقام الفضائل عليه ، قال : وقال ابن أبي حازم : « كنت عند جعفر بن محمد عليه السلام إذ جاء آذنه فقال :

سفيان الثوري بالباب ، فقال : ائذن له ، فدخل فقال له جعفر عليه السلام : ياسفيان إنك رجل يطلبك السلطان وأنا أتقي السلطان قم فاخرج غير مطرود ، فقال سفيان : حدثني حتى أسمع وأقوم ، فقال جعفر : حدثني أبي عن جدي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن حزنه أمر فليقل : لا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم] » فلما قام سفيان قال جعفر : خذها يا سفيان ثلاثاً وأي ثلاث .

و قال سفيان : دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام وعليه جبة خز دكنا ، وكساء ،

(١) قال الجزري : القسامة - بفتح القاف - : الحسن ، و رجل مقسم الوجه -

بشد السين كمعظم - اي جميل كله ، كان كل موضع منه أخذ قسماً من الجمال ، ويقال

لهر الوجه : قسمة - بكسر السين - و جمعها قسمات .

خز فجعلت أنظر إليه تعجباً فقال لي : يا ثوري مالك تنظر إلينا لعلك تعجب مما ترى ؟ فقلت : يا ابن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك ، فقال : يا ثوري كان ذلك زمان إفتار وافتقار ، وكانوا يعملون على قدر اقتارهم وافتقارهم ، وهذا زمان قد أسبل كل شيء عزاليه^(١) ثم حسر رذن^(٢) جيبته فاذا تحتها جيبه صوف بيضاء يقصر الذئيل عن الذئيل والرذن عن الرذن ، وقال : يا ثوري لبسنا هذا لله تعالى وهذا لكم ، فما كان لله أخفيناه ، وما كان لكم أبديناه .

و قال الهياج بن بسطام : كان جعفر بن محمد بن عليّ يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء ، وكان يقول : « لا يتم المعروف إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره »^(٣) .
و عن عمرو بن أبي المقدم قال : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد عليهما علمت أنه من سلالة النبوة .

و قال البرذون بن شبيب النهديّ وأسمه جعفر قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : « احفظوا فينا ما حفظ العبد الصالح في اليتيمين قال : وكان أبوهما صالحاً » .
و عن صالح بن الأسود قال : سمعت جعفر بن محمد عليهما يقول : « سلوني قبل أن تعقدوني فإنه لا يحدثكم أحدٌ بعدي بمثل حديثي » .

و وقع بين جعفر بن عليّ و عبدالله بن الحسن كلام في صدر يوم فأغلظ له في القول عبدالله بن الحسن ثم افترقا وراحا إلى المسجد فالتقيا على باب المسجد ، فقال أبو عبدالله جعفر بن محمد لعبدالله بن الحسن : كيف أمسيت يا أبا محمد ؟ فقال : بخير - كما يقول المغضب - فقال : يا أبا محمد أما علمت أن صلة الرّحم تخفف الحساب ؟ فقال : لا تزال تجيبني بالشيء ، لانعرفه ، قال : فأنني أتلو عليك به قرآناً قال : وذلك أيضاً ، قال : نعم ، قال : فهاته ، قال : قول الله عز وجل : « والذين يصلون ما أمر الله به أن

(١) العزالي جمع العزلاء وهو فم الزادة الاسفل ، كناية عن وفور النعمة وخفض العيش و رخاء المعيشة .

(٢) حسر الشيء : كشفه ، والرذن - كقفل - اصل الكم و طرفه الواسع ، و كانت العرب تضع فيه الدراهم و الدنانير .

(٣) الى هنا في كشف الغمة ص ٢٢٣ عن مطالب السؤول وما بعده فيه عن الجنازني .

يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، قال : فلا تراني بعدها قطعاً رحماً (١) .
 في ارشاد المفيد - رحمه الله - وكان الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
 ابن علي بن أبي طالب عليه السلام من بين إخوته خليفة أبيه و وصيه ، و القائم بالإمامة
 من بعده ، وبرز على جماعتهم بالفضل ، وكان أنبهم ذكراً ، وأعظمهم قدراً ، وأجلهم
 في العامة والخاصة ، و نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركب ان تشرد ذكره
 في البلدان ، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه ، ولا لقي أحد منهم من
 أهل الآثار و نقلة الأخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبدالله عليه السلام فإن أصحاب
 الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات ،
 فكانوا أربعة آلاف رجل ، وكان له عليه السلام من الدلائل الواضحة في إمامته ما بهرت العقول ،
 وأخرست المخالف عن الطعن فيها بالشبهات (٢) .

و قال الحافظ أبو نعيم : إن أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أقبل على
 العبادة والخضوع ، وآثر العزلة والخشوع ، ولهي عن الرئاسة والجموع (٣) .

وقيل : إن التصوف انتفاع بالنسب وارتفاع بالسبب (٤) .

و قال ابن الجوزي وكان عليه السلام مشغولاً بالعبادة عن حب الرئاسة (٥) .

و عن ابن حمدون أنه كتب المنصور إلى جعفر بن محمد عليه السلام : لم لاتغشانا كما
 يغشانا سائر الناس ؟ فأجابه ليس لنا ما نخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة
 مانرجوك له ، ولأنت في نعمة فنهنيك ولاترها نعمة فتعزبك بها فما نصنع عندك ؟ قال :
 فكتب إليه تصحبنا لتنصحننا ، فأجابه من أراد الدنيا لا ينصحك و من أراد الآخرة
 لا يصحبك ، فقال المنصور : والله لقد ميزت عندي منازل الناس من يريد الدنيا ممن
 يريد الآخرة ، وإنه ممن يريد الآخرة لا الدنيا (٦) .

(١) إلى هنا في كشف الغمة ص ٢٢٤ من كتاب الجنابدى .

(٢) المصدر ص ٢٥٣ . (٣) كشف الغمة : ٢٣٢ .

(٤) كشف الغمة ص ٢٣٢ .

(٥) تذكرة الخواص ص ١٩٢ من طبعه الملحق بكتاب السؤل .

(٦) كشف الغمة ص ٢٤٠ .

﴿ فصل ﴾

وأما كراماته عليه السلام ففي كشف الغمة من كتاب ابن طلحة ^(١) قال : حدث
عبدالله بن الفضل بن ربيع عن أبيه قال : حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة ،
فقدم المدينة و قال للربيع : ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً ، قتلني الله
إن لم أقتله ، فتغافل الربيع عنه لينساء ثم أعاد ذكره للربيع وقال : ابعث من يأتي
به متعباً ، فتغافل عنه فأرسل إلى الربيع رسالة قبيحة أغلظ عليه فيها وأمره أن
يبعث من يحضر جعفرأ ففعل ، فلما أتاه قال له الربيع : يا أبا عبدالله اذكر الله
فإنه قد أرسل إليك بما لا دافع له غير الله ، فقال جعفر : لاحول ولا قوة إلا بالله ،
ثم إن الربيع أعلم المنصور بحضوره ، فلما دخل جعفر عليه أوعده وأغلظ وقال :
أي عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يبعثون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني
وتبغيه الغوائل ، قتلني الله إن لم أقتلك ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن سليمان
أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلي فصبر وإن يوسف ظلم فغفر وأنت من ذلك السنخ
فلما سمع المنصور ذلك منه قال : إليّ و عندي أبا عبدالله ! أنت البريء الساحة ،
السلام الناحية ، القليل الغائلة ، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الأرحام
عن أرحامهم ، ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه ، ثم قال : عليّ بالطيب فأتي
بالغالية فجعل يغلف لحية جعفر بيده حتى تر كها يقطر ثم قال : قم في حفظ الله
وكلائته ، ثم قال : يا ربيع ألحق أبا عبدالله جازيته وكسوته ، انصرف أبا عبدالله !
في حفظه وكتفه فانصرف ، قال الربيع : فلحقته وقلت : إنني قد رأيت قبلك ما لم
تره و رأيت بعدك ما لا رأيته فما قلت يا أبا عبدالله حين دخلت ؟ قال : قلت : « اللهم
احرسني بعينك التي لا تنام ، واكتفني بركنك الذي لا يرام ، واغفر لي بقدرتك عليّ
ولا أهلك وأنت رجائي ، اللهم أنت أكبر وأجل مما أخاف وأحذر ، اللهم بك أدفع
في نحره ، واستعيذ بك من شره » ففعل الله بي ما رأيت .

(١) كشف الغمة ص ٢٢٣ ، و مطالب السؤول ص ٨٢ .

و منه قال ليث بن سعيد : حججت سنة ثلاث عشرة و مائة فأتيت مكة فلما صليت العصر رقيت أباقيس و إذا أنا برجل جالس و هو يدعو فقال : يارب يارب حتى انقطع نفسه ، ثم قال : رب رب حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا الله يا الله حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا حي يا حي حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا رحيم يا رحيم حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه سبع مرات (١) ، ثم قال : اللهم إنني أشتي من هذا العنب فأطعمنيه ، اللهم و إن بردي قد أخلقا ، قال ليث : فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلّة مملوءة عنباً وليس على الأرض يومئذ عنب و بردين جديدين موضوعين فأراد أن يأكل فقلت له : أنا شريكك فقال لي : ولم ؟ قلت : لأنك تدعو وأنا أوّمن ، فقال لي : تقدّم فكل ، و لا تجبأ شيئاً فتقدّمت فأكلت شيئاً لم آكل مثله قط ، و إذا عنب لاجم له فأكلت حتى شبعت و السلّة لم تنقص ، ثم قال لي : خذ أحد البردين إليك ، فقلت : أمّا البردان فإني غنيّ عنهما فقال لي : توارعني حتى ألبسهما ، فتواريت عنهما تزر بالواحد و ارتدى بالآخر ، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلهما على يده و نزل فأبعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال : اكسني كساك الله فدفعهما إليه ، فلحقت الرجل فقلت : من هذا ؟ قال : جعفر بن محمد ، قال ليث : فطلبته لأسمع منه فلم أجده (٢) .

قال عليّ بن عيسى - رحمه الله - : حديث ليث مشهور و قد ذكره جماعة من الرواة و نقلة الحديث ، و كذلك قال في قضيته مع المنصور : ثم نقل من إرشاد المفيد ما يقرب منها مع زيادات (٣) .

و منه قال : و روي أن داود بن عليّ بن عبدالله قتل المعلّى بن خنيس مولى جعفر بن محمد عليه السلام و أخذ ماله فدخل عليه جعفر وهو يجرب رداءه فقال له : قتل مولاي و أخذت ماله ، أما علمت أن الرجل ينام على الشكل و لا ينام على الحرب ، أما

(١) أي كرر هذا العمل يعني قول يا أرحم الراحمين إلى انقطاع النفس سبع مرات .

(٢) كشف الغمة ص ٢٢٤ و حديث ليث نقله محمد بن طلحة في مطالب السؤل

ص ٨٣ و سبط ابن الجوزي في التذكرة .

(٣) راجع إرشاد المفيد ص ٢٥٥ .

والله لا دعون الله عليك ، فقال له داود بن علي : أتهددنا بدعائك - كالمستهزئ ، بقوله -
فرجع أبو عبد الله عليه السلام إلى داره فلم يزل ليله كله قائماً وقاعداً حتى إذا كان السحر
فسمع وهو يقول في مناجاته : « يا ذا القوة القوية ، ويا ذا المحال الشديد ، ويا ذا العزّة
التي كل خلقك لها ذليل ، اكفني هذا الطاغية ، وانتقم لي منه » ، فما كانت إلا ساعة
حتى ارتفعت الأصوات بالصياح وقيل : قدمنا داود بن علي ^(١) .

و منه روى أبو بصير قال : دخلت المدينة وكانت معي جويرية لي فأصبت منها ،
ثم خرجت إلى الحمام فلقيت أصحابنا الشيعة وهم متوجهون إلى أبي عبد الله جعفر
عليه السلام فخشيت أن يسبقوني و يفوتني الدخول إليه فمشيت معهم حتى دخلت الدار
فلما تمثلت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام نظر إلي ، ثم قال : يا أبا بصير أما علمت أن
بيوت الأنبياء وأولاد الأنبياء لا يدخلها الجنب ، فاستحييت و قلت : يا ابن رسول الله
إنني لقيت أصحابنا وخشيت أن يفوتني الدخول معهم ولن أعود إلى مثلها وخرجت ^(٢) .
قال المفيد - رحمه الله - : وجاءت الرواية عنه مستقيضة بمثل ما ذكرناه من الآيات
والإخبار بالغيوب مما يطول تعدادها ^(٣) .

ومن كتاب الحميري ^(٤) عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال : قال لي أبو عبد الله
عليه السلام : « إذا لقيت السبع ما تقول له ؟ قلت : ما أدري قال : إذا لقيته فاقره في وجهه
آية الكرسي وقل : « عزمت عليك بعزيمة الله ، وعزيمة محمد رسول الله ، وعزيمة سليمان
ابن داود ، وعزيمة علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده » ، فإنه ينصرف عنك ، قال عبد الله
الكاهلي : فقدمت إلى الكوفة فخرجت مع ابن عم لي إلى قرية فإذا سبع قد اعترض
لنا في الطريق فقرأت في وجهه آية الكرسي وقلت : عزمت عليك بعزيمة الله وعزيمة
محمد رسول الله ، وعزيمة سليمان بن داود ، وعزيمة أمير المؤمنين والأئمة من بعده
إلا تنحيبت عن طريقنا ولم تؤذنا فإننا لا تؤذيك ، فنظرت إليه وقد طأ رأسه وأدخل

(١) و (٢) ارشاد المفيد ص ٢٥٦ .

(٣) المصدر ص ٢٥٦ و ٢٥٧ .

(٤) كشف النعمة ص ٢٣٤ .

ذنبه بين رجله و تنكب الطريق ، راجعاً من حيث جاء ، فقال : ابن عمي ما سمعت كلاماً قط أحسن من كلام سمعته منك ، فقلت : إن هذا الكلام سمعته من جعفر بن محمد عليه السلام فقال : أشهد أنه إمام مفترض الطاعة ، وما كان ابن عمي يعرف قليلاً ولا كثيراً ، فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام من قابل وأخبرته الخبر ، وما كنا فيه فقال : أتراني لم أشهدكم ، بئس ما رأيت إن لي مع كل وليّ اذناً سامعة ، و عيناً ناظرة ، و لساناً ناطقاً ، ثم قال لي : يا عبدالله بن يحيى أنا والله صرفته عنكما و علامة ذلك أنكما كنتما في البداءة على شاطيء النهر و أن اسم ابن عمك أثبت عندنا وما كان الله يميته حتى يعرفه هذا الأمر ، فرجعت إلى الكوفة فأخبرت ابن عمي بمقالة أبي عبدالله ففرح و سرّ به سروراً شديداً ، وما زال مستبصراً بذلك إلى أن مات .

و منه عن شعيب العقرقوفي قال : دخلت أنا و علي بن أبي حمزة و أبو بصير على أبي عبدالله عليه السلام و معي ثلاثمائة دينار فصببتها قدأمه ، فأخذ منها أبو عبدالله عليه السلام قبضة لنفسه وردّ الباقي عليّ وقال : يا شعيب ردّ هذه المائة دينار إلى موضعها الذي أخذتها منه ، قال شعيب : ففضينا حوائجنا جميعاً فقال لي أبو بصير : يا شعيب ما حال هذه الدنانير التي ردّها عليك أبو عبدالله عليه السلام ؟ قلت : أخذتها من عروة أخي سرّاً منه ، وهو لا يعلمها ، فقال لي أبو بصير : يا شعيب أعطاك أبو عبدالله عليه السلام والله علامة الإمامة ، ثم قال لي أبو بصير ، و علي بن أبي حمزة : يا شعيب عدّ الدنانير ، فعددتها فإذا هي مائة دينار لا يزيد ديناراً ولا ينقص ديناراً (١) .

و منه عن سماعة بن مهران قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي مبتدئاً : يا سماعة ما هذا الذي كان بينك وبين جمالك في الطريق ، إياك أن تكون فحاشاً أو سخاباً أو لعاناً ، فقلت : والله لقد كان ذلك ، و ذلك أنه كان يظلمني ، فقال : لئن كان ظلمك لقد أريت عليه ، إن هذا ليس من فعالي و لا أمر به شيعتي ، ثم قال أبو عبدالله عليه السلام : استغفر ربك يا سماعة مما كان ، و إياك أن تعود ، فقلت : إنني أستغفر الله مما كان و لا أعود (٢) .

و منه عن أبي بصير قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم جالسا إذ قال : يا أبا محمد هل تعرف إمامك ؟ قلت : إي والله الذي لا إله إلا هو و أنت هو ، و وضعت يدي على ركبته أو فخذيه فقال : صدقت قد عرفت فاستمسك به ، قلت : أريد أن تعطيني علامة الإمامة ، قال : يا أبا محمد ليس بعد المعرفة علامة ، قلت : أزداد إيمانا و يقينا ، قال : يا أبا محمد ترجع إلى الكوفة وقد ولدك عيسى ، و من بعد عيسى محمد ، و من بعدهما ابنتان ، و اعلم أن ابنيك مکتوبان عندنا في الصحيفة الجامعة مع أسماء شيعتنا و أسماء آبائهم و أمهاتهم و أجدادهم و أنسابهم و ما يلدون إلى يوم القيامة و أخرجها فإذا هي صفراء مدرجة (١) .

و منه عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال لي : يا أبا محمد ما فعل أبو حمزة الثمالي ، قلت : خلّفته صحيحاً قال : إذا رجعت فأقرئه مني السلام و أعلمه أنه يموت في شهر كذا في يوم كذا ، قال أبو بصير : لقد كان فيه أنس و كان لكم شيعة قال : صدقت يا أبا محمد و ما عندنا خير له ، قلت : و شيعتكم معكم ؟ قال : نعم إذا هو خاف الله و راقب الله و توقّى الذنوب كان معنا في درجتنا ، قال أبو بصير : فرجعنا تلك السنة فما لبث أبو حمزة الثمالي إلا يسيراً حتى مات (٢) .

و منه عن عبد الحميد بن أبي العلاء و كان صديقاً لمحمد بن عبد الله بن الحسن و كان به خاصاً ، فأخذه أبو جعفر (٣) و حبسه في المضيق زماناً ثم إنه وافى الموسم ، فلما كان يوم عرفة لقيه أبو عبد الله عليه السلام في الموقف فقال : يا محمد ما فعل صديقك عبد الحميد ؟ فقال : أخذه أبو جعفر فحبسه في المضيق زماناً فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده ساعة ثم التفت إلى محمد بن عبد الله ، فقال : يا محمد قد والله خلّي سبيل صاحبك ، قال محمد : فسألت عبد الحميد أي ساعة أخرجك أبو جعفر ؟ قال : أخرجني يوم عرفة بعد العصر (٤) .

و منه عن زرّام بن مسلم مولى خالد بن عبد الله القسريّ - قال : إن المنصور

(١) و (٢) كشف الغمة ص ٢٣٤ .

(٣) يعني الدوانيقي . (٤) كشف الغمة ص ٢٣٥ .

قال لحاجبه : إذا دخل عليّ جعفر بن محمد فاقتله قبل أن يصل إليّ ، فدخل أبو عبد الله عليه السلام فجلس فأرسل إلى الحاجب فدعاه فنظر إليه و جعفر قاعدٌ عنده ، قال : ثمّ قال له : عد إلى مكانك قال : وأقبل يضرب يده على يده ، فلما قام أبو عبد الله عليه السلام وخرج ، دعا حاجبه فقال : بأيّ شيء أمرتك ؟ قال : لا والله ما رأيته حين دخل ولا حين خرج ، ولا رأيته إلا وهو قاعدٌ عندك ^(١) .

و منه عن عبد العزيز القزّاز قال : كنت أقول فيهم بالرّبوّية ، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال : يا عبد العزيز ضع لي ماءً أتوضأُ ففعلت ، فلما دخل قلت في نفسي : هذا الذي قلت فيه ما قلت يتوضأُ ، فلما خرج قال : يا عبد العزيز لا تحمّل على البناء فوق ما يطيق فينهدم ، إنّنا عبيدٌ مخلوقون ^(٢) .

و منه قيل : أراد عبد الله بن محمد الخروج مع زيد فنهاه أبو عبد الله عليه السلام وعظم عليه فأبى إلا الخروج مع زيد ، فقال له : لكأنّي والله بك بعد زيد وقد خمرت كما تخمرت النساء ، وحملت في هودج وصنع بك ما يصنع بالنساء . فلما كان من أمر زيد ما كان جمع أصحابنا لعبد الله بن محمد دنائير وتكلموا له وأخذوه حتى إذا صاروا به إلى الصحراء ، وشبعوه فتنبّسّم فقالوا له : ما الذي أضحكك فقال : والله تعجّبت من صاحبكم إنّي ذكرت و قد نهاني عن الخروج فلم أظعه وأخبرني بهذا الأمر الذي أنا فيه ، وقال : لكأنّي بك وقد خمرت كما تخمرت النساء و جعلت في هودج فعمّجت ^(٣) .

و منه عن أبي حمزة الثمالي قال : كنت مع أبي عبد الله عليه السلام بين مكّة والمدينة إذا التفت عن يساره رأى كلباً أسود فقال : مالك قبّحك الله ما أشدّ مسارعتك ، وإذا هو شبيه الطائر ، فقال : هذا عثم بريد الجنّ مات هشام الساعة وهو يطير ينعاه في كلّ بلد ^(٤) .

و منه عن مرّام قال : قال أبو عبد الله عليه السلام وهو بمكّة : يا مرّام لو سمعت رجلاً يسبّني ما كنت صانعاً ؟ قلت : كنت أقتله ، قال : يا مرّام إن سمعت من يسبّني فلا

تصنع به شيئاً ، قال : فخرجت من مكة عند الزوال في يوم حارّ فألجأني الحرّ إلى أن صرت إلى بعض القباب وفيها قوم ، فنزلت معهم فسمعت بعضهم يسبّ أباً عبد الله عليه السلام فذكرت قوله فلم أقل شيئاً ولو لا ذلك لقتلته (١) .

و منه قال أبو بصير : كان لي جار يتبع السلطان فأصاب مالاً فاتخذ قياناً ، و كان يجمع الجموع ويشرب المسكر و يؤذيني ، فشكوته إلى نفسه غير مرّة فلم ينته ، فلما ألححت عليه قال : يا هذا أنا رجل مبتلى و أنت رجل معاني ، فلو عرفتني لصاحبك رجوت أن يستنقذني الله بك ، فوقع ذلك في قلبي فلما صرت إلى أبي عبد الله عليه السلام ذكرت له حاله ، فقال لي : إذا رجعت إلى الكوفة فانه سيأتيك فقل له يقول لك جعفر بن محمد : دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنة ، قال : فلما رجعت إلى الكوفة أتاني فيمن أتى فاحتبسته حتى خلا منزلي فقلت : يا هذا إنني ذكرتك لأبي عبد الله عليه السلام فقال : أقرئه السلام و قل له : يترك ما عليه وأضمن له على الله الجنة فبكي ، ثم قال : الله أقال لك جعفر هذا ؟ قال : فحلفت له أنه قال لي ما قلت لك ، فقال لي : حسبك و مضى ، فلما كان بعد أيام بعث إليّ و دعاني فإذا هو خلف باب داره عريان فقال : يا أبابصير ما بقي في منزلي شيء ، إلا و قد أخرجته وأنا كما ترى ، فمشيت إلى إخواننا فجمعت له ما كسوته به ، ثم لم يأت عليه إلا أيام يسيرة حتى بعث إليّ أنني عليل فأتني ، فجعلت أختلف إليه و أعالجه حتى نزل به الموت فكنت عنده جالساً وهو يوجد بنفسه ، ثم غشي عليه غشية ثم أفاق ، فقال : يا أبابصير قدوفى صاحبك لنا ثم مات ، فحججت فأتيت أباً عبد الله عليه السلام فاستأذنت عليه فلما دخلت قال لي مبتدئاً من داخل البيت وإحدى رجلي في الصحن والأخرى في دهليز داره : يا أبابصير قد وفينا لصاحبك (٢) .

و منه عن هشام بن أحمد قال : كتب أبو عبد الله عليه السلام رقعة في حوائج لأشترها و كنت إذا قرأت الرقعة خرقنها فاشترت الحوائج و أخذت الرقعة فأدخلتها في

(١) كشف الغمة ص ٢٣٥ .

(٢) كشف الغمة ص ٢٣٦ .

زنقليجتي وقلت : أتبرك بها ، قال : و قدمت عليه فقال : يا هشام اشتريت الحوائج؟ قلت : نعم ، قال : و خرقت الرقعة ؟ قلت : أدخلتها زنقليجتي وأقفلت عليه الباب أطلب البركة وهوذا المفتاح في تكتي ، قال : فرفع جانب مصلاه و طرحها إلي وقال : خرقتها ، فخرقتها ، ورجعت ففتشت الزنقليجة فلم أجد فيها شيئاً^(١).

و منه عن إسحاق بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن لنا أموالاً و نحن نعامل الناس أخاف إن حدث حدث أن تتفرق أموالنا ، فقال : أجمع مالك في شهر ربيع ، قال علي بن إسماعيل : فمات إسحاق في شهر ربيع^(٢).

قال علي بن عيسى - رحمه الله - : هذا آخر ما أردت إثباته من كتاب الدلائل. و قد تركت كثير آمن نظائر ما ذكرت روماً للاختصار فإن القليل يدل على الكثير^(٣).

و من كتاب الراوندي - رحمه الله -^(٤) في معجزات جعفر بن محمد الصادق عليه السلام روي عن المفضل بن عمر قال : كنت أمشي مع أبي عبد الله عليه السلام بمكة أو بمنى إذ مررنا بامرأة بين يديها بقرة مبيتة وهي مع صبية لها يبكون ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : كنت وصبياني نعيش من لبن هذه البقرة وقدمات فتحيّرت في أمري قال : أفتحبين أن يحييها الله لك ؟ قالت : أو تسخر مني مع مصيبي ؟! قال : كلا ما أردت ذلك ، ثم دعا بدعاء ، وركضها برجله وصاح بها فقامت البقرة مسرعة سوية فقالت : عيسى ابن مريم ورب الكعبة ، فدخل الصادق عليه السلام بين جمع من الناس فلم تعرفه المرأة^(٥).

و منه قال علي بن أبي حمزة : حججت مع الصادق عليه السلام فجلسنا في بعض الطريق تحت نخلة يابسة فحرك شفثيه بدعاء لم أفهمه ثم قال : يا نخلة أطعمينا بما جعل الله فيك من رزق عباده فنظرت إلى النخلة وقد تمايلت نحو الصادق عليه السلام وعليها أعداقها و فيها الرطب ، فقال : اُدن وسم و كل ، فأكلنا منها رطباً و أعذب رطب و أطيبه و

(١) و (٢) كشف الغمة ص ٢٣٦ .

(٣) في كشف الغمة « هذا آخر ما أردت إثباته من كتاب الدلائل للحميري »

و ليست بقية الكلام فيه ، ولعل من كلام الفيض - رحمه الله - أو كانت الزيادة في نسخته .

(٤) و (٥) الخرائج والجرائح ص ١٩٨ من طبعه الملحق بالاربعين للعلامة المجلسي .

إذا نحن بأعرابي يقول : ما رأيت كالיום سحراً أعظم من هذا فقال الصادق عليه السلام : نحن ورثة الأنبياء ، ليس فينا ساحرٌ ولا كاهنٌ ، ندعو الله فيجيب وإن أحببت أن أدعو الله فيمسحك كلباً تهدي إلى منزلك فتدخل عليهم و تبصص لأهلك فعلت ، فقال الأعرابي بجهله : نعم ؛ فدعا الله فصار كلباً في الوقت و مضى على وجهه ، فقال لي الصادق عليه السلام أتبعه ، فأتبعته حتى صار إلى حية فدخل إلى منزله و جعل يبصص لأهله وولده فأخذوا له العصا حتى أخرجوه فانصرفت إلى الصادق عليه السلام فأخبرته بما كان فينا نحن في هذا الحديث إذ أقبل حتى وقف بين يدي الصادق عليه السلام و جعلت دموعه تسيل و أقبل يترغ في التراب ويعوي ، فرحمه فدعاه فعاد أعرابياً فقال له الصادق عليه السلام : هل آمنت يا أعرابي؟ قال : نعم ألفاً وألفاً^(١).

و منه روي عن يونس بن ظبيان قال : كنت عند الصادق عليه السلام مع جماعة فقلت قول الله لا إبراهيم : «خذ أربعة من الطير فصرهن إليك» أكانت أربعة من أجناس مختلفة أو من جنس واحد؟ فقال : أتحبون أن أريكم مثله؟ قلت : نعم فقال : يا طاؤوس فاذا طاؤوس طار إلى حضرته ، فقال : يا غراب فاذا غراب بين يديه ، فقال : يا بازي فاذا باز بين يديه ، ثم قال : يا حمامة فاذا حمامة بين يديه ، ثم أمر بذبحها كلها و تقطيعها و تنف ريشها وأن يخلط ذلك كله ببعضه ببعض ، ثم أخذ برأس الطاؤوس فقال : يا طاؤوس فرأينا لحمه وعظامه وريشه يتميز من غيره حتى التصق ذلك برأسه فقام بين يديه حياً ، ثم صاح بالغراب فقام حياً والبازي والحمامة فقامتا كذلك حتى قامت كلها أحياء بين يديه^(٢).

و منه روى هشام بن الحكم أن رجلاً من أهل الجبل أتى أبا عبد الله عليه السلام و معه عشرة آلاف درهم وقال : اشتري داراً أنزلها إذا قدمت و عيالي ، ثم مضى إلى مكة فلما حج و انصرف أنزله الصادق عليه السلام في داره و قال : اشتريت لك داراً في الفردوس الأعلى حدّها الأول إلى رسول الله والثاني إلى علي والثالث إلى الحسن والرابع إلى الحسين و كتبت الصكّ به ، فلما سمع الرجل ذلك قال : رضيت ففرق الصادق عليه السلام

(١) و (٢) الخرائج والجرائح ص ١٩٨ من طبعه الملحق بالاربعين للعلامة المجلسي .

تلك الدنانير على أولاد الحسن و الحسين ، وانصرف الرجل فلماً وصل إلى منزله اعتل علة الموت فلماً حضرته الوفاة جمع أهل بيته و حلفهم أن يجعلوا الصك معه في قبره ، ففعلوا ذلك فلماً أصبحوا وغدوا إلى قبره وجدوا الصك على وجه القبر وعلى ظهره مكتوبٌ و في لي ولي الله جعفر بن محمد بما وعدني (١).

و منه أن حماد بن عيسى سأل الصادق عليه السلام أن يدعوله ليرزقه الله ما يحج به كثيراً ، ويرزقه ضياعاً حسنةً و داراً حسنةً ، و زوجة من أهل البيوتات ، و أولاداً أبراراً فقال عليه السلام : « اللهم ارزق حماد بن عيسى ما يحج به خمسين حجةً و ارزقه ضياعاً حسنةً و داراً حسنةً ، و زوجةً سالحةً من قوم كرام و أولاداً أبراراً قال : بعض من حضر : دخلت بعض السنين على حماد بن عيسى في داره بالبصرة فقال : أتذكر دعاء الصادق عليه السلام لي ؟ قلت : نعم قال : هذه داري و ليس في البلد مثلها ، و ضياعي أحسن الضياع ، و زوجتي أخذتها من قوم كرام ، و أولادي من تعرفهم ، و قد حججت ثمانين و أربعين حجةً قال : فحج حماد حجتين بعد ذلك فلماً خرج في الحجة الحادية و الخمسين وصل إلى الجحفة و أراد أن يحرم دخل وادياً ليغتسل فأخذ السيل و مر به فتبعه غلماناه فأخرجوه من الماء مئيناً فسمي حماد غريق الجحفة (٢).

﴿ ذكر طرف من أخلاق الامام السابع ﴾

﴿ ابي الحسن الاول موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام و صفاته و كراماته ﴾

قال ابن طلحة : (٣) هو الامام الكبير القدر ، العظيم الشأن ، الكثير التهجد ، الجاد في الاجتهاد ، المشهود له بالكرامات ، المشهور بالعبادة ، المواظب على الطاعات ، يبيت الليل ساجداً و قائماً ، و يقطع النهار متصدقاً و صائماً ، و لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً ، كان يجازي المسيء باحسانه إليه ، و يقابل الجاني عليه بعفوه عنه ، و لكثرة عباداته كان يسمى بالعبد الصالح ، و يعرف بالعراق بباب الحوائج إلى الله لنجح المتوسلين إلى الله تعالى به ، كراماته تحار منها العقول و تقضى

(١) و (٢) الخرائج و الجرائح ص ٢٠٠ .

(٣) مطالب السؤل ص ٨٣ .

بأن له عند الله قدم صدق لاتزل ولا تزول .

قال : (١) وله ألقاب متعددة : الكاظم وهو أشهرها ، والصابر ، والصالح والأمين ، وأما مناقبه فكثيرة ولولم يكن منها إلا العناية الربانية لكفاه ذلك منقبة .
و قال الشيخ المفيد - رحمه الله - (٢) : وكان أبو الحسن موسى عليه السلام أعبد أهل زمانه و أفقهم ، وأسخاهم كفاً ، وأكرمهم نفساً ، وروي أنه كان يصلي نوافل الليل و يصلها بصلاة الصبح ، ثم يعقب حتى تطلع الشمس ، و يختر الله ساجداً ، فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس ، وكان يدعو كثيراً و يقول : « اللهم إني أسألك الراحة عند الموت ، والعفو عند الحساب » و يكرر ذلك و كان من دعائه عليه السلام « عظم الذنب من عبدك ، فليحسن العفو من عندك » و كان يبكي من خشية الله حتى تخصل لحيته بالدموع ، و كان أوصل الناس لأهله و رحمه ، و كان يتفقد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين و الورق و الدقيق و التمر فيوصل إليهم ذلك و لا يعلمون من أي جهة هو .

قال محمد بن عبيد الله البكري : قدمت المدينة أطلب ديناً فأعيايني فقلت : لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام فشكوت إليه فأتيته في ضيعته فخرج إليّ و معه غلام معه منسف فيه قديد مجزّع ليس معه غيره (٣) فأكل وأكلت معه ، ثم سألتني عن حاجتي فذكرت له قصتي ، فدخل فلم يقم إلا يسيراً حتى خرج إليّ فقال لغلامه : اذهب ثم مدّ يده إليّ فدفع إليّ صرةً فيها ثلاثمائة دينار ، ثم قام فوالى ، فقممت فركبت دابتي وانصرفت (٤) .

و روي أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان في المدينة يؤذي أبا الحسن موسى عليه السلام ويسبه إذا رآه ويشتم علياً عليه السلام فقال له أصحابه : دعنا نقتل هذا الفاجر ، فنهاهم عن ذلك و زجرهم أشدّ الزجر ، و سأل عن العمريّ فأخبر أنه خرج إلى زرع

(١) يعنى ابن طلحة .

(٢) و (٣) الارشاد ص ٢٧٧ .

(٤) المنسف : الغر بال الكبير .

له فخرج إليه ودخل المزرعة بحماره فصاح به العمري لا توطئ به زرعنا فتوطأه أبو الحسن عليه السلام بالحمار حتى وصل إليه فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه ، وقال : كم غرمت على زرعك هذا ؟ فقال : مائة دينار ، قال : فكم ترجو أن يحصل فيه ؟ قال : لست أعلم الغيب ، قال : إنما قلت : كم ترجو أن يجيئك فيه ؟ قال : أرتجي فيه مائتي دينار ، فأخرج له أبو الحسن عليه السلام صرة فيها ثلاثمائة دينار ، وقال : هذا زرعك على حاله والله يرزقك فيه ما ترجو ، قال : فقام العمري وقبل رأسه وسأله أن يصفح عن فارطه فتبسم إليه أبو الحسن عليه السلام وانصرف وراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً فلمّا نظر إليه قال : الله أعلم حيث يجعل رسالاته ، قال : فوثب إليه أصحابه فقالوا : ما قصتك قد كنت تقول غير هذا ؟ فقال لهم : قد سمعتم ما قلت الآن وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام ، فخاصموه و خاصمهم فلمّا رجع أبو الحسن عليه السلام إلى داره قال لأصحابه الذين أشاروا بقتل العمري : كيف رأيتم أصلحت أمره وكفيت شره^(١) .

وذكر جماعة من أهل العلم أن أبا الحسن عليه السلام كان يصل بالمائتي دينار إلى الثلاثمائة دينار وكانت صرار موسى عليه السلام مثلاً^(٢) .

قال :^(٣) وكان أفاقه أهل زمانه كما قد مناه ، وأحفظهم لكتاب الله عز وجل ، وأحسنهم صوتاً بالقرآن وكان إذا قرأ يحزن ويبكي ويبكي السامعين ، وكان الناس بالمدينة يسمونه زين المتجهدين ، وسمي بالكاظم لما كظمه من الغيظ ، وصبر عليه من فعل الظالمين به حتى مضى قتيلاً في حبسهم ووثاقهم .

﴿ فصل ﴾

و أمّا كراماته عليه السلام فمن كتاب ابن طلحة^(٤) عن حسام بن حاتم الأصم أنه قال : قال أبي حاتم : قال لي شقيق البلخي : خرجت حاجباً في سنة تسع وأربعين

(١) و (٢) الارشاد ص ٢٧٨ .

(٣) يعني على بن عيسى في الكشف ص ٢٤٧ .

(٤) مطالب السؤول ص ٨٣ .

ومائة فنزلت القادسية ، فبينما أنا أنظر إلى الناس في زينتهم و كثرتهم فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف فوق ثيابه ثوب من صوف مشتمل بشملة في رجله نعلان ، وقد جلس منفرداً ، فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم ، والله لأمضين ، إليه ولا وبخمنه فدنوت منه فلما رأني مقبلاً قال : يا شقيق « اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم » ثم تركني و مضى فقلت في نفسي : إن هذا لأمر عظيم قد تكلم بما في نفسي و نطق باسمي و ما هذا إلا عبد صالح لأحقته ولا سألته أن يخالني^(١) فأسرعت في أثره فلم ألقه وغاب عن عيني ، فلما نزلنا واقصة فاذا به يصلي و أعضاؤه تضطرب و دموعه تجري فقلت : هذا صاحبني أمضي إليه و أستحلّه فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه فلما رأني مقبلاً قال : يا شقيق أتدري وإنني لغفار لمن تاب و آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ثم تركني و مضى فقلت : إن هذا الفتى لمن الأبدال قد تكلم على سرّي مرتين ، فلما نزلنا زباله إذا بالفتى قائم على البئر و بيده ركة يريد أن يستقي ماء فسقطت الركة من يده في البئر وأنا أنظر إليه فرأيتَه قد دُمق السماء^(٢) و سمعته يقول :

أنت ربّي إذا ظمأت إلى الماء وقوتي إذا أردت طعاماً

اللهم سيدي مالي غيرها فلا تعدمنيها ، قال شقيق : فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمد يده وأخذ الركة وملاها ماء ، فتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كئيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركة و يحركه ويشرب ، فأقبلت إليه و سلمت عليه ، فرد علي السلام فقلت : أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك ، قال : يا شقيق لم تنزل نعمة الله علينا ظاهرة و باطنة ، فأحسن ظنك بربك ، ثم ناولني الركة ، فشربت منها فاذا هوسويق وسكر ، فوالله ما شربت قطء الذم منه ولا أطيب زيحاً ، فشبعت ورويت و أقمت أياماً لأشتهي طعاماً ولا شرباً ، ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيتَه ليلة إلى جنب قبّة الميزاب في نصف الليل قائماً يصلي بخشوع و أنين

(١) يخالني أي يتخذني خولاً بعد أن انفرد ، والخول جمع خولى : العبيد والاماء

والعاشية . (٢) رمق يبصره نحوه أي نظر إليه شديداً .

وبكاء ، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل ، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح ، ثم قام فصلى الغداة وطاف بالبيت أسبوعاً و خرج ، فتبعته و إذا له غاشية وموال (١) وهو على خلاف ما رأيت في الطريق ودار به الناس من حوله يسلمون عليه ، فقلت لبعض من رأيت يقرب منه : من هذا الفتى ؟ فقال : هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقلت : قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا مثل هذا السيد .

ومن كتاب الشيخ المفيد - رحمه الله - في باب دلائل أبي الحسن موسى وآياته و معجزاته وعلاماته (٢) عن هشام بن سالم قال : كنا بالمدينة بعد وفاة أبي عبدالله عليه السلام أنا و محمد بن النعمان صاحب الطاق ، والناس يجتمعون على عبدالله بن جعفر أنه صاحب الأمر بعد أبيه ، فدخلنا والناس عنده فسألناه عن الزكاة في كم تجب ، فقال : في مائتي درهم خمسة دراهم ، فقلنا : فمئتي مائة ؟ قال : درهمان ونصف ، قلنا : والله ما يقول المرجئة هذا ، فقال : والله ما أدري ما يقول المرجئة ، قال : فخرجنا ضاللاً لاندري إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأ حول فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين لاندري إلى أين نتوجه و إلى من نقصد ، نقول : إلى المرجئة ، إلى القدرية ، إلى المعتزلة ، إلى الزيدية ، فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لأعرفه يومئذ بيده ، فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور ، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع بعد جعفر إليه الناس فيؤخذ فيضرب عنقه ، فخفت أن يكون منهم فقلت للأ حول : تنح فإني خائف على نفسي وعليك ، و إنما يريدني ليس يريدك فنحن عنني لا تهلك فتعين على نفسك ، فتنحى عني بعيداً ، و تبعت الشيخ و ذلك أنني ظننت أنني لا أقدر على التخلص منه ، فما زلت أتبعه و قد عزمت على الموت حتى وردني علي باب أبي الحسن موسى عليه السلام ، ثم خلاني و مضى ، فإذا خادم بالباب فقال لي : أدخل رحمك الله ، فدخلت فإذا أبو الحسن موسى عليه السلام فقال

(١) غاشية فلان : خدمه و زواره و اصداقاه و بنتابونه . وله موال اي عبيد .

(٢) الارشاد ص ٢٧٢ .

لي ابتداءً منه : إليّ إليّ ، لا إلى المرجئة ، ولا إلى القدرية ، ولا إلى المعتزلة ، ولا إلى الزيدية ، قلت : جعلت فداك مضي أبوك ؟ قال : نعم ، قلت : مضي موتاً ؟ قال : نعم ، قلت : فمن لنا بعده ؟ قال : إن شاء الله أن يهديك هداك ، قلت : جعلت فداك إن أخاك عبدالله يزعم أنه الإمام من بعد أبيه ، فقال : عبدالله يريد أن لا يعبد الله ، قال : قلت : جعلت فداك فمن لنا من بعده ؟ فقال : إن شاء الله أن يهديك هداك ، قلت : جعلت فداك فأنت هو ؟ قال : لا أقول ذلك ، قال : فقلت في نفسي إنني لم أصب طريق المسألة ، ثم قلت له : جعلت فداك أعليك إمام ؟ قال : لا فدخلني شيء ، لا يعلمه إلا الله تعالى إعظماً له وهيبه ، ثم قلت له : جعلت فداك أسألك عما كنت أسأل أباك ؟ قال : سل تخبر ولا تذع فإن أذعت فهو الذبح ، قال : فسألته فإذا هو بحر لا ينزف ، قلت : جعلت فداك شيعة أبيك ضالّ فألقي إليهم هذا الأمر وأدعوهم إليك فقد أخذت عليّ الكتمان ؟ قال : من آمنت منه رشداً فألق إليه وخذ عليه الكتمان فإن أذاع فهو الذبح وأشار بيده إلى حلقه ، قال : فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر الأحمول فقال لي : ما وراءك ؟ قلت : الهدى وحدثته القصة ، قال : ثم لقينا زيارة وأباصير فدخلنا عليه وسمعنا كلامه وسألاه وقطعنا عليه ، ثم لقينا الناس أفواجاً فكل من دخل عليه قطع عليه إلا طائفة عمّار الساباطي ، وبقي عبدالله لا يدخل عليه من الناس إلا قليل .

و منه عن الرافعي قال : كان لي ابن عمّ يقال له : الحسن بن عبدالله ، وكان زاهداً وكان من أعبداً أهل زمانه ، وكان السلطان يتّقيه لجدّه في الدين والعبادة ، وربما استقبل السلطان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يفضبه فكان يحتمل ذلك لصلاحه ، فلم تزل هذه حاله حتى دخل يوماً المسجد وفيه أبو الحسن موسى بن عمار فأومى إليه فاتاه فقال له : يا أبا عليّ ما أحبّ إليّ ما أنت فيه وأسرّني به إلا أنه ليست لك معرفة فاطلب المعرفة ، فقال له : جعلت فداك وما المعرفة ؟ قال : اذهب تتقّمه واطلب الحديث ، قال : عمّن ؟ قال : عن فقهاء المدينة ، ثم أعرض عليّ الحديث قال : فذهب فكتب ، ثم جاء فقراءه عليه فأسقطه كلّهم ، ثم قال : اذهب فأعرف

وكان الرجل معنياً بدينه ، قال : فلم يزل يترصد أبا الحسن عليه السلام حتى خرج إلى ضيعة له ، فلقيه في الطريق فقال له : جعلت فداك إنني أحتج عليك بين يدي الله عز وجل فدلني على ما يجب عليّ معرفته ، قال : فأخبره أبو الحسن عليه السلام بأمر أمير المؤمنين عليه السلام وحقه وما يجب له وأمر الحسن والحسين وعلي بن الحسين ، و محمد بن عليّ ، و جعفر بن محمد صلوات الله عليهم ثم سكت ، فقال له : جعلت فداك فمن الإمام اليوم ؟ قال : إن أخبرتك تقبل ؟ قال : نعم ، قال : أنا هو ، قال : فشيء أستدل به قال : اذهب إلى تلك الشجرة وأشار إلى بعض شجر أرم غيلان و قل لها : يقول لك موسى بن جعفر : أقبلي ، قال : فأتاها فرأيتها والله تتخذ الأرض خدًا حتى وقفت بين يديه ، ثم أشار إليها بالرجوع فرجعت ، قال : فأقر به ، ثم لزم الصمت والعبادة ، وكان لا يراه أحدٌ يتكلم بعد ذلك ^(١) .

و منه روى عبدالله بن إدريس عن ابن سنان قال : حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً أكرمه بها ، وكان في جملتها درعة خز سوداء من لباس الملوك منقولة بالذهب ، فأنفذ علي بن يقطين رجلٌ تلك الثياب إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ، وأنفذ في جملتها تلك الدرعة وأضاف عليه مالا كان أعداه على رسمه فيما يحمله إليه من خمس ماله ، فلما وصل ذلك إلى أبي الحسن عليه السلام قبل المال والثياب وردت الدرعة على يد الرسول إلى علي بن يقطين ، وكتب إليه : احتفظ بها ولا تخرجها عن يدك ، فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها معه ، فارتاب علي بن يقطين بردها عليه ولم يدر ما سبب ذلك واحتفظ بالدرعة ، فلما كان بعد ذلك بأيام تغير علي بن يقطين على غلام كان يختص به فصرفه عن خدمته ، وكان الغلام يعرف ميل علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السلام ، ويقف على ما يحمله إليه في كل وقت من مال و ثياب وألطف وغير ذلك ، فسعى به إلى الرشيد ^(٢) فقال : إنه يقول

(١) الارشاد ص ٢٧٣ .

(٢) سعى به إليه سعاية وسعياً عند الامير نم عليه و وشى به ؛ وفي الكنز سعابت

يعنى بد كومي كردن و ناماي .

با مامة موسى بن جعفر و يحمل إليه خمس ماله في كل سنة ، وقد حمل إليه الدرّاعة التي أكرمه بها أمير المؤمنين^(١) في وقت كذا وكذا ، فاستشاط الرّشيد لذلك وغضب غضباً شديداً ، وقال : لا كشفنّ عن هذه الحال ، فإن كان الأمر كما تقول : أزهدت نفسه . وأنفذ في الوقت و طلب عليّ بن يقطين ، فلمّا مثل بين يديه قال له : ما فعلت الدرّاعة التي كسوتك بها ؟ قال : هي يا أمير المؤمنين عندي في سبط مختوم وفيه طيب قد احتفظت بها و قلماً أصبحت إلّا و فتحت السبط و نظرت إليها تبرّكاً بها و قبلتها و رددتها إلى موضعها و كما أمسيت صنعت مثل ذلك ، فقال : أحضرها الساعة قال : نعم يا أمير المؤمنين و استدعى بعض خدمه فقال له : امض إلى البيت الفلاني من داري ، فخذ مفطاحه من خازني و افتحه ثم افتح الصندوق الفلاني فجئني بالسبط الذي فيه بختمه ، ولم يلبث الغلام أن جاء بالسبط مختوماً فوضع بين يدي الرّشيد فأمر بكسر ختمه و فتحه فلمّا فتحه نظر إلى الدرّاعة فيه بحالها مطوية مدفوفة في الطيب ، فسكن الرّشيد من غضبه ، ثم قال لعليّ بن يقطين : ارددها إلى مكانها وانصرف راشداً فلن نصدّق عليك بعدها ساعياً ، وأمر أن يتبع بجائزة سنية ، و أمر بضرب الساعى به ألف سوط فضرب نحو خمسمائة فيمات في ذلك^(٢) .

و منه روي عن محمد بن الفضل قال : « اختلفت الرّواية بين أصحابنا في مسح الرّجلين في الوضوء أهى من الأصابع إلى الكعبين أم من الكعبين إلى الأصابع ، فكتب ابن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السلام جعلت فداك إن أصحابنا قد اختلفوا في مسح الرّجلين فإن رأيت أن تكتب إليّ بخطك ما يكون عملي عليه فعلت إن شاء الله ، فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام : فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء ، والذي أمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثاً ، وتستنشق ثلاثاً ، وتخلّل شعر لحيتك ، و تغسل وجهك ثلاثاً ، و تغسل يديك إلى المرفقين ثلاثاً و تمسح رأسك كله ، و تمسح ظاهر أذنيك و باطنهما و تغسل رجلك إلى الكعبين ثلاثاً و لا تخالف ذلك إلى غيره ،

(١) يعني به الرّشيد و قوله : « فاستشاط الرّشيد » أى التهب غضباً .

(٢) الارشاد ص ٢٧٥ .

فلما وصل الكتاب إلى علي بن يقطين تعجب مما رسم له فيه مما أجمع العصابة على خلافه ، ثم قال : مولاي أعلم بما قال وأنا أمثل أمره ، فكان علي يعمل في وضوئه على هذا الحد و يخالف ما عليه جميع الشيعة امتثالاً لأمر أبي الحسن عليه السلام ، وسعي لعلي بن يقطين إلى الرشيد وقيل : إنه رافضي مخالف لك ، فقال الرشيد لبعض خاصته : قد كثر عندي القول في علي بن يقطين والقرف ^(١) له بخلافنا وميله إلى الرافض ، ولست أرى في خدمته لي تقصيراً ، وقد امتحنته مراراً فما ظهر لي ما يقرّف به ، و أحب أن أستبري أمره من حيث لا يشعر بذلك ، فيحترز مني ، فقيل له : إن الرافضة يا أمير المؤمنين تخالف الجماعة في الوضوء فتخففه ولا ترى غسل الرجلين ، فامتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه ، فقال : أجل إن هذا الوجه يظهر به أمره ، ثم تركه مدة وناطه ^(٢) بشي من الشغل في الدار حتى دخل وقت الصلاة ، وكان علي بن يقطين يخلو إلى حجرة في الدار لوضوئه و صلاته ، فلما دخل وقت الصلاة وقف الرشيد من وراء الحائط بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه هو ، فدعا بالماء للوضوء فتوضأ كما تقدم ، والرشيد ينظر إليه ، فلما رآه قد فعل ذلك لم يملك نفسه حتى أشرف عليه بحيث يراه ، ثم ناداه كذب يا علي بن يقطين من زعم أنك من الرافضة و صلحت حاله عنده ، و ورد عليه كتاب أبي الحسن عليه السلام ابتداء : من الآن يا علي بن يقطين توضأ كما أمر الله تعالى ، اغسل وجهك مرة فريضة وأخرى إسبغاً ، واغسل يديك من المرفقين كذلك ، وامسح بمقدم رأسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك ، فقد زال ما كنا نخاف عليك والسلام ^(٣) .

و منه روى علي بن أبي حمزة البطائني قال : خرج أبو الحسن عليه السلام في بعض الأيام من المدينة إلى ضيعة له خارجة عنها ، فصحبته وكان عليه السلام راكباً بغلة وأنا على حمار لي فلما صرنا في بعض الطريق اعترضنا أسد فأجحمت عنه ^(٤) خوفاً و

(١) القرفة - بكسر القاف - النهمة . و قرفة - كعظمه - أي عابه و اتهمه .

(٢) أي شغله بشغل . (٣) الارشاد ص ٢٧٥ .

(٤) أجمع عن الامر - بتقديم المعجمة - : كف .

أقدم أبو الحسن عليه السلام غير مكترث به فرأيت الأسد يتدأل لأبي الحسن عليه السلام ويهمهم ، فوقف أبو الحسن عليه السلام كالمصفي إلى هممته ، فوضع الأسد يده على كفل بقلته ، و قد هممتني نفسي من ذلك فخفت خوفاً عظيماً ، ثم تنحى الأسد إلى جانب الطريق ، وحوّل أبو الحسن موسى عليه السلام وجهه إلى القبلة و جعل يدعو و يحرّك شفّتيه بمالم أفهمه ، ثم أوماً بيده إلى الأسد أن امض ، فهمهم الأسد هممةً طويلةً و أبو الحسن عليه السلام يقول : آمين آمين ، وانصرف الأسد حتّى غاب عنا و مضى أبو الحسن عليه السلام لوجهه ، فلما بعدنا عن الموضوع قلت له : جعلت فداك ماشأن هذا الأسد فقد خفته والله عليك و عجبت من شأنه معك ؟ فقال لي أبو الحسن عليه السلام : إنّه خرج يشكو إليّ عسر الولادة على لبوته ^(١) وسألني أن أسأل الله أن يفرّج عنها ففعلت ذلك فألقي في روعي أنّها تلدله ذكراً فخبّرتّه بذلك ، فقال : امض في حفظ الله فلاسلط الله عليك ولا على ذرّيتك ولا على أحد من شيعتك شيئاً من السباع ، فقلت : آمين .

قال الشيخ المفيد - رحمه الله - : والأخبار في هذا الباب كثيرة وفيما ثبتناه منها كفاية على الرّسم الذي تقدّم .

أقول : وقد تركت بعض ما ذكره أيضاً روماً للاختصار و كذا مما ذكر ابن

طلحة .

ومما أورده الحميري في الدلائل ^(٢) ما رواه عن أحمد بن محمد ، عن أبي قتادة القمي ، عن أبي خالد الزبالي قال : قدم أبو الحسن موسى عليه السلام زبالاً و معه جماعة من أصحاب المهديّ بعثهم في إشخاصه القدمة الأولى ، قال : وأمرني بشراء حوائج له فنظر إليّ و أنا مغمومٌ فقال : يا أبا خالد مالي أراك مغموماً ؟ قلت : هو ذا تصير إلى هذا الطاغية ولا آمنه عليك ، فقال : يا أبا خالد ليس عليّ منه بأس إذا كان شهر كذا و كذا في يوم كذا و كذا فانتظرنني في أوّل الليل فأنسي أوفايك إن شاء الله ، فما كانت لي همّة إلا إحصاء الشهور والأيام حتّى كان ذلك اليوم فغدوت إلى أوّل

(١) اللبوة : انشى الاسد .

(٢) كشف الغمة ص ٢٥٠ .

الليل في المصر الذي و عدني ، فلم أزل أنتظره إلى أن كادت الشمس أن تغيب ،
و وسوس الشيطان في صدري فلم أرأحداً ، ثم تخوفت أن أشك ووقع في قلبي أمرٌ
عظيم ، فبينما أنا كذلك وإذا سواد قد أقبل من ناحية العراق ، فانتظرته فوافاني
أبو الحسن عليه السلام أمام القطار على بغلة له فقال : إيه أبا خالد ، قلت : لبيك يا ابن
رسول الله ، قال : لا تشكن ود الشيطان أنك شككت به قلت : قد كان ذلك ، قال :
فسرت بتخليصه ، فقلت : الحمد لله الذي خلصك من الطاغية ، فقال : يا أبا خالد إن
لهم إلي عودة لا أتخلص منها ^(١).

و منه عن عيسى المدائني قال : خرجت سنة إلى مكة فأقمت بها ، ثم قلت :
أقيم بالمدينة مثل ما أقمت بمكة فهو أعظم لثوابي ، فقدمت المدينة فنزلت طرف
المصلى إلى جنب دار أبي ذر - رضي الله عنه - فجعلت أختلف إلي سيدي فأصابنا مطرٌ
شديد بالمدينة فأتينا أبا الحسن عليه السلام يوماً فسألنا عليه وأن السماء تهطل ^(٢) فلما
دخلت ابتدأني فقال لي : و عليك السلام يا عيسى ارجع فقد انهدم بيتك على متاعك
فانصرفت فإذا البيت قد انهدم على المتاع ، فاكترت قوماً يكشفون عن متاعي
فاستخرجته فما ذهب لي شيء ولا افتقدته غير سطل كان لي ، فأتيته من الغد مسلماً عليه
قال : هل فقدت شيئاً من متاعك فندعو الله لك بالخلف ؟ فقلت : ما فقدت شيئاً غير سطل
كان لي أتوضأ فيه فقدته ، فأطرق ملياً ، ثم رفع رأسه إلي فقال : قد ظننت أنك
أنسيته فسل جارية رب الدار وقل لها : أنت رفعت السطل فرديه فإنها سترده عليك ،
فلما انصرفت أتيت جارية رب الدار فقلت لها : إنني أنسيت سطلاً في الخلا ،
فدخلت فأخذته فرديه أتوضأ فيه ، قال : فردته ^(٣).

و منه قال علي بن أبي حمزة : كنت عند أبي الحسن عليه السلام جالساً إذ أتاه

(١) و رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ٤٧٧ بسندين هذا السند و عن علي بن

ابراهيم عن ابيه عن ابي قتادة .

(٢) تهطل المطر من باب التفعيل : نزل متتابهاً .

(٣) كشف الغمة ص ٢٥١ .

رجل يُقال له : جندب ، فسلم عليه ثم جلس فسأل أبا الحسن عليه السلام فأكثر السؤال ، ثم قال : يا جندب ما فعل أخوك ؟ فقال : الخير وهو يقرئك السلام فقال له : عظم الله أجرك في أخيك ، فقال له : ورد إلي كتابه من الكوفة لثلاثة عشر يوماً بالسلامة ، فقال له : يا جندب والله مات بعد كتابه إليك بيومين ودفع إلى امرأته مالا وقال لها : ليكن هذا المال عندك فاذا قدم أخي فادفعيه إليه وقد أودعه الأرض في البيت الذي كان يسكنه ، فاذا أنت أتيتها فتلطف لها واطمعيها في نفسك فانها ستدفعه إليك ، قال علي : وكان جندب رجلاً جميلاً ، قال علي : فلقيت جندباً بعدما فقد أبو الحسن فسألته عما كان قال أبو الحسن ، فقال : يا علي صدق و الله سيدي ما زاد ولا نقص لا في الكتاب ولا في المال ^(١).

و منه عن إسحاق بن عمار قال : سمعت العبد الصالح عليه السلام ينمى إلى رجل نفسه فقلت في نفسي : وإنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته ؟ فالتفت إلي شبه المغضب ، فقال : يا إسحاق قد كان رُشد الهجري وكان من المستضعفين يعلم علم المنيا والبلايا فالإمام أولى بذلك ، يا إسحاق اصنع ما أنت صانع فعمرك قد فني وأنت تموت إلى سنتين وإخوتك وأهل بيتك لا يلبثون من بعدك إلا يسيراً حتى تفترق كلمتهم ويخون بعضهم بعضاً و يصيرون لا خوانهم ومن يعرفهم رحمة حتى يشمت بهم عدوهم ، قال : قال إسحاق : فإني أستغفر الله مما عرض في صدري ، فام يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلا سنتين حتى مات ، ثم ما ذهبت الأيام حتى قام بنو عمار بأموال الناس وأفلسوا أقبح إفلاس ، فجا ما قال أبو الحسن عليه السلام فيهم ما غادر قليلاً ولا كثيراً ^(٢).

و منه قال هشام بن الحكم : أردت شراء جارية بمنى و كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أشاورة فلم يرد علي جواباً ، فلمّا كان في الطواف مرّ بي يرمي الجمار على حمار ، فنظر إليّ و إلى الجارية من بين الجواري ، ثم أتاني كتابه لأرى بشرائها بأساً إن لم يكن في عمرها قلة ، قلت : لا والله ما قال لي هذا الحرف إلا وههنا شيء ،

(١) كشف الغمة ص ٢٥١ .

(٢) الكشف ص ٢٥١ و رواه الكليني في الكافي مسنداً ج ١ ص ٤٧٤ .

لا والله لا أشتريها قال : فما خرجت من مكة حتى دفنت (١) .

و منه عن زكريا بن آدم قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : « كان أبي عليه السلام ممن تكلم في المهدي » (٢) .

و منه عن الأصمغيني قال : بعثت معي رجل من أصحابنا إلى أبي إبراهيم عليه السلام بمائة دينار وكانت معي بضاعة لنفسي و بضاعة له فلما دخلت المدينة صببت على الماء وغسلت بضاعتي وبضاعة الرجل ، وذررت عليها مسكاً ، ثم إنني عدت بضاعة الرجل فوجدتها تسعة و تسعين ديناراً فأعدت عدّها و هي كذلك فأخذت ديناراً أخرى لي فغسلته وذررت عليه المسك وأعدتها في صرة كما كانت ودخلت عليه في الليل فقلت له : جعلت فداك ، إن معي شيئاً أتقرب به إلى الله تعالى فقال لي : هات فناولته دنائيري ، وقلت له : جعلت فداك إن فلاناً مولاك بعث إليك معي شيئاً ، فقال : هات فناولته الصرة قال : صببها فصببتها فنثرها بيده وأخرج ديناري منها ، ثم قال : إنما بعث إلينا وزناً لاعدداً (٣) .

هذا آخر ما أردت إثباته من الدلائل وقد تركت منها كثيراً للاختصار .

و من كتاب الرأوندي (٤) في معجزاته عليه السلام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام

قال : « قال أبي موسى بن جعفر عليه السلام لعلي بن أبي حمزة مبدئاً : إنك لتلقى رجلاً من أهل المغرب يسألك عنّي فقل : هو الإمام الذي قال لنا أبو عبد الله الصادق عليه السلام ، فاذا سألك عن الحلال و الحرام فأجبه ، قال : فما علامته ؟ قال عليه السلام : رجلٌ جسيمٌ طويلٌ اسمه يعقوب بن يزيد ، وهو رائد قومه ، وإن أراد الدخول إلي فأحضره عندي ، قال علي بن أبي حمزة : فوالله إنني لفي الطواف إذا قبل رجلٌ جسيمٌ طويلٌ فقال لي : إنني أريد أن أسألك عن صاحبك ، قلت : عن أيّ الأصحاب ؟ قال : عن موسى بن جعفر ، قلت : فما اسمك ؟ قال : يعقوب بن يزيد ، قلت : من أين أنت ؟ قال : من المغرب ، قلت : من أين عرفتنني ؟ قال : أتاني آت في منامي فقال لي : ألق علي بن

(١) إلى (٣) الكشف ص ٢٥١ .

(٤) المصدر ص ٢٠٠ من طبعه الملحق بالأربعين للعلامة المجلسي - رحمه الله - .

أبي حمزة فسله عن جميع ماتحتاج إليه فسألت عنك فدللت عليك ، فقلت : اُقعد في هذا الموضوع حتى أفرغ من طوافي و أعود إليك ، فطفت ثم أتيتته فكلمته فرأيتته رجلاً عاقلاً فطناً فالتمس مني الوصول إلى موسى بن جعفر عليه السلام ، فأوصلته إليه فلمّا رآه ، قال : يا يعقوب بن يزيد قدمت أمس و وقع بينك وبين أخيك خصومة في موضع كذا حتى تشاتمتما ، وليس هذا من ديني ولا من دين آبائي فلأنأمر بهذا أحداً من شيعتنا ، فاتّق الله فإنكما ستفترقان عن قريب بموت فأما أخوك فيموت في سفرته هذه قبل أن يصل إلى أهله و تندم أنت على ما كان منك إليه فإنكما تقاطعتما وتدابرتما فقطع عليكما أعمار كما فقال الرجل : يا ابن رسول الله فأنا متي يكون أجلي ؟ قال : كان قد حضر أجلك فوصلت عمّتك بما وصلتها في منزل كذا و كذا فنسأ الله في أجلك ^(١) عشرين حجّة ، قال علي بن أبي حمزة : فلقيت الرجل من قابل بمكة فأخبرني أن أخاه توفي ودفنه في الطريق قبل أن يصير إلى أهله .

و منه أن المفضل بن عمر قال : لما مضى الصادق عليه السلام كانت وصيته إلى موسى الكاظم عليه السلام فأدعى أخوه عبدالله الإمامة وكان أكبر ولد جعفر في وقته ذلك وهو المعروف بالأفطح فأمر موسى عليه السلام بجمع حطب كثير في وسط داره وأرسل إلى أخيه عبدالله فسأله أن يصير إليه فلمّا صار إليه ومع موسى عليه السلام جماعة من الأمامية فلما جلس أمر موسى عليه السلام بطرح النار في الحطب فاحترق ولا يعلم الناس السبب فيه حتى صار الحطب كلّ جراً ، ثم قام موسى عليه السلام وجلس بشيابه وسط النار وأقبل يحدث الناس ساعة ، ثم قام فنقض ثوبه ورجع إلى المجلس فقال لأخيه عبدالله : إن كنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس قالوا : فرأينا عبدالله وقد تغيّر لونه وقام يجرّ رداءه حتى خرج من دار موسى عليه السلام ^(٢) .

و منه قال علي بن أبي حمزة : أخذ بيدي موسى بن جعفر عليه السلام يوماً فخرجنا

(١) اي آخر الله أجلك .

(٢) الخرائج ص ٢٠٠ و ٢٠١ وفي الكشف ص ٢٥٢ و ٢٥٣ ونسخ الدابة غر زنجبها

أو مؤخرها يعود و نحوه فهاجت .

من المدينة إلى الصحراء، فإذا نحن برجل مغربي على الطريق يبكي وبين يديه حمار ميت ورحله مطروح فقال له موسى عليه السلام : ما شأنك؟ قال : كنت مع رفقائي نريد الحج فمات حماري ههنا و مضى أصحابي و بقيت متحيراً ليس لي شيء أحمل عليه ، فقال موسى عليه السلام : لعله لم يموت ، قال : ما ترحمي حتى تلهوي ، قال : إن عندي رقية جيدة؟ قال الرجل : ما يكفيني ما أنا فيه حتى تستهزي بي ، فدنى موسى عليه السلام من الحمار وودع أبشيه ، لم أسمع وأخذ قضيباً كان مطروحاً فنخسه به وصاح عليه ، فوثب قائماً صحيحاً سليماً فقال : يا مغربي ترى ههنا شيئاً من الاستهزاء؟ ألحق بأصحابك ، ومضينا وتر كناه ، قال علي بن أبي حمزة : فكنت واقفاً يوماً على زمزم فإذا المغربي هناك فلما رأني عدا إليّ و قبلني فرحاً مسروراً ، فقلت : ما حال حمارك فقال : هو والله صحيح سليم ولا أدري من أين من الله عليّ فأحى لي حماري بعد موته ، فقلت له : قد بلغت حاجتك فلا تسأل عما لا تبلغ معرفته ^(١) .

وقد ذكر الراوندي أشياء أخر لم نورد لها .

✽ (ذكر طرف من اخلاق الامام الثامن) ✽

✽ (ابي الحسن الثاني علي بن موسى الرضا عليه السلام و صفاته و كراماته) ✽

قال ابن طلحة ^(٢) : قد تقدم القول في أمير المؤمنين عليّ و في زين العابدين عليّ ، و جاء هذا عليّ الرضا ثالثهما ، و من أمعن فكره و نظره و جدّه في الحقيقة و ارتبها فيحكم أنه ثالث العليين ، نمي إيمانه ، و علا شأنه ، و ارتفع مكانه ، و اتسع إمكانه ، و كثر أعوانه ، و ظهر برهانه ، حتى أحلّه الخليفة المأمون محلّ مهجته ، و شرّكه في مملكته ، و فوض إليه أمر خلافته ، و عقد له عليه علي رؤوس الأشهاد عقدة نكاح ابنته ، و كانت مناقبه عليّة ، و صفاته الشريفة سنيّة ، و مكارمه حاتميّة ، و شهنشته

(١) الخرائج ص ٢٠٠ و ٢٠١ و في الكشف الغمة ص ٢٥٢ و ٢٥٣ و نخس الدابة

غرض جنبها أو مؤخرها يعود ونحوه فهاجت .

(٢) مطالب السؤل ص ٨٤ .

أخزمية^(١) وأخلاقه عربية ، ونفسه البشرفة هاشمية ، وارومته الكريمة نبوية ، فمهما عدّ من مزاياه كان عليه السلام أعظم منه ، ومهما فصل من مناقبه كان أعلى رتبة عنه ، قال :
وأما ألقابه فالرضا والصابر والرّضي والوفى ، وأشهرها الرّضا ، وأما مناقبه وصفاته فمنها ما خصّه الله به ، ويشهدله بعلو قدره وسمو شأنه .

وذكر طرفاً من كراماته عليه السلام وسنذكر بعضه إن شاء الله .

و روى الشيخ المفيد - رحمه الله - ^(٢) عن يزيد بن سليط في حديث طويل عن أبي إبراهيم عليه السلام أنه قال في السنة التي قبض فيها : « إنني أُوخذ في هذه السنة والأمر إلى ابني عليّ سميّ عليّ وعليّ » ، فأما عليّ الأول فعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأما عليّ الآخر فعليّ بن الحسين عليه السلام أعطى فهم الأول وحلمه ونصره وودّه وورعه ودينه ، ومحنة الآخر وصبره على ما يكره - الحديث - .

وقال - رحمه الله - ^(٣) في الفصل الذي ذكر فيه طرفاً من خصائصه ومناقبه وأخلاقه الكريمة عليه السلام : قال إبراهيم بن العباس : ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء إلا علمه ، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره ، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه ، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن المجيد ، وكان يختمه في كل ثلاث ، وكان يقول : « لو أنني أردت أن أختمه في أقرب من ثلاث لختمت ولكنني ما مررت بآية قط إلا فكّرت فيها وفي أي شيء أنزلت » .

و عنه قال : ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا عليه السلام ، وشهدت منه ما لم أ شاهد من أحد ، وما رأيت جفاً أحدًا بكلام قط ولا رأيت قطعه على أحد كلامه حتى يفرغ منه ، وما ردّ أحدًا عن حاجة قدر عليها ، ولا مدّ رجليه بين

(١) الشنينة : الطيعة وقد تقدم معناها . وأخزم جدحانم الطائى راجع مزبدا البيان

جامع الشواهد باب الالف بعده النون « ان بنى رملونى بدمى » - الى قوله - : « شنينة اعرفها من أخزم » .

(٢) الارشاد ص ٢٨٧ .

(٣) يعنى على بن عيسى الاربلى قاله فى كشف الغمة ص ٢٧٤ .

يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يديه جليس له قط، ولا رأيته يشتم أحداً من مواليه و مماليكه ، ولا رأيته تفل قط ، ولا رأيته يقهقه في ضحكه بل كان ضحكه التبسم ، وكان إذا خلا ونصبت الموائد أجلس على مائدته مماليكه ومواليه حتى البواب والسائس ، وكان قليل النوم بالليل كثير الصوم ، ولا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر ويقول : ذلك صيام الدهر ، وكان كثير المعروف والصدقة في السر ، وأكثر ذلك منه لا يكون إلا في الليالي المظلمة ، فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه (١) .

و عن محمد بن عباد قال : كان جلوس الرضا عليه السلام على حصير في الصيف وعلى مسح في الشتاء ، ولبسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزيين لهم (٢) .

و عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال : ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام ولا آراه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي ، ولقد جمع المأمون في مجالس له عدداً من علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي منهم أحد إلا أقر له بالفضل ، وأقر على نفسه بالتصور ، ولقد سمعته عليه السلام يقول : كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون فإذا أعينى الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم ، وبعثوا إليّ المسائل فأجيب عنها (٣) .

قال أبو الصلت : ولقد حدثني محمد بن إسحاق بن موسى ، عن أبيه أن موسى ابن جعفر عليه السلام كان يقول لبنيه : هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل محمد فسلوه عن أديانكم ، واحفظوا ما يقول لكم فإنني سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام يقول لي : إن عالم آل محمد لفي صلبك ، أوليتني أدر كنهه فإنه يسمى أمير المؤمنين (٤) .

و عن محمد بن يحيى الفارسي قال : نظر أبو نواس إلى الرضا عليه السلام ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة له ، فدنا منه وسلم عليه وقال : يا ابن رسول الله قلت : فيك أبياتاً وأحب أن تسمعها مني ، فقال : هات فأنشأ يقول فقال الرضا عليه السلام : قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحدٌ يا غلام هل معك من نفقتنا شيء ؟ فقال له : ثلاثمائة دينار فقال : أعطها إياه ، ثم قال : لعلة استقلتها يا غلام سق

إليه البغلة» (١).

و عن أبي الصلت الهروي قال : كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم ، وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكل لسان و لغة ، فقلت له يوماً : يا ابن رسول الله إنني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها فقال : يا أبا الصلت أنا حجة الله على خلقه ، و ما كان الله ليتخذ حجة على قوم و هو لا يعرف لغاتهم أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام : «أوتينا فصل الخطاب» و هل فصل الخطاب إلا معرفة اللغات (٢).

و عن الرضا عليه السلام أنه قال له رجل من خراسان : يا ابن رسول الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام كأنه يقول لي : كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي واستحفظتم وديعتي و غيب في ثراكم لحمي فقال له الرضا عليه السلام : أنا المدفون في أرضكم ، وأنا بضعة من نبيكم ، وأنا الوديعه و اللحم الأيمن زارني و هو يعرف ما أوجب الله تعالى من حقّي و طاعتي فأنا و آبائي شفعاؤه يوم القيامة و من كنا شفعاؤه نجى ، ولو كان عليه مثل ذنوب الثقلين الجن و الإنس و لقد حدثني أبي عن جدّي ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتني ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم و إن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة» (٣).

و أمّا ما روي عنه من فنون العلم و أنواع الحكم و الأخبار المجموعة و المنشورة و المحاسن مع أهل الملل و المناظرات المشهورة فأكثر من أن تحصى .

وقال علي بن عيسى الأربلي - رحمه الله - : (٤) وهذا كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام قد اشتمل على فرائد و أوابد (٥) أحسن من العقود القلائد في الباب الخرائد فمن أراد أن يسرح طرفه في رياضه ، و يروّي ظمأه من نعيم حياضه (٦) ، و يعجب من غرائب و فنونه

(١) كشف الغمة ص ٢٧٣ .

(٢) و (٣) كشف الغمة ص ٢٧٧ .

(٤) المصدر ص ٢٦٨ . (٥) أوابد الكلام غرابيه .

(٦) النيمر : الزاكي من الماء .

و حدائقه و عيونه فقد دلت عليه ، وأهديت عقيلته إليه ، فما عليه مزيد في معناه وقد أجاد ماشاء جامعه - رحمه الله - .

﴿ فصل ﴾

وأما كراماته فمما أورده ابن طلحة^(١) منها أنه عليه السلام لما جعله الخليفة المأمون ولياً عهده وأقامه خليفة من بعده كان في حاشية المأمون أناس كرهوا ذلك وخافوا خروج الخلافة عن بني العباس وعودها إلى بني فاطمة عليها السلام فحصل عندهم من الرضا عليه السلام نفور وافر وكان عادة الرضا عليه السلام إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل عليه يبادر من بالداهلين من الحاشية إلى السلام عليه ورفع الستر بين يديه ليدخل ، فلما حصلت لهم النقرة عنه تواصلوا فيما بينهم وقالوا : إذا جاء ليدخل على الخليفة أعرضوا عنه ولا ترفعوا الستر ، فاتفقوا على ذلك . فبيناهم قعود إذ جاء الرضا عليه السلام على عادته فلم يملكوا لأنفسهم أن سلموا عليه و رفعوا الستر على عاداتهم فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون كونهم ما وقفوا على ما اتفقوا عليه ، وقالوا : النوبة الآتية إذا جاء لانه رفعه له ، فلما كان في ذلك اليوم جاء فقاموا وسلموا عليه و وقفوا ولم يبتدروا إلى رفع الستر فأرسل الله ريحاً شديداً دخلت في الستر حتى رفعت أكثر مما كانوا يرفعونه ثم دخل فسكنت الريح فعاد الستر إلى ما كان فلما خرج عادت الريح حتى دخلت في الستر فرفعت حتى خرج ، ثم سكنت فعاد الستر ، فلما ذهب أقبل بعضهم على بعض وقالوا : هل رأيتم ؟ قالوا : نعم ، فقال بعضهم لبعض : يا قوم هذا رجل له عند الله منزلة والله به عناية ، ألم تروا أنكم لما لم ترفعوا له الستر أرسل الله الريح وسخرها له لرفع الستر كما سخرها للسليمان فأرجعوا إلى خدمته فهو خير لكم فعادوا إلى ما كانوا عليه وزادت عقيدتهم فيه .

و منه أنه كان بخراسان امرأة تسمى زينب فادعت أنها علوية من سلالة فاطمة عليها السلام وصارت تصول على أهل خراسان بنسبها فسمع بها علي الرضا عليه السلام

(١) مطالب السؤل ص ٨٥ .

فلم يعرف نسبها فأحضرت إليه فردنسبها ، وقال : هذه كذابة فسفّهت عليه وقالت : كما قدحت في نسبي فأنا أقدح في نسبك فأخذته الغيرة العلوية فقال لسلطان خراسان . وكان لذلك السلطان بخراسان موضع واسع فيه سباع مسلسلة للانتقام من المفسدين . يسمّى ذلك الموضع بركة السباع . فأخذ الرضا عليه السلام بيد تلك المرأة فأحضرها عند السلطان فقال : هذه كذابة عليّ و فاطمة عليها السلام وليست من نسلهما ، فإن من كان حقاً بضعة من فاطمة وعليّ فإن لحمه حرام على السباع فألقوها في بركة السباع ، فإن كانت صادقة فإن السباع لا تقربها وإن كانت كاذبة فتفترسها ، فلمّا سمعت ذلك منه قالت : فأنزل أنت إن كنت صادقاً فإنها لا تقربك ولا تفترسك فلم يكلمها وقام فقال له ذلك السلطان إلى أين ؟ قال إلى بركة السباع والله لا نزلن إليها فقام السلطان والناس والحاشية وجاءوا وفتحوا باب البركة فنزل الرضا عليه السلام والناس ينظرون من أعلى البركة فلمّا حصل بين السباع أقمت جميعها إلى الأرض ^(١) على أذناها وصارياتي إلى واحد واحد يمسح وجهه ورأسه وظهره ، والسبع يبصص له هكذا إلى أن أتى على الجميع ، ثم طلع والناس يبصرونه ، فقال لذلك السلطان : أنزل هذه الكذابة عليّ و فاطمة عليها السلام لتبين لك ، فامتنعت فالزمها ذلك السلطان وأمر أعوانه بلقاءها فمذرأها السباع وثبوا إليها وافترسوها فاشتهر اسمها بخراسان بزنب الكذابة وحديثها هناك مشهور ^(٢) .

و منه قصة دعبل بن عليّ الخزاعيّ الشاعر ، قال دعبل : لمّا قلت : « مدارس آيات » قصدت بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وهو بخراسان وليّ عهد المأمون في الخلافة فوصلت المدينة وحضرت عنده وأنشدته إياها فاستحسنها وقال لي : لاتنشدّها أحداً حتّى أمرك واتصل خبري بالخليفة المأمون فأحضرني وسألني عن خبري ، ثم قال : يا دعبل أنشدني « مدارس آيات خلت من تلاوة » فقلت : ما أعرفها يا أمير المؤمنين فقال : يا غلام أحضر أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال : فلم تكن ساعة حتّى حضر فقال له : يا أبا الحسن سألت دعبلًا عن « مدارس

(١) أقمت من الاقماء و هي القمود على الذنب .

(٢) مطالب السؤل ص ٨٥ .

آيات ، فذكر أنه لا يعرفها فقال لي أبو الحسن عليه السلام : يا دعبل أنشد أمير المؤمنين فأخذت فيها فأنشدتها فاستحسنها فأمر لي بخمسين ألف درهم ، وأمر لي أبو الحسن علي بن موسى عليه السلام بقريب من ذلك ، فقلت : يا سيدي إن رأيت أن تهبني شيئاً من ثيابك ليكون كفني ، فقال : نعم ، ثم دفع إلي قميصاً قد ابتذله ومنشفة لطيفة وقال لي : احفظ هذا تحرس به ، ثم دفع إلي ذوالرياستين أبو العباس الفضل بن سهل وزير المأمون صلة و حملني على برذون أصفر خراساني و كنت أسايره في يوم مطير و عليه مطر خز و برنس منه فأثرني به ودعا بغيره جديد فلبسه وقال : إنما آثرتك باللبيس لأنه خير الممطرين قال : فأعطيت به ثمانين ديناراً فلم تطب نفسي ببيعه ثم كررت راجعاً إلى العراق فأمّا صرت في بعض الطريق خرج علينا الأكراد فأخذونا وكان ذلك اليوم يوماً مطيراً أفقيت في قميص خلق و ضرّ جديد وأنا متأسف من جميع ما كان معي على القميص والمنشفة و متفكر في قول سيدي الرضا عليه السلام إذ مر بي واحد من الأكراد الحرامية ، تحته الفرس الأصفر الذي حملني عليه ذوالرياستين و عليه الممطر و وقف بالقرب مني ليجتمع إليه أصحابه وهو ينشد « مدارس آيات خلّت من تلاوة » و يبكي فلما رأيت ذلك منه عجبت من لص من الأكراد يتشيع ثم طمعت في القميص والمنشفة فقلت : يا سيدي لمن هذه القصيدة ؟ فقال : ما أنت و ذاك و يلك ؟ فقلت : لي فيه سبب أخبرك به فقال : هي أشهر بصاحبها أن تجهل فقلت : من هو ؟ قال : دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل محمد جزاه الله خيراً فقلت له : والله يا سيدي أنا دعبل وهذه قصيدتي فقال : و يلك ما تقول ؟ قلت : الأمر أشهر من ذلك فأرسل إلى أهل القافلة فاستحضر منهم جماعة و سألتهم عنّي فقالوا بأسرهم : هذا دعبل بن علي الخزاعي فقال : قد أطلقت كل ما أخذ من القافلة خلالاً فما فوقها كرامة لك ثم نادى في أصحابه من أخذ شيئاً فليردّه فرجع على الناس جميع ما أخذ منهم و رجع إلي جميع ما كان معي ثم بدرقنا إلى المأمون فحرسنا أنا و القافلة ببركة القميص والمنشفة ، فانظر إلى هذه المنقبة ما أشرفها وما أعلاها (١) .

و منه مرواه عن هرثمة بن أعين قال : و كان في خدمة الخليفة إلا أنه كان محباً لأهل البيت إلى الغاية يأخذ نفسه بأذنه من شيعتهم و كان قائماً بمصالح الرضا عليه السلام باذلاً نفسه بين يديه ، متقرّباً إلى الله تعالى بخدمته ، قال : طلبني سيدي الرضا عليه السلام ، وقال : يا هرثمة إنني مطلعك على حالة تكون عندك سرّاً لا تظهرها وأناحي و إن أظهرتها حال حياتي كنت خصمك عند الله تعالى ، فعاهدته أنني لأعلم بها أحداً ما لم تأمرني فقال : أعلم أنني بعد أيام آكل عنباً ورمّاناً مفتوتاً فأموت ويقصد الخليفة أن يجعل قبوري ومدفني خلف قبر أبيه الرشيد وإن الله لا يقدره على ذلك فإن الأرض تشدّ عليهم فلا يستطيع أحدٌ حفر شيء منها ، وإنما قبوري في بقعة كذا لموضع عينه ، فاذا أنامت و جهزت فأعلمه بجميع ما قلت لك و قل له : يتأن في الصلاة عليّ فإنه يأتي رجل عربي مثلكم على بعير مسرع وعليه وعشاء السفر فينزل عن بعيره ويصلي عليّ فاذا صلى عليّ وحملت فأقصد المكان الذي عينته لك فاحفر شيئاً يسيراً من وجه الأرض تجد قبراً معمولاً في قعره ماء أبيض فاذا كشفته نصب الماء فهو مدفني فادفني فيه و الله والله أن تخبر بهذا قبل موتي ، قال هرثمة : فوالله ما طالت الأيام حتى أكل عنباً ورمّاناً كثيراً فمات و دخلت علي الخليفة فوجدته يبكي عليه فقلت له : يا أمير المؤمنين عاهدني الرضا عليّ أمر أقوله لك ، و قصصت عليه تلك القصة التي قالها من أولها إلى آخرها و هو يعجب مما أقوله فأمر بتجهيزه فلما تجهزت تأتني بالصلاة عليه و إذا بالرجل قد أقبل علي بعير من الصحراء مسرعاً و لم يكلم أحداً ثم دخل إلى جنازته فوقف و صلى عليه فخرج و صلى الناس عليه و أمر الخليفة بطلب الرجل ففاتهم فلم يعلموا له خبراً ثم أمر الخليفة أن يحفر له قبراً خلف قبر أبيه الرشيد فعجز الحافرون عن الحفر فذهب إلى موضع ضريحه الآن فبقدر ما كشف عن وجه الأرض ظهر قبر محفور كشفت عنه طوابيقه و إذا في قعره ماء أبيض كما قال ، فأعلمت الخليفة به فحضر و أبصره على الصورة التي ذكرها ونصب الماء ودفن فيه ، ولم يزل الخليفة المأمون تعجب من قوله ولم يزل عنه كلمة واحدة مما ذكره و ازداد تأسّفه عليه و كلما خلوت في خدمته

يقول : يا هرثمة كيف قال لك أبو الحسن فأعيد عليه الحديث فيتلهف عليه (١).
فانظر إلى هذه المنقبة العظيمة و الكرامة البالغة التي تنطق بعناية الله به
وازدلاف مكانته عنده (٢).

و من عيون أخبار الرضا (٣) للصدوق - رحمه الله - عن علي بن ميثم عن أبيه
قال : سمعت أُمِّي تقول : سمعت نجمة أم الرضا (عليه السلام) تقول : لما حملت بابني لم أشعر
بثقل الحمل و كنت أسمع في منامي تسبيحاً و تهليلاً و تحميداً من بطني فيفزعني
ذلك فيهلوني فإذا انتبهت لم أسمع شيئاً فلما وضعته وقع على الأرض واضعاً يده على
الأرض رافعاً رأسه إلى السماء يحرك شفثيه كأنه يتكلم فدخل إلي أبو موسى
ابن جعفر (عليه السلام) فقال : هينأ لك يا نجمة كرامة ربك ، فناولته إياه في خرقة بيضاء
فأذن في أذنه اليمنى و أقام في اليسرى و دعا بماء الفرات و حنكه به ثم رده إلي
فقال : خذيه فإنه بقية الله في أرضه .

و من دلائل الحميري عن جعفر بن محمد بن يونس قال : كتب رجل إلى الرضا
عليه السلام يسأله عن مسائل و أراد أن يسأله عن الثوب الملحّم يلبسه المحرم و عن سلاح
رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فنسي ذلك و تلهف عليه فجاء جواب المسائل و فيه لأبأس في الإحرام
في الثوب الملحّم و اعلم أن سلاح رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فيما بمنزلة التابوت في بني إسرائيل
يدور مع كل عالم حيث دار (٤).

و منه عن معمر بن خلاد قال : قال لي الرّيتان بن الصلت بمر و وقد كان
الفضل بن سهل بعثه إلى بعض كور خراسان فقال لي : أحب أن أستأذن علي أبي
الحسن (عليه السلام) فأسلم عليه و أودعه و أحب أن يكسوني من ثيابه و أن يهب لي من دراهمه
التي ضربت باسمه ، فقال معمر : فدخلت علي أبي الحسن (عليه السلام) فقال لي مبتدئاً :
ريتان يحب أن يدخل علي و أن أكسوه من ثيابي و أعطيه من دراهمي ، فقلت :

(١) فيه ما فيه لعدم موت هرثمة علي أبي الحسن (عليه السلام) بأزيد من ستين .

(٢) كشف الغمة ص ٢٥٨ . (٣) المصدر ص ١٤ . وفي الكشف ص ١٦٨ .

(٤) الكشف ص ٢٦٩ .

سبحان الله قد سألتني والله ذلك وأن أسالك له ، فقال : يامعمر إن المؤمن موفّق قل له فليجي . قال : فأمرته فدخل عليه فسلم فأمر له بثوبين من ثيابه فدفعهما إليه فلما قام رأيتَه قد وضع في يده شيئاً ، فلما خرج قلت له : كم أعطاك ؟ فإذا في يده ثلاثون درهماً (١) .

و منه عن سليمان الجعفري قال : قال لي الرضا عليه السلام : اشتر لي جارية من صفتها كذا وكذا ، فأصبت له جارية عند رجل من أهل المدينة كما وصف فأشتريتها ودفعت الثمن إلى مولاها ، و جئت بها إليه فأعجبته ، و وقعت منه فمكثت أياماً ثم لقيني مولاها وهو يبكي فقال : الله الله فيّ لست أتهدأ العيش وليس لي قرار ولا نوم فكلم أبا الحسن يرد عليّ الجارية ويأخذ الثمن فقلت : المجنون أنت أنا أجتري على أن أقول له بردّها عليك ، فدخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال لي مبتدأ : يا سليمان صاحب الجارية يريد أن أردّها عليه ؟ فقلت : إي والله قد سألتني أن أسالك ، قال : فردّها عليه وخذ الثمن ، ففعلت ، ومكثت أياماً ثم لقيني مولاها فقال : جعلت فداك سل أبا الحسن أن يقبل الجارية فإنني لا أنتفع بها ولا أقدر أدنو منها ، قلت : إنني لأقدر أن أبتدأ بهذا ، قال : فدخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال : يا سليمان صاحب الجارية يريد أن أقبضها منه وأردّها عليه الثمن ، قلت : قد سألتني ذلك ، فقال ردّ عليّ الجارية وخذ الثمن (٢) .

و منه عن الحسن بن أبي الحسن قال : اشتكى عمّي محمد بن جعفر شكاة شديدة حتى خفنا عليه الموت ، فدخل عليه أبو الحسن الرضا عليه السلام ونحن حوله نبكي من بنيه وإخوتي وعمّي إسحاق عند رأسه يبكي ، وهو في حالة شديدة فجاء فجلس في ناحية ينظر إلينا فلما خرج تبعته فقلت له : جعلت فداك دخلت على عمك وهو في هذه الحال ونحن نبكي وإسحاق عمك يبكي فلم يكن منك شيء ، فقال : رأيت هذا الذي يبكي عند رأسه سوف يبرأ هذا من مرضه ويقوم ويموت هذا الذي يبكي عليه ، فقام محمد بن جعفر من وجعه واشتكى إسحاق ومات وبكى عليه محمد (٣) .

ولما خرج محمد بن جعفر بمكة ودعى لنفسه وتسمى أمير المؤمنين و بويع له بالخلافة دخل عليه أبو الحسن الرضا عليه السلام فقال : يا عم لا تكذب أباك وأخاك فإن هذا الأمر لا يتم ، قال الرأوي : فخرج و خرجت معه إلى المدينة فلم يلبث إلا قليلاً حتى قدم الجلودي فلقيه ، فهزمه واستأمن إليه محمد بن جعفر ، فلبس السواد وصعد المنبر فخلع نفسه ، و أكذب مقالته و قال : إن هذا الأمر للمأمون وليس لي فيه حق ثم خرج إلى خراسان ومات بمرور (١).

و منه عن الحسن بن علي الوشاء قال : كنت بخراسان فبعث إلي الرضا عليه السلام يوماً و قال : ابعث إلي بالحبرة فلم توجد عندي ، فقلت لرسوله : ما عندي حبرة فرد إلي الرضا عليه السلام ابعث إلي بالحبرة ، فطلبت في ثيابي فلم أجد شيئاً ، فقلت لرسوله : قد طلبت فلم أقع بها ، فرد إلي الرضا عليه السلام الثالث ابعث إلي بالحبرة ، فقمت أطلب ذلك فلم يبق إلا صندوق فقمت إليه فوجدت فيه حبرة ، فأتيته بها و قلت : أشهد أنك إمام مفترض الطاعة ، وكان سببي في دخول هذا الأمر (٢).

و منه قال عبد الله بن المغيرة : كنت واقفاً و حججت على ذلك ، فلما صرت إلى مكة اختلج في صدري شيء ، فتعلقت بالملتزم و قلت : اللهم قد علمت طلبتي و إرادتي فأرشدني إلى خير الأديان ، فوقع في نفسي أن آتي الرضا عليه السلام فأتيته المدينة فوقفتم ببابه و قلت للغلام : قل طولاك : رجل من أهل العراق بالبواب فسمعت نداءه و هو يقول : ادخل يا عبد الله بن المغيرة ، فدخلت فلما نظر إلي قال : قد أجاب الله دعوتك و هداك لدينه ، فقلت : أشهد أنك حجة الله و أمين الله على خاقه (٣).

و منه عن الحسن بن علي الوشاء قال : قال فلان بن محرز : بلغنا أن أبا عبد الله عليه السلام كان إذا أراد أن يعاود أهله للجماع توضأ وضوء الصلاة فأحب أن تسأل أبا الحسن الثاني عليه السلام عن ذلك قال الوشاء : فدخلت عليه فابتدأني من غير أن أسأله فقال : كان أبو عبد الله عليه السلام إذا جامع وأراد أن يعاود توضأ للصلاة وإذا أراد أيضاً توضأ للصلاة ، فخرجت إلى الرجل ، فقلت : قد أجابني عن مسألتك من غير أن أسأله (٤).

و منه عن علي بن محمد القاساني قال : أخبرني بعض أصحابنا أنه حمل إلى الرضا عليه السلام مالا له خطر فلم أره أنه سر به فاعتمت لذلك وقلت في نفسي : قد حملت إليه مثل هذا المال وما سر به فقال : يا غلام الطست و الماء وقعد على كرسي ، و قال بيده للغلام : صب علي الماء فجعل يسيل من بين أصابعه في الطست ذهب ثم التفت إلي وقال : من كان هكذا لا يبالي بالذي حمل إليه (١).

و منه عن محمد بن الفضل قال : لما كان في السنة التي بطش هارون بالبرامكة و قتل جعفر بن يحيى ، وحبس يحيى بن خالد ، و نزل بهم ما نزل . كان أبو الحسن عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ثم طأطأ رأسه فسئل عن ذلك فقال : إني كنت أدعو الله على البرامكة قد فعلوا بأبي ما فعلوا ، فاستجاب الله لي فيهم اليوم ، ثم أنصرف فلم يلبث إلا يسيراً حتى بطش بجعفر وحبس يحيى وتغيرت حالهم (٢).

و منه عن موسى بن عمران قال : رأيت علي بن موسى عليه السلام في مسجد المدينة و هارون يخطب ، فقال عليه السلام : تروني و إياه ندفن في بيت واحد (٣).

و منه عن الحسن بن موسى قال : خرجنا مع أبي الحسن عليه السلام إلى بعض أمواله بيوم لاسحاب فيه ، فلما برزنا قال : حملتم معكم المماطر ؟ قلنا : لا ، ولا حاجة لنا إليها وليس سحاب ولا نتخوف المطر ، فقال : لكنني قد حملته و ستمطرون ، فما مضينا إلا يسيراً حتى ارتفعت سحابة ومطر ناحتي أهمتنا أنفسنا ، فما بقي منا أحد إلا ابتل غيره (٤).

و منه عن الحسن بن منصور ، عن أخيه قال : دخلت على الرضا عليه السلام في بيت داخل في جوف بيت ليلاً فرفع يده فكانت كأن بالبيت عشرة مصابيح ، فاستأذن عليه رجل فخلى يده ثم أذن له (٥).

و منه عن موسى بن مهران قال : رأيت أبا الحسن علي بن موسى عليه السلام ونظر إلى هرثمة قال : كأنني به قد حمل إلى مرو فضربت عنقه ، فكان كما قال (٦).

و من كتاب الرأوندي روى إسماعيل بن أبي الحسن قال : كنت مع الرضا عليه السلام

وقد قال بيده إلى الأرض كأنه يكشف شيئاً فظهرت سبائك ذهب ثم مسح بيده عليها فغابت ، فقلت له : لو أعطيتني واحدة منها قال : لا إن هذا الأمر لم يأن وقته (١) .

و منه قال أبو إسماعيل السندي : سمعت بالسند أن الله حجّة في العرب ، فخرجت منها في الطلب فدللت على الرضا عليه السلام فقصدته و دخلت عليه وأنا لأعرف من العربية كلمة واحدة فسأمت بالسندية فرد عليّ بلغني فجعلت أكلّمه بالسندية وهو يجيبني بها ، فقلت : إنني سمعت بالسند أن الله حجّة في العرب ، فخرجت في الطلب ، فقال : قد بلغني ذلك نعم أنا هو ، ثم قال : سل عما تريد فسألته عما أردته فلمّا أردت القيام من عنده قلت : إنني لا أحسن من العربية شيئاً فادع الله أن يلهمنيها لأتكلّم بها مع أهلها ، فمسح بيده على شفتي فتكلّمت بالعربية من وقتي (٢) .

و منه قال سليمان الجعفري : كنت مع الرضا عليه السلام في حايط له ، وأنا أحدثه إذ جاء عصفور فوق بين يديه ، وأخذ يصيح ويكثر الصباح ويضطرب ، فقال : أتدري ما يقول ؟ قلت : الله ورسوله و ابن رسوله أعلم ، قال : قال لي : إن حية تريد أن تأكل فراخي في البيت فقم وخذ تلك النسعة وادخل البيت و اقل الحية قال : فقم وأخذت النسعة ، و دخلت البيت وإذا حية تجول في البيت فقتلتها (٣) .

و منه عن بكر بن صالح قال : أتيت الرضا عليه السلام قلت : امرأتي اختتت بن سنان بها حمل ، فادع الله أن يجعله ذكراً ، قال : هما اثنان قلت في نفسي : محمد وعليّ بعد انصرافي فدعاني بعد ذلك فقال : سمّ واحداً علياً و الأخرى أمّ عمر فقدمت الكوفة وقد ولد لي غلام وجارية في بطن ، فسميت كما أمرني ، وقلت لأمي : ما معنى أمّ عمر ؟ فقالت : إن أمي كانت تدعى أمّ عمر (٤) .

و منه عن الوشاء أن الرضا عليه السلام قال بخراسان : حيث أرادوا بي الخروج جمعت عيالي فأمرتهم أن يسكوا عليّ حتى أسمع ثم فرقت فيهم اثني عشر ألفاً ، ثم قال : إنني لا أرجع إلى عيالي أبداً (٥) .

وفي إرشاد المفيد : قد نقلت الرواة من العامة و الخاصة كثيراً من دلالاته وآياته في حياته وبعده فاته (١).

فمنها ما حدث به علي بن أحمد الوشاء الكوفي قال : خرجت من الكوفة إلى خراسان ، فقالت لي ابنتي : يا أبا هذه الحلة فبعها واشترلي بئمنها فيروزجاً ، قال : فأخذتها وشدتها في بعض متاعي ، فلمّا قدمت و نزلت في بعض الفنادق (٢) ، فأذا غلمان علي بن موسى الرضا عليه السلام قد جاءني ، وقالوا : نريد حلة نكفن بها بعض غلماننا فقلت : ما عندي شيء ، فمضوا ثم عادوا وقالوا : مولانا يقرأ عليك السلام ويقول : إن معك حلة في السفط الفلاني دفعتها إليك ابنتك وقالت : اشترلي بئمنها فيروزجاً وهذه ثمنها ، فدفعتها إليهم وقلت : والله لأسألنّه عن مسائل فإن أجابني عنها فهو هو ، فكتبتها و غدوت إلى بابه فلم أصل إليه لكثرة ازدحام الناس عليه فبينما أنا جالس إذ خرج إلي خادم فقال : يا علي بن أحمد هذه جوابات مسائلك التي معك فأخذتها فأزاهي جواب مسائلي بعينها .

و منه ما رواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن محمد بن عيسى ، عن أبي حبيب النباجي قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وقد وافى النجاج (٣) و نزل في المسجد الذي ينزله الحجّاج في كل سنة و كأنني مضيت إليه ، وسلّمت عليه و وقفت بين يديه ، فوجدت عنده طبقاً من خوص نخل المدينة فيه تمرٌ صيحاني ، و كأنه قبض

(١) كذا في جميع النسخ التي بائد بنا و هو اشتباه وقع للمؤلف و ليس شياً من هذه المطالب في الإرشاد وإنما كانت جملتها في اعلام الوری و نقل الاربلي في الكشف عن الطبرسي ما أورده في اعلام الوری ص ٣٠٩ و نقل المؤلف عن الكشف و اشتبه عليه الامر وذلك أن الاربلي - رحمه الله - بعد أن نقل جملة من كرامات علي بن موسى عليه السلام من الراوندي و ابن الجوزي و المفيد و غيرهم قال : وقع الي حيث انتهيت الي هنا كتاب اعلام الوری المطبرسي و كانت لي نسخة فشئت . ثم نقل - رحمه الله - منه هذه المطالب .

(٢) الفندق : الخان ، جمعه فنادق .

(٣) النجاج - بكسر اوله و آخره جيم - قيل : في بلاد العرب نجا جان احدهما على طريق البصرة يقال له : نجاج بنى عامر و هو بحداء فيد ، والاخر نجاج بنى سعد بالقريتين .

قبضة من ذلك التمر ، فناولني فعددت فكانت ثمانية عشر ثمرة فتأولت أنني أعيش بكل ثمرة سنة فلما كان بعد عشرين يوماً كنت في أرض تعمر بين يدي للزراعة إذ جاءني من أخبرني بقدم أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة ، ونزوله ذلك المسجد و رأيت الناس يسعون إليه فمضيت نحوه ، فإذا هو جالس في الموضع الذي كنت رأيت النبي صلى الله عليه وآله و تحته حصيرٌ شبه ما كان تحته ، وبين يديه طبقٌ من خوص فيه تمر صيحاني فسلمت عليه ، فرد علي السلام و استدناني فناولني قبضةً من ذلك التمر ، فعدته فإذا هو بعدد ما ناولني رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت : زدني يا ابن رسول الله ، فقال : لو زادك رسول الله لزدناك ^(١) .

و منه ما أورده الحاكم أيضاً و رواه بإسناده عن سعد بن سعد عنه عليه السلام أنه نظر إلى رجل فقال : يا عبد الله أوص بما تريد و استعد لما لا بد منه ، فمات الرجل بعد ذلك بثلاثة أيام ^(٢) .

و عن الحسين بن موسى بن جعفر عليه السلام قال : كنا حول أبي الحسن عليه السلام و نحن شبان من بني هاشم ، إذ مر علينا جعفر بن عمر العلوي ، وهو رث الهيئة ، فنظر بعضنا إلى بعض ، وضحكنا من هيئته ، فقال الرضا عليه السلام : سترونه عن قريب كثير المال كثير التبع ، فما مضى الأشهر أو نحوه حتى ولي المدينة و حسنت حاله ، و كان يمر بنا و معه الخصيان والحشم ^(٣) .

و بإسناده عن الحسين بن بشار قال : قال لي الرضا عليه السلام : إن عبد الله يقتل محمداً ، فقلت : عبد الله بن هارون يقتل محمد بن هارون؟! قال : نعم عبد الله الذي بخراسان يقتل محمد بن زبيدة الذي هو ببغداد ، فقتله ^(٤) .

و ذكر الشيخ المفيد - رحمه الله - ^(٥) أشياء أخر من هذا القبيل ^(٦) .
قال : و أمّا ما ظهر للناس بعد وفاته من بركة مشهده المقدس و علاماته

(١) إلى (٤) اعلام الوری ص ٣١٠ و ٣١١ .

(٥) قد مر الكلام فيه أنه اشتباه و الصحيح الطبرسي - رحمه الله - .

(٦) اعلام الوری ص ٣١٣ .

والمعجائب التي شاهدها الخلق فيه ، وأذعن الخاصّ والعامّ له ، وأقرّ المخالف والمؤالف به إلى يومنا هذا فكثير خارج عن حدّ الإحصاء والعدّ ولقد برأفيه الأكمه والأبرص ، واستجيبت الدعوات ، وقضيت ببركته الحاجات ، وكشفت الملمّات وشاهدنا كثيراً من ذلك وتيقناه وعلمناه علماً لا يتخالج الشكّ والريب في معناه ، فلو ذهبنا نخوض في إيراد ذلك لخرجنا عن الغرض في هذا الكتاب .

﴿ ذكر طرف من أخلاق الامام التاسع ﴾

﴿ أبي جعفر الثاني محمد بن علي التقي عليهما السلام وصفاته وكراماته ﴾

قال ابن طلحة : ^(١) هذا أبو جعفر محمد الثاني فإنه تقدّم في آباءه أبو جعفر محمد وهو الباقر بن عليّ فجاء هذا باسمه وكنيته واسم أبيه فعرف بأبي جعفر الثاني وهو وإن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر ، وله لقبان القانع والمرضى . وذكر الطبرسيّ التقيّ والمنتجب والجواد والمرضى ^(٢) ولم يذكر القانع . قال ابن طلحة ^(٣) : وأمّا مناقبه فما اتسعت له حلّيات مجالها ، ولا امتدّت له أوقات آجالها ، بل قضت عليه الأقدار الإليّمة بقلة بقائه في الدّنيا بحكمها وأسجالها ، فقلّ في الدّنيا مقامه وعجل القدوم عليه لزيارة حمّاه ، فلم تطل بها مدّته ، ولا امتدّت فيها أيامه ، غير أن الله جلّ وعلا خصّه بمنقبة متألّقة في مطالع التعظيم ^(٤) بارقة أنوارها ، مرتفعة في معارج التفضيل قيّمة أقدارها ، باذعة لأبصار ذوي البصائر بيّنة منارها ، بادية لعقول أهل المعرفة آية آثارها ، وهي وإن كانت صورتها واحدة فمعانيها كثيرة ، وصيغتها وإن كانت صغيرة فدلالاتها كبيرة ، وهي أن أبا جعفر محمد بن عليّ عليه السلام لما توفّي والده عليّ الرضا عليه السلام و قدم الخليفة المأمون بعد وفاته بغداد بسنة اتفق أنّه خرج يوماً إلى الصيد فاجتاز بظرف البلد في طريقه والصبيان

(١) مطالب السؤل من ٨٧ ، وفي كشف الغمة من ٢٨٢ .

(٢) اعلام الوری من ٣٢٩ .

(٣) مطالب السؤل من ٨٧ ، وفي الكشف من ٢٨٢ .

(٤) نأق البرق من باب التفعّل : لمع .

يلعبون و محمد واقف معهم وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة فما حولها ، فلما أقبل المأمون انصرف الصبيان هارين ووقف أبو جعفر عليه السلام ، فلم يبرح مكانه ، (١) فقرب منه الخليفة فنظر إليه و كان الله عز و علا قد ألقى عليه مسحة من قبول ، فوقف الخليفة و قال : يا غلام ما منعك من الانصراف مع الصبيان ؟ فقال له محمد مسرعاً : يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق لأوسعه عليك بنهايي ، ولم يكن لي جريمة فأخشاها ، وظنني بك حسن أنك لاتضر من لاذنب له ، فوقف فأعجبه كلامه ووجهه ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : محمد ، قال : ابن من أنت ؟ قال : يا أمير المؤمنين أنا ابن علي الرضا ، فترحم علي أبيه وساق إلى وجهته ، وكان معه بزا (٢) فلما بعد عن العمارة أخذ بازياً فأرسله علي دراجة فغاب عن عينه غيبة طويلة ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة ، فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ثم أخذها في يده و عاد إلى داره في الطريق الذي أقبل منه ، فلما وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان على حالهم ، فانصرفوا كما فعلوا أوّل مرة و أبو جعفر لم ينصرف ، و وقف كما وقف أوّل فلما أدان منه الخليفة قال : يا محمد ! قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : ما في يدي ؟ فألمه الله عز وجل أن قال : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق بمشيئته في بحر قدرته سمكاً صغاراً تصيدها بزا الملوك و الخلفاء فيختبرون بها سلاله أهل بيت النبوة ، فلما سمع المأمون كلامه عجب منه ، وجعل يطيل نظره إليه ، و قال : أنت ابن الرضا حقاً ، وضاعف إحسانه إليه . وفي هذه الواقعة منقبة تكفيه عن غيرها ويستغنى بها عن سواها .

و قال الشيخ المفيد - رحمه الله - (٣) : وكان المأمون قد شغف بأبي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنه و بلوغه في العلم و الحكمة و الأدب و كمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان فزوجه ابنته أم الفضل و حملها معه إلى

(١) اي فلم يزل من مكانه ووقف .

(٢) بزا جمع البازي وهو طائر معروف .

(٣) الارشاد ص ٢٩٩ .

المدينة ، وكان متوقفاً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره .
و عن الرِّبَّان بن شبيب قال : لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أمّ الفضل
أبا جعفر محمد بن عليّ عليه السلام بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم ذلك واستكبروه وخافوا
أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام فخاضوا في ذلك و اجتمع منهم
أهل بيته الأذنون منه فقالوا : ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر
الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فإننا نخاف أن تخرج عنا أمراً قد ملكناه
الله وتزع منا عزاً قد ألبسناه ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً
وحديثاً وما كان عليه الخلفاء الرّاشدون قبلك من تبعيدهم وتصغيرهم ، وقد كنا
في وهلة^(١) من عملك مع الرضا ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك فالله الله أن تردنا
إلى غمّ قد انحسر عنا و اصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من أهل
بيتك يصلح لذلك دون غيره فقال لهم المأمون : أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم
السبب فيه ولو أنصفتهم القوم لكانوا أولى بكم وأما ما كان يفعله من قبلي بهم فقد
كان قاطعاً للرّحم أعوذ بالله من ذلك ، والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف
الرّضا ، وقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبى وكان أمر الله قدراً مقدوراً
وأما أبو جعفر محمد بن عليّ فقد اخترته لتبرّزه على كافة أهل الفضل في العلم
و الفضل مع صغر سنّه والأعجوبة فيه بذلك وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته
منه ، فتعلموا أنّ الرأي ما رأيت فيه ، فقالوا : إنّ هذا الفتى وإن راقك منه
هدية^(٢) فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه فأمهله ليتأدّب ويتفقّه في الدّين ثم أصنع
ما تراه من بعد ذلك ، فقال لهم : ويحكم إنني أعرف بهذا الفتى منكم ، وإنّ هذا
من أهل بيت علمهم من الله ومواده وإلهامه لم يزل آباءه أغنياء في علم الدّين
و الأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال ، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما
يتبيّن لكم به ما وصفت من حاله ، قالوا له : قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا
بامتحانه ، فحلّ بيننا وبينه لنصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة ،

(١) أي فرقة. (٢) راقه بروقه أي أعجبه وسره ، والهدى - بفتح الهاء - : الطريقة والسيرة.

فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره ، و ظهر للخاصة و العامة
سديد رأي أمير المؤمنين و لأنفسنا بامتحانه ، و إن عجز عن ذلك كفينا الخطب في
معناه ، فقال لهم المأمون : شأنكم و ذاك متى أردتم ، فخرجوا من عنده و أجمع
رأيهم على مسألة يحيى بن أكرم و هو يومئذ قاضي الزمان على أن يسأله
مسائل لا يعرف الجواب عنها ، و وعدوه بأموال نفيسة على ذلك ، و عادوا إلى
أمير المؤمنين فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع ، فأجابهم إلى ذلك ، فاجتمعوا في
اليوم الذي اتفقوا عليه و حضر معهم يحيى بن أكرم و أمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر
عليه السلام دُست ، و يجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك ، و خرج أبو جعفر عليه السلام و هو
يومئذ ابن سبع سنين و أشهر فجلس بين المسورتين^(١) و جلس يحيى بن أكرم بين يديه
و قام الناس في مراتبهم و المأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام .
فقال يحيى بن أكرم للمأمون : أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر ؟ فقال له :
المأمون : استأذنه في ذلك ، فأقبل عليه يحيى بن أكرم فقال : تأذن لي جعلت فداك في
مسألة ؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام : سل إن شئت ، قال يحيى : ما تقول جعلت فداك في
محرم قتل صيداً ؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام : قتله في حلال أو حرم ؟ عالماً كان المحرم
أو جاهلاً ؟ قتله عمداً أو خطأ ؟ حرماً كان المحرم أو عبداً ؟ صغيراً كان أو كبيراً ؟
مبتدئاً بالقتل أو معيداً ؟ من ذوات الطير كان الصيد أو من غيرها ؟ من صغار الصيد
كان أو من كبارها ؟ مصرعاً على ما فعل أو نادماً ؟ ليلاً كان قتله للصيد أو نهاراً ؟ محرماً
كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً ؟ فتحيّر يحيى بن أكرم و بان في وجه
العجز و الانقطاع و لجلج^(٢) حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره ، فقال المأمون :
الحمد لله على هذه النعمة و التوفيق لي في الرأي ، ثم نظر إلى أهل بيته و قال لهم :
أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه ، ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام فقال : اخطب يا
أبا جعفر ، قال : نعم يا أمير المؤمنين فقال له المأمون : اخطب جعلت فداك لنفسك فقد

(١) السورة : متكأ من آدم .

(٢) أي تردد في الكلام .

رضيتك لنفسي وأنا مزوجك أمّ الفضل بنتي وإن رغم قوم لذلك ، فقال أبو جعفر عليه السلام : الحمد لله إقراراً بنعمته ، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدايته ، وصلى الله على محمد سيد بريته والأصفياء من عترته ، أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه : « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسعٌ عليم » ثم إنَّ محمد ابن عليّ بن موسى يخطب أمّ الفضل بنت عبد الله المأمون ، وقد بذل لها من الصّدق مهر جدّته فاطمة بنت محمد عليه السلام وهو خمسمائة درهم جيداً ^(١) فهل زوّجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصّدق المذكور؟ فقال المأمون : نعم قد زوّجتك يا أبا جعفر أمّ الفضل ابنتي على الصّدق المذكور؟ فهل قبلت النكاح؟ قال أبو جعفر : قد قبلت ذلك ورضيت به ، فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصّة و العامّة ، قال الرّيان : وأخرج الخدم مثل سفينة من فضة وفيها الغالية فتطيب الخاصّة والعامّة ووضعت الموائد فأكلوا ، وفرقت الجوائز على قدر المراتب وانصرف الناس و بقي من الخاصّة من بقي .

قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام : إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد لتعلمه و نستفيده .

فقال أبو جعفر عليه السلام : نعم أن المحرم إذا قتل صيداً في الحلّ وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة ، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً ، وإذا قتل فرخاً في الحلّ فعليه حمل قد فطم من اللبن ، فإذا قتل في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة ، وإن كان نعامة فعليه بدنة ، وإن كان ظيباً فعليه شاة ، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة ، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه وكان إحرامه للحجّ نحره بمنى ، وإن كان في إحرامه للعمرة نحره بمكة و جزاء الصيد على العالم والجاهل سواء ، وفي العمدة له المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ ، والكفارة على

(١) جمع جيد ضد الردي .

الحرّ في نفسه و على السيّد في عبده ، والصغير لا كفّارة عليه و هي على الكبير واجبة ، والنادم يسقط عنه ندمه عقاب الآخرة ، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة . فقال له المأمون : أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك ، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك ، فقال أبو جعفر عليه السلام : خبّرني في الرجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار ، وكان نظره إليها حراماً عليه ، فلمّا ارتفع الشّهار حلّت له ، فلمّا زالت الشمس حرمت عليه ، فلمّا كان وقت العصر حلّت له ، فلمّا غربت الشمس حرمت عليه ، فلمّا دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له ، فلمّا كان انتصاف الليل حرمت عليه ، فلمّا طلع الفجر حلّت له ؟ ما حال هذه المرأة وبماذا حلّت له وحرمت عليه ؟ فقال يحيى ابن أكرم : لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال ولا أعرف الوجه فيه فإن رأيت أن تفيدنا ، فقال له أبو جعفر عليه السلام : هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبيّ في أوّل الشّهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلمّا ارتفع الشّهار ابتاعها من مولاهما فحلّت له ، فلمّا كان الظهر اعتقها فحرمت عليه ، فلمّا كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له ، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه ، فلمّا كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلّت له ، فلمّا كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه ، فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّت له ، قال : فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم : هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب و يطرف القول فيما تقدّمه من السؤال ؟ قالوا : لا والله إن أمير المؤمنين أعلم و ما رأى ، فقال لهم : و يحكم إن أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل فإن صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال أما علمتم ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله : افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين وقبل منه الإسلام و حكم له به ولم يدع أحداً في سنّه غيره ، وباع الحسن والحسين وهما ابنا دون الستّ ولم يبايع صبيّاً غيرهما ، أفلا تعلمون الآن ما اختصّ الله به هؤلاء القوم و أنّهم ذرّيّة بعضها من بعض يجري لآخريهم ما يجري لأوّلهم ؟ ! قالوا : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ثمّ نهض القوم ، فلمّا كان من الغد حضر الناس

و حضر أبو جعفر عليه السلام وصار القواد والحجاب والخاصة والعامّة لتبنيّة المأمون وأبي جعفر عليه السلام، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة وفيها بنادق المسك وزعفران معجون، في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنّية وإقطاعات، فأمر المأمون بنشرها على القوم من خاصته، فكان كل من يقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها والتمسه ^(١) فأطلق له، و وضعت البدر فنثر ما فيها على القواد وغيرهم، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا، وتقدّم المأمون بالصدقة على كافة المسلمين ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام، معظماً لقدره مدّة حياته، يؤثّر على ولده وجماعة أهل بيته.

وقد روى الناس أن أمّ الفضل كتبت إلى المأمون من المدينة تشكو أبا جعفر عليه السلام و تقول: إنّه يتسرّى عليّ و يغيرني، فكتب إليها المأمون: يا بنيّة إنّالم نزوّجك أبا جعفر لنحرّم عليه حلالاً فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها ^(٢).

﴿ فصل ﴾

وأما كراماته عليه السلام فقد سمعت ما ذكره ابن طلحة، ومما ذكره الشيخ المفيد - رحمه الله - ^(٣) أنّه لما توجه أبو جعفر عليه السلام من بغداد منصرفاً من عند المأمون و معه أمّ الفضل قاصداً بها المدينة صار إلى شارع باب الكوفة ومعه الناس يشيعونه فانتهى إلى دار المسيّب عند مغيب الشمس فنزل و دخل المسجد، و كان في صحنه نبقة لم تحمل بعد، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل النبقة وقام فصلى بالناس صلاة المغرب فقرأ في الأولى الحمد و إذا جاء نصر الله، و قرأ في الثانية الحمد و قل هو الله أحد و قنت قبل ركوعه و صلى الثالثة، و تشهد و سلّم ثم جلس هنيهة يذكر الله تعالى و قام من غير أن يعقب، فصلى النوافل أربع ركعات و عقب بعدها، و سجد سجدي الشكر فلما انتهى إلى النبقة رآها الناس وقد حمل حملاً حسناً، فتعجبوا من ذلك

(١) أي يلتمس ما في الرقعة من الجوائز.

(٢) و (٣) الإرشاد ص ٣٠٤.

وأكلوا منها فوجدوه نبقاً حلواً لا عجم له ، وودّعوه و مضى عليه السلام من وقته إلى المدينة فلم يزل بها إلى أن أشخصه المعتصم في أوّل سنة [خمس و] عشرين و مائتين إلى بغداد فأقام بها حتى توفي في آخر ذي القعدة من هذه السنة فدفن في ظهر جدّه أبي الحسن موسى عليه السلام .

و عن عليّ بن خالد قال : كنت بالعسكر فبلغني أن هناك رجلاً محبوساً أتى به من الشام مكبولاً وقالوا : إنه تنبأ ، فأتيت الباب ودفعت شيئاً للبوّابين حتى وصلت إليه فاذا رجل له فهم و عقل فقلت له : يا هذا ما قصّتك ؟ قال : إنني كنت رجلاً بالشام أعبده الله في الموضع الذي يقال إنّه نصب فيه رأس الحسين عليه السلام فبينما أنا ذات ليلة في موضعي مقبل على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يدي فنظرت إليه فقال لي : قم ، فقمّت معه فمشى بي قليلاً فاذا أنا في مسجد الكوفة ، فقال لي : تعرف هذا المسجد ؟ فقلت : نعم هذا مسجد الكوفة ، قال : فصلّى و صلّيت معه ، ثمّ انصرف و انصرفت معه و مشى قليلاً فاذا نحن بمسجد الرسول عليه السلام ، فسلمّ على رسول الله عليه السلام و صلّيت معه ، ثمّ خرج و خرجت معه ، فمشى قليلاً فاذا أنا نحن بمكة ، فطاف بالبيت و طفت معه ، ثمّ خرج و مشى قليلاً ، فاذا أنا بموضعي الذي كنت فيه أعبد الله بالشام و غاب الشخص عنّي ، فبقيت متعجباً حولاً ممّا رأيت ، فلما كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به ، فدعاني فأجبتّه ، ففعل كما فعل في العام الماضي ، فلما أراد مفارقتي بالشام قلت له : سألتك بالحقّ الذي أقدرك على ما رأيت منك ألا أخبرتني من أنت ؟ فقال : أنا محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر ، فحدثت من كان يصير إليّ بخبره فرقي ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، فبعث إليّ من أخذني و كبّلني في الحديد ، و حملني إلى العراق ، و حبست كما ترى و ادّعي عليّ المحال ، فقلت له : فأرفع عنك القصة إلى محمد بن عبد الملك الزيات ؟ قال : ارفع ، فكتبت عنه قصّته و شرحت أمره فيها و رفعتها إلى محمد فوقع في ظهرها : قل للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة ، ومنها إلى المدينة ، و منها إلى مكة ، ومنها إلى الشام أن يخرجك من

حبسك هذا ، قال علي بن خالد : فغممني ذلك من أمره ورققت له وانصرفت محزوناً عليه ، فلما كان من الغد باكرت الحبس لأعلمه الحال وآمره بالصبر والعزاء فوجدت الجند وأصحاب الحرس و أصحاب السجن وخلقاً عظيماً من الناس يهرعون فسألت عن حالهم فقبل لي : المحمول من الشام المتنبي ، افتقد البارحة من الحبس فلانديري أخسفت به الأرض أو اختطفته الطير ، وكان هذا الرجل أعني علي بن خالد زيدا فقال بالإمامة لما رأى ذلك وحسن اعتقاده (١) .

و منه عن محمد بن علي الهاشمي قال : دخلت على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام صبيحة عرسه بنت المأمون و كنت تناولت من اللبيل دواء فأول من دخل عليه في صبيحته أنا وقد أصابني العطش و كرهت أن أدعو بالماء ، فنظر أبو جعفر عليه السلام في وجهي و قال : أراك عطشان ؟ قلت : أجل ، قال : يا غلام اسقنا ماء ، فقلت في نفسي الساعة يأتونه بماء مسموم وانتمت لذلك ، فأقبل الغلام و معه الماء فتبسم في وجهي ثم قال : يا غلام ناولني الماء ، فتناول فشرب ، ثم ناولني و تبسم ، فشربت وأطلت عنده فعطشت ، فدعا بالماء ففعل كما فعل في المرة الأولى و شرب ثم ناولني و تبسم ، قال محمد بن حمزة : فقال لي محمد بن علي الهاشمي : والله إنني لأظن أن أبا جعفر عليه السلام يعلم ما في النفوس كما يقول الرضا (٢) .

و منه عن المطرف في قال : مضى أبو الحسن الرضا عليه السلام و لي عليه أربعة ألف درهم لم يكن يعرفها غيري و غيره فأرسل إلي أبو جعفر عليه السلام إذا كان الغد فأتني فأتينته ، فقال لي : مضى أبو الحسن عليه السلام و لك عليه أربعة ألف درهم ؟ فقلت : نعم ، فرفع المصلى فأذاتحته دنانير فدفعها إلي ، فكان قيمتها في الوقت أربعة ألف درهم (٣) .
و منه عن معلى بن محمد قال : خرج علي أبو جعفر عليه السلام حدثان موت أبيه ، فنظرت إلى قدمه لأصف قامته لأصحابنا ، ففعدت ثم قال : يا معلى إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة فقال : « وآتيناه الحكم صبيها » (٤) .

(١) الارشاد ص ٣٠٤ والاختطاف . الاستلاب بسرعة .

(٢) الي (٤) الارشاد ص ٣٠٦ الي ٣٠٧ .

و منه عن داود بن القاسم الجعفري قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعي ثلاث رقاع غير معنونة و اشتبهت علي ، فاغتممت فتناول أحدها و قال : هذه رقعة ريبان بن شبيب ، ثم تناول الثانية ، فقال : هذه رقعة فلان فقلت : نعم فبهت أنظر إليه فتبسّم ، و أخذ الثالثة فقال : هذه رقعة فلان ، فقلت : نعم جعلت فداك فأعطاني ثلاثمائة دينار وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمّه ، ثم قال : أما إنّه سيقول لك : دلني على حريف يشتري لي بها متاعاً فدله عليه ، قال : فأتيته بالدنانير ، فقال لي : يا أبا هاشم دلني على حريف يشتري لي بها متاعاً ، فقلت : نعم ، وكلمني ^(١) في الطريق بحال سألني أن أخاطبه في إدخاله مع بعض أصحابه في أموره ، فدخلت عليه لأكلمه فوجدته يأكل ومعه جماعة ، فلم أتمكّن من كلامه ، فقال لي : يا أبا هاشم كل ووضع بين يدي ما آكل منه ، ثم قال ابتداءً من غير مسألة : يا غلام انظر إلى الجمال الذي أتانا به أبو هاشم فضمه إليك ^(٢).

قال أبو هاشم : و دخلت معه يوماً بستاناً فقلت له : جعلت فداك إنني مولع بأكل الطين فادع الله لي فسكت ، ثم قال لي بعد أيام ابتداءً منه : يا أبا هاشم قد أذهب الله عنك أكل الطين ، قال أبو هاشم : فما من شيء أبغض إليّ منه اليوم ^(٣).
قال المفيد - رحمه الله - : والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما أثبتناه منها كفاية فيما قصدنا له إن شاء الله ^(٤).

و من دلائل الحميري ^(٥) عن أمية بن علي قال : كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة في السنة التي حجّ فيها ، ثم صار إلى خراسان ومعه أبو جعفر عليه السلام وأبو الحسن عليه السلام يودّع البيت فلما قضى طوافه عدل إلى المقام فصلى عنده فصار أبو جعفر على عنق موقوف يطوف به ، فصار أبو جعفر إلى الحجر فجلس فيه فأطال ، فقال للموقوف : قم جعلت فداك ، فقال : ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلا أن يشاء الله و استبان في

(١) هذا قول أبي هاشم الجعفري .

(٢) إلى (٤) الارشاد ص ٣٠٦ .

(٥) كشف الغمّة ص ٢٨٨ .

وجبه الغم فأتى موفق أبا الحسن عليه السلام فقال له : جعلت فداك قد جلس أبو جعفر في الحجر وهو يأبى أن يقوم ، فقام أبو الحسن عليه السلام فأتى أبو جعفر فقال له : قم يا حبيبي ، فقال : ما أريد أن أبرح من مكاني هذا ، قال : بلى يا حبيبي ، ثم قال : كيف أقوم وقد ودعت البيت وداعاً لا ترجع إليه ، فقال له : قم يا حبيبي ، فقام معه .
و منه عن ابن بزيع العطار قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً » قال : فنظرنا فمات عليه السلام بعد ثلاثين شهراً^(١) .

و منه عن معمر بن خلاد عن أبي جعفر عليه السلام أو عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام - الشك من أبي علي - قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا معمر اركب ، قلت : إلى أين ؟ قال : اركب كما يقال لك ، قال : فركبت فانتهمت إلى واد - أو إلى وهدة ، الشك من أبي علي - فقال لي : قف ههنا ، قال : فوقفت فأتاني فقلت له : جعلت فداك أين كنت قال : دفنت أبي الساعة وكان بخراسان^(٢) .

و منه عن القاسم بن عبد الرحمن - وكان زدياً - قال : خرجت إلى بغداد فبينما أنا بها إذ رأيت الناس يتعادون و يتشرفون و يتقنون فقلت : ما هذا ما هذا ؟ فقالوا ابن الرضا ابن الرضا ، فقلت : والله لا نظرن إلا فطلع علي بغل أو بغلة فقلت : لعن الله أصحاب الإمامة حيث يقولون : إن الله افترض طاعة هذا ، فعدل إلي وقال : يا قاسم ابن عبد الرحمن « أبشراً منّا واحداً نتبعه إننا إذا لفي ضلال وسعر » فقلت في نفسي ساحر والله فعدل إلي فقال : « القبي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر » قال : فانصرفت وقلت بالإمامة و شهدت أنه حجة الله على خلقه واعتقدته^(٣) .

و منه عن عمران بن محمد الأشعري قال : دخلت على أبي جعفر الثاني عليه السلام فقضيت حوائجي فقلت : إن أم الحسن تقرئك السلام و تسألك ثوباً من ثيابك أجعله كفناً لها ، فقال لي : قد استغنت عن ذلك ، قال : فخرجت ، لست أدري ما معنى ذلك ، فأتاني الخبر أنها قدمات قبل ذلك بثلاثة عشر يوماً ، أو أربعة عشر يوماً^(٤) .

(١) إلى (٤) كشف الغمة ص ٢٨٨ .

و منه عن دعبل بن علي أنه دخل على الرضا عليه السلام فأمر له بشيء فأخذه و لم يحمد الله فقال له : لم لم تحمد الله . قال : ثم دخلت بعده على أبي جعفر عليه السلام فأمر لي بشيء ، فقلت : الحمد لله ، فقال : تأدبت ^(١) .

و منه عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه قال : استأذن علي أبي جعفر عليه السلام قوم من أهل النواحي ، فأذن لهم فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين مسألة فأجاب وله عشر سنين ^(٢) .

و منه عن أمية بن علي القيسي قال : دخلت أنا وحماد بن عيسى على أبي جعفر عليه السلام بالمدينة لنودعه فقال لنا : لا تخرجا اليوم و اقيما إلى غد فلما خرجنا من عنده قال لي حماد : أنا أخرج فقد خرج ثقلي ، فقلت : أما أنا فأقيم ، فخرج حماد فجرى الوادي تلك الليلة فغرق فيه ^(٣) .

و من كتاب الرواندي ^(٤) عن محمد بن ميمون أنه كان مع الرضا عليه السلام بمكة قبل خروجه إلى خراسان قال : فقلت له : إنني أريد أن أتقدم إلى المدينة فأكتب معي كتاباً إلي أبي جعفر عليه السلام فنبسّم و كتب وصرت إلى المدينة و كان ذهب بصري فأخرج الخادم أبا جعفر إلينا يحمل من المهد فناولته الكتاب فقال لموفق الخادم : فضّه و انشره ففضّه فنشره بين يديه فنظر فيه ، ثم قال لي : يا محمد ما حال بصرك ؟ فقلت : يا ابن رسول الله اعتلت عينا ي فذهب بصري كما ترى ، قال : فمدّ يده فمسح بها على عيني فعاد إلي بصري كأصح ما كان فقبلت يده و رجله و انصرفت من عنده و أنا بصير .

(١) كشف الغمة ص ٢٨٨ .

(٢) كذا في جميع النسخ التي عندنا ولكن في المصدر أعني كشف الغمة ص ٢٨٨ « ثلاثين ألف » و الظاهر أن لفظة « ألف » من زيادات النساخ حيث لم يقدر أحد أن يسأل في مجلس واحد ثلاثمائة مسألة فضلا عن ثلاثين ألف وان كان في وسع الإمام عليه السلام جوابها مهما زادت و كثرت وان بلغت ألف ألف .

(٣) الكشف ص ٢٨٨ .

(٤) الخرائج والجرائح ص ٢٠٧ من طبعه الملحق بالاربعين .

و منه ما روي عن أبي بكر بن إسماعيل قال : قلت لأبي جعفر ابن الرضا عليه السلام إن لي جارياً تشتكي من ريح بها قال : ائمني بها فأتيت بها ، فقال لها : ماتشتكين يا جارياً ؟ قالت : ريحاً في ركبتي فمسح يده على ركبتيها من وراء الثياب فخرجت وما اشتكت وجعاً بعد ذلك ^(١) .

و منه عن علي بن حريز قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام جالساً وقد ذهبت شاة لمولاه فأخذوا بعض الجيران يجر ونهم إليه يقولون : أنتم سرقتم الشاة ، فقال لهم أبو جعفر عليه السلام : و يلکم خلّوا عن جيراننا فلم يسرقوا شاتكم ، الشاة في دار فلان فأخرجوها من داره فخرجوا فوجدوها في داره فأخذوا الرجل و ضربوه و خرقوا ثيابه ، و هو يحلف أنه لم يسرق هذه الشاة إلى أن صاروا به إلى أبي جعفر عليه السلام فقال : ويحكم ظلمتم الرجل فإن الشاة دخلت داره وهو لا يعلم ، ثم دعاه فوهب له شيئاً بدل ما خرق من ثيابه و ضربه ^(٢) .

و منه عن محمد بن عمير بن واقد الرازي قال : دخلت على أبي جعفر ابن الرضا عليه السلام ومعني أخي وبه بهر شديد ^(٣) فشكا إليه ذلك البهر فقال : عافاك الله مما تشكوا فخرجنا من عنده فقد عوفي فما عاد إليه ذلك البهر إلى أن مات ^(٤) .

قال محمد بن عمير وكان يصيبني وجع في خاصرتي في كل أسبوع ويشد ذلك بي أياماً ، فسألته أن يدعو لي بزواله عني ، فقال : و أنت فعافاك الله ، فما عاد إلى هذه العاية ^(٤) .

و عن قاسم بن المحسن قال : كنت فيما بين مكة و المدينة فمر بي أعرابي ضعيف الحال فسألني شيئاً فرحمته و أخرجت له رغيفاً فناولته إياه فلما مضى عني هبت ريح شديدة زوبعة ^(٥) فذهبت بعمامتي من رأسي فلم أرها كيف ذهبت و أين مرّت فلما دخلت على أبي جعفر ابن الرضا عليه السلام قال لي : يا قاسم ذهبت عمامتك في

(١) إلى (٤) في الكشف ص ٢٨٩ وليست في نسخة الخرائج المطبوع .

(٢) البهر - بالضم - الربو وضيق النفس .

(٥) الزوبعة : هيجان الارياح وتساعدھا الى السماء .

الطريق؟ قلت: نعم قال: يا غلام أخرج إليه عمامته فأخرج إليَّ عمامتي بعينها قلت: يا ابن رسول الله كيف صارت إليك؟ قال: تصدقت على الأعرابي فشكر الله لك وردَّ عمامتك وإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

و منه عن إسماعيل بن عباس الهاشمي قال: جئت إلى أبي جعفر عليه السلام يوم عيد فشكوت إليه ضيق المعاش فرفع المصلّي وأخذ من التراب سبيكة من ذهب فأعطانيها فخرجتُ بها إلى السوق وكان فيها ستة عشر مثقالاً من الذهب (١).

و من إعلام الطبرسي عن أمية بن علي (٢) قال: كنت بالمدينة و كنت أختلف إلى أبي جعفر عليه السلام وأبو الحسن عليه السلام بخراسان وكان أهل بيته وعمومة أبيه يأتونه و يسلمون عليه فدعا يوماً بجارية فقال لها: قولي لهم: يتهبأون للمأتم فلماً تفرقوا قالوا: هلاً سألنا مأتم من؟ فلماً كان من العذ فعل مثل ذلك فقالوا: مأتم من؟ فقال: مأتم خير من علي ظهرها، فأتانا خبر أبي الحسن عليه السلام بعد ذلك بأيام فإذا هو قد مات في ذلك اليوم.

و منه قال محمد بن الفرّج: كتب إلي أبو جعفر عليه السلام إحملوا إليّ الخمس لست آخذ منكم سوى عامي هذا، فقبض عليه السلام في تلك السنة، نقله من نوادر الحكمة.

❖ ذكر طرف من أخلاق الامام العاشر ❖

❖ (أبي الحسن الثالث علي بن محمد النقي عليهما السلام وصفاته وكراماته) ❖

قال ابن طلحة: (٣) وأما ألقابه فالناصح والمتوكّل والفتاح والنقي والمرضى وأشهرها المتوكّل وكان يخفي ذلك و يأمر أصحابه أن يعرضوا عنه لكونه كان لقب الخليفة أمير المؤمنين المتوكّل يومئذ.

و ذكر الطبرسي: العالم والفقير و الأمين والطيب والنقي (٤) وزاد غيرهما

(١) كشف الغمة ص ٢٨٩.

(٢) في المصدر ص ٣٣٤ عن موسى بن جعفر «مكان أمية بن علي».

(٣) مطالب السؤل ص ٨٨.

(٤) اعلام الوردى ص ٣٣٩.

الهادي أيضاً وهو الأشهر عند الشيعة (١).

قال : (٢) وأما مناقبه فمنها ما حل في الآذان محل حلاها بأشرفها ، واكتفته شغفاً به اكتناف اللثالي الثمينة بأصدافها ، وشهد لأبي الحسن عليه السلام أن نفسه موصوفة بنفائس أوصافها و أنها نازلة من الدوحة النبوية ذرى أشرفها و شرفات أعرافها وذلك أن أبا الحسن عليه السلام كان يوماً قد خرج من سر من رأى إلى قرية لهم عرض له ، فجا رجل من الأعراب يطلبه ، فقيل له قد ذهب إلى الموضع الفلاني فقصده فلما وصل إليه قال : ما حاجتك ؟ قال : رجل من أعراب الكوفة المتمسكين بولاء جدك علي بن أبي طالب عليه السلام و قد ركبني دين فادح أثقلني حمله ولم أر من أقصده لقضائه سواك فقال له أبو الحسن عليه السلام : طب نفساً و قر عيناً ، ثم أنزله فلما أصبح ذلك اليوم قال له أبو الحسن عليه السلام : أريد منك حاجة الله الله أن تخالفني فيها فقال الأعرابي : لأخالفك فكتب أبو الحسن عليه السلام ورقة بخطه معترفاً فيها أن عليه للأعرابي مالا عينه فيها يرجح على دينه ، وقال : خذ هذا الخط فاذا وصلت إلى سر من رأى أحضر إلي وعندي جماعة فطالبني به وأغلظ القول علي في ترك إيقائك إيائه ، الله الله في مخالفتي ، فقال : أفعل وأخذ الخط فلما وصل أبو الحسن إلى سر من رأى وحضر عنده جماعة كثيرون من أصحاب الخليفة وغيرهم حضر ذلك الرجل وأخرج الخط وطالبه وقال كما أوصاه ، فلأن أبو الحسن عليه السلام له القول ورفقه ، وجعل يعتذر إليه ووعده بوفائه و طيبة نفسه ، فنقل ذلك إلى الخليفة المتوكل فأمر أن يحمل إلى أبي الحسن ثلاثون ألف درهم فلما حملت إليه تركها إلى أن جاء الرجل فقال : خذ هذا المال و اقض منه دينك وأنفق الباقي على عيالك وأهلك وأعدنا ، فقال له الأعرابي : يا ابن رسول الله والله أن أملي كان يقصر عن ثلث هذا ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وأخذ المال وانصرف قال : وهذه منقبة من سمعها حكم له بمكارم الأخلاق ، وقضى له بالمنقبة المحكوم بشرفها بالاتفاق .

(١) راجع المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٤٠١ و الخراج ص ٢٠٩ و ٢٣٧

من طبعه الملحق بالاربعة وكفاية الاثر .

(٢) مطالب السؤول ص ٨٨ .

و منه و أمّا كراماته عليه السلام فكثيرة جداً ولنكتف بذكر نبذة منها.
 فهن إرشاد المفيد - رحمه الله - ^(١) عن الوشاء عن خيران الأسباطي قال :
 قدمت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام المدينة فقال لي : ما خبر الوائق عندك ؟
 قلت : جعلت فداك خلفته في عافية و أنا من أقرب الناس عهداً به ، عهدي به منذ عشرة
 أيام ، قال : فقال لي : إن أهل المدينة يقولون : إنّه قد مات ، فقلت : أنا أقرب
 الناس به عهداً ، قال : فقال لي : إن الناس يقولون : إنّه مات ، فلما قال لي : إن
 الناس يقولون علمت أنّه يعني نفسه ، ثمّ قال لي : ما فعل جعفر ؟ قلت : تركته
 أسوء الناس حالاً في السجن ، قال : فقال : أما إنّه صاحب الأمر ، ثمّ قال : ما فعل ابن
 الزيّات ؟ قلت : الناس معه والأمر أمره ، فقال : أما إنّه ميشوم عليه ، قال : ثمّ
 سكت ، وقال لي : لا بد أن يجري مقادير الله وأحكامه ، يا خيران مات الوائق وقد قعد
 جعفر المتوكل وقد قتل ابن الزيّات ، قلت : متى جعلت فداك ؟ قال : بعد خروجك
 بستّة أيام ^(٢) .

و منه عن علي بن إبراهيم عن ابن النعيم بن محمد الطاهريّ قال : مرض
 المتوكل من خراج خرج به فأشرف منه على الموت فلم يجبره أحد أن يمسه بحديدة
 فنذرت أمّه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام ما لأجلباً من مالها ،
 وقال له الفتح بن خاقان : لو بعثت إلى هذا الرجل يعني أبا الحسن عليه السلام فسألته
 فإنّه ربما كان عنده صفة شيء ، يفرّج الله به عنك ، فقال : إبعثوا إليه ، فمضى الرسول
 ورجع فقال : خذوا كسب الغنم ^(٣) فديفوه بما، الورد ، وضعوه على الخراج فإنّه
 نافع باذن الله إن شاء الله ، فجعل من يحضر المتوكل يهزه من قوله فقال لهم الفتح : و
 ما يضرّ من تجربة ما قال فوالله إنني لأرجو الصلاح به ، فأحضر الكسب وديف بما،
 الورد و وضع على الخراج فانفتح وخرج ما كان فيه و بشرت أمّ المتوكل بعافيته
 فحملت إلى أبي الحسن عليه السلام عشرة آلاف دينار تحت ختمها واستقلّ المتوكل ^(٣) من

(١) المصدر ص ٣٠٩ .

(٢) هو عصارة الدمن ، ودافه بالشئ ، أى خلطه .

(٣) «تحت ختمها» أى ممهورة بختمها . واستقل أى رفع علته .

علته ، فلما كان بعد أيام سعى البطحاني بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكل و قال :
 عنده أموال و سلاح و تقدم المتوكل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً و يأخذ
 ما يجده عنده من الأموال و السلاح و يحمله إليه ، قال إبراهيم بن محمد : فقال لي
 سعيد الحاجب : صرت إلى دار أبي الحسن عليه السلام بالليل و معي سلم فصعدت منه إلى
 السطح و نزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة ، فلم أدر كيف أصل إلى الدار فناداني
 أبو الحسن عليه السلام من الدار : يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة ، فلم ألبث أن
 أتوني بشمعة فنزلت فوجدت عليه حبة صوف و قلنسوة منها و سجادة على حصير
 بين يديه ، و هو مقبل على القبلة ، فقال لي : دونك البيوت فدخلتها و فتشيتها فلم أجدها
 شيئاً و وجدت البدره محتومة بخاتم أم المتوكل و كيساً مخنوماً معها فقال لي أبو الحسن
عليه السلام : دونك المصلى فرفعته فوجدت سيفاً في جفن ملبوس فأخذت ذلك و صرت
 إليه فلما رأى خاتم أمه على البدره بعث إليها فخرجت فسألها عن البدره ، فأخبرني
 بعض الخدم الخاصة أنها قالت : كنت نذرت في علتك إن عوفيت أن أحمل إليه من مالي
 عشرة آلاف دينار فحملتها إليه و هذا خاتمي على الكيس ما حرره ، و فتح الكيس
 الآخر فاذا فيه أربعمائة دينار فأمر أن يضم إلى البدره بدره أخرى و قال لي :
 أحمل ذلك إلى أبي الحسن و اردد السيف و الكيس عليه بما فيه فحملت ذلك إليه
 فاستحييت منه فقلت : يا سيدي عز علي دخولي دارك بغير إذتك و لكنني مأمور و
 قال لي : « و سيعلم الذين ظلموا أي متقلب ينقلبون » ^(١).

و منه قال محمد بن الفرغ الرُّحَجي : إن أبا الحسن عليه السلام كتب إليّ يا محمد اجمع
 أمرك و خذ حذرک ، فقال : أنا في جمع أمری لست أدري ما الذي أراد بما كتب به إليّ حتى
 ورد عليّ رسول فحملني من مصر مصفداً بالحديد و ضرب عليّ كل ما أملك فمكثت في
 السجن ثمان سنين ، ثم ورد عليّ كتاب منه وأنا في السجن : يا محمد لا تنزل في ناحية
 الجانب الغربي ، فقرأت الكتاب و قلت في نفسي : يكتب أبو الحسن إليّ بهذا وأنا
 في السجن إن هذا لعجب فما مكثت إلا أياماً يسيرة حتى أفرج عني و حلّت

قيودي وخلي سبيلي ، قال : فكنتب إليه بعد خروجي أسأله أن يسأل الله أن يرد ضياعي علي قال : فكنتب إلي سوف ترد عليك ضياعك ولا يضرك أن لا ترد عليك . قال علي بن محمد النوفلي : فلما شخص محمد بن الفرج الرُّخْجِي إلى العسكر كتب له برد ضياعه فلم يصل الكتاب حتى مات (١) .

و منه عن زيد بن علي بن الحسين بن زيد قال : مرضت فدخل الطبيب علي ليلاً ووصف لي دواء آخذه في السحر كذا وكذا يوماً فلم يمكنني تحصيله من الليل وخرج الطبيب من الباب وورد صاحب أبي الحسن عليه السلام في الحال ومعه صرة فيها ذلك الدواء بعينه ، فقال لي : أبو الحسن عليه السلام يقرئك السلام ويقول : خذ هذا الدواء كذا وكذا يوماً فأخذه وشربته فبرأت ، فقال محمد بن علي : فقال لي زيد بن علي : يا محمد أين الغلاة من هذا الحديث (٢) .

و منه عن صالح بن سعيد قال : دخلت على أبي الحسن عليه السلام يوم وروده سر من رأى بأمر المتوكل فقلت له : جعلت فداك في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع ، خان الصعاليك ، فقال : ههنا أنت يا ابن سعيد ، ثم أومأ بيده فإذا أنابروضات أنقات ، وأنهار جاريات ، وجنات فيها خيرات عطرات ، وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون ، فحار بصري وكثرت عجبتي فقال لي : حيث كنا فهذا لنا يا ابن سعيد لسنا في خان الصعاليك (٣) .

قال المفيد - رحمه الله - : (٤) وأقام أبو الحسن عليه السلام مدة مقامه في سر من رأى مكرماً في ظاهر الحال ، يجتهد المتوكل في إيقاع حيلة به فلا يتمكن من ذلك ، وله معه أحاديث يطول بذكرها الكتاب فيها آيات وبيِّنات إن قصدنا لا يرادها خرنا عن الغرض فيما نحن فيه .

وهن دلائل الحميري عن الحسن بن علي الوشاء قال : حدثني أم محمد مولاة الرضا عليه السلام قالت : جاء أبو الحسن عليه السلام حتى جلس في حجر أم أبيها بنت موسى

(٢) المصدر ص ٣١٢ .

(١) الارشاد ص ٣١٠ .

(٣) و (٤) المصدر ص ٣١٤ .

عَلِيٍّ فَقَالَتْ لَهُ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ لَهَا : مَاتَ أَبِي وَاللَّهِ السَّاعَةَ ، فَقَالَتْ لَهُ : لَا تَقْتُلْ هَذَا ، قَالَ : هُوَ وَاللَّهِ مَا أَقُولُ لَكَ ، فَكَتَبْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ فَجَاءَتْ وَفَاةَ أَبِي جَعْفَرَ عَلِيٍّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ (١) .

وَمِنْهُ عَنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْهَيْثَمِ قَالَتْ : كُنْتُ فِي دَارِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ فِي الْوَقْتِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ جَعْفَرُ فَرَأَيْتُ أَهْلَ الدَّارِ قَدِ سَرُّوا بِهِ فَصُرْتُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَرِبْهُ سُرُوراً ، فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي مَا لِي أَرَاكَ غَيْرَ مَسْرُورٍ ، فَقَالَ : هُوْنَ عَلَيْكَ فَسَيُضِلُّ بِه خَلْقٌ كَثِيرٌ (٢) .

وَمِنْهُ عَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْحَجَّالِ قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ أَنَا فِي خِدْمَتِكَ وَأَصَابَنِي عِلَّةٌ فِي رِجْلِي لِأَقْدَرِ عَلَى النَّهْوِ وَالْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ ، فَانْ رَأَيْتُ أَنْ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ عِلَّتِي وَيُعِينَنِي عَلَى الْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ عَلَيَّ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فِي ذَلِكَ ، وَيَجْعَلَنِي مِنْ تَقْصِيرِي مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ مِنِّي ، وَتَضْيِيعِ مَالِ أَعْمَدِهِ مِنْ نَسِيَانٍ يَصِيبُنِي فِي حَلِّ ، وَيُوسِّعَ عَلَيَّ ، وَتَدْعُو لِي بِالثَّبَاتِ عَلَى دِينِهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ ، فَوَقَّعَ كَشْفَ اللَّهِ عَنْكَ وَعَنْ أَبِيكَ ، قَالَ : وَكَانَ بِأَبِي عِلَّةٌ وَلَمْ أَكْتُبْ فِيهَا فِدْعَالَهُ ابْتِدَاءً (٣) .

وَمِنْ كِتَابِ الرَّؤُودِيِّ (٤) حَدَّثَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ إِصْفَهَانَ مِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ النَّضْرِ وَأَبُو جَعْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلَوِيَّةَ قَالُوا : كَانَ بِإِصْفَهَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَكَانَ شَيْعِيًّا ، فَقِيلَ لَهُ : مَا السَّبَبُ الَّذِي أُوجِبُ عَلَيْكَ الْقَوْلَ بِإِمَامَةِ عَلِيِّ النَّقِيِّ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ ؟ فَقَالَ : شَاهَدْتُ مَا يُوجِبُ عَلَيَّ وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ رَجُلًا فَقِيرًا وَكَانَ لِي لِسَانٌ وَجِرَاءَةٌ ، فَأَخْرَجَنِي أَهْلُ إِصْفَهَانَ سَنَةً مِنَ السَّنِينَ مَعَ قَوْمٍ آخَرِينَ ، فَجِئْنَا إِلَى بَابِ الْمُتَوَكَّلِ مُتَطَلِّمِينَ ، وَكَتَابِيَابِ الْمُتَوَكَّلِ يَوْمًا إِذْ خَرَجَ الْأَمْرُ بِإِحْضَارِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّضَاءِ عَلِيٍّ فَقُلْتُ لِبَعْضِ مَنْ حَضَرَ : مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدَّامَ رِجْلَيْهِ حَضَارُهُ ؟ فَقِيلَ : هَذَا رَجُلٌ عَلَوِيٌّ يَقُولُ الرَّفْضَةَ بِإِمَامَتِهِ ، ثُمَّ قِيلَ : وَتَقَدَّرَ أَنْ الْمُتَوَكَّلَ

(٣) المصدر ص ٢٩٦ .

(١) و (٢) كشف الغمة ص ٢٩٥ .

(٤) الخرائج والجرائح ص ٢٠٩ و ٢١٠ .

يحضره للمقتل ، فقلت : لأبرح من ههنا حتى أنظر إلى هذا الرجل أي رجل هو ، قال : فأقبل راكباً على فرس وقد قام الناس صفين يمنة الطريق ويسرتها ينظر إليه فلما رأته وقع حبه في قلبي وجعلت أدعو له في نفسي بأن يدفع الله عنه شر المتوكل فأقبل يسير بين الناس وهو ينظر إلى عرف دابته لا يلتفت وأنا دائم الدعاء له ، فلما صار إلي أقبل عليّ بوجهه و قال : استجاب الله دعائك ، وطول عمرك ، وكثر مالك و ولدك ، قال : فارتعدت و وقعت بين أصحابي فسألوني ما شأنك ؟ فقلت : خير ولم أخبرهم ، فانصرفنا بعد ذلك إلى إصفهان ففتح الله عليّ وجوهاً من المال حتى أنني أغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم سوى مالي خارج داري ، ورزقت عشرة من الأولاد و قد بلغت من عمري نيفاً وسبعين سنة و أنا أقول بإمامة هذا الذي علم ما في قلبي و استجاب الله دعاه لي .

و منه ما روي عن يحيى بن هرثمة قال : دعاني المتوكل و قال : اختر ثلاثمائة رجل ممن تريد و اخرجوا إلى الكوفة فخلفوا أثقالكم فيها و اخرجوا على طريق البادية إلى المدينة و أحضروا عليّ بن محمد بن الرضا إلى عندي مكرماً معظماً مبجلأ ، قال : ففعلت و خرجنا و كان في أصحابي قائد من الشراة و كان لي كاتب متشيّع وأنا على مذهب الحشوية و كان الشاري يناظر الكاتب و كنت أستريح إلى مناظرتهما لقطع الطريق ، فلما صرنا وسط الطريق قال الشاري للكاتب : أليس من قول صاحبكم عليّ بن أبي طالب : « ليس من الأرض بقعة إلا وهي قبر أو سيكون قبراً » فانظر إلى هذه البرية العظيمة أين من يموت فيها حتى يملأها الله قبوراً كما تزعمون ؟ قال : فقلت للكاتب : أهذا من قولكم ؟ قال : نعم ، فقلت : أين من يموت في هذه البرية حتى تمتلي قبوراً و تضاحكنا ساعة إذا انخذل الكاتب في أيدينا و سناحتي دخلنا المدينة فقصدت باب أبي الحسن عليه السلام فدخلت إليه و قرأ كتاب المتوكل فقال : أنزلوا فليس من جهتي خلاف ، فلما صرت إليه من الغد و كنا في تموز أشد ما يكون من الحر فاذا بين يديه خياط وهو يقطع خفاتين ^(١) من ثياب غلاظ له و لعلمانه

(١) الخفتان ضرب من الثياب جمعه خفاتون والكلمة من الدخيل .

و قال للخياط : اجمع عليها جماعة من الخياطين و اعمل على الفراغ منها يومك هذا و بكر بها إلي في هذا الوقت ، و نظر إلي و قال : يا يحيى اقضوا و طركم من المدينة في هذا اليوم و اعمل على الرحيل غداً في هذا الوقت ، فخرجت من عنده و أنا أتعجب منه و من الخفيتين ، و أقول في نفسي : نحن في تموز و حرّ الحجاز و بيننا و بين العراق عشرة أيام فما يصنع بهذه الثياب و قلت في نفسي : هذا رجل لم يسافر و هو يقدر أن كل سفر يحتاج إلى هذه الثياب و أتعجب من الرّوافض حيث يقولون با مامة هذا مع فهمه هذا فعدت إليه في الغد في ذلك الوقت فاذا الثياب قد أحضرت و قال لغلمايه : ارحلوا و خذوا لنا معكم لباييد و برانس ، ثم قال : ارحل يا يحيى ، فقلت في نفسي : و هذا أعجب من الأوّل أيخاف أن يلحقنا الشتاء في الطريق حتى آخذ معه اللباييد و البرانس و خرجت و أنا استصغر فهمه ، فسرنا حتى إذا وصلنا إلى موضع المناظرة في القبور ارتفعت سحابة و اسودّت و أبردت و أبرقت حتى إذا صارت على رؤوسنا أرسلت على رؤوسنا برداً مثل الصخور و قد شدّ على نفسه و على غلمايه الخفيتين ، و لبسوا اللباييد و البرانس و قال لغلمايه : ادفعوا إلي يحيى لباداة و إلي الكاتب برنساء و يجمعنا و البرد يأخذنا حتى قتل من أصحابي ثمانين رجلاً و زالت و عاد الحرّ كما كان ، فقال لي : يا يحيى أنزل من بقي من أصحابك فادفن من مات منهم فهكذا يملأ الله البرية قبوراً ، قال : فرميت بنفسي من دابتي و عدوت إليه فقبلت رجله و ركابه و قلت : أنا أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً صلى الله عليه و آله و سلم عبده و رسوله ، و أنكم خلفاء الله في أرضه فقد كنت كافراً و قد أسلمت الآن على يدك يا مولاي ، قال يحيى : و تشيعت و ألزمت خدمته إلى أن مضى ^(١).

و منه أن هبة الله بن أبي منصور الموصلّي قال : كان بديار ربيعة نصرانيّ يسمّى يوسف بن يعقوب و كان بينه و بين والدي صداقة ، قال : فوافانا فنزل عند والدي فقال له والدي : فيم قدمت في هذا الوقت ؟ قال : دُعيت إلى حضرة المتوكل و لا أدري ما يراد منّي إلا أنني اشتريت نفسي من الله بمائة دينار و قد حملتها عليّ

(١) الخرائج ص ٢١٠ و كشف الغمّة ص ٢٩٧ .

ابن محمد بن الرضا عليه السلام معي فقال له والدي : قد وفقت في هذا وخرج إلى حضرة المتوكل وجاءنا بعد أيام قلائل فرحاً مستبشراً فقال له والدي : حدثني حديثك قال : صرت إلى سر من رأى و ما دخلتها قط فنزلت في دار و قلت : يجب أن أوصل هذه المائة دينار إلى ابن الرضا قبل مصيري إلى باب المتوكل وقبل أن يعرف أحد قدمي و عرفت أن المتوكل قد منعه من الركوب و إنه ملازم لداره ، فقلت : كيف أصنع رجل نصراني يسأل عن دار ابن الرضا لا آمن أن ينزدي بي : فيكون ذلك زيادة فيما أحاذره و قال : تفكرت ساعة في ذلك فوقع في قلبي أن أركب حماري و أخرج في البلد فلا أمنعه حيث يذهب لعلي أقف على معرفة داره من غير أن أسأل أحداً ، فجعلت الدنانير في كاغذ وجعلتها في كمّي و ركبت فكان الحمار ينحرف في الشوارع والأسواق يمر حيث يشاء إلى أن صرت إلى باب دار فوقف الحمار فجهدت أن يزول فلم يزل ، فقلت للغلام : سل لمن هذه الدار فسأل فقيل : دار ابن الرضا ، فقلت : الله أكبر دلالة والله مقنعة ، قال : فاذا خادم أسود قد خرج وقال : أنت يوسف بن يعقوب قلت : نعم ، قال : فأنزل فأقعدني في الد هليز ودخل ، فقلت : هذه دلالة أخرى من أين عرف اسمي واسم أبي و ليس في البلد من يعرفني و لا دخلته قط ، فخرج الخادم فقال : المائة دينار التي في كمك في الكاغذاتها ، فناولته إيها ، و قلت : هذه الثالثة ، وجاء فقال : ادخل فدخلت وهو وحده ، فقال : يا يوسف ما بان لك فقلت : يا مولاي قد بان لي من البرهان ما فيه كفاية لمن اكتفى ، فقال : هيات إنك لا تسلم ولكن سيسلم ولدك فلان وهو من شيعتنا ، يا يوسف إن أقواماً يزعمون أن ولايتنا لا تنفع أمثالك كذبوا و الله إنها لتتفع امض فيما وافيت له فانك ستري ما تحب فمضيت إلى باب المتوكل ونلت كل ما أردت و انصرفت ، قال هبة الله : فلقيت ابنه بعد هذا وهو مسلم حسن التشيع فأخبرني أن أباه مات على النصرانية و أنه أسلم بعدموت أبيه ، و كان يقول : أنا مؤمن ببشارة مولاي عليه السلام (١) .

و منه قال أبو هاشم الجعفري : إنه ظهر برجل من سر من رأى برص

(١) الغرائب والجرائح ص ٢١٠ وفي الكشف ص ٢٩٧ .

فتنغص عيشه فأشار عليه أبو علي الفهرري بالتعرض لأبي الحسن عليه السلام وأن يسأله الدعاء فجلس له يوماً فرآه فقام إليه فقال : تنح عافاك الله ، وأشار إليه بيده تنح عافاك الله - ثلاث مرّات - فانخذل ولم يجسر أن يدنو منه و انصرف فلقي الفهرري وعرفه ما قال ، قال : قد دعالك قبل أن تسأله فاذهب إنك ستعافي فذهب وأصبح وقد برأ (١) .

و منه عن زرّافة حاجب المتوكل قال : وقع مشعب هندي يلعب بالحقّة لم ير مثله وكان المتوكل لعباً فأراد أن يخجل علياً عليه السلام فقال للمتوكل : إن أخجلته فلك ألف دينار ، قال : فتقدّم أن يخبز رقاق خفاف يجعل على المائدة و أنا إلى جنبه ففعل و حضر علي عليه السلام للطعام و جعل له مسورة عليها صورة أسد و جلس اللاعب إلى جنب المسورة فمدّ علي عليه السلام يده إلى رقاقة فطيرها اللاعب كذا - ثلاث مرّات - فتضحكوا فضرب علي عليه السلام يده على تلك الصورة ، و قال : خذه فوثبت من المسورة وابتلعت بالرجل و عادت إلى المسورة فيحيروا و نهض علي بن محمد عليه السلام فقال له المتوكل : سألتك بالله إلا جلست ورددته فقال : والله لا يرى بعدها أتسلط أعداء الله على أوليائه ، وخرج من عنده ولم ير الرجل بعدها (٢) .

و منه قال أبوهاشم الجعفري : كان للمتوكل بيت فيه شباك وفيه طيور مصوّتة فإذا دخل إليه أحد لم يسمع ولم يسمع فإذا دخل علي عليه السلام سكنت جميعاً فإذا خرج عادت إلى حالها (٣) .

و منه حديث زينب الكذّابة الذي ذكرناه في أخبار الرضا عليه السلام فإنه رواه عن الهادي عليه السلام (٤) .

و منه روي ابن أورمة قال : خرجت إلى سرّ من رأى أيام المتوكل فدخلت إلى سعيد الحاجب و دفع المتوكل أبا الحسن عليه السلام إليه ليقتله ، فقال : تحب أن

(١) الخرائج ص ٢١٠ وفيه د فانصرف الرجل الى بيته فبات تلك الليلة فلما أصبح

لم برعلى بدنه شيئاً من ذلك ، ولكن في كشف الغمة ص ٢٩٧ كما في المتن .

(٢) الخرائج ص ٢١٠ و كشف الغمة ص ٢٩٧ .

(٣) و (٤) كشف الغمة ص ٢٩٨ .

تنظر إلى إلهك؟ فقلت: سبحان الله إلهي لا تدركه الأبصار، فقال: الذي تزعمون أنه إمامكم، قلت: ما أكره ذلك، قال: قد أمرت بقتله وأنا فاعله غدأفاً إذا خرج صاحب البريد فادخل عليه، فخرج ودخلت وهو جالس وهناك قبر يحفر فسلمت عليه وبكيت بكاء شديداً، فقال: ما يبكيك؟ قلت: ما أرى، قال: لا تبك إنه لا يتم لهم ذلك وإنه لا يلبث أكثر من يومين حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه، فوالله ما مضى غير يومين حتى قتل^(١).

و منه أن أبا محمد الطبري قال: تمنيت أن يكون لي خاتم من عنده عليه السلام فجاءني نصر الخادم بدرهمين فصغتها خاتماً ودخلت على قوم يشربون الخمر فتعلقوا بي فشربت قدحاً أو قدحين وكان ضيقاً في أصبعي لا يمكنني إدارته للوضوء، فأصبحت وقد افتقدته فنبت إلى الله تعالى^(٢).

و منه أن المتوكل عرض عسكره وأمر أن كل فارس يملأ مخلاة فرسه طيناً ويطر حوه في موضع واحد، فصار كالجبل واسمه تل المخالي، وصعد هو وأبو الحسن عليهما السلام، قال: إنما طلبتكم لتشهد خيولي، وكانوا البسوا التجافيف وحملوا السلاح وقد عرضوا بأحسن زينة وأتم عدة وأعظم هيبة وكان غرضه كسر قلب من يخرج عليه وكان يخاف من أبي الحسن عليه السلام أن يأمر أحداً من أهل بيته بالخروج عليه، فقال له أبو الحسن عليه السلام: فهل أعرض عليك عسكري؟ قال: نعم، فدعا الله سبحانه فإذا بين السماء والأرض من المشرق إلى المغرب ملائكة مدججون فغشي على الخليفة فلما أفاق قال له أبو الحسن عليه السلام: نحن لانافسكم في الدنيا فإنا مشغولون بالآخرة فلا عليك شيء، مما تظن^(٣).

و منه روي عن محمد بن الفرج قال: قال لي علي بن محمد عليه السلام إذا أردت أن تسأل مسأله فإكتبها وضع الكتاب تحت مصلاك ودعه ساعة ثم أخرجه وانظر فيه، قال: ففعلت فوجدت جواب المسألة موقفاً فيه^(٤).

و منه روى أبو سعيد سهل بن زياد قال: حدثنا أبو العباس فضل بن أحمد بن

(١) إلى (٤) كشف الغمة ص ٢٩٨.

إسرائيل الكاتب ونحن في داره بسر من رأى فجری ذکر أبي الحسن عليه السلام فقال :
يا أباسعيد احدثك بشيء حدثني به أبي قال : كنا مع المنتصر و أبي كاتبه فدخلنا
والمتوكل على سريريه فسلم المنتصر و وقف و وقفت خلفه ، وكان إذا دخل رحب به
و أجلسه فأطال القيام و جعل يرفع رجلاً و يضع أخرى وهو لا يأذن له في القعود
و رأيت وجهه يتغير ساعة بعد ساعة و يقول للفتح بن خاقان : هذا الذي تقول فيه
ما تقول وترد علي القول والفتح يسكنه و يقول : هو مكذوب عليه و هو يتلظي
و يستشيط و يقول : و الله لأقتلن هذا المرابي الزنديق فهو الذي يدعي الكذب
و يطعن في دولتي ، ثم طلب أربعة من الخزر أجلاً و دفع إليهم أسياً و أمرهم أن
يقتلوا أبا الحسن عليه السلام إذا دخل ، و قال : و الله لأحرقتنه بعد قتله ، و أنا قائم خلف
المنتصر من وراء الستر فدخل أبو الحسن عليه السلام و شفتاه يتحرران و هو غير مكثوث
ولا جازع ، فلما رآه المتوكل رمى بنفسه عن السرير إليه و انكب عليه يقبل بين
عينيه و يديه و احتمل شقته بيده ، و هو يقول : ياسيدي يا ابن رسول الله يا خير خلق الله
يا ابن عمي يا و لاي يا أبا الحسن ، و أبو الحسن عليه السلام يقول : أعيذك يا أمير المؤمنين بالله
من هذا ، فقال : ما جاء بك ياسيدي في هذا الوقت ؟ قال : جاءني رسولك قال : كذب
ابن الفاعلة ارجع ياسيدي ، يافتح يا عبيد الله يا منتصر شي عواسيدكم و سيدي ، فلما
بصر به الخزر خرّوا و سجدوا ، فدعاهم المتوكل و قال : لم لم تفعلوا ما أمرتكم به قالوا :
شدة هيبتة و رأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن نتأملهم و امتلات قلوبنا
من ذلك و قال : يا فتح هذا صاحبك و ضحك في وجهه و قال : الحمد لله الذي بيض
وجهه و أنار حجته ^(١).

و من أعلام الطبرسي قال : أبو هاشم الجعفري : كنت بالمدينة حين
مرّ بها بغاء أيام الواصل في طلب الأعراب فقال أبو الحسن عليه السلام : أخرجوا بنا حتى
ننظر إلى تعبئة هذا التركي فخرجنا فمرّ بنا تعبئته و مرّ بنا تركي و كلمه
أبو الحسن عليه السلام بالتركية ، فنزل عن فرسه و قبل حافر دابته ، قال : فقلت

للتركي: ما قال لك؟ قال: أنبي هو؟ قلت: لا، قال: دعاني باسم سميت به في صغري في بلاد الترك ما علمه أحدٌ إلى الساعة (١).

و عنه قال: دخلت إلى أبي الحسن عليه السلام فكلمني بالهنديّة فلم أحسن أن أردّ عليه، وكان بين يديه حصي فأخذ حصاة تركها في فمه ومصّها ثلاث مصّات، فدفعها إليّ فوضعتها في فمي، فو الله ما برحت من عنده حتّى تكلمت بثلاثة وسبعين لساناً أولها الهنديّة (٢).

و عنه قال: خرجت معه عليه السلام إلى ظاهر سرّ من رأى نتلقّى بعض الطالبين فأبطأ حرسه فطرحته له غاشية السرج، فجلس عليها ونزلت فجلست بين يديه، وهو يحدثني فشكوت إليه قصور يدي فأهوى بيده إلى رمل كان عليه جالساً فناولني منه أكفاً، و قال: اتسع بهذا أبا هاشم و اكنم ما رأيت، فخبأته معي و رجعنا فأبصرته فاذا هو يتقد كالنيران ذهباً أحمر، فدعوت صائغاً إلى منزلي و قلت له: أسبك لي هذا، فسبك فقال: ما رأيت ذهباً أجود من هذا و هو كالرمل، فمن أين لك هذا؟ فما رأيت أعجب منه، قلت: لنا من قديم مذخور (٣).

و منه حدّث أبو طاهر الحسين بن عبد القاهر الطاهري قال: حدّثنا محمد بن الحسين الأشتر العلوي قال: كنت على باب المتوكّل و أنا صبي في جمع من الناس ما بين طالبي إلى عباسي إلى جندي وكان إذا جاء أبو الحسن عليه السلام ترجل الناس كلهم حتّى يدخل، فقال بعضهم لبعض: لم ترجل لهذا الغلام و ما هو بأشرفنا ولا بأكبرنا سنّاً والله لا ترجلنا له، فقال أبو هاشم الجعفري: والله لنترجلن له صاغرين إذا رأيتموه، فما هو إلا أن أقبل حتّى ترجلوا أجمعين، فقال أبو هاشم: أليس زعمتم أنكم لا ترجلون، فقالوا: والله ما ملكنا أنفسنا حتّى ترجلنا (٤).

و منه أولم بعض أولاد الخلفاء و ليمة فدعا أبا الحسن عليه السلام، و دعا الناس فلمّا رأوه أنصتوا إجلالاً له، و جعل شاب في المجلس لا يوقره و يتحدث و يضحك، فأقبل عليه فقال: يا هذا تضحك ملء فيك و تذهل عن ذكر الله و أنت بعد ثلاثة أيّام

(١) إلى (٤) المصدر ص ٣٤٣، وفي الكشف ص ٢٩٨ و ٢٩٩.

من أهل القبور ، قال : فقلنا : هذا دليلٌ ننظر ما يكون ، فأمسك الفتى وكف فطعمنا وخرجنا ، فلما كان بعد يوم اعتل الفتى ومات في اليوم الثالث ودفن فيه ^(١) .
 و منه قال : سعيدٌ اجتمعنا في وليمة لبعض أهل سر من رأى و أبو الحسن عليه السلام معنا ، فجعل رجل يعبث ويمزح ولا يرى له جلاله ، فأقبل على جعفر وقال :
 أما إنّه لا يأكل من هذا الطعام وسيرد عليه من خبر أهله ما ينغص عيشه فلما قدّمت المائدة قال جعفر : ليس بعد هذا خبرٌ فوالله لقد غسل الرجل يده وأهوى إلى الطعام فدخل غلامه يبكي ويصرخ وقال : الحق أمك فقد وقعت مع السطح وهي في الموت ، قال جعفر : فقلت : والله لا وقعت بعد هذا فيه وقطعت عليه ^(٢) .
 قال الطبرسي : والروايات في هذا الباب كثيرة و فيما أوردناه كفاية .

﴿ ذكر طرف من أخلاق الامام العاды عشر ﴾

﴿ أبي محمد ابن علي العسكري عليه السلام وصفاته وكراماته ﴾

قال ابن طلحة ^(٣) إن المنقبة العليا ، والمزية الكبرى ، التي خصّه الله جلّ وعلا بها ، فقلده فريدها ، و منحه تقليدها ، و جعلها صفة دائمة له لا يبلى الدهر حديدها ، ولا تنسى الألسن تلاوتها و ترديدها ، أن المهدي نسله المخلوق منه ، و ولده المنتسب إليه ، وبضعته المنفصلة عنه . و ذكر أن لقبه : الخالص .
 و قال الطبرسي ^(٤) : ولقبه الهادي والسراج و العسكري ، قال : وكان عليه السلام هو وأبوه وجدّه يعرف كل منهم في زمانه بأبن الرضا .

و روى شيخنا المفيد - رحمه الله - ^(٥) عن أبي بكر الفهفكي قال : كتب إلي أبو الحسن عليه السلام : أبو محمد ابني أصح آل محمد غريزة وأوثقهم حجّة و هو الأكبر من ولدي وهو الخلف وإليه تنتهي عرى الامامة وأحكامنا فما كنت تسألني عنه فاسأله عنه فعنده ما تحتاج إليه .

(١) و (٢) الاعلام ص ٣٤٣ ، وفي الكشف ص ٢٩٨ و ٢٩٩ .

(٣) مطالب السؤل ص ٨٨ . (٤) اعلام الوری ص ٣٤٩ .

(٥) الارشاد ص ٣١٧ .

و عن الحسن بن محمد الأشعري ، و محمد بن يحيى ، وغيرهما قالوا : كان أحمد ابن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقم ، فجرى يوماً في مجلسه ذكر العلوية ومذاهبهم و كان شديد النصب و الانحراف عن أهل البيت عليهم السلام فقال : ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن عليّ بن محمد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه و نبله و كبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة ، و تقديمهم إياه على ذي السنّ منهم والخطر ، و كذلك كانت حاله عند القواد و الوزراء وعامة الناس فأذكر أنني كنت يوماً قائماً على رأس أبي و هو يوم مجلسه للناس إذ دخل حجّابه فقالوا : أبو محمد ابن الرضا بالباب ، فقال بصوت عال : ائذنوا له فعجبت ممّا سمعت منهم و من جسارتهم أن يكتنوا رجلاً بحضرة أبي ولم يكن يكنى عنده إلا خليفة أو وليّ عهد ، أو من أمر السلطان أن يكنى عنده ، فدخل رجل أسمر حسن القامة ، جميل الوجه ، جيّد البدن ، حديث السنّ ، له جلاله وهيئة حسنة فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطأ ، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد ، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه و صدره ، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه ، و جلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه يكلمه ويفديه بنفسه و أنا متعجب ممّا أرى منه إذ دخل الحاجب فقال : الموفق قد جاء ، و كان الموفق إذا دخل على أبي تقدّمه حجّابه وخاصة قوادّه فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار ساطين إلى أن يدخل ويخرج ، فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد يحدثه حتّى نظر إلى غلمان الخاصة فقال حينئذ له إذا شئت جعلني الله فداك ، ثمّ قال لحجّابه : خذوا به خلف الساطين لا يراه هذا ، يعني الموفق فقام وقام أبي وعانقه ومضى ، فقلت لحجّاب أبي وغلمانته : ويلكم من هذا الذي كنيتموه بحضرة أبي و فعل به أبي هذا الفعل ، فقالوا : هذا علويّ يقال له : الحسن بن عليّ ، يعرف بابن الرضا فازددت تعجباً ولم أزل يومي ذلك قليلاً متفكراً في أمره و أمر أبي و ما رأيت منه حتّى كان الليل ، و كانت عادته أن يصلّي العتمة ثمّ يجلس فينظر ما يحتاج إليه من المؤامرات و ما يرفعه إلى السلطان ، فلما صلّى و جلس جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال : يا أحمد لك حاجة ؟

قلت : نعم يا أبه فإن أذنت لي سألتك عنها قال : قد أذنت ، قلت : يا أبه من الرجل الذي رأيته بالغداة فعلت به ما فعلت من الاجلال و الكرامة و التبجيل و فديته بنفسك و أبويك ؟ قال : يا بني ذلك إمام الرأفة الحسن بن علي المعروف بابن الرضا ثم سكت ساعة و أنا ساكت ثم قال : يا بني لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره ، لفضله و عفافه و هديه و صيانتة و زهده و عبادته و جميل أخلاقه و صلاحه و لو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً ، فازددت قلقاً و غيظاً و تفكراً على أبي و ما سمعته منه فيه و رأيت من فعله به ، فلم يكن لي همّة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره و البحث عن أمره ، فمأسألت أحداً من بني هاشم و القواد و الكتاب و القضاة و الفقهاء و سائر الناس إلا وجدته عنده في غاية الاجلال و الإعظام ، و المحل الرفيع ، و القول الجميل ، و تقدمه له على جميع أهل بيته و مشايخه ، فعظم قدره عندي إذ لم أر له ولياً و لا عدواً إلا وهو محسن القول فيه و الثناء عليه - الحديث بطوله - (١) .

﴿ فصل ﴾

﴿ واما كراماته عليه السلام ﴾

فمن إرشاد المفيد - رحمه الله - (٢) كتب أبو محمد عليه السلام إلى أبي القاسم إسحاق بن جعفر الزبيرى قبل موت المعتز بنحو من عشرين يوماً ألزم بيتك حتى يحدث الحادث فلماً قتل بريحه كتب إليه قد حدث الحادث فمات أمرني ؟ فكتب إليه ليس هذا الحادث ، الحادث الآخر ، فكان من المعتز ما كان . قال : و كتب إلى رجل آخر يُقتل محمد بن داود قبل قتله بعشرة أيام ، فلماً كان في اليوم العاشر قُتل .

و منه عن محمد بن علي بن إبراهيم بن موسى بن جعفر قال : ضاق بنا الأمر فقال أبي : امض بنا حتى نصير إلى هذا الرجل يعني أبا محمد عليه السلام فإنه قد وصف عنه

(١) راجع الارشاد ص ٣١٨ الى ٣٢٠ .

(٢) ارشاد المفيد ص ٣٢٠ .

سماحة ، فقلت : تعرفه ؟ قال : ما أعرفه ولا رأيته قط ، قال : فقصدناه فقال أبي وهو في طريقه : ما أحوجنا إلى أن يأمرنا بخمسمائة درهم مائتي درهم للكسوة ، و مائتي درهم للدقيق ، ومائة درهم للنفقة ، وقلت في نفسي : ليته أمر لي بثلاثمائة درهم مائة أشتري بها حاراً ، ومائة للنفقة ، ومائة للكسوة ، فأخرج إلى الجبل . قال : فلما وافينا الباب خرج إلينا غلامه فقال : يدخل علي بن إبراهيم وعجده ابنه ، فلما دخلنا عليه وسلمنا قال لأبي : يا علي ما خلقتك عنا إلى هذا الوقت ؟ قال : يا سيدي استحييت أن ألقاك على هذا الحال ، فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبي صرة فيها دراهم و قال : هذه خمسمائة درهم مائتان للكسوة ، ومائتان للدقيق و مائة للنفقة ، وأعطاني صرة وقال : هذه ثلاثمائة درهم اجعل مائة في ثمن حمار ، ومائة للكسوة ، ومائة للنفقة ، ولا تخرج إلى الجبل و سر إلى سورا ، قال : فصار إلى سورا ، وتزوج امرأة منها فدخله اليوم ألف دينار و مع هذا يقول بالوقف ، قال عجة بن إبراهيم الكردي : فقلت له : ويحك أتريد أمراً أبين من هذا ؟ قال : فقال : صدقت ولكننا على أمر قد جرينا عليه (١) .

و منه عن أحمد بن الحارث القزويني قال : كنت مع أبي بسر من رأى و كان أبي يتعاطى البيطرة في مربوط أبي عجة عليه السلام قال : و كان عند المستعين بغل لم يرمثه حسناً و كبيراً و كان يمنع ظهره اللجام و كان قد جمع عليه الرواض فلم يكن لهم حيلة في ركوبه ، فقال له بعض ندمائه : يا أمير المؤمنين ألا تبعث إلى الحسن بن الرضا حتى يجيبني ، فأما أن يركبه و إما أن يقتله ، قال : فبعث إلى أبي عجة عليه السلام و مضى معه أبي ، فلما دخل أبو عجة الدار كنت مع أبي فنظر أبو عجة إلى البغل واقفاً في صحن الدار فعدل إليه فوضع يده على كفله ، قال : فنظرت إلى البغل وقد عرق حتى سال العرق منه ثم صار إلى المستعين فسلم عليه فرحب به و قرّب به و قال : يا أبا عجة ألجم هذا البغل فقال أبو عجة عليه السلام لأبي : ألجمه يا غلام ، فقال المستعين : ألجمه أنت ، فوضع أبو عجة طيلسانه و قام و ألجمه ثم رجع إلى مجلسه فجلس ، فقال : يا أبا عجة أسرجه

فقال لأبي : يا غلام أسرجه ، فقال : المستعين أسرجه أنت ، فقام ثانية فأسرجه ورجع إلى المجلس ، فقال له : ترى أن تركبه ؟ قال أبو محمد : نعم فركبه من غير أن يمتنع عليه ثم ركضه في الدار ثم حمله على الهملجة (٥) فمشى أحسن مشى ، ثم رجع فنزل فقال له المستعين : كيف رأيته ؟ قال : مارأيت مثله حسناً وراحة ، فقال له المستعين : فإن أمير المؤمنين قد حملك عليه ، فقال أبو محمد عليه السلام لأبي : يا غلام خذ فآخذه أبي فقاده (١).

و منه عن أبي هاشم الجعفري قال : شكوت إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام الحاجة ، فحك بسوطه الأرض فأخرج منها سبيكة نحو خمسمائة دينار ، وقال : خذها أبا هاشم وأعدرتنا (٢).

و منه عن أبي علي المطهري أنه كتب إليه من القادسية يعلمه انصراف الناس عن المضي إلى الحج وأنه يخاف العطش إن مضى ، فكتب إليه امض فلاخوف عليكم إن شاء الله . فمضى من بقي سالمين لم يجدوا عطشاً (٣).

و منه عن علي بن الحسن بن الفضل اليماني قال : نزل بالجعفرى من آل جعفر خلق كثير لا قبل له بهم فكتب إلى أبي محمد عليه السلام يشكو ذلك فكتب إليه تكفونهم إن شاء الله ، قال : فخرج إليهم في نفر يسير و القوم يزيدون على عشرين ألف نفس وهو في أقل من ألف فاستباحهم (٤).

و منه عن محمد بن إسماعيل العلوي قال : حبس أبو محمد عليه السلام عند علي بن أوتامش ، و كان شديد العداوة لآل محمد عليه السلام غليظاً على آل أبي طالب و قيل له : افعل به و افعل ، قال : فما قام إلا يوماً حتى وضع خدي له و كان لا يرفع بصره إليه إجلالاً له وإعظماً و خرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم قولاً فيه (٥).

و منه عن أبي هاشم الجعفري قال : شكوت إلى أبي محمد عليه السلام ضيق الحبس

(٥) الهملجة مشى شبيه الهرولة .

(١) ارشاد المفيد ص ٣٢١ .

(٢) الي (٥) الارشار ص ٣٢٢ وفي كشف الغمة ص ٣٠٣ .

و كلب القيد ، فكتب إليّ أنت مصلّ اليوم الظهر في منزلك فأخرجت وقت الظهر فصليت في منزلي كما قال ، و كنت مضيئاً فأردت أن أطلب منه معونة في الكتاب الذي كتبه إليه فاستحييت ، فلمآصرت إلى منزلي وجه إليّ بمائة دينار و كتب إليّ إذا كانت لك حاجة فلا يستحي ولا تحتشم واطلبها تأتلك على ما تحب إن شاء الله (١).

و منه عن أبي حمزة نصير الخادم قال : سمعت أبا محمد عليه السلام غير مرة يكلم غلامانه بلغاتهم و فيهم ترك و روم و صقلابة فتعجبت من ذلك و قلت : هذا ولد بالمدينة و لم يظهر لأحد حتى مضى أبو الحسن عليه السلام ولا رآه أحد فكيف هذا ؟ أحدث نفسي بذلك ، فأقبل عليّ وقال : إن الله جلّ اسمه أبان حجته من سائر خلقه ، وأعطاه معرفة كل شيء وهو يعرف اللغات والأسباب والحوادث ، ولولا ذلك لم يكن بين الحجّة والمججوج فرق (٢).

و منه عن الحسن بن ظريف قال : اختلج في صدري مسألان أردت الكتاب بهما إلى أبي محمد عليه السلام فكتبت إليه أسأله عن القائم إذا قام به يقضي ؟ و أين مجلسه الذي يقضي فيه بين الناس ؟ وأردت أن أسأله عن شيء لحمى الربيع فأغفلت عن ذكر الحمى ، فجاء الجواب سألت عن القائم فإذا قام قضى بين الناس بعلمه كقضاء داود لا يسأل البيئنة ، و كنت أردت أن تسأل عن حمى الربيع و أنسيت فكتب في ورقة وعلقه على المحموم « يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » فكتبت ذلك وعلقته على المحموم فأفاق وبرأ (٣).

و منه عن إسماعيل بن محمد بن عليّ بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن العباس قال : قعدت لأبي محمد عليه السلام على ظهر الطريق فلما مرّ بي شكوت إليه الحاجة وحلفت أنه ليس عندي درهم واحد فما فوقه ولا غداء ولا عشاء قال : فقال: تحلف بالله كاذباً ؟ وقد دفنت مائتي دينار ، وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطيّة أعطه يا غلام ما معك ، فأعطاني مائة دينار ثم أقبل عليّ فقال : إنك تحرم الدنانير التي كنت دفنتها أحوج ما تكون إليها ، و صدق عليه السلام و ذلك أنني أنفقت ما وصلني به

(١) إلى (٣) الارشاد من ٣٢٢ و ٣٢٣ وفي كشف الغمة من ٣٠٥ و ٣٠٦ .

و اضطرت ضرورة شديدة إلى شيء، أنفقه و انغلقت علي أبواب الرزق فنبشت عن الدنانير التي كنت دفنتها فلم أجدها فنظرت فإذا ابن لي قد عرف موضعها فأخذها و هرب فما قدرت منها على شيء (١).

و منه عن علي بن زيد بن علي بن الحسين قال : كان لي فرسٌ و كنت به معجباً أكثر ذكره في المجالس و دخلت على أبي عبد الله يوماً فقال : ما فعل فرسك؟ فقلت : ها هو علي بابك الآن نزلت عنه فقال لي : استبدل به قبل المساء إن قدرت على مشطري لا تؤخر ذلك ، و دخل علينا داخل فانقطع الكلام ، ففقت مفكراً و مضيت إلى منزلي فأخبرت أخي فقال لي : ما أدري ما أقول في هذا ، و شححت به و نفست على الناس ببيعه و أمسينا ، فلما صلبنا العتمة جاءني السائب و قال : قد تنق فرسك الساعة ، فأغتمت و علمت أنه عنى هذا بذلك القول ، ثم دخلت على أبي عبد الله بعد أيام و أنا أقول في نفسي : ليته أخلف علي دابة ، فلما جلست قال قبل أن يحدث بشيء : نعم نخلف عليك ، يا غلام أعطه بزودني الكمية ثم قال : هذا خير من فرسك و أوطأ و أطول عمراً (٢).

و عن أحمد بن محمد قال : كتبت إلى أبي عبد الله حين أخذ المهدي في قتل الموالي يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنك فقد بلغني أنه يهددك و يقول : و الله لأجلينهم عن جديد الأرض ، فوقع أبو عبد الله بخطه ذلك أقصر لعمره ، و عد من يومك هذا خمسة أيام و يقتل في اليوم السادس بعد هوان و استخفاف بموته ، و كان كما قال (٣).

و منه قال : دخل العباسيون على صالح بن وصيف عند ما حبس أبو عبد الله فقالوا له : ضيق عليه و لا توسع فقال لهم صالح : ما صنع به قد و كلت به رجلين شر من قدرت عليه ، فقد صارا من العبادة و الصلاة و الصيام إلى أمر عظيم ثم أمر بأحضار الموكلين فقال لهما : و يحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا : ما نقول في رجل يصوم النهار و يقوم الليل كله لا يتكلم ، و لا يتشاغل بغير العبادة؟ فإذا نظر إلينا

(١) الإرشاد ص ٣٢٣ (٢) و (٣) كشف الغمة ص ٣٠٥ و ٣٠٦.

ارتعدت فرائضنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا ، فلما سمع العباسيون ذلك انصرفوا خائبين (١) .

و منه عن علي بن محمد ، عن جماعة من أصحابنا قالوا : سلم أبو محمد عليه السلام إلي تحرير وكان يضيّق عليه و يؤذيه فقالت له امرأته : اتق الله فانك لا تدري من في منزلك وذكرت له صلاحه وعبادته و قالت له : إنني أخاف عليك منه ، فقال : و الله لأرمينه بين السباع ثم استأذن في ذلك فأذن له فرمى به إليها ولم يشكّوا في أكلها له فنظروا إلى الموضوع ليعرفوا الحال فوجدوه عليه السلام قائماً يصلي و هي حوله فأمره بإخراجه إلى داره (٢) .

قال المفيد - رحمه الله - والرؤايات في هذا المعنى كثيرة وفيما أثبتناه كفاية فيما نحوناه إن شاء الله .

و من دلائل الحميري عن محمد بن عبد الله قال : لما أمر سعيد بحمل أبي محمد عليه السلام إلى الكوفة كتب إليه أبو الهيثم : جعلت فداك بلغنا خبر قلقنا و بلغ منا ، فكتب بعد ثلاث يأتيكم الفرج ، فقتل المعتز يوم الثالث (٣) قال : وانتهبت خزانه أبي الحسن عليه السلام بعد ماضى فأخبر بذلك فأمر بغلق الباب ثم دعا بحرمة و عياله فجعل يقول لواحد واحد : رد كذا و كذا ، يخبره بما أخذ . فردوا حتى ما فقد شيئاً (٤) .

و منه عن هارون بن مسلم قال : ولد لابني أحمد ابن فكنبت إلى أبي محمد عليه السلام و ذلك بالعسكر يوم الثاني من ولادته أسأله أن يسميه ويكنيه وكان يعجبني أن أسميه جعفرأ وكنيته بأبي عبد الله فوافاني رسوله في صبيحة اليوم السابع ومعه كتاب بأن سمّه جعفرأ وكنّه بأبي عبد الله و دعا لي (٥) .

و منه عن أبي هاشم الجعفري قال : كنت عند أبي محمد عليه السلام إذ دخل عليه

(١) و (٢) الارشاد ص ٢٢٤ وفي كشف الغمة ص ٣٠٥ و ٣٠٦ .

(٣) في كشف الغمة زادها « قال : وفقدله غلام صغير فلم يوجد فأخبر بذلك وقال :

اطلبوه من البركة فطلب فوجد في بركة الدارميتا » .

(٤) و (٥) كشف الغمة ص ٣٠٥ .

شابٌ حسن الوجه فقلت في نفسي : من هذا فقال أبو محمد : هذا ابن أمّ غانم صاحبة الحصاة التي طبع فيها آبائي و قد جاءني أطبع فيها هات حصاتك فأخرج حصاة فيها موضع أملس و طبع فيها بخاتم معه فانطبع ، واسم اليماني مهجع بن سفيان بن علم ابن أمّ غانم اليمانية (١).

و منه عن أبي هاشم الجعفري قال : دخلت على أبي محمد عليه السلام و أنا أريد أن أسأله ما أصوغ به خاتماً أتبرك به ، فجلست و أنسيت ما جئت له ثم لما ودعته و نهضت رمى إليّ بخاتم فقال لي : أردت فضة فأعطيناك خاتماً ربحت الفصّ والكرا. هناك الله يا أبا هاشم (٢).

و له عليه السلام مع أبي هاشم وغيره مخاطبات أخر و أخبارات عما في أنفسهم أوردها في الدلائل تركنا ذكرها مخافة التطويل .

و منه عن عمر بن أبي مسلم قال : كان سميع المسمعي يؤذيني كثيراً ، و يبلغني عنه ما أكره ، و كان ملاصقاً لداري ، فكتبت إليّ أبي محمد عليه السلام أسأله الدعاء بالفرج منه ، فرجع الجواب أبشر بالفرج منه سريعاً و أنت مالك داره فمات بعد شهر و اشترت داره فوصلتها بداري ببركته (٣).

و منه ، عن محمد بن عبدالعزيز البلخي قال : أصبحت يوماً فجلست في شارع الغنم فإذا أنا بأبي محمد عليه السلام قد أقبل من منزله يريد دار العامة فقلت في نفسي : ترى إن صحت أيها الناس هذا حجة الله عليكم فاعرفوه يقتلونني ؟ فلمّا دنا مني أوماً بأصبعه السبابة على فيه أن اسكت و رأيت تلك الليلة يقول : إنّما هو الكتمان أو القتل و اتق الله على نفسك (٤).

و منه عن عليّ بن محمد بن الحسن قال : وافت جماعة من الأهواز من أصحابنا و خرج السلطان إلى صاحب البصرة ، فخرجنا نريد النظر إلى أبي محمد عليه السلام فنظرنا إليه ماضياً معه و قد قعدنا بين الحائطين بسرّ من رأى فننظر رجوعه فرجع فلمّا حاذانا

(١) إلى (٢) كشف الغمة ص ٣٠٥ و ٣٠٦ .

(٣) إلى (٤) المصدر ص ٣٠٧ و ٣٠٨ .

وقرب منا ، وقف ومد يده إلى قلنسوته وأخذها عن رأسه وأمسكها بيده وأمر يده الأخرى على رأسه وضحك في وجه رجل منا فقال البرجل مبادراً : أشهد أنك حجة الله وخيرته ، فقلنا : يا هذا ما شأنك ؟ قال : كنت شاكاً فيه فقلت في نفسي : إن رجعت وأخذ القلنسوة عن رأسه قلت بإمامته (١) .

و منه حدث أبو القاسم كاتب راشد قال : خرج رجل من العلويين من سر من رأى في أيام أبي محمد عليه السلام إلى الجبل يطلب الفضل فتلقاه رجل بحلوان فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من سر من رأى قال : هل تعرف درب كذا وموضع كذا ؟ قال : نعم ، فقال : عندك من أخبار الحسن بن علي شيء ؟ قال : لا ، قال : فما أقدمك الجبل ؟ قال : طلب الفضل ، قال : فلك عندي خمسون ديناراً فأقبضها وانصرف معي إلى سر من رأى حتى توصلني إلى الحسن بن علي ، فقال : نعم ، فأعطاه خمسين ديناراً وعاد العلوي معه فوصلا إلى سر من رأى فاستأذنا على أبي محمد عليه السلام فأذن لهما فدخلوا وأبو محمد قاعد في صحن الدار فلما نظر إلى الجبلي قال : أنت فلان بن فلان ؟ قال : نعم قال : أوصي إليك أبوك وأوصي لنا بوصية فجئت تودّيها ومعك أربعة آلاف دينار هاتها ، فقال الرجل : نعم فدفعت إليه المال ، ثم نظر إلى العلوي فقال : خرجت إلى الجبل تطلب الفضل فأعطاك هذا الرجل خمسين ديناراً فرجعت معه ونحن نعطيك خمسين ديناراً فأعطاه (٢) .

ومن كتاب الرأوندي (٣) عن أحمد بن محمد ، عن جعفر بن الشريف الجرجاني قال : حججت سنة فدخلت على أبي محمد عليه السلام بسر من رأى وقد كان أصحابنا حملوا معي شيئاً من المال فأردت أن أسأله إلى من أذفعه ، فقال قبل أن قلت ذلك : ادفع ما معك إلى مبارك خادمي ، ففعلت وقلت : شيعتك بجرجان يقرئون عليك السلام قال : أولست منصرفاً بعد فراغك من الحج ؟ قلت : بلى قال : فإنك تصير إلى جرجان من يومك هذا إلى مائة وتسعين يوماً وتدخلها يوم الجمعة لثلاث ليال

(١) و (٢) كشف الغمة ص ٣٠٧ و ٣٠٨ .

(٣) الخرائج والجرائح ص ٢١٣ وفي الكشف ص ٣٠٨ .

مضين من ربيع الآخر في أول النهار ، فأعلمهم أنني أوا فيهم في ذلك اليوم آخر النهار فامض راشداً فإن الله سيسلمك ويسلم ما معك ، فتقدم على أهلك وولدك و يولد لولدك الشريف ابن فسّمه الصلت و سيبليغ و يكون من أوليائنا ، فقلت : يا ابن رسول الله إن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني و هو من شيعتك كثير المعروف إلي أوليائك يخرج إليهم في السنة من ماله أكثر من مائة ألف درهم و هو أحد المقلّبين في نعم الله عزّ وجلّ ، فقال : شكر الله لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل صنيعه إلى شيعتنا و غفر له ذنوبه و رزقه ذكراً سوياً قائلاً بالحقّ فقل له : يقول لك الحسن ابن عليّ : سمّ ابنك أحمد ، فانصرفت من عنده و حججت و سلّمني الله حتّى وافيت جرجان في يوم الجمعة أول النهار من شهر ربيع الآخر على ما ذكره عليه السلام وجاءني أصحابنا يهنّؤوني فأعلمتهم أن الإمام وعدني أن يوافيكم في آخر هذا اليوم فتأهبوا لما تحتاجون إليه وأعدوا مسائلكم وحوائجكم كلّها ، فلما صلّوا الظهر والعصر اجتمعوا كلّهم في داري فوالله ما شعرنا إلا وقد وافى أبو محمد عليه السلام فدخل و نحن مجتمعون فسلم هو أولاً علينا فاستقبلناه و قبلنا يده ثم قال : إنني كنت وعدت جعفر بن الشريف أن أوافيكم آخر هذا اليوم فصليت الظهر و العصر بسرّ من رأى و صرت إليكم لأجدد بكم عهداً وها أنا قد جئتمكم الآن ، فاجمعوا مسائلكم و حوائجكم كلّها فأول من انتدب المسألة النضر بن جابر فقال : يا ابن رسول الله إن ابني جابراً أصيب ببصره فادع الله أن يردّ عينه قال : فهاته ، فجاء به فمسح على عينه فعاد ببصره ثم تقدّم رجلٌ فرجل يسألونه حوائجهم فأجابهم إلى كلّ ما سألوه حتّى قضى حوائج الجميع و دعا لهم بخير وانصرف من يومه ذلك .

و منه عن عليّ بن زيد بن عليّ بن الحسين بن زيد بن عليّ قال : صحبت أبا محمد عليه السلام في دار العامّة إلى منزله فلما صار إلى داره و أردت الانصراف قال : امهل و دخل وأذن فدخلت فأعطاني مائة دينار وقال : اصرفها في ثمن جارية فإن جاريتك فلانة ماتت ، و كنت خرجت من المنزل و عهدي بها انشط ما كانت فمضيت ، فقال الغلام : ماتت جاريتك فلانة الساعة ، قلت : ما حالها ؟ قال : شربت ماء فشرقت

فماتت (١) .

و منه عن علي بن زيد قال : اعتلّ ابني أحمد فكتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله الدعاء فخرج توقيعه : أما علم علي أن لكلّ أجل كتاب ؟ فمات الابن (٢) .

و منه عن المحمودي قال : كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله الدعاء أن أرزق ولداً ، فوقع رزقك الله ولداً و أجراً فولد لي ابن و مات (٣) .

و منه عن محمد بن علي بن إبراهيم الهمداني قال : كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله أن يدعو الله أن أرزق ولداً ذكر آمن ابنة عمي ، فوقع رزقك الله ذكراً فولد لي أربعة (٤) .

و منه عن عمر بن محمد بن زياد الصيمري قال : دخلت على أبي محمد أحمد بن عبدالله بن طاهر و بين يديه رقعة أبي محمد عليه السلام و فيها أني نازلت الله في هذا الطاغية يعني المستعين وهو آخذه بعد ثلاث ، فلمّا كان اليوم الثالث خلع و كان من أمره ما كان (٥) .

و منه عن يحيى بن المرزبان النقيب و كان رجلاً من أهل السيب سيماه الخير و أخبرني أنه كان له ابن عمّ ينازعه في الإمامة و القول في أبي محمد و غيره فقلت : لا أقول به أو أرى علامة ، فوردت العسكر في حاجة فأقبل أبو محمد فقلت في نفسي : متعنّتاً إن مدّ يده إلى رأسه فكشفه ثمّ نظر إليّ و ردّه قلت به ، فلمّا حاذاني مدّ يده إلى رأسه فكشفه ثمّ برق عينه فيّ ، ثمّ قال : يا يحيى ما فعل ابن عمّك الذي تنازعه في الإمامة ؟ فقال : خلّفته صالحاً فقال : لا تنازعه و مضى (٦) .

و منه عنه أيضاً (٧) قال : كان لي على ابن عمّ لي عشرة آلاف درهم فكتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله الدعاء فكتب إليّ أنه رادّ عليك مالك و هو ميت بعد جمعة قال : فردّ عليّ ابن عمّي مالي فقلت له : ما بدالك في ردّه و قد منعته ؟ قال : رأيت

(١) إلى (٦) الخرائج ص ٢١٤ و ٢١٥ وفي الكشف ص ٣٠٨ و ٣٠٩ عن الخرائج

لكن ليست بعضها في الخرائج المطبوع .

(٧) ظاهره كونه عن يحيى بن مرزبان لكن نقله في الكشف ص ٣٠٩ عن أبي الفرات

قال : كان لي ابن عمّ الخ ، واحتمال كون أبي الفرات كنية ليحيى بعيد ولم أجد له نصاً .

أبا محمد عليه السلام في المنام فقال : إن أجلك قد دنا فرد علي ابن عمك ماله .
 و منه عن علي بن الحسن بن سابور قال ، قحط الناس بسر من رأى في زمن أبي
 الحسن الأخير فأمر المتوكل بالخروج إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون
 ويدعون ، فماسقوا ، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء ومعه النصارى
 والرهبان وكان فيهم راهب فلما مده هطلت السماء بالمطر وخرجوا اليوم الثاني فهطلت
 السماء فشك أكثر الناس وتعجبوا وصبوا إلى دين النصرانية فأنفذ المتوكل إلى
 الحسن عليه السلام وكان محبوساً فأخرجه من حبسه وقال : الحق أمة جدك فقد هلك
 فقال : إنني خارج من الغد ومزيلة للشك إن شاء الله ، فخرج الجاثليق في اليوم
 الثالث ومعه الرهبان وخرج الحسن عليه السلام في نفر من أصحابه فلما بصر الراهب
 وقد مده يده أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين أصبعيه ففعل
 وأخذ منه عظماً أسود فأخذ الحسن عليه السلام بيده وقال : استسق الآن فاستسقى وكانت
 السماء مغيمة فنشفت وطلعت الشمس بيضاء فقال المتوكل : ما هذا العظم يا أبا محمد ؟
 فقال عليه السلام : هذا الرجل عبّر بقبر نبي من أنبياء الله فوقع في يده هذا العظم وما
 كشف عن عظم نبي إلا هطلت السماء بالمطر (١) علوم حسنة

و من أعلام الطبرسي حدث أبو هاشم داود بن القاسم قال : كنت في الحبس
 المعروف بحبس حبيس في الجوسق الأحمر (٢) أنا والحسين بن محمد العقيقي ومحمد بن
 إبراهيم العمري و فلان و فلان إذ دخل علينا أبو محمد الحسن عليه السلام وأخوه جعفر
 فحفظنا به و كان المتولي لحبسه صالح بن وصيف و كان معنا في الحبس رجل جمحي
 يقول : إنه علوي قال : فالتفت أبو محمد عليه السلام فقال : لولا أن فيكم من ليس منكم
 لأعلمتكم متى يفرج عنكم و أو ما إلى الجمحي أن يخرج فخرج فقال أبو محمد :
 هذا رجل ليس منكم فاحذروه فإن في ثيابه قصة قد كتبها إلى السلطان يخبره

(١) كشف الغمة ص ٣٠٩ وفي الخرائج ص ٢١٤ .

(٢) المصدر ص ٣٥٤ هكذا « المعروف بحبس صالح بن وصيف الاحمر » وفي

كشف الغمة ص ٣١٠ كما في المتن الا أن جعل حبيس بدل حبيس نسخة .

بما تقولون فيه ، فقام بعضهم ففتش ثيابه فوجد القصة يذكرنا فيها بكل عظمة ،
و كان الحسن عليه السلام يصوم فإذا أفطر أكلنا معه من طعام كان يحمله غلامه إليه في
جوفة مخنومة و كنت أصوم معه فلما كان ذات يوم ضعفت فأفطرت في بيت آخر على
كعكة و ما شعربي والله أحد ، ثم جئت فجلست معه فقال لغلامه : أطمع أبا هاشم
شيئاً فإنه مفطر ، فتبسمت فقال : ما يضحكك يا أبا هاشم إذا أردت القوة فكل
اللحم فإن الكعك لاقوة فيه ، فقلت صدق الله ورسوله وأنتم ، فقال لي : أفطر ثلاثاً
فإن المنة (٥) لا ترجع إذ نهكها الصوم في أقل من ثلاث فلما كان في اليوم الذي أراد
الله أن يفرج عنه جاءه الغلام فقال : يا سيدي أحمل فطورك فقال : أحمل وما أحسبنا
نأكل منه فحمل الغلام الطعام الظهر وأطلق عنه عند العصر وهو صائم ، فقال : كلوا
هناكم الله .

❖ (ذكر طرف من أخلاق الامام الثاني عشر) ❖

❖ (أبو القاسم محمد بن الحسن المهدي عليهما السلام وصفاته وكراماته) ❖

قال ابن طلحة (١) : إنه عليه السلام قد وقع من النبوة في أكتاف عناصرها ، ورضع
من الرساءة أخلاف أوامرها ، وترع من القرابة سجال معاصرها ، وبرع في صفات
الشرف فعقدت عليه بخصايرها (٢) و اقتنى من الأنساب شرف نصابها ، و اعتلى عند
الانتساب شرف أحسابها ، واجتنى جنى الهداية من معادنها و أسبابها ، فهو من ولد
الطهر البتول المجزوم بكونها بضعة من الرسول ، والرساءة أصله وإنها أشرف العناصر
و الأصول ، قال : ولقبه الحجة الخلف الصالح وقيل : المنتظر .
و قال الطبرسي (٣) و يلقب عليه السلام بالحجة ، والقائم ، و المهدي ، و الخلف

(٥) المنة - بضم الميم - : القوة . (١) مطالب السؤل ص ٨٩ .

(٢) الخصاير جمع خنصر و يقال هذا امر تعقد عليه الخصاير اي يعتبرو يحتفظ به .
و يمكن أن يكون اشارة الى عقود الاصابع بحساب الجمل والمعنى ان صفات الشرف
والمجد بلغت فيه حد النهاية .

(٣) اعلام الوری ص ٣٩٣ .

الصالح ، و صاحب الزمان ، والصاحب ، و كانت الشيعة في غيبته الأولى تعبّر عنه وعن غيبته بالناحية المقدّسة ، و كان ذلك رمزاً بين الشيعة يعرفونه به ، وكانوا أيضاً يقولون على سبيل الرمز : الغريم يعنونه عليه السلام .

قال الشيخ المفيد - رحمه الله - : ^(١) وكان سنّه عند وفاة أبيه عليه السلام خمس سنين ، آتاه الله فيها الحكمة وفصل الخطاب ، وجعله آية للعالمين ، وآتاه الحكمة كما آتاه يحيى صبيّاً وجعله إماماً في حال الطفوليّة الظاهرة كما جعل عيسى ابن مريم في المهد نبياً ، و قد سبق النصّ عليه في ملّة الإسلام من نبيّ الهدى عليه السلام ، ثمّ من أمير المؤمنين عليه السلام ، و نصّ عليه الأئمة عليهم السلام واحد بعد واحد إلى أبيه الحسن ، و نصّ أبوه عليه عليه السلام عند ثقاته و خاصّته و شيعته و كان الخبر بنصيبه ثابتاً قبل وجوده . و بدولته مستقيماً قبل غيبته ، و أحدهما أطول من الأخرى كما جاءت بذلك الأخبار فأما القصريّ فمذوقت ولادته إلى انقطاع السفارة بينه و بين شيعته و عدم السفراء بالوفاة و أمّا الطوليّ فهي بعد الأولى في آخرها يقوم بالسيف قال الله : « و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمةً و نجعلهم الوارثين و نمكّن لهم في الأرض و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون » و قال جلّ اسمه : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر عليه السلام أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لن تنقضي الأيام و الليالي حتّى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي ، يملأها عدلاً و قسطاً كما ملئت ظلماً و جوراً » . و قال عليه السلام : « لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث الله فيه رجلاً من ولدي يواطىء اسمه اسمي ، يملأها عدلاً و قسطاً كما ملئت ظلماً و جوراً » .

قال : و روى المفضل بن عمر الجعفي قال : سمعت أبا عبد الله جعفر بن عمير عليه السلام يقول : « إذا أذن الله جلّ اسمه للقاءم في الخروج ، صعد المنبر فدعا الناس إلى نفسه و ناشدهم الله و دعاهم إلى حقّه ، و أن يسير فيهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله . و يعمل فيهم بعمله ، فيبعث الله تعالى جبرئيل عليه السلام حتّى يأتيه فينزل على الحطيم ^(٢) »

(١) الارشاد ص ٣٢٦ .

(٢) الحطيم . جدار الكعبة و قيل : ما بين الزمزم والركن والمقام .

يقول له : إلى أي شيء تدعو ؟ فيخبره القائم عليه السلام ، فيقول جبرئيل عليه السلام : أنا أول من يبايعك ابسط يدك فيمسح على يده و قدوافاه ثلاثمائة و بضعة عشر رجلاً فيبايعونه و يقيم بمكة حتى يتم أصحابه عشرة آلاف ثم يسير منها إلى المدينة ^(١) .
و روى محمد بن عجلان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا قام القائم عليه السلام دعا الناس إلى الإسلام جديداً ، وهداهم إلى أمر قد دثر فضل عنه الجمهور ، فانما سمي القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه وسمي بالقائم لقيامه بالحق ^(٢) » .
و روى أبو خديجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله في بدء الإسلام إلى أمر جديد ^(٣) » .

و روي عن علي بن عقبة ، عن أبيه قال : إذا قام القائم حكم بالعدل ، وارتفع في أيامه الجور ، و أمنت به السبل ، و أخرجت الأرض بركاتهما ، و رد كل حق إلى أهله ، و لم يبق أهل دين حتى يظهر الإسلام و يعترفوا بالإيمان ، أما سمعت الله عز وجل يقول : « وله أسلم من في السموات و الأرض طوعاً و كرهاً و إليه يرجعون » و حكم في الناس بحكم داود و حكم محمد صلى الله عليهما و آلهما ، فحينئذ تظهر الأرض كنوزها ، و تبدي بركاتهما فلا يجد الرجل منكم يوماً موضعاً لصدقته و لا لبره لشمول الغناء جميع المؤمنين ثم قال : إن دولتنا آخر الدول و لم يبق أهل بيت لهم دولة إلا و ملكوا قبلنا لئلا يقول : إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء ، وهو قول الله عز وجل : « و العاقبة للمتقين » ^(٤) .

و روى المفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنوره ، و استغنى العباد عن ضوء الشمس ، و ذهبت الظلمة و يعمر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ولد ذكر لا يولد له فيهم انثى ، يظهر الأرض كنوزها حتى يريها الناس على وجهها و يطلب الرجل منكم من يصله بماله و يأخذ منه زكاته فلا يجد أحداً يقبل ذلك منه ، يستغنى الناس بما رزقهم الله من فضله ^(٥) » .

(١) إلى (٤) الارشاد ص ٣٤٣ .

(٥) الارشاد ص ٣٤٢ .

وعن عبدالكريم الخثعمي قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : « كم يملك القائم عليه السلام قال : سبع سنين تطول له الأيام والليالي حتى يكون السنة من سنه مقدار عشرين من سنينكم فيكون سنوملكه كسبعين سنة من سنينكم هذه ، وإذا آن قيامه ^(١) مطر الناس في جادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم ير الخلائق مثله فينبت الله به لحوم المؤمنين و أبدانهم في قبورهم فكأنني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهنمة يتفضون شعورهم من التراب » ^(٢) .

﴿ فصل ﴾

روى الشيخ الطبرسي - رحمه الله - ^(٣) عن جابر الجعفي عن جابر الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « المهدي من ولدي اسمه اسمي ، وكنيته كنيته أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً ، يكون له غيبة و حيرة تضل فيها الأمم ، ثم يقبل مثل الشهاب ، فيملاؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً » .

و عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن علي بن أبي طالب إمام امتي و خليفتي عليها بعدي ، و من ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلاً و قسطاً كما ملئت جوراً و ظلماً ، والذي بعثني بالحق بشيراً إن الثابتين علي القول بإمامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر ، فقام إليه جابر بن عبدالله الأنصاري فقال : يا رسول الله ولدتك غيبة ؟ قال : أي و ربي ، و ليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين ، يا جابر إن هذا أمر من أمر الله و سر من سر الله علته مطوية عن عباد الله ، فإياك والشك فإن الشك في أمر الله كفر » ^(٤) .

و عن الرضا عن آباءه ، عن علي عليه السلام أنه قال للحسين عليه السلام : « التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق ، والمظهر للدين ، والباسط للعدل ، قال الحسين عليه السلام : فقلت له : وإن ذلك لكائن ؟ فقال عليه السلام : والذي بعثتني بالنبوة واصطفاه

(١) أي قرب . (٢) الارشاد ص ٣٤٢ .

(٣) و (٤) اعلام الورى ص ٣٩٩ .

على جميع البرية ، ولكن بعد غيبة و حيرة لا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون
المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا و كتب في قلوبهم الايمان و
أيدهم بروح منه (١).

و مما جاء به فيه عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام لما صالح الحسن
ابن علي معاوية دخل الناس عليه فلماه بعض الشيعة على بيعته فقال عليه السلام : « ويحكم
ما تدرون ما عملت والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت أما
تعلمون أنني إمامكم و مفترض الطاعة عليكم و أحد سيدي شباب أهل الجنة بنص
من رسول الله صلى الله عليه وآله علي ؟ قالوا : بلى ، قال : أما علمتم أن الخضر عليه السلام لما خرق
السفينة و قتل الغلام و أقام الجدار و كان ذلك سخطاً لموسى عليه السلام إذ خفي عليه وجه
الحكمة في ذلك و كان عند الله حكمة و صواباً ، أما علمتم أنه مأمناً أحد إلا ويقع في
عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى ابن مريم خلفه فإن الله
عز وجل يخفي ولادته و يغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع
من ولد أخي الحسين ابن سيده الاماء ، يطيل الله عمره في غيبته ، ثم يظهره بقدرته
في صورة شاب دون أربعين سنة ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير » (٢).

و مما جاء به عن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ما رواه الصادق عن
آبائه عن الحسين عليه السلام قال : « في التاسع من ولدي سنة من يوسف ، و سنة من
موسى بن عمران ، وهو قائمنا أهل البيت ، يصلح الله أمره في ليلة واحدة » (٣).

و عن علي بن الحسين عليه السلام قال : « في القائم مناسن من ستقن الأنبياء ، ستقن
نوح ، و ستقن إبراهيم ، و سنة من موسى ، و سنة من عيسى ، و سنة من أيوب ، و سنة من
عج صلوات الله عليهم فأممنا من نوح فطول العمر ، و أممنا إبراهيم فخفاء الولادة ، و اعتزال
الناس ، و أممنا موسى فالخوف و الغيبة ، و أممنا عيسى فاختلف الناس فيه ، و أممنا أيوب
فالفرج بعد البلوى ، و أممنا من عهد صلى الله عليه وآله فالخروج بالسيف » . قال : و سمعته يقول :

(١) اعلام الوری ص ٤٠٠ . (٢) الصواب على صلحه لانه عليه السلام يبابع .

(٣) و (٤) اعلام الوری ص ٤٠١ .

« القائم منا تخفى على الناس ولادته حتى يقولوا : لم يولد بعد ، ليخرج حين يخرج ، وليس لأحد في عنقه بيعة » (١) .

ثم ذكر النص عليه من سائر الأئمة عليهم السلام حتى انتهى إلى أبيه عليه السلام فقال :
 عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري (٢) قال : دخلت على أبي عبد الله الحسن العسكري عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده فقال لي مبتدئاً : « يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم ، ولا يخلها إلى أن تقوم الساعة من حجة الله على خلقه ، به يدفع البلاء عن أهل الأرض ، وبه ينزل الغيث ، وبه يخرج بركات الأرض ، قال : فقلت : يا ابن رسول الله فمن الخليفة والإمام بعدك ؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت ، ثم خرج وعلي عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين ، و قال : يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا إنه سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنيته الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر عليه السلام ومثله مثل ذي القرنين ، والله ليغيبن غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلا من ثبتته الله تعالى على القول بإمامته ووقفه للدعاء بتعجيل فرجه ، قال أحمد بن إسحاق : فقلت له : يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي ؟ فنطق الغلام بلسان عربي فصيح فقال : أنا بقية الله في أرضه والمنتم من أعدائه فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق ، قال أحمد : فخرجت مسروراً فرحاً فلما كان الغد عدت إليه فقلت له : يا ابن رسول الله لقد عظم سروري بمامنتك به علي فما السنة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين ؟ قال : طول الغيبة يا أحمد بن إسحاق ، فقلت له : يا ابن رسول الله إن غيبته لتطول ؟ قال : إي وربّي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ، فلا يبقى إلا من أخذ الله عهده بولايتنا وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه ، يا أحمد بن إسحاق هذا أمر من الله وسر من سر الله ، وغيب من غيب الله ، فخذما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين ، تكن معناغداً في عليين » .

(١) اعلام الورى ص ٤٠٢ . (٢) راجع اعلام الورى ص ٤١٢ .

﴿ فصل ﴾

و من طريق العامة عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« نحن ولد عبدالمطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين
والمهدي » (١) .

و عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « منّا الذي يصلي عيسى
ابن مريم خلفه » (٢) .

و عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المهدي منّي أجلى الجبهة ، أفتى الأنف
يملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يملك سبع سنين » (٣) .

و عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال : « المهدي من ولدي ، لونه
لون عربي ، وجسمه جسم إسرائيلي ، على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري
يملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، يرضى بخلافته أهل الأرض وأهل السماء
والطير في الجوّ » (٤) .

و في رواية أبي أمامة الباهلي عليه عباة بن قطوانيتان ، كأنه من رجال
بني إسرائيل ، يستخرج الكنوز ، ويفتح مدائن الشرك » (٥) .

و في رواية جابر بن عبد الله « يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً ،
لا يعدّه عدلاً » (٦) .

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن تحت رقم ٤٠٨٧ .

(٢) أخرجه أبوداود ج ٢ ص ٤٢٢ والحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٥٥٧ .

(٣) و أخرجه أحمد ج ٣ ص ١٨ و ٢٦ و ٢٨ و أبوداود ج ٢ ص ٤٢٢ و أجلى
الجبهة يعني منحسراً مقدم الرأس من الشعر أو نصف الرأس و هو دون الصلح . و في
النهاية : القنى فى الأنف : طوله و دقة اذنته مع حدب فى وسطه و قد تقدم ، و فى
مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٥٥٧ مثله .

(٤) الى (٦) كشف الغمة ص ٣٢٢ عن كتاب البيان فى أخبار صاحب الزمان

لمحمد بن يوسف بن محمد الكنجدى الشافعى .

و في رواية أبي سعيد « يقسم المال صحاحاً ، فقال رجل : ما صحاحاً ؟ قال : بالسوية بين الناس ويملا الله قلوب أمة محمد غني ويسعهم عدله » (١) .
و في رواية أخرى « يكون عطاؤه هنيئاً » (٢) .

و عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « يخرج رجل من أهل بيتي ويعمل بسنتي وينزل الله له البركة من السماء ويخرج له الأرض بركتها وتملاً به الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ويعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس » (٣) .

و عنه عن النبي ﷺ قال : « تتنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم يتنعموا مثلها قط يرسل الله السماء عليهم مدراراً ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته » (٤) .
و في رواية أخرى لآخر في العيش - أوقال في الحياة - بعده » (٥) .

و روى شيخنا المفيد - رحمه الله - (٦) في حليته عن جابر الجعفي قال : « سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « سألت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرني عن المهدي ما اسمه ؟ فقال : أما اسمه فإن حبيبي عليه السلام عهد إلي أن لا أحدث به حتى يبعثه الله ، قال : فأخبرني عن صفته ؟ قال : هو شاب مربوع حسن الوجه حسن الثغر ، يسيل شعره على منكبيه ويعلو نور وجهه سواد شعر لحيته ورأسه ، بأبي ابن خيرة الإمام . »

﴿ فصل ﴾

و روى الطبرسي (٧) عن أبي جعفر عليه السلام قال : « القائم منا منصور بالرعب ، مؤيد بالنصر ، تطوي له الأرض ، وتظهر له الكنوز ، و يبلغ سلطانه

(١) الى (٥) كشف الغمة ص ٣٢٢ الى ٣٢٤ .

(٦) الارشاد ص ٣٤٢ . (٥) في المصدر « حسن الشعر » .

(٧) اعلام الوری ص ٤٢٣ .

المشرق و المغرب ، و يظهر به الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، فلا يبقى على وجه الأرض خراب إلا عمر ، و ينزل روح الله عيسى ابن مريم فيصلي خلفه ، قال الراوي : فقلت : يا ابن رسول الله ومتى يظهر قائمكم ؟ قال : إذا تشبه الرجال بالنساء ، و النساء بالرجال و اكتفى الرجال بالرجال و النساء بالنساء ، و تركب ذوات الفروج السروج ، و قبلت شهادات الزور ، و ردت شهادات العدل ، و استخف الناس بالدماء و ارتكاب الزنى و أكل الربا ، و اتقى الأشرار مخافة أسننتهم ، و خرج السفيناني من الشام ، و اليماني من اليمن ، و خسف بالبيداء ، و قتل غلام من آل عمه بين الركن و المقام اسمه عمه بن الحسن النفس الزكية ، و جاءت صيحة من السماء بأن الحق معه و مع شيعته فعند ذلك خرج قائمنا فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة و اجتمع إليه ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً فأول ما ينطق به هذه الآية : « بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين » ثم يقول : أنا بقية الله و خليفته و حجته عليكم فلا يسلم عليه مسلم إلا قال : السلام عليك يا بقية الله في الأرض ، فإذا اجتمع له العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى في الأرض معبود دون الله من صنم ولا وثن إلا وقعت فيه نار فاحترق و ذلك بعد غيبة طويلة ليعلم الله من يطيعه بالغيب و يؤمن به .

و ذكر الشيخ المفيد - رحمه الله - (١) في علامات قيامه عليه السلام خروج السفيناني و قتل الحسنيني ، و اختلاف بني العباس في الملك ، و كسوف الشمس في النصف من شعبان (٢) ، و خسوف القمر في آخر الشهر على خلاف العادات ، و خسف بالبيداء (٣) ، و خسف بالمغرب ، و خسف بالمشرق ، و ركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر ، و طلوعها من المغرب ، و قتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين ، و ذبح رجل هاشمي بين الركن و المقام ، و هدم حائط مسجد الكوفة و إقبال رايات سود من قبل خراسان ، و خروج اليماني ، و ظهور المغربي بمصر ، و تملكه الشامات ،

(١) الارشاد ص ٣٣٦ .

(٢) كذا في النسخ وفي المصدر ص ٣٣٦ : « و كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان . »

(٣) هو أرض ملساء بين مكة و المدينة .

ونزول الترك الجزيرة ، و نزول الروم الرملة ، و طلوع نجم بالمشرق و يضيء كما يضيء القمر ، ثم ينطفئ حتى يكاد يلتقي طرفاه ، و حمرة تظهر في السماء و تلتبس في آفاقها ، و نار تظهر بالمشرق طويلاً و تبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام و خلع العرب أعنتها ، و تملكها البلاد ، و خروجها عن سلطان العجم و قتل أهل مصر أميرهم ، و خراب الشام و اختلاف ثلاث رايات فيه ، و دخول رايات قيس و العرب إلى أهل مصر و رايات كندة إلى خراسان ، و ورود خيل من المغرب حتى يربط بغناء الحيرة ، و إقبال رايات سود من قبل المشرق نحوها ، و ينبثق الفرات حتى يدخل الماء أزرقة الكوفة ، و خروج ستين كذاباً كلهم يدعي النبوة ، و خروج اثني عشر من آل أبي طالب كلهم يدعي الإمامة لنفسه ، و إحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولاء و خانقين ، و عقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد ، و ارتفاع ريح سوداء بها في أوّل النهار و زلزلة حتى ينخسف كثير منها ، و خوف يشمل أهل العراق و موت ذريع فيه و نقص من الأموال و الأتفس و الثمرات ، و جراد يظهر في أوّانه و غير أوّانه حتى يأتي على الزرع و الغلات ، و قلّة ريع ما يزرعه الناس ، و اختلاف صنفين من العجم ، و سفك دماء كثيرة فيما بينهم ، و خروج العبيد عن طاعة ساداتهم ، و قتلهم مواليتهم ، و مسخ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قردة و خنازير ، و غلبة العبيد على بلاد السادات ، و نداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كلهم أهل كل لغة بلغتهم ، و وجه و صدر يظهران للناس في عين الشمس ، و أموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعرفون فيها و يترأحون ثم يختم ذلك بأربعة و عشرين مطرة تتصل فتحيى بها الأرض بعد موتها ، و تعرف بركاتنا و يزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة فيتوجهون نحوه لنصرته كما جاءت بذلك الأخبار ، قال : و من جملة هذه الأحداث محتومة و منها مشرطة و الله أعلم بما يكون ، و إنما ذكرناها على حسب ما ثبت في الأصول و تضمنها الأثر المنقول و بالله نستعين و إياه نسأل التوفيق .

و بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لا يخرج القائم عليه السلام إلا

في وتر من السنين سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع» (١).
 و عنه عليه السلام قال : « ينادى باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاث و عشرين و يقوم في يوم عاشوراء و هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام ، لكأنني به في يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين الركن و المقام جبرئيل عن يمينه ينادي البيعة لله ، فتصير إليه شيعته من أطراف الأرض تطوي لهم طيات حتى يباعدوه ، فيملا الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً و ظملاً » (٢).

و عن أبي بكر الحضرمي ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « كأنني بالقائم عليه السلام على نجف الكوفة قد سار إليها من مكة ، في خمسة آلاف من الملائكة ، جبرئيل عن يمينه ، و ميكائيل عن شماله ، و المؤمنون بين يديه ، و هو يفرق الجنود في البلاد » (٣).

و في رواية عمرو بن شمر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « ذكر المهدي فقال يدخل الكوفة و بها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفوله و يدخل حتى يأتي المنبر ، فيخطب فلا يدري الناس ما يقول من البكاء ، فإذا كانت الجمعة الثانية سأله الناس أن يصلي بهم الجمعة فيأمر أن يخط لهم مسجد على الغري و يصلي بهم هناك ثم يأمر من يحفر من ظهر مشهد الحسين عليه السلام نهراً يجري إلى الغريين حتى ينزل الماء إلى النجف و يعمل على فوهته القناطر و الأرحاء ، فكأنني بالعجوز على رأسها مكمل فيه برّ تأتي تلك الأرحاء فتطحنه بلا كراء » (٤).

﴿ فصل ﴾

و أمّا كراماته عليه السلام فمن كتاب الرأوندي (٥) عن حكيمة قالت : دخلت يوماً على أبي محمد عليه السلام قال : بيتي عندنا الليلة فإنه سيظهر الخلف فيها قلت : و ممن ؟ - فلست أرى بنرجس حملاً - قال : يا عمّة إن مثلها كمثل أم موسى لم يظهر حملها به إلا وقت ولادتها فبت أنا وهي ، فلما انتهى الليل صليت أنا وهي صلاة الليل فقلت

(١) إلى (٤) الارشاد ص ٣٤١ . (٥) الخرائج ص ٢١٦ .

في نفسي : قد قرب الفجر ولم يظهر. ما قال أبو محمد ، فناداني أبو محمد عليه السلام لا تعجلي فرجعت إلى البيت خجلة فاستقبلني نرجس ترتعد فضممتها إلى صدري وقرأت عليها قل هو الله أحد ، وإنما أنزلناه ، وآية الكرسي فأجابني الخلف من بطنها يقرأ كقراءتي ، قالت : وأشرق نور في البيت فنظرت فإذا الخلف تحتها ساجدٌ إلى القبلة فأخذته ، فناداني أبو محمد عليه السلام من الحجرة هلمسي يا بني إلي يا عمّة ، قالت : فأتيته به فوضع لسانه في فمه وأجلسه على فخذه فقال له : انطق يا بني بأذن الله تعالى ، فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم « و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين و نمكّن لهم في الأرض و نري فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون » و صلى الله على محمد المصطفى و عليّ المرتضى و فاطمة الزهراء و الحسن و الحسين و عليّ بن الحسين و محمد بن عليّ و جعفر بن محمد و موسى بن جعفر و عليّ بن موسى و محمد بن عليّ و عليّ ابن محمد و الحسن بن عليّ أبي ، قالت : و غمرتنا طيور خضر فنظر أبو محمد عليه السلام إلى طائر منها فدعاه فقال : خذ فاحفظه حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره ، قالت حكيمة : فقلت لأبي محمد : ما هذا الطائر وما هذه الطيور ؟ قال : هذا جبرئيل وهذه ملائكة الرحمة ، ثم قال : يا عمّة ردّيه إلى أمّه كي تقرّ عينها ولا تحزن و لتعلم أن وعد الله حقٌّ ولكن أكثرهم لا يعلمون ، فرددته إلى أمّه ، ولما ولد كان نظيفاً مفروغاً منه ، و عليّ ذراعه الأيمن مكتوبٌ « جاء الحقّ و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

و منه ماروي عن السياري قال : حدّثني نسيم ومارية قالتا : لما أخرج صاحب الزمان عليه السلام من بطن أمّه سقط جاثياً على ركبتيه ، رافعاً بسبّابته نحو السماء ، فعض فقال : الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على محمد و آله عبداً داخراً غير مستنكف و لامستكبر ، ثم قال : زعمت الظلمة أن حجّة الله داحضة ولو أذن الله لنا في الكلام لزال الشك^(١) .

و منه ما روي عن ظريف أبي نصر الخادم قال : « دخلت على صاحب الزمان عليه السلام و هو في المهدي فقال لي : علي بالصندل الأحمر ، فأتيته به فقال : أتعرفني ؟ قلت : نعم أنت سيدي و ابن سيدي فقال : ليس عن هذا سألتك ، فقلت : فسر لي ، فقال : أنا خاتم الأوصياء و بي يرفع الله البلاء عن أهلي و شيعتي » (١).

و منه ما روي عن أبي نعيم محمد بن أحمد الأنصاري قال : وجه قوم من المفوضة كامل بن إبراهيم إلى أبي محمد عليه السلام قال : فقلت في نفسي لما دخلت عليه : أسأله عن الحديث المروي عنه عليه السلام « لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتي » و كنت جلست إلى باب عليه ستر مرخي ، فجاءت الريح فكشفت طرفه و إذا أنا بفتي كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها ، فقال لي : يا كامل بن إبراهيم ، فاقشعرت من ذلك و ألهمت أن قلت : لبيك يا سيدي قال : جئت إلى ولي الله تسأله « لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتك و قال بمقالتك » ؟ قلت : إي والله قال : إذن والله يقل داخلها و الله إنه ليدخلها قوم يقال لهم الحقيقية ، قلت : و من هم ؟ قال : قوم من حبسهم لعلي عليه السلام يحلفون بحقه و لا يدرون ما حقه و فضله ، أي قوم يعرفون ما يجب عليهم معرفته جملة لا تفصيلاً من معرفة الله و رسوله و الأئمة و نحوها ، ثم قال : و جئت تسأل عن مقالة المفوضة كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشية الله فإذا شاء الله شئنا و الله يقول : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » فقال لي أبو محمد عليه السلام : ما جلوسك فقد أنباك بحاجتك » (٢).

و منه ما روي عن رشيق حاجب المدراني قال : بعث إلينا المعتضد و أمرنا أن نركب و نحن ثلاثة نفر و نخرج مخفين على السروج و نجنب أخرى و قال : الحقوا بسامراء و اكبسوا دار الحسن بن علي فإنه توفي و من رأيتم في داره فأتوني برأسه فكبسنا الدار كما أمرنا فوجدناها داراً سرية كأن الأيدي رفعت عنها في ذلك الوقت فرفعنا الستر فإذا سرداب في الدار الأخرى فدخلناها فكان بحراً و في أقصاء حصير ، و قد علمنا أنه على الماء و فوقه رجل من أحسن الناس هيئة قائم يصلي

فلم يلتفت إلينا ولا إلى شيء من أسبابنا فسبق أحمد بن عبد الله ليتخطى فغرق في الماء وما زال يضرب حتى مدت يدي إليه فخلصته وأخرجته فغشي عليه و بقي ساعة وعاد صاحبي الثاني إلى فعل ذلك فنالهمثل ذلك فبقيت مبهوتاً فقلت لصاحب البيت : المعذرة إلى الله و إليك فوائده ما علمت كيف الخبر وإلى من نجى، وأنا تائب إلى الله فما التفت إلي بشيء مما قلت ، فانصر فنا إلى المعتضد فقال : اكنموه و إلا ضربت رقابكم (١).

و منه أن علي بن زياد الصيمري كتب إليه يلتمس كفناً فكتب إليه : أنك تحتاج إليه في سنة ثمانين وبعث إليه بالكفن قبل موته (٢).

و منه ما روي عن نسيم خادم أبي محمد عليه السلام قال : دخلت على صاحب الزمان عليه السلام بعد مولده بعشر ليال فعطست عنده فقال : يرحمك الله ففرحت بذلك فقال : ألا بشرك بالعطاس هو أمان من الموت ثلاثة أيام (٣).

و منه ما روي عن حكيمة قالت : دخلت على أبي محمد عليه السلام بعد أربعين يوماً من ولادة نرجس فإذا مولانا صاحب يمشي في الدار فلم أرلغة أفصح من لغته فتبسّم أبو محمد عليه السلام و قال : إننا معاشر الأئمة ننشأ في كل يوم كما ينشأ غيرنا في [الشهر ، و ننشأ في الشهر كما ينشأ غيرنا في] السنة قالت : ثم كنت بعد ذلك أسأل أبا محمد عليه السلام عنه فيقول : استودعناه الذي استودعت أم موسى ولدها (٤).

و منه ما روي عن أبي الحسن المسترقّ الضرير قال : كنت يوماً في مجلس الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة فتذاكرنا أمر الناحية قال : كنت أزري عليها إلى أن حضرت مجلس عمي الحسين يوماً فأخذت أتكلّم في ذلك فقال : يا بني قد كنت أقول بمقالتك هذه إلى أن نددت إلى ولاية قم حين استصعبت على السلطان ، و كان كل من ورد إليها من جهة السلطان يحاربه أهلها ، فسلم إلي جيش وخرجت نحوها فلما خرجت إلى ناحية الطريق و خرجت إلى الصيدفانني

(١) إلى (٣) الخرائج ص ٢١٦ .

(٤) المصدر ص ٢١٨ .

طريدة فأتبعتها وأوغلت في أثرها حتى بلغت إلى نهر فسرت فيه وكلما سرت يتسع النهر فبينما أنا كذلك إذ طلع عليّ فارس تحته فرس شهباء وهو متممّ بعمامة خزّ خضراء لا أرى منه سوى عينيّه وفي رجليه خفّان أحمران ، فقال لي : يا حسين ولا أمرني ولا كنتاني ، فقلت : ماذا تريد ؟ فقال : لم تزري عليّ الناحية ؟ ولم تمنع أصحابي خمس مالك ؟ و كنت رجلاً وقوراً لأخاف شيئاً فأرعدت وتهيبته وقلت له : أفعّل يا سيدي ما تأمر به ، فقال : إذا مضيت إلى الموضع الذي أنت متوجه إليه فدخلته عفواً وكسبت ما كسبت فيه تحمل خمسة إلى مستحقّه ، فقلت : السمع والطاعة ، فقال : امض راشداً ولو لي عنان فرسه وانصرفت فلم أدريّ طريق سلك فطلبته يميناً وشمالاً فخفيّ عليّ أمره فازدردت رعباً فانكفأت راجعاً إلى عسكري وتناسيت الحديث فأمّا بلغت قم وعندي أنني أريد محاربة القوم خرج إليّ أهلها وقالوا : كنّا نحارب من يجيئنا لخلافهم لنا وأمّا إذا وافيت أنت فلا خلاف بيننا وبينك ، ادخل البلدة فدبرها كما ترى فأقمت فيها زماناً وكسبت أموالاً زائدة على ما كنت أقدر ، ثمّ وشى القوّاد بي إلى السلطان ، وحسدت على طول مقامي وكثرة ما اكتسبت ، فعزلت ورجعت إلى بغداد فأبتدأت بدار السلطان وسلمت وأقبلت منزلي ، وجاءني فيمن جاءني محمد بن عثمان العمري فتخطى الناس حتى اتسكأ عليّ تكأتي فاغتنظت من ذلك ولم يزل قاعداً لا يبرح والناس يدخلون ويخرجون وأنا أزداد غيظاً فلما تصرّم المجلس دنا إليّ وقال : بيني وبينك سرٌّ فاسمه ، فقلت : قل ، فقال : صاحب الشهباء والنهر يقول : قد وفينا بما وعدنا ، فذكرت الحديث وارتعدت من ذلك وقلت : السمع والطاعة ، فقامت وأخذت بيده وفتحت الخزان فلم يزل يخمّسها إليّ أن خمّس شيئاً كنت قد أنسيته ممّا كنت قد جمعت وانصرف ولم أشكّ بعد ذلك وتحققت الأمر ، وأنا منذ سمعت هذامن عمّي أبي عبد الله زال عني ما كان اعترضني من الشكّ (١).

و منه ما روي عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه قال : لما وصلت بغداد

في سنة سبع وثلاثين للحجّ وهي السنة التي ردّ القرامطة فيها الحجر إلى مكانه من البيت كان أكثر همّي من ينصب الحجر لأنّه مضى في أثناء الكتب قصة أخذه وأنّه ينصبه في مكانه الحجّة في الزّمان كما في زمن الحجّاج وضعه زين العابدين عليه السلام في مكانه فاستقرّ، فاعتلت علة صعبة خفت منها على نفسي و لم يتبيّأ لي ما قصدت له فاستنبت المعروف بابن هشام و أعطيته رقعة مختومة أسأل فيها عن مدّة عمري وهل يكون المنية في هذه العلة أم لا؟ وقلت : همّي إيصال هذه الرقعة إلى واضع الحجر في مكانه و أخذ جوابه وإنما أندبك لهذا ، قال : فقال المعروف بابن هشام : لما حصلت بمكّة وعزم على إعادة الحجر بذلت لسدنة البيت جملة تمكّنت معها من الكون بحيث أرى واضع الحجر في مكانه و أقمت معي منهم من يمنع عني ازدحام الناس فكلّما عمد إنسان لوضعه اضطرب ولم يستقم فأقبل غلام أسمر اللّون حسن الوجه فتناوله و وضعه في مكانه ، فاستقام كأنّه لم يزل عنده ، و علت لذلك الأصوات و انصرف خارجاً من الباب فنهضت من مكاني أتبعه و أدفع الناس عني يميناً وشمالاً حتّى ظنّ بي الاختلاط في العقل و الناس يفرجون و عيني لا تفارقه حتّى انقطع عني الناس و كنت أسرع الشدّة خلفه و هو يمشي على تودة ولا أدركه فلمّا حصل بحيث لا يراه أحدٌ غيري وقف و التفت إليّ و قال : هات ما معك فناولته الرقعة فقال من غير أن ينظر فيها : قل له : لا خوف عليك في هذه العلة ويكون لا بدّ منه بعد ثلاثين سنة ، قال : فوقع عليّ الزمّع ^(١) حتّى لم أطق حراكاً و تركني و انصرف ، قال أبو القاسم : فأعلمني بهذه الجملة فلمّا كانت سنة سبع و ستين اعتلّ أبو القاسم فأخذ ينظر في أمره و تحصيل جهازه إلى قبره و كنت وصيّه واستعمل الجدّ في ذلك فقيل له : ما هذا الخوف و نرجو بتفضّل الله بالسّلامة فما عليك مخوفة ، فقال : هذه السنة التي وعدت و خوفت فيها فمات في علته ^(٢).

و من إرشاد المفيد عن عمّه بن إبراهيم بن مهران قال : « شككت عند مضى أبي عمّه الحسن بن عليّ عليه السلام و اجتمع عند أبي مال فحملة و ركبت معه السفينة

(١) الزمّع : رعدة تعترى الانسان . (٢) كشف الغمة ص ٣٣٣ .

مشيماً له فوعك و عكاً شديداً فقال : يا بني ردني فهو الموت ، و قال لي : اتق الله في هذا المال ، وأوصي إليّ ومات بعد ثلاثة أيام ، فقلت في نفسي : لم يكن أبي يوصي بشيء غير صحيح أحمل هذا المال إلى العراق وأكثري داراً على الشطّ ولا أخبر أحداً بشيء. فإن وضع لي كوضوحه في أيام أبي عمّ أنفذته وإلا أنفقته في ملاذّي وشهواتي فقدمت العراق و اكرتيت داراً على الشطّ و بقيت أيتاماً فإذا أنا برقعة مع رسو^١ فيها : يا عمّ معك كذا و كذا حتى قصّ عليّ جميع ما معي وذكر في جملته شيئاً لم أخط به علماً فسلمته إلى الرسول و بقيت أيتاماً لا يرفع لي رأس فاعتممت فخرج إليّ قد أقمنك مكان أبيك فأحمد الله^(١) .

و منه عن عمّ بن أبي عبد الله السيارى قال : وأوصلت أشياء للمرزبانى الحارثى فيها سوار ذهب فقبلت وردّ عليّ السوار فأمرت بكسره فكسرتة فإذا في وسطه مثاقيل حديد و نحاس و صفر فأخرجته و أنفذت الذهب بعد ذلك فقبل^(٢) .

و منه عن عليّ بن عمّ قال : أوصل رجلٌ من أهل السواد مالاً فردّ عليه و قيل له : أخرج حقّ ولد عمك منه وهو أربعمائة درهم وكان الرجل في يده ضيعة لولد عمه فيها شراكة قد حبسها عنهم ، فنظر فإذا الذي لولد عمه من ذلك المال أربعمائة درهم فأخرجها و أنفذ الباقي فقبل^(٣) .

و منه عن القاسم بن العلاء قال : ولد لي عدّة بنين فكنت أكتب وأسال الدّعاء لهم فلا يكتب إليّ بشيء في أمرهم فماتوا كلّهم فلمّا ولد لي الحسين ابني كتبت أسأل الدّعاء له فأجبت فبقي والحمد لله^(٤) .

و عن عمّ بن يوسف الشاشى قال : خرج بي ناسور فأريته الأطباء و أنفقت عليه مالاً ، فلم يصنع الدّواء فيه شيئاً ، فكتبت رقعة أسأل الدّعاء فوقع إليّ ألبسك الله العافية وجعلك معنا في الدّنيا والآخرة ، فمأنت عليّ جمعة حتى عوفيت و صار الموضوع مثل راحتي فدعوت طبيباً من أصحابنا و أريته إياه فقال : ما عرفنا لهذا دواء و ما جاء بك العافية إلا من قبل الله بغير حساب^(٥) .

و منه عن علي بن الحسين اليماني قال : « كنت ببغداد فتهيأت قافلة لليمانيين فأردت الخروج معهم فكتبت ألتمس الإذن في ذلك . فخرج لا يخرج معهم فليس لك في الخروج معهم خيرة وأقم بالكوفة ، فأقمت وخرجت القافلة فخرج عليهم بنو حنظلة فاجتاحتهم ، قال : و كتبت أستاذن في ركوب الماء فلم يؤذن لي ، فسألت عن المراكب التي خرجت تلك السنة في البحر فعرفت أنه لم يسلم منها مراكب ، خرج عليها قوم يقال لهم البوارح فتقطعوا عليهم (١) .

و منه عن أحمد بن الحسن قال : وردت الجبل وأنا لا أقول بالامامة ولا أحبهم جملة إلى أن مات يزيد بن عبدالله فأوصى في علته إلي أن يدفع الشهري السمند وسيفه و منطقته إلى مولاه فنخفت إن لم أدفع الشهري إلى إذكو تكين نالني منه استخفاف فقومت الدابة و السيف و المنطقه بسبعمائة دينار في نفسي ولم أطلع عليه أحداً ودفعت الشهري إلى إذكو تكين فاذا الكتاب قد ورد علي من العراق أن وجه السبعمائة دينار التي لنا قبلك من ثمن الشهري و السيف والمنطقه (٢) .

و منه عن علي بن محمد قال : حدثني بعض أصحابنا قال : ولد لي ولد فكتبت أستاذن في تطهيره يوم السابع ، فورد لا تفعل فمات يوم السابع أو الثامن ، ثم كتبت بموته فورد ستخلف غيره وغيره فسم الأ ول أحمد ومن بعد أحمد جعفرأ فجاء كما قال ، قال : و تهيأت للحج و ودعت الناس و كتبت أستاذن على الخروج ، فورد نحن لذلك كارهون و الأمر إليك قال : فضاق صدري و اغتممت و كتبت إنني مقيم على السمع والطاعة غير أنني مغتم بتخلفي عن الحج ، فوقع لا يضيغن صدرك فإنك ستحج قابلاً إن شاء الله ، قال : فلما كان من قابل كتبت فاستأذنت فورد الإذن ، و كتبت أنني قد عادلت محمد بن العباس وأنا واثق بديانته وصيانته فورد : الأسدي نعم العديل فإن قدم فلا تختر عليه فقدم الأسدي وعادته (٣) .

و ذكر الشيخ المفيد - رحمه الله - أشياء أخر من هذا القبيل ثم قال : والأحاديث في هذا المعنى كثيرة موجودة في الكتب المصنفة فيها أخبار القائم و إن ذهبت إلى إيراد جميعها طال بذلك الكتاب وفيما أثبتته منها مقنع والمنته لله .

﴿ذكر صفات الشيعة﴾

﴿وأخلاقهم وآدابهم وعلاماتهم وقلتهم وعزتهم وابتلائهم﴾

روى في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام :
 شيعتنا المتبازلون في ولايتنا ، المتحابون في مودتنا ، المتزاورون في إحياء أمرنا
 الذين إن غضبوا لم يظلموا ، و إن رضوا لم يسرفوا ، بركة على من جاوروا ، سلم
 لمن خالطوا ، (١) .

و عنه عليه السلام قال : « صلى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق ، فلما
 انصرف وعظم فبكى وأبكاهم من خوف الله تعالى ثم قال : أما و الله لقد عهدت
 أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله و إنهم ليصبحون و يمسون شعناً غبراً
 خمصاً ، بين أعينهم كركب المعزى ، يبيتون لربهم سجداً و قياماً ، يراوون بين
 أقدامهم و جباههم ، يناجون ربهم ويسألونه فكك رقابهم من النار ، و الله لقد رأيتهم
 مع هذا وهم خائفون مشفقون (٢) .

و في رواية أخرى « و الله لقد أدركت أقواماً يبيتون لربهم سجداً و قياماً
 يخالفون بين جباههم و ركبهم ، كأن زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا
 كما يمد الشجر كأنما القوم باتوا غافلين ، قال : ثم قام فمارئني ضاحكاً حتى
 قبض صلوات الله عليه ، (٣) .

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٢) الثمت : تفرغ الشعر و عدم اصلاحه و مشطه و تنظيفه ، و الاغبر : المتلطيخ بالغبار .
 و الركب ما بين اسافل اطراف الفخذ ، و المعزى خلاف الضأن من الغنم . يعتمن أن يكون
 تلك الاحوال لشدة فقرهم و عدم قدرتهم على ازالتهما فالمدح على صبرهم على الفقر .
 او المعنى انهم لا يهتمون بازالتهما زائداً على المستحب او يقال : اذا كان تركها لشدة
 الاهتمام بالعبادة و خوف الاخرة يكون ممدوحاً . و المراوحة بين الاقدام و الجباه أن يقوم
 على القدمين مرة و يضع الجبهة على الارض اخرى ليوصل الراحة الى كل منها و الضبر
 في الكافي ج ٢ ص ٢٣٥ تحت رقم ٢١ .

و عنه عليه السلام قال : « إنما شيعة علي عليه السلام الحلماء العلماء ، الذئبل الشفاه تعرف الرهبانية على وجوههم » (١).

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن شيعة علي عليه السلام كانوا خمص البطون ، ذئبل الشفاه ، أهل رافة وعلم وحلم ، يعرفون بالرهبانية ، فأعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد » (٢).

و عنه عليه السلام قال : « شيعتنا الشاحبون الذابلون الناحلون الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بحزن » (٣).

و عنه عليه السلام قال : « شيعتنا أهل الهدى ، وأهل التقوى ، وأهل الخير ، وأهل الإيمان ، وأهل الفتح والظفر » (٤).

و عنه عليه السلام قال : « إياك و السفلة فانما شيعة علي عليه السلام من عف بطنه وفرجه ، و اشتد جهاده ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه ، و خاف عقابه ، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر » (٥).

و عن مهزم الأسدي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « يا مهزم شيعةنا من لا يعدو صوته سمعه (٦) ولا شحناؤه بدنه (٧) ولا يمتدح بنا معلناً ، ولا يجالس لنا عائباً ، ولا يخاصم لنا قالياً ، إن لقي مؤمناً كرمه وإن لقي جاهلاً هجره ، قلت : جعلت فداك فكيف أصنع بهؤلاء المتشيعه ؟ (٨) قال : فيهم التمييز ، و فيهم التبديل ، و فيهم

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٣٥ تحت رقم ٢٠ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٣٣ وفي القاموس : الغمصه : الجوعه . والمخمصه : المجاعة .

والذئبل : اليابسة الشفه .

(٣) في النهاية الشاحب المتغير للون والجسم . والنخبر في الكافي ج ٢ ص ٢٣٣ .

(٤) و (٥) الكافي ج ٢ ص ٢٣٣ تحت رقم ٧ و ٨ .

(٦) لغفاه صوته الدال على لين طبعه . و في بعض النسخ [لا يعلموا] .

(٧) أي لا يتجاوز عداوته بدنه أي يعادي نفسه ولا يعادي غيره وفي بعض نسخ المصدر

[يديه] أي لا تغلب عليه عداوته بل هي بيده و اختياره . والامتداح بمعنى التمدح كما في

بعض النسخ .

(٨) المتشيعه الذين يدعون التشيع وليس لهم معناه وعلاماته .

التمحيص تأتي عليهم سنون تفتيمهم ، وطاعون يقتلهم ، واختلاف بيدّهم ، شيعتنا من لا يهرّ هريير الكلب ، ولا يطمع طمع الغراب ، ولا يسأل عدوّنا وإن مات جوعاً ، قلت : جعلت فداك فأين أطلب هؤلاء ؟ قال : في أطراف الأرض أولئك الخفيض عيشهم ، المنتقلة ديارهم ، وإن شهدوا لم يعرفوا ، وإن غابوا لم يفتقدوا ، ومن الموت لا يجزعون ، وفي القبور يتزاورون ، وإن لجأ إليهم ذو حاجة منهم رحموه ، لن تختلف قلوبهم وإن اختلفت بهم الديار ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : أنا المدينة وعليّ الباب ، وكذب من زعم أنّه يدخل المدينة لا من قبل الباب ، وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً « (١) .

و عن أبي أسامة قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : « عليكم بتقوى الله والورع والاجتهاد ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وحسن الخلق وحسن الجوار ، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم ، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً ، و عليكم بطول الرّكوع والسجود ، فإنّ أحدكم إذا طال الرّكوع والسجود هتف إبليس من خلفه ، وقال : يا ويله أطاع وعصيت ، وسجد وأبيت » (٢) .

و عن محمد بن عجلان قال : كنت عند أبي عبد الله ﷺ فدخل رجلٌ فسلم فسأله ﷺ : « كيف من خلفت من إخوانك ؟ قال : فأحسن الثناء وزكى وأطرى (٣) فقال : كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم (٤) ؟ فقال : قليلة ، قال : فكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم ؟ قال : قليلة ، قال : فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم ؟ قال : إنك لتذكر أخلاقاً قلما هي فيمن عندنا ، قال : فقال : فكيف تزعم هؤلاء أنّهم شيعة » (٥) .

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٧٧ .

(٣) أطريت فلانا مدحته باحسن مسافيه . و قال الجوهري : الاطراء مجاوزة الحد

في المدح والكنب فيه .

(٤) المراد به حسن النظر والالتفات الى الفقراء .

(٥) الكافي ج ٢ ص ١٧٣ .

و عن أبي إسماعيل قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : « جعلت فداك إن الشيعة عندنا كثير ، فقال : هل يعطف الغني على الفقير ، ويتجاوز المحسن عن المسي ، و يتواسون ؟ قلت : لا ، فقال : ليس هؤلاء شيعة ، الشيعة من يفعل هذا » (١).

و عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي : « يا جابر أيكنتني من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت ، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله و أطاعه ، و ما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة ، و كثرة ذكر الله ، والصوم والصلاة ، والبر بالوالدين ، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الألسن عن الناس إلا من خير ، وكانوا أمناء عشائهم في الأشياء ، قال جابر : فقلت : يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحدا بهذه الصفة ، فقال : يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل أن يقول : أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعلاً ، فلو قال : إني أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرسول الله خير من علي ثم لا يتبع سيرته ، ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً ، فاتقوا الله واعملوا ما عند الله ، ليس بين الله وبين أحد قرابة ، أحب العباد إلى الله تعالى وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته ، يا جابر والله ما يتقرب إلى الله تعالى إلا بالطاعة ، ما معنا براءة من النار (٢) ولا على الله لأحد من حجة ، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ، و من كان لله عاصياً فهو لنا عدو ، ما تنال ولا يتنا إلا بالعمل والورع » (٣).

(١) الكافي ج ٢ ص ١٧٣

(٢) أي ليس معاصك و حكم ببراءتنا و براءة شيعتنا من النار و ان عملوا بعمل الفجار . « ولا على الله لأحد من حجة » أي ليس لأحد على الله حجة إذا لم يغفر له بان يقول كنت من شيعة علي فلم لم تغفر لي ، لان الله تعالى لم يحتم بغفران من ادعى التشيع بلا عمل . او المعنى ليس لنا على الله حجة في انقاذ من ادعى التشيع من العذاب . و يؤيده ان في المجالس « ومالنا على الله حجة » . « من كان لله مطيعاً » كانه جواب عما يتوهم في هذا المقام انهم عليهم السلام حكموا بان شيعتهم واولياءهم لا يدخلون النار فاجاب عليه السلام بان المعاصي لله ليس بولي لنا ولا تدرك ولا يتنا الا بالعمل بالطاعات والورع عن المعاصي .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٧٤ .

و عنه عليه السلام قال : « يا معشر الشيعة شيعة آل محمد كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالي و يلحق بكم التالي ، فقال له رجلٌ من الأنصار يقال له : سعد: جعلت فداك ما الغالي ؟ قال : قوم يقولون فيما لا نقوله في أنفسنا ، فليس أوثقك منّا ولسنا منهم ، قال : فما التالي ؟ قال : المرئاد يريد الخير يبلغه الخير يوجر عليه ، ثمّ أقبل علينا فقال : والله ما معنا من الله براءة ، ولا بيننا و بين الله قرابة ، ولا لنا على الله حجة ، ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا ، ويحكم لا تغتروا ، ويحكم لا تغتروا ، (١) .

و عن الكاظم عليه السلام قال : « كثيرٌ أما كنت أسمع أبي يقول : ليس من شيعتنا من لا يتحدث المخدّرات بورعه في خدورهنّ و ليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق لله أروع منه » (٢) .

و عن الصادق عليه السلام قال : « لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل و سجوده ، فإنّ ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك ولكن انظروا إلى صدق حديثه و أداء أمانته » (٣) .

و عن أبي كهمس قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام قال : وعليك وعليه السلام إذا أتيت عبد الله فقرأه السلام وقل له : إن جعفر بن محمد يقول لك : انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه فإنّ علياً إنّما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث و أداء الأمانة » (٤) .

و في غير الكافي عنه عليه السلام قال : « الشيعة ثلاثة أصناف : صنفٌ يتزيّنون بنا ، و صنفٌ يستأكلون بنا ، و صنفٌ منّا وإلينا ، يأمنون بأمننا و يخافون بخوفنا ، ليسوا بالبذر المذيعين ، ولا بالجفأة المرئين ، إن غابوا لم يفقدوا ، وإن شهدوا لم يؤبه بهم

(١) الكافي ٢ ص ٧٥ والنمرقة الوسادة الصغيرة والتشبه باعتبار أنها محل الاعتماد .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٧٩ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٠٥ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ١٠٤ .

أولئك مصابيح الهدى ، (١) .

و عن أبي أسامة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام أودعه فقال لي : يا زیدما لكم و للناس قد حملتم الناس علي ، والله ما وجدت أحداً يطيعني و يأخذ بقولي إلا رجل واحد - رحمه الله - عبد الله بن أبي يعفور ، فإنه أمرته بأمر و أوصيته بوصية فاتبع قولي و أخذ بأمري ، والله (٢) إن الرجل منكم ليأتيني فأحدثه بالحديث لو أمسكه في جوفه لعز ، و كيف لا يعز من عنده ما عند الناس و يحتاج الناس إلى ما في يديه ولا يحتاج إلى ما في أيدي الناس فأمره أن يكتبه فلا يزال يذيعه حتى يذل به عند الناس و يعبر به ، قلت : جعلت فداك إن رأيت كف هذا عن مواليك فإنه إذا بلغهم هذا عنك شق عليهم ، فقال : إني أقول والله الحق ، وإنك تقدم غداً الكوفة فيأتيك إخوانك و معارفك فيقولون : ما حدثك جعفر أفما أنت قائلًا؟ قال : أقول لهم ما تأمرني به لأقصر عنه ولا أعدوه إلى غيره . قال عليه السلام (٣) : اقرأ من ترى أنه يطيعني و يأخذ بقولي منهم السلام وأوصهم بتقوى الله ، والورع في دينهم ، والاجتهاد لله ، و صدق الحديث ، و أداء الأمانة ، و طول السجود ، و حسن الجوار فبهذا جاء عهد عليه السلام ، و أدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها من بر أو فاجر فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر برد الأمانة و برد الخيط و المخييط (٤) ، صلوا في عشائرهم و اشهدوا جناتهم ، و عودوا مرضاهم و أدوا حقوقهم ، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه و صدق الحديث و أدى الأمانة و حسن خلقه مع الناس قيل : هذا أدب جعفر فيسرني ذلك أن قالوا هذا أدب جعفر ، وإذا كان على غير ذلك دخل عليه بلاؤه و عاره والله لقد حدثني أبي أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي

(١) ما عثرت على لفظه انما روى صدره الصدوق - رحمه الله - في الخصال ابواب

الثلاثة بنحوه و ذبله سبط الطبرسي في مشكاة الانوار كما في البحار ج ١٥ ص ١٥٠ .

(٢) الى هنا نقله الكشي في رجاله ص ١٦٢ .

(٣) من هنا الى أواخر الخبر رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٦٣٦ .

(٤) الخيط : السلك ، و المخييط : الابرة .

- رضوان الله عليه - فكان أفضاهم للحقوق وأداهم للأمانة وأصدقهم للحديث ، إليه وصاياهم وودائعهم يُسأل عنه فيقال : من مثل فلان ، فاتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً ، جرؤوا إلينا كل مودّة ، وادفعوا عنا كل قبيح فإنه ما قيل لنا فما نحن كذلك ، لناحق في كتاب الله وقرابة من رسول الله ﷺ و تطهير من الله ولادة طيبة لا يدعيها أحد غيرنا إلا كذّاب ، أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي وآله ﷺ فإن الصلاة ، عليه عشر حسنات خذ بما أوصيتك به وأستودعك الله .

﴿ فصل ﴾

و روى في الكافي ^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قام رجلٌ يقال له همّام وكان عابداً ناسكاً مجتهداً إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب فقال : يا أمير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه ؟ فقال : « يا همّام المؤمن هو الكيس الفطن ، بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، أوسع شيء صدره ، وأذل شيء نفسه ، زاجرٌ عن كلّ فان ، حاضٌ على كلّ حسن ، لاحقود ، ولا حسود ، ولا وثاب ^(٢) ، ولا سباب ، ولا عيباب ولا مغتاب ، يكره الرفعة ، ويشنأ السُّمعة ، طويل النعم ^(٣) ، بعيد الهمم ، كثير الصمت ، وقور ^(٤) ذكور ، صبور ، شكور ، مغموم بفكره ^(٥) ، مسرور بفقره ،

(١) المصدر ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) أي لا يشب في وجوه الناس بالمنازعة والمعارضة .

(٣) لما يستقبله من سكرات الموت واحوال القبر واهوال الآخرة . وقوله « بعيد الهمم » اما تأكيد للفقرة السابقة لان الهمم والنعم متقاربان او المراد بالهمم القصد أي هو عالي الهمة لا يرضى بالدون من الدنيا الفانية .

(٤) أي ذو وقار وسكينة ورزاة لا يستعجل في الامور ولا يبادر في العضب ولا تجرء الشهوات الى ما لا ينبغي فعله .

(٥) أي بسبب فكره في امور الآخرة . وقوله : « مسرور بفقره » لعل به بقله خطرته ويسر الحساب في الآخرة وقله تكاليف الله فيه .

سهل الخليفة ، لين العريكة ، رصين الوفاء ^(١) قليل الأذى ، لا متأفك ^(٢) ، ولا متهتك ، إن ضحك لم يخرق ، وإن غضب لم ينزق ^(٣) ، ضحكه تبسم ، واستفهامه تعلم ، ومراجعته تفهم ، كثير علمه ، عظيم حلمه ، كثير الرِّحمة ، لا يبخل ، ولا يعجل ، ولا يضجر ، ولا يبطر ^(٤) ، ولا يحيف في حكمه ، ولا يجور في علمه ^(٥) ، نفسه أصلب من الصلد ومكادحته أحلا من الشهد ، لاجشع ، ولا هلع ^(٦) ولا عنف ، ولا صلف ، ولا متكأف ولا متمق ^(٧) ، جميل المنازعة ، كريم المراجعة ، عدل إن غضب ، رفيق إن طلب ، لا يتهور ، ولا يتهتك ، ولا يتجبر ، خالص الود ^(٨) ، وثيق العهد ، وفي العقد شفيق وصول ، حلیم ، خمول ^(٩) ، قليل الفضول ، راض عن الله تعالى ، مخالف لهواه ، لا يغلظ

(١) سهل الخليفة « أي ليس في طبعه خشونة وغلظة . والعريكة : الطيبة . والرصين - بالصاد المهملة - كاملين : المعكم الثابت .

(٢) كانه مبالغة في الافك بمعنى الكذب أي لا يكذب كثيراً او المعنى لا يكذب على الناس . وقيل المتأفك من لا يبالي أن ينسب اليه الافك .

(٣) نزق : خف عند الغضب .

(٤) البطر شدة الفرح والطمع .

(٥) العيف : الجور والظلم . وقوله « لا يجور في علمه » أي لا يظلم احداً

بسبب علمه . وربما يقره بالزاي أي لا يتجاوز عن العلم الضروري الى غيره .

(٦) « نفسه أصلب من الصلد » أي من الحجر الصلب ، كناية عن شدة عمله للمشاق

أو عن عدم عدوله عن الحق . وقوله : « مكادحته أحلا من الشهد » الكدح : السمي ويحتمل أن يكون المعنى أن سعيه في تحصيل المعيشة والامور الدنيوية لمساهلته فيها حسن لطيف . والجشع معركة - : اشد العزم واسوؤه ، أو أن تأخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك . والهلع : الجزوع .

(٧) الصلف - ككتف - : التكلم بما يكرهه صاحبه . و التمدح بما ليس عندك

او مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً . وبالفارسيه (لافزندن) والمتكلف : المتعرض لما لا يعنيه . وقوله : « ولا متمق » أي لا يبالي في الامور الدنيوية .

(٨) أي لا يتكبر على الغير ولا يمد نفسه كبيراً ومحبته خالصة لكل من يوده غير

مخلوطة بالقديمة والنفاق و كان هذا أظهر .

(٩) في القاموس الشفق : حرص الناصح على صلاح المنصوح وهو مشفق وشفيق ←

على من دونه ، ولا يخوض فيما لا يعنيه ، ناصر للدين ، محام عن المؤمنين ، كهف للمسلمين ، لا يخرق الثناء سمعه ^(١) ولا ينكي الطمع قلبه ، ولا يصرف اللعب حكمه ، ولا يطلع الجاهل علمه ، قوأل ، عالم ، عمأل ، حازم ، لا بفحاش ، ولا بطيأش ^(٢) ، وصول في غير عنف ، بذول في غير سرف ، لا بختال ^(٣) ، ولا بغدادار ، ولا يقتفي ^(٤) أثراً ، ولا يحيف بشراً ، رفيق بالخلق ، ساع في الأرض ، عون للضعيف ، غوث للملهوف ، لا يهتك سترأ ، ولا يكشف سرأ ، كثير البلوى ، قليل الشكوى ، إن رأى خيراً ذكره ، وإن عاين شرأ ستره ، يستر العيب ، و يحفظ الغيب ، و يقبل العثرة ، و يغفر الزلّة ، لا يطلع على نصح فيذره ^(٥) ، ولا يدع جنح حيف فيصلحه ، أمين

← وحاصله انه ناصح ومشفق على المؤمنين . وقيل : خائف من الله والاول اظهر . وقوله :

« خمول » في اكثر نسخ المصدر بالغاء المعجمة اي انه خامل الذكر غير مشهور بين الناس وكانه معمول على أنه لا يحب الشهرة ولا يسمى فيها وفي بعض النسخ بالغاء المهمله والمراد به العلم ، تأكيداً والمراد بالجليل الماقل أو المراد أنه يتحمل مشاق المؤمنين .

(١) عدم الخرق كناية عن عدم التأثير فيه ، كانه لم يسمعه . وقوله : « لا ينكي

الطمع قلبه » اي لا يؤثر في قلبه ولا يستقر فيه ، وفيه اشعار بان الطمع يورث جراحة القلب جراحة لا يبره . وقوله « لا يصرف اللعب حكمه » اي لا يلتفت الى اللعب لحكته . وقوله : « عالم » . قيل هو : ناظر الى قوله : « قوأل » وقوله : « حازم » ناظر الى قوله : « عمال » والحزم : رعاية المواقب وفي القاموس الحزم : ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة . (٢) الطيأش : النزق والخفة ، طأش يطيش فهو طأيش و طيأش ، و ذهاب العقل ، والطيأش من لا يقصد وجهاً واحداً .

(٣) في بعض نسخ المصدر [لا بختار] . وفي القاموس الختر : الغدر والخديعة

أيضاً بمعناه .

(٤) اي لا يتبع عيوب الناس او لا يتبع اثر من لا يعلم حقيقته . وقوله : « لا يحيف

بشراً » بالغاء المهمله وفي بعض نسخ المصدر بالغاء المعجمة .

(٥) اي لا يطلع على نصح لاخيه فيتركه بل يذكره له ، والجنح في القاموس بالكسر :

الجانب والكتف والناحية ومن الليل الطائفة منه ويضم ، والعيف : الجور والظلم والحاصل انه لا يدع شيئاً من الظلم يقع منه او من غيره على احد ، بل يصلحه . او لا يصدر منه شيء من الظلم فيحتاج الى أن يصلحه . وفي بعض نسخ المصدر [جنف] مكان حيف وهو محركة الليل والجور .

رصينٌ، تقيٌّ، فقيٌّ، زكيٌّ، رضيٌّ^(١) يقبل العذر، ويجمل الذّكر، ويحسن بالنّاس الظنّ، ويتهم على العيب نفسه، يحبُّ في الله بفقّه وعلم، ويقطع في الله بحزم وعزم، لا يخرق به فرح، ولا يطيش به مرح^(٢) مذكّر للعالم، معلّم للجاهل، لا يتوقّع له بائقة^(٣)، ولا يخاف له غائلة، كلُّ سعيٍ أخلص عنده من سعيه، وكلُّ نفسٍ أصلح عنده من نفسه، عالمٌ بعبية، شاغلٌ بغمّة، لا يثق بغير ربّه، غريبٌ، وحيد، جريدٌ، حزين، يحبُّ في الله، ويجاهد في الله ليتبع رضاه، ولا ينتقم لنفسه بنفسه، ولا يوالي في سخط ربّه، مجالس لأهل الفقر، مصادقٌ لأهل الصدق، موازر لأهل الحقّ، عونٌ للغريب، أبٌ لليتيم، بعلٌ للأرملة^(٤) حفيٌّ بأهل المسكنة، مرجوٌ لكلّ كريمة، مأمولٌ لكلّ شدة، بشاشٌ، هشاش^(٥)، لا بعبّاس ولا بجسّاس، صليبٌ، كظمامٌ، بسّامٌ، دقيق النظر، عظيم الحنّد، لا يبخل^(٦)، وإن بخل عليه صبر، عقل فاستحى، وقنع فاستغنى، حياؤه يعلو شهوته، وودّه يعلو حسده، وعفوه يعلو حقه، لا ينطق بغير صواب، ولا يلبس إلاّ الاقتصاد، مشيه التواضع، خاضع لربّه بطاعته، راض عنه في

(١) « رصين » بالمهملة أي المحكم الثابت والعنفى بحاجة صاحبه وفي بعض نسخ المصدر بالمجعة وهو تصحيف وقوله : « زكي » أي طاهر من الميوب . وفي بعض النسخ بالذال أي يدرك المطالب العلية من البادى الخفية بسهولة وقوله : « يجمل الذكر » أي يذكر بالجميل .

(٢) « لا يخرق به فرح » أي لا يصير الفرح سبباً لخرقه وسفه . وقوله : « لا يطيش به مرح » أي لا يصير شدة فرحه سبباً لترقه وخفته وذهاب عقله أو عدوله عن الحق وميله إلى الباطل .

(٣) البائقة : الداهية والغائلة ايضاً الداهية .

(٤) الارملة : المرأة التي لا زوج لها . والحفي البر اللطيف وقوله : « مرجو لكل كريمة » أي يأمله الناس لدفع كل شدة .

(٥) الهشاشة : الارتياح والخفة للمعروف . والبشاشة : طلاقة الوجه . وقوله : « بعبّاس » أي كثير العبوس . وقوله : « بجسّاس » أي كثير التجسس . وقوله : « صليب » أي متصلب شديد في امور الدين .

(٦) في بعض نسخ المصدر [عظيم الحنظر] .

كلّ حالاته ، نيّته خالصة ، أعماله ليس فيها غشٌ ولا خديعة ، نظره عبّرة ، وسكوته فكرة ، وكلامه حكمة ، مناصحاً ، متبادلاً ، متواخياً ، ناصحٌ في السرِّ والعلانية ، لا يهجر أخاه ولا يغتابه ، ولا يمكّره ، ولا يأسف على ما فاتته ، ولا يحزن على ما أصابه ، ولا يرجو ما لا يجوز له الرّجاء ، ولا يفشل في الشدّة ، ولا يبطر في الرّخاء ، يمزج العلم بالحلم والعقل بالصبر ، تراه بعيداً كسله ، دائماً نشاطه ، قريباً أمله ، قليلاً زلله ، متوقفاً لأجله ،^(١) خاشعاً قلبه ، ذا كرّ أربه ، قانعة نفسه ، منقيماً جهله ، سهلاً أمره ، حزيناً لذنبه ، ميّنة شهوته ، كظوماً غيظه ، صافياً خلقه ، آمناً منه جاره ، ضعيفاً كبره ، قانعاً بالذّي قدّره ، متيناً صبره ، محكماً أمره ، كثيراً ذكره ، يخالط الناس ليعلم ، ويصمت ليسلم ، ويسأل ليفهم ، ويتجر ليفنم ، لا ينصت للخبر ليفجر به ، ولا يتكلم ليتجبر به على من سواه ، نفسه منه في عناه ، والناس منه في راحته ، أتعب نفسه لآخرته ، فأراح الناس من نفسه ، إن بغى عليه صبر ، حتى يكون الله الذي ينتصر له ، بعده ممن تباعد منه بغضٌ ونزاهة ، ودنوّه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده تكبراً ولا عنفة ، ولادنوّه خديعة ولا خلابة^(٢) بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير فهو إمام لمن بعده من أهل البرِّ» .

قال : فصاح همّام صبيحة ثم وقع مغشياً عليه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما والله لقد كنت أخافها عليه وقال : هكذا تصنع الموعظة البالغة بأهلها فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين فقال : إن لكلّ أجلاً لا يعدوه و سبباً لا يجاوزه ، فمهلاً لا تعد فأنما نفتش على لسانك شيطانٌ .

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن لأهل الدّين علامات يعرفون بها : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، ووفاء بالعهد ، وصلة الأرحام ورحمة الضعفاء ، وقلة المراقبة للنساء ، - أوقال : قلة المؤاتاة للنساء -^(٣) وبذل المعروف ،

(١) أي منتظراً له .

(٢) خلبه كنصر مخلصاً و خلابة : خدعه .

(٣) المؤاتاة : الموافقة والمطوعة .

وحسن الخلق ، وسعة الخلق ، واتّباع العلم ، وما يقرب إلى الله تعالى زلفى ، طوبى لهم ، وحسن مآب ، وطوبى شجرة في الجنة أصلها في دار النبي ﷺ ، وليس من مؤمن إلا وفي داره غصن منها لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلا أتاه ذلك ، ولو أن راكباً مجدأ سار في ظلها مائة عام ما خرج منه ، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتى يسقط هرمأ (١) الأفقي هذا فارغبوا ، إن المؤمن من نفسه في شغل ، و الناس منه في راحة ، إذا جن عليه الليل افترش وجهه وسجد لله تعالى بمكلام بدنه يناجي الذي خلقه في فكك رقبتك ألهكذا فكونوا ، (٢).

و عن أحدهما عليه السلام قال : مر أمير المؤمنين عليه السلام بمجلس من قریش فاذا هو يقوم بيض ثيابهم (٣) صافية ألوانهم ، كثير ضحكهم ، يشيرون بأصابعهم إلى من يمر بهم ، (٤) ثم مر بمجلس للأوس والخزرج فاذا قوم بليت منهم الأبدان ودقت منهم الرقاب واصفرت منهم الألوان وقد تواضعوا بالكلام فتعجب علي صلوات الله عليه من ذلك ، ودخل على رسول الله ﷺ فقال : يا أبا أنت وأمي إنني مررت بمجلس لآل فلان ثم وصفهم و مررت بمجلس للأوس والخزرج فوصفهم ثم قال : و جميع مؤمنون فأخبرني يارسول الله بصفة المؤمن فنكر رسول الله ﷺ ثم رفع رأسه فقال : عشرون خصلة في المؤمن فإن لم يكن فيه لم يكمل إيمانه إن من أخلاق المؤمنين - يا علي - الحاضرون الصلاة ، والمسارعون إلى الزكاة والمطعمون المسكين ، المسحون رأس البيتيم ، المطهرون أطمارهم (٥) المتزرون على أوساطهم (٦) الذين إن حدثوا لم

(١) إنما خص الغراب بالذكر لانه أطول الطيور عمراً .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٣٩ تحت رقم ٣٠ .

(٣) يبيض - بالكسر - جمع أبيض ويحتل فيه وفي نظائره الجر والرفع .

(٤) « يشيرون بأصابعهم » استهزاء وإشارة إلى عيوبهم .

(٥) أي ثيابهم البالية بالفضل أو بالتشهير .

(٦) أي يشدون المتزرد على وسطهم احتياطاً لستر العورة فانهم كانوا لا يلبسون

السراديل أو المراد شد الوسط بالأزرار كالمنطقة ليجمع الثياب . وقيل : هو كناية عن

الاهتمام في العبادة .

يكذبوا ، و إذا وعدوا لم يخلفوا ، و إن ائتمنوا لم يخونوا ، و إن تكلموا صدقوا ، رهبان بالليل ، أسد بالنهار ، ^(١) صائمون النهار ، قائمون الليل ، ^(٢) لا يؤذون جاراً ولا يتأذى بهم جارٌ ، الذين مشيهم على الأرض هون ، و خطاهم إلى بيوت الأراامل و على أثر الجنائز ، جعلنا الله وإياكم من المتقين « ^(٣) .

و عن أبي جعفر عليه السلام قال : « سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن خيار العباد ^(٤) فقال : الذين إذا أحسنوا استبشروا ، و إذا أسأؤوا استغفروا و إذا أعطوا شكروا ، و إذا ابتلوا صبروا ، و إذا غضبوا غفروا » ^(٥) .

و عنه عليه السلام قال : « قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن خياركم اولو النهى ، قيل : يارسول الله و من اولو النهى ؟ قال : هم اولو الأخلاق الحسنة و الاحلام الرزينة ^(٦) و صلة الأرحام و البررة بالأمهات والآباء و المتعاهدون للفقراء و الجيران و اليتامى ، و يطعمون الطعام ، و يفشون السلام في العالم ، و يصلون و الناس نيام غافلون » ^(٧) .
و عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من عرف الله و عظمه منع فاه من الكلام ، و بطنه من الطعام . و عنى نفسه بالصيام و القيام ، قالوا : بآبائنا و أمهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله ، قال : إن أولياء الله فكان سكوتهم ذكراً ، و نظروا فكان نظرهم عبرة ، و نطقوا فكان نطقهم حكمة ، و مشوا فكان مشيهم بين

(١) الرهبان يكون واحداً وجمعاً وفسر الرهبانية في قوله تعالى : « و رهبانية ابتدعوها » بصلاة الليل . و « اسد بالنهار » أى شجمان في الجهاد .

(٢) « قائمون الليل » الفرق بينه و بين « رهبان بالليل » ان الرهبان اشارة الى التضرع و الرهبة أو التخلي و الترهيب و قيام الليل للصلاة لا يستلزم شيئاً من ذلك .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٣٢ تحت رقم ٥ .

(٤) فى بعض نسخ المصدر [خيار العباد] .

(٥) الكافي ج ٢ ص ٢٤٠ تحت رقم ٣١ .

(٦) الاحلام : جمع حلم بمعنى العقل أو الاناءة وعدم التسرع الى الانتقام وهو هنا

اظهر . و الرزين : الثقيل و ترذن فى الشيء : توقر .

(٧) الكافي ج ٢ ص ٢٤٠ تحت رقم ٣٢ .

الناس بركة ، لولا الآجال التي قد كتبت عليهم لم تقرُّ أرواحهم^(١) في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب^(٢) .

وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال : «المؤمن يصمت ليسلم ، وينطق ليغنم لا يحدث أمانته الأصدقاء ، ولا يكتنم شهادته من البعداء ، ولا يعمل شيئاً من الخير رياءً ولا يتركه حياءً ، إن زكّي خاف مما يقولون ، ويستغفر الله لما لا يعلمون ، لا يغرّه قول من جهله ، ويخاف إحصاء ما عمله »^(٣) .

و عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنما المؤمن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل ، وإذا سخط لم يخرج منه سخطه من قول الحق ، والذي إذا قدّم لم يخرج منه قدرته إلى التعدي إلى ما ليس له بحق »^(٤) .

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « المؤمن له قوة في دين ، وحزم في لين ، وإيمان في يقين ، وحرص في فقه ، ونشاط في هدى ، وبر في استقامة ، وعلم في حلم ، وكيس في رفق ، وسخاء في حق ، وقصد في غنى ، وتجميل في فاقة ، وعفو في قدرة ، وطاعة لله في نصيحة ، وانتهاء في شهوة ، وورع في رغبة ، وحرص في اجتهاد ، وصلاة في شغل ، وصبر في شدة ، وفي الهزاهز وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخا شكور ، ولا يغتاب ، ولا يتكبر ، ولا يقطع الرحم ، وليس بواهن ، ولا فظ ولا غليظ ، ولا يسبقه بصره ، ولا يفضحه بطنه ، ولا يغلبه فرجه ، ولا يحسد الناس ، يعير ولا يعير ، ولا يسرف ، ينصر المظلوم ، ويرحم المسكين ، نفسه منه في عنا ، و الناس منه في راحة ، لا يرغب في عز الدنيا ، ولا يجزع من ذلها ، للناس هم قد أقبلوا عليه ، و له هم قد شغله ، لا يرى في حكمه نقص ، ولا في رأيه وهن ، ولا في دينه ضياع^(٥) ، يرشدهم استشاره ،

(١) في بعض نسخ المصدر [لم تستقر] .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٣٧ تحت رقم ٢٥ .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٢٣١ تحت رقم ٣ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٢٣٤ تحت رقم ١٣ .

(٥) أي دينه متين لا يضيع بالشكوك والشبهات ولا بارتكاب المعاصي .

و يساعد من ساعده ، و يكيع عن الخنا والجهل» (١) .
 و عن الرضا عليه السلام قال : « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال
 سنة من ربه ، وسنة من نبيه ، وسنة من وليه ، فأما السنة من ربه فكتمان سره
 قال الله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول ، وأما
 السنة من نبيه فمداراة الناس ، فإن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله بمداراة الناس ،
 فقال : « خذ العفو وأمر بالعرف ، وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء » (٢) .

﴿ فصل ﴾

و في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إن هذه الدنيا يعطيها الله البرء
 والفاجر ، ولا يعطي الايمان إلا صفوته من خلقه » (٣) .
 و عنه عليه السلام « الناس كلهم بهائم - ثلاثاً - (٤) إلا قليل من المؤمنين ، والمؤمن
 عزيز - ثلاث مرّات - » .
 و عن أبي عبد الله عليه السلام « المؤمنة أعز من المؤمن ، و المؤمن أعز من الكبريت
 الأحمر ، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر » (٥) .
 و عن سدير الصيرفي قال : « دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ، فقلت له : و الله
 ما يسعك القعود ، فقال : ولم ياسدير ؟ قلت : لكثرة مواليك و شيعتك و أنصارك ،

(١) يكيع - كيبيع بالياء المثناة التحتانية - و في القاموس ، كمت عنه أكيع و
 أكاع عنه كيماً و كيعوعة اذا هبت و جبت عنه . و في النهاية الغنا : الفعش في القول و
 الجهل مقابل العلم أو السفاهة . والخبر في الكافي ج ٢ ص ٢٣١ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٤١ تحت رقم ٣٩

(٣) المصدر ج ٢ ص ٢١٥ تحت رقم ٣ .

(٤) يعنى قاله ثلاث مرّات . والخبر في الكافي ج ٢ ص ٢٤٢ تحت رقم ٢ .

(٥) المصدر ج ٢ ص ٢٤٢ و الكبريت الاحمر هو الجوهر النى طلبه اصحاب
 الكيمياء و هو الاكسير . وقوله « المؤمنة اعز » يعنى أن المؤمنة أقل وجوداً من المؤمن
 و ذلك لان المرأة الصالحة في غاية الندرة .

والله لو كان لأمر المؤمنين عليه السلام مالك من الشيعة والأَنْصار والموالي ما طمع فيه تيمُّ ولا عديٌّ، فقال: ياسدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف، قال: مائة ألف؟ قلت: نعم ومائتي ألف، قال: ومائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا، قال: فسكت عني، ثم قال: يخفُّ عليك أن تبلغ معنا إلى يَنْبُع^(١) قلت: نعم، فأمر بحمار وبغل أن يسرجا فبادرت فر كبت الحمار، فقال: ياسدير أتري أن تؤثرني بالحمار؟ قلت: البغل أزين وأنبل^(٢) قال: الحمار أرفق بي، فنزلت فر كب الحمار وركبت البغل، فمضينا فحانت الصلاة، فقال: ياسدير انزل بنا نصلي، ثم قال: هذه أرض سبخة^(٣) لا تجوز الصلاة فيها، فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرعى جداء^(٤) فقال: والله ياسدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، و نزلنا وصلينا، فلما فرغنا من الصلاة عطفت إلى الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر^(٥).

و عن حمران بن أعين قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما أقلنا لوا جتمعنا على شاة ما أفيناها؟ فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلّا - وأشار بيده - ثلاثة، قال حمران: فقلت: جعلت فداك ما حال عمّار؟ قال: رحم الله عمّاراً أبا اليقظان بايع وقتل شهيداً، فقلت في نفسي: ما من شيء أفضل من الشهادة، فنظر إليّ فقال: لعلك ترى أنه مثل الثلاثة أيها أيها^(٦)».

و عن أبي الحسن عليه السلام قال: «ليس كل من قال بولايتنا مؤمناً ولكن جعلوا

- (١) < يخف عليك > - بكسر الخاء - أي يسهل ولا يتقل، وفي القاموس خف القوم: ارتحلوا مسرعين. وينبع - كينصر - : حصن له عيون ونخيل وزروع بطريق حاج مصر.
- (٢) في القاموس النبيل - بالضم - الذكاء والنجابة.
- (٣) أي أرض ذات نر وملح.
- (٤) الجدى من اولاد المعز وهو ما بلغ ستة أشهر أو سبعة والجمع جداء.
- (٥) المراد تحقق سبعة عشر من المخلصين مع ما ذكر من عدد التشيعة لامطلقاً.
- والغبر في الكافي ج ٢ ص ٢٤٢.
- (٦) المراد بالثلاثة سلمان وأبوذر ومقداد كما روى الكشي في رجاله ص ٨ وقوله: أيها لفة في هيئات أي بعد عن الحق رأيك.

أنساً للمؤمنين» (١).

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله تبارك وتعالى : لو لم يكن في الأرض إلا مؤمن واحد لاستغنيت به عن جميع خلقي ، ولجعلت له من إيمانه أنساً لا يحتاج إلى أحد » (٢).

و عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إن الله ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء » (٣).

و عنه عليه السلام قال : « لا يصيب قرية عذابٌ وفيها سبعة من المؤمنين » (٤).

و في الكافي عن عبد الواحد بن المختار الأنصاري قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « يا عبد الواحد ما يضرُّ رجلاً - إذا كان على ذا الرأي - ما قال الناس له - ولو قالوا : مجنون - وما يضرُّه لو كان على رأس جبل يعبد الله حتى يجيئه الموت » (٥).

و عن فضيل بن يسار قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في مرضة مرضها لم يبق منه إلا رأسه (٦) فقال : « يا فضيل إنني كثيراً ما أقول : ما على رجل عرفه الله هذا الأمر لو كان في رأس جبل حتى يأتيه الموت ، يا فضيل بن يسار إن الناس أخذوا إيماناً وشمالاً و إنما وشيعتنا هدينا الصراط المستقيم ، يا فضيل بن يسار إن المؤمن لو أصبح له ما بين المشرق والمغرب كان ذلك خيراً له ، ولو أصبح مقطعاً أعضاؤه كان ذلك خيراً له ، يا فضيل بن يسار إن الله لا يفعل بالمؤمن إلا ما هو خيرٌ له ، يا فضيل بن يسار لو عدلت الدنيا عند الله عز وجل جناح بعوضة ماسقى عدوه منها شربة ماء ، يا فضيل بن يسار إنه من كان همته همماً واحداً كفاه الله همته ، ومن كان همته في كلِّ وادٍ لم يبالي الله بأيِّ وادٍ هلك » (٧).

(١) و (٢) الكافي ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص ٢٤٧ . (٥) المصدر ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٦) كناية عن نفاقة جسمه الشريف عليه السلام والخبر في الكافي ج ٢ ص ٢٤٦ .

(٧) أي في أي وادٍ من أودية الضلالة والجهالة . قوله : « لم يبالي الله بأيِّ وادٍ هلك »

أي صرف الله لطفه و توفيقه عنه وتركه مع نفسه و أهوائها حتى يهلك باختيار واحد من الابدان الباطلة ، أو كل وادٍ من أودية الدنيا و كل شعبة من شعب أهواء النفس الامارة ←

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « أربع لا يخلو منهن المؤمن أو واحدة منهن : مؤمن يحسده وهو أشدُّ من عليه ، ومنافقٌ يقفو أثره ، أو عدوٌّ يجاهده ، أو شيطانٌ يغويه » (١) .

و عنه عليه السلام قال : « ما أفلت المؤمن من واحدةٍ من ثلاثٍ ولربما اجتمعت الثلاث عليه ، إما بعض من يكون معه في الدار يفلق عليه بابه يؤذيه ، أو جار يؤذيه أو من في طريقه إلى حوائجه يؤذيه ، ولو أن مؤمناً على قلة جبل لبعث الله تعالى إليه شيطاناً يؤذيه ، ويجعل الله له من إيمانه أنساً لا يستوحش معه إلى أحد » (٢) .
و عنه عليه السلام قال : ما كان ولا يكون وليس بكائن مؤمن إلا وله جار يؤذيه ، ولو أن مؤمناً في جزيرة من جزائر البحر لابتعث الله له من يؤذيه » (٣) .

و عنه عليه السلام « إنّه ذكر عنده البلاء وما يخصُّ الله به المؤمن ، فقال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله من أشدُّ الناس بلاءً في الدنيا ؟ فقال : النبيون ثم الأمثل فالأمثل ، وابتلي المؤمن بعد علي قدر إيمانه وحسن أعماله ، فمن صحَّ إيمانه وحسن عمله

← بالسوء من حب المال والجاه والشرف والعلو ولذة المطاعم والشارب والملابس والتناكح وغير ذلك من الأمور الباطلة الفانية ، والحاصل أن من اتبع الشهوات النفسانية أو الآراء الباطلة ولم يصرف نفسه عن مقتضاها إلى دين الحق وطاعة الله وما يوجب قربه لم يمدده الله بنصره وتوفيقه ولم يكن له عند الله قدر ومنزلة ولم يبال بأي طريق سلك ولا في أي وادملك (المرأة) والخبر في الكافي ج ٢ ص ٢٤٦ .

(١) المصدر ج ٢ ص ٢٥٠ تحت رقم ٤ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٢٤٩ و ذكروا لتسليط الشياطين والكفرة على المؤمنين وجوهاً من الحكمة : الأول أنه كفارة لذنوبه ، الثاني أنه لاختيار صبره و ادراجه في الصابرين ، الثالث أنه لتزهيده في الدنيا لتلافتتن بها وبطشئ اليها فيشق عليه الخروج منها الرابع توسله إلى الحق سبحانه في الضراء وسلوكه مسلك الدعاء لدفع ما يصيبه من البلايا فيرتفع بذلك درجته ، الخامس وحشته عن المخلوقين وانسه برب العالمين راجع مرآة العقول ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٥١ تحت رقم ١١ .

اشتدَّ بلاؤه ، ومن سَخفَ إيمانه وضعف عمله قلَّ بلاؤه » (١) .

و عنه عليه السلام قال : « إنَّ المؤمن من الله لبأفضل مكان - ثلاثاً - إنَّه ليبنتليه بالبلاء ثمَّ ينزع نفسه عضواً عضواً من جسده و هو يحمدالله على ذلك (٢) .

✽ (ذكر كلام جامع ضابط في تحقيق معنى الامام) ✽

✽ (ومعنى الشيعة ومعنى المخالف وتقسيم الناس بهذا الاعتبار) ✽

اعلم أنَّ من اصطفاه الله تعالى من عباده واختصه من بينهم لنفسه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، وأكمل قوتيه النظرية والعملية إلى أقصى كمالهما الممكن ، ثمَّ علَّمه من لدنه علماً واطَّلعه على أسراره وأحكامه وشرائعه ، ثمَّ وهب له مع كماله الذي أعطاه قدرة على تكميل غيره من بني نوعه ، بحيث يكون آخذاً من الله سبحانه معطياً إلى خلقه ، و يأتي كلاً من الناس بما يصلح لعقله من غير أن يشغله الجنة العالية من الجهة السافلة ولا العكس فهو إمام الناس وخليفة الله في أرضه على خلقه و حجته على عباده ، والعالم الرباني والسابق المقرب ، نبياً كان أو غير نبي إذ ربُّ نبيٍّ ليس بإمام وربُّ إمام ليس بنبيٍّ ، والإمامة فوق النبوة وقد يجمعهما الله لواحد كما جمعها الله تعالى لنبيِّنا عليه السلام وإبراهيم صلوات الله عليه حيث قال : « إنِّي جاعلك للناس إماماً » .

روى في الكافي عن هشام بن سالم قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات : فنبىٌّ منبأ في نفسه لا يعدو غيرها ، و نبيٌّ يرى في النوم ، و يسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة ، ولم يبعث إلى أحد ، و عليه إمامٌ مثل ما كان إبراهيم على لوط عليه السلام ، و نبيٌّ يرى في منامه ، و يسمع الصوت ويعاين الملك ، و قد أرسل إلى طائفة قتلوا أو كثروا كيونس قال الله ليونس : « و أرسلناه إلى مائة

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٥٢ تحت رقم ٢ ، والسخف : الخفة في العقل وغيره ، والنعل

ككرم (النهاية) .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٢٥٤ تحت رقم ١٣ . وقوله : « ثلاثاً » أى قالها ثلاث مرات .

ألف أو يزيدون»^(١) قال : يزيدون ثلاثين ألفاً و عليه إمامٌ ، والذي يرى في نومه ،
ويسمع الصوت ، ويعاين في اليقظة ، وهو إمام مثل أولى العزم و قد كان إبراهيم
عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال الله له : « إنني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي
(فقال الله) لا ينال عهدي الظالمين » من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً »^(٢) .

و عن زرارة قال : « سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى : « وكان رسولاً
نبياً » ما الرسول وما النبي؟ قال : النبي الذي يرى في منامه ، ويسمع الصوت ،
ولا يعاين الملك ، والرسول الذي يسمع الصوت ، ويرى في المنام ، ويعاين الملك ،
قلت : الإمام ما منزلته؟ قال : يسمع الصوت ، ولا يرى ولا يعاين الملك ، ثم تلا هذه
الآية « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي » (ولا محدث) »^(٣) .

و من وفقه الله لمحبة صاحب هذا المقام وموالاته والافتقار به والاهتداء بهداه
والافتقار لأثره والتشيع له على طريقته ومنهاجه في حركاته وسكناته وأفعاله و
أحواله والوقوف على أسراره و علومه بقدر طاقته و على حسب وسعه و يكون كلما
أخطأ أناب فأصاب و كلما أذنب ذنباً رجع و تاب و كلما زل قدمه استقام و آب و
تبرأ من الطرق الباطلة والأهواء الزايفة وأهلها ، وزهد في فضول الدنيا و امتاز
من بينها فهو الشيعي والخاصي والسعيد و الناجي و المتعلم على سبيل النجاة ، و
المؤمن الممتحن والمتقي والمقتصد ، و صاحب الميمنة ، و أهل اليمين ، و من هو في
مقابل هذا الشخص بأن يكون عدواً للإمام غير مقتدي به ولا مهتدي بهداه ولا مقتفي
أثره ولا واقف على أسراره بل مخالفه في طريقته جاحداً أمره ، متبعاً هواه مقبلاً
على دنياه فهو المخالف العامي والشقي والهالك والمشارك والضال و الظالم وصاحب
المشامة و أهل الشمال ، فهذه الثلاث حقائق من أفراد بني آدم متميز بعضها من
بعض ، هي بمنزلة الأصول لأصناف الناس ، ثم الأولى هي الأصل بالإضافة إلى الأخيرتين

(٢) الكافي ج ١ ص ١٧٤ .

(١) الصافات : ١٤٧ .

(٣) المصدر ج ١ ص ١٧٦ . « ولا محدث » إنما هو في قراءة أهل البيت عليهم السلام

وهو - بفتح الدال المشددة - كما قال المؤلف في الروافى .

إذ بها تنشآن و تميزان ، قال الله تعالى : « كان الناس أُمَّة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين فاختلَفوا » و أكثر آيات القرآن بل جميعها إنما وردت في هذه الفرق الثلاث و أحوالهم و أفعالهم و أقوالهم و مبدئهم و معادهم و منشأهم و مآلهم ، و كذلك الأخبار والآثار عن الأئمة الأطهار سلام الله عليهم ، و إليهم الإشارة بقوله عز و جل : « و كنتم أزواجاً ثلاثة » فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة و السابقون السابقون و أولئك المقرَّبون » (١).

و عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز و جل : « هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب » قال : نحن الذين يعلمون ، وعدونا الذين لا يعلمون ، و شيعتنا أولو الألباب » (٢).

و إلى الأخيرتين الإشارة بما ورد في حديث سؤال القبر و الرجعة إنما يسئل في قبره من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً و إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم من محض الإيمان محضاً أو من محض الكفر محضاً ، و أما سائر (٣) الناس ممن سوى هذه الفرق الثلاث فبهائم و سباع و همج رعا و مقلدة و أتباع و عُناء من أهل النقل المجرَّد و محض السَّماع لا يعبؤ بهم ولا يعتني بشأنهم و إن كانوا من المنسويين إلى العلم ، إذا كان علمه مقصوراً على العلوم الرّسميّة الظاهرة فإن كان فيهم من يحبُّ السَّعداء و يبغض الأشقياء و يهتمُّ بالدين و يعمل بطرف من سنن المرسلين فهو الموالي و المحبُّ و الناجي فينجو و يحشر مع من يتولاه فإن المرء يحشر مع من أحبُّ . و ربما يطلق الشيعة على هذا أيضاً من باب التغليب أو من جهة مشايعته لظاهر الإمام و على شريعته و إن لم يشايعه لباطنه و على حقيقته و هذا كما أن المؤمن قد يخصُّ بالممتحن و قد يطلق على ما يشمل الغير الممتحن أيضاً كما قال الصادق عليه السلام : « المؤمن مؤمنان : فمؤمن صدق بعهد الله و وفا بشرطه و ذلك قول الله تعالى : « رجال

(١) الواقعة : ٧ إلى ١١ .

(٢) رواء البرقي في المعاسن ص ١٦٩ و الآية في سورة الزمر : ٩ .

(٣) راجع الكافي ج ٣ ص ٢٣٥ .

صدقوا ما عاهدوا الله عليه» (١) فذلك الذي لاتصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة،
وذلك مما يشفع ولا يشفع له ، ومؤمن كخامة الزرع (٢) تعوج أحياناً وتقوم أحياناً
فذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا و أهوال الآخرة ، وذلك ممن يشفع ولا يشفع» (٣)
وكذلك الهمج والغناء قد يخصُّ بمن سوى فرق الثلاث ، وقد يطلق على يشمل
الفرقة الأخيرة منهم أيضاً كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الناس ثلاثة إمّا عالمٌ ربّاني
أو متعلّم على سبيل النجاة أو همج رعا ع ، أتباع كلِّ ناعق ، يميلون مع كلِّ ريح ،
لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق » (٤).

و عن الصادق عليه السلام « يغدو الناس على ثلاثة أصناف : عالمٌ و متعلّم و غناء ،
فنحن العلماء ، وشيعتنا المتعلّمون ، وسائر الناس غناء » (٥).

و عن النبي صلى الله عليه وآله : « لاخير في العيش إلا لرجلين : عالمٌ مطاع أو مستمع
واع » (٦).

و عن الصادق عليه السلام « اُغد عالماً أو متعلّماً أو أحبُّ أهل العلم ولا تكن رابعاً
فتهلك ببغضهم » (٧).

و فيما بين الإمام والشيعة والموالي مراتب ودرجات متفاوتة في القرب من
السعادة الحقيقية والبعده عند ، فربُّ شيعي له حظٌّ من الإمامة وربُّ موال له حظٌّ
من التشيع وإنّما يعرف ذلك بوجود الصفات والعلامات التي ذكرناها فيهم أكثرها
أو أقلّها على حسب مراتبهم ، و من جمعت له مع التشيع العلامات الاثنتا عشر التي

(١) الاحزاب : ٢٣ .

(٢) الخامة من الزرع اول ما ينبت على ساق أو اللطافة النضة منه أو الشجرة

النضة منه .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٤) نهج البلاغة باب الحكم والمواعظ تحت رقم ١٤٧ .

(٥) الكافي ج ١ ص ٣٤ تحت رقم ٤ .

(٦) المصدر ج ١ ص ٣٣ تحت رقم ٧ .

(٧) المصدر ج ١ ص ٣٤ تحت رقم ٣ .

ذكرناها في الباب السادس من كتاب العلم من ربيع العبادات عند ذكر علماء الآخرة
فله حظٌ من الإمامة و إرشاد الناس و هو نائب عن إمام الأصل عند غيبته عليه السلام.

﴿ فصل ﴾

من أحبُّ أحداً لاعتقاده الخير فيه أو أبغض أحداً لاعتقاده الشرُّ فيه يوجر على
حبّه و بغضه و إن أخطأ في اعتقاده ، يدلُّ على ذلك ما رواه في الكافي عن أبي جعفر
عليه السلام قال : « لو أن رجلاً أحبُّ رجلاً لله لأثابه الله على حبّه إياه و إن كان المحبوب
في علم الله من أهل النار ، و لو أن رجلاً أبغض رجلاً لله لأثابه الله على بغضه إياه
و إن كان المبغض في علم الله من أهل الجنة » (٢).

و عنه عليه السلام : « إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك فإن كان
يحبُّ أهل طاعة الله و يبغض أهل معصيته ففك خيرٌ والله يحبُّك ، و إذا كان يبغض
أهل طاعة الله و يحبُّ أهل معصيته فليس فيك خيرٌ والله يبغضك والمرء مع من أحبُّ » (٣).
و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الرجل ليحبكم و ما يعرف ما أنتم عليه
فيدخله الله الجنة بحبكم ، و إن الرجل ليبغضكم و ما يعرف ما أنتم عليه فيدخله
الله يبغضكم النار » (٤).

أقول: و ذلك لأن أصحابه عليهم السلام كانوا أهل طاعة و تقوى في الظاهر فمن
أحبهم أو أبغضهم مع عدم العلم بمذاهبهم فانما أحبُّ أو أبغض أهل طاعة الله ،
فمفادُ هذا الحديث بعينه مفادُ الحديث الأوّل ، ولا يخفى أن الحبَّ والبغض من
هذه الجهة أعني جهة طاعة الله و معصيته يرجع في الحقيقة إلى محبة المقام والحقيقة
دون الشخص الجزئي خصوصاً إذا لم ير المحبُّ والمبغض محبوبه و مبغوضه و إنَّما
سمع بصفاته و أخلاقه و يدلُّ على ذلك صريحاً ما رواه الصدوق - رحمه الله - في كتاب
علل الشرايع (٥) بإسناده عن المفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد

(١) راجع المجلد الاول من الكافي ص ١٢٥ .

(٢) الى (٤) الكافي ج ٢ ص ١٢٦ و ١٢٧ .

(٥) المصدر باب ١٣٠ ص ١٥٥ .

الصادق عليه السلام : لم صار علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة والنار؟ قال : لأن حبه إيمان و بغضه كفر ، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان و خلقت النار لأهل الكفر فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة والجنة لا يدخلها إلا أهل محبته والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه ، قال المفضل : يا ابن رسول الله فالأ نبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه و أعداؤهم يبغضونه؟ فقال : نعم ، قلت : فكيف ذلك؟ قال : أما علمت أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله ، ما يرجع حتى يفتح الله على يده؟ قلت : بلى ، قال : أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أوتي بالطائر المشوي قال : اللهم ائمني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطائر و عني به علياً عليه السلام؟ قلت : بلى ، قال : يجوز أن لا يحب أنبياء الله ورسله و أوصياؤهم عليهم السلام رجلاً يحبه الله ورسوله و يحب الله ورسوله؟ فقلت : لا ، قال : فهل يجوز أن يكون المؤمن من أئمه لا يحبون حبيب الله و حبيب رسوله و أنبيائه عليهم السلام؟ قلت : لا ، قال : فقد ثبت أن جميع أنبياء الله ورسله و جميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب محبين ، و ثبت أن المخالفين لهم كانوا لهم و لجميع أهل محبتهم مبغضين ، قلت : نعم ، قال : فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين و الآخرين فهو إذن قسيم الجنة و النار ، قال المفضل ابن عمر : فقلت له : يا ابن رسول الله فرجت عني فرج الله عنك فزدني مما أعلمك الله ، فقال : سل يا مفضل ، قلت : أسأل يا ابن رسول الله فعلي بن أبي طالب يدخل محبه الجنة و يبغضه النار ، أو رضوان و مالك؟ فقال : يا مفضل أما علمت أن الله تبارك و تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وآله و هو روح إلى الأنبياء عليهم السلام وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟ قلت : بلى ، قال : أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله و طاعته ، و اتباع أمره و وعدهم الجنة على ذلك ، و أوعد من خالف ما أجابوا إليه و أنكروه النار؟ قلت : بلى ، قال : أفليس النبي ضامن لما وعد و أوعد عن ربه عز و جل؟ قلت : بلى ، قال : أو ليس علي بن أبي طالب خليفته و إمام أمته؟ قلت : بلى ، قال : أو ليس رضوان و مالك من جملة الملائكة و المستغفرين لشيعته الناجين بمحبته؟

قلت : بلى ، قال : فعلي بن أبي طالب إذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله ﷺ و رضوان ومالك صادر ان عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى ، يا مفضل خذ هذا فإنه من مخزون العلم ومكنونه لا تخرجه إلا إلى أهله .

قال بعض علمائنا - رحمهم الله - : إن هذا الحديث الشريف جوهرة نقيسة ، و درة ثمينة قد أفاد مولانا الصادق عليه السلام وفيه فوائد جمة لا يذهب على أولى النهي : منها أن المراد بمحبة أمير المؤمنين عليه السلام ما يورث المعرفة بمقامه عليه السلام إذ هو الذي يساوق الإيمان وإن ليس المراد بها محبة شخصه الموجود في الدنيا مدّة المحسوس بالحواس الجزئية ، بل المراد محبة حقيقة الإلهية ومقامه العقلي الكلّي الذي كان قبل أن يخلق الخلق ، و أن نبينا ﷺ أرسل إلى سائر الأنبياء وأوصيائهم ﷺ في مقامه العقلي الكلّي ، و بشرهم وأنذهم وهم يومئذ مكلفون بطاعته و امتثال أمره واجتناب معصيته ، تصديقاً لقوله سبحانه : « هذا نذير من النذر الأولى ، وإنه الضامن على الله ما وعد به أهل الاستجابة و الطاعة وما توعد به أهل التكذيب والمعصية و أن أمير المؤمنين عليه السلام خليفته على ذلك كله في سائر أمته من الأولين والآخرين سواء الأنبياء والأئمة ، وإن حكمه جار على سدة الجنان و على خزنة النيران ، يصدرون عن أمره ونهيه ، و إن الملائكة متعبدون بالاستغفار لشيئته كتعبدهم بالتوحيد والنبوة والولاية ، قال الله تعالى : « الذين يحملون العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا و اتبعوا سبيلك و قم عذاب الجحيم » انتهى كلامه .

وليكن هذا آخر الكلام في كتاب أخلاق الإمامة وآداب الشيعة و بتمامه تم ربع العادات من المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء و يتلوه إن شاء الله في ربع المهلكات كتاب عجائب القلب والحمد لله أولاً و آخراً و ظاهراً و باطناً .

﴿ فهرست ما في هذا المجلد ﴾

رقم الصفحة

الموضوع

كتاب العزلة

نقل المذاهب في العزلة والمخالطة .	٣
جحجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها .	٦
جحجج المائلين الى تفضيل العزلة .	٨
في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضائلها .	١١
الفائدة الاولى - الفراغ للعبادة والفكر .	١١
الفائدة الثانية - التخلص عن المعاصي الناشئة عن المخالطة هي الغيبة .	١٤
السكوت عند المعروف والمنكر .	١٤
الرياء وهو الداء العضال .	١٥
مشاركة الطبع لما يشاهد من الأخلاق الرديئة .	١٦
الفائدة الثالثة - الخلاص من الفتن والخصومات .	١٩
الفائدة الرابعة - الخلاص من شر الناس .	٢١
الفائدة الخامسة - انتقاع الطمع .	٢٣
الفائدة السادسة - الخلاص من مشاهدة الثقلاء .	٢٥
آفات العزلة .	٢٥
فوائد المخالطة وهي سبعة .	٢٥
١ - التعليم و التعلم .	٢٥
٢ - النفع والانتفاع .	٢٩
٣ - التأديب والتأدب .	٢٩
٤ - الاستيناس والايناس .	٣٠
٥ - نيل الثواب وإنالته .	٣١
٦ - التواضع و هو أفضل المقامات .	٣٢

الموضوع	رقم الصفحة
٧ - التجارب .	٣٤
فصل في ماهو المذموم من العزلة وماهو الممدوح منها .	٣٦
فصل في آداب العزلة .	٣٧
كتاب آداب السفر	
وهو مشتمل على ثلاثة أبواب	
الباب الاول في فوائد السفر وفضله ، وأقسامه الأربعة .	٤١
القسم الأول السفر في طلب العلم .	٤١
القسم الثاني السفر للجهاد ، أو الحج .	٤٥
القسم الثالث السفر للهرب من مشوش للدين .	٥١
القسم الرابع السفر هرباً مما يقدر للبدن أو المال .	٥٢
الباب الثاني في آداب المسافر وهي اثني عشر أدباً .	٥٦
١ - أن يبرء ذمته ويأخذ لزاده الحلال .	٤٦
٢ - أن يختار رفيقاً .	٥٨
٣ - أن يودع الرفقاء .	٦١
٤ - أن يصلي قبل السفر صلاة الاستخارة .	٦٢
٥ - الدعاء عند حصوله على باب الدار .	٦٢
٦ - أن يرحل من المنازل بكرة .	٦٥
٧ - أن لا ينزل حتى يحمى النهار .	٦٧
٨ - أن لا يمشي خارج القافلة .	٦٨
٩ - أن يرفق بالدابة .	٧٠
١٠ - أن يستصحب ستة أشيخه .	٧٢
١١ - أن يكون مستشيراً حسن المعاشرة .	٧٤
١٢ - في آداب الرجوع من السفر .	٧٥

الموضوع	رقم الصفحة
فصل للآداب الباطنة في السفر .	٧٧
الباب الثالث في ما لا بد للمسافر من تعلمه .	٧٨
اعتراض المؤلف على أبي حامد وذكر بعض البدع وذكر بعض المطالب .	٧٩
المطلب الأول في شرائط القصر والفطر .	٨١
المطلب الثاني في الصلاة على الراحلة وماشياً وفي السفينة .	٨٢
المطلب الثالث في معرفة القبلة .	٨٥
المطلب الرابع في زيارة قبور الأئمة <small>عليهم السلام</small> .	٨٧
كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر	
الباب الاول في وجوبهما .	٩٦
فصل ومن طريق الخاصة .	١٠٢
الباب الثاني في أركانها .	١٠٦
الباب الثالث في المنكرات المألوفة .	١١١
الباب الرابع في أمر الأمراء بالمعروف ونهيهم عن المنكر .	١١٢
كتاب اخلاق النبوة وآداب المعيشة	
بيان تأديب الله حبيبه <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> عمداً <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> بالقرآن .	١١٩
محاسن أخلاقه .	١٢٣
جملة الفضول من آدابه وأخلاقه مما رواه أبو البخترى .	١٢٨
بيان كلامه وضحكه <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> .	١٣٢
أخلاقه وآدابه <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> في الطعام .	١٣٥
أخلاقه وآدابه <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> في اللباس .	١٤٠
عفوه <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> مع القدرة .	١٤٥
إغضائه <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> عما يكره .	١٤٨
سخاوته وجوده <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> .	١٤٩
شجاعته <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> .	١٥٠

الموضوع	رقم الصفحة
تواضعه <small>عليه السلام</small> .	۱۵۱
صورته وخلقته <small>عليه السلام</small> .	۱۵۳
خلقه وخلقته وسيرته مع جلسائه برواية الحسين <small>عليه السلام</small> .	۱۵۸
معجزاته وآياته .	۱۶۲
كتاب اخلاق الائمة و آداب الشيعة	
مرتبة الإمام وخصائصه .	۱۷۴
فصل في معنى « أطيعوا الله - الآية - » .	۱۸۲
فصل في أن طاعة الأئمة فرض .	۱۸۳
أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> وخصائصه .	۱۸۷
فصل منقول من مناقب الخوارزمي وغيره .	۱۸۹
فصل عن كشف الغمة وغيره في شجاعته .	۱۹۲
فصل في كراماته .	۱۹۵
فصل في ما روي عن الصدوق وغيره في فضائله .	۲۰۳
فصل في خلقته <small>عليه السلام</small> .	۲۰۶
أخلاق فاطمة <small>عليها السلام</small> وصفاتها وكراماتها .	۲۰۷
الإمام الثاني الحسن بن علي <small>عليه السلام</small> وصفاته .	۲۱۵
فصل في كراماته <small>عليه السلام</small> .	۲۱۹
فصل في خلقته <small>عليه السلام</small> .	۲۲۱
الإمام الثالث الحسين بن علي <small>عليه السلام</small> وصفاته وكراماته .	۲۲۲
فصل في فضائله <small>عليه السلام</small> .	۲۲۶
فصل في كراماته <small>عليه السلام</small> .	۲۲۹
الإمام الرابع زين العابدين علي بن الحسين <small>عليه السلام</small> وصفاته وكراماته .	۲۳۱
فصل في فضائله <small>عليه السلام</small> .	۲۳۴
فصل في كراماته <small>عليه السلام</small> .	۲۳۷

الموضوع	رقم الصفحة
الإمام الخامس محمد بن علي الباقر <small>عليه السلام</small> وصفاته .	٢٤٢
فصل في كراماته <small>عليه السلام</small> .	٢٤٥
الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق <small>عليه السلام</small> وصفاته .	٢٥٢
فصل كراماته <small>عليه السلام</small> .	٢٥٧
أخلاق الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم <small>عليه السلام</small> وصفاته .	٢٦٦
فصل في كراماته <small>عليه السلام</small> .	٢٦٨
الإمام الثامن علي بن موسى الرضا <small>عليه السلام</small> وصفاته .	٢٨٠
فصل كراماته <small>عليه السلام</small> .	٢٨٤
أخلاق الإمام التاسع محمد بن علي التقي <small>عليه السلام</small> وصفاته .	٢٩٥
فصل في كراماته <small>عليه السلام</small> .	٣٠١
أخلاق الإمام العاشر علي بن محمد النقي <small>عليه السلام</small> وصفاته .	٣٠٨
الإمام الحادي عشر أبي محمد العسكري <small>عليه السلام</small> وصفاته .	٣٢١
فصل في كراماته <small>عليه السلام</small> .	٣٢٣
الإمام الثاني عشر أبو القاسم الحجة بن الحسن <small>عليه السلام</small> وصفاته .	٣٣٤
فصل في إثبات غيبته <small>عليه السلام</small> من طريق الخاصة .	٣٣٧
فصل في إثبات غيبته <small>عليه السلام</small> من طريق العامة .	٣٤٠
فصل في صفاته وعلاماته <small>عليه السلام</small> .	٣٤١
فصل في كراماته <small>عليه السلام</small> .	٣٤٤
ذكر صفات الشيعة وأخلاقهم وآدابهم وعلاماتهم وقتلتهم .	٣٥٢
فصل في خطبة أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> في صفة المؤمن .	٣٥٨
فصل في قلة عدد المؤمنين .	٣٦٦
ضابطة لمعرفة الإمام والشيعة والمخالف .	٣٦٩
إن الله يؤاجر على النية .	٣٧٠